

# المصباح

مجلة علمية فصلية محكمة  
تُعنى بالدراسات والأبحاث القرآنية

(٢٤)







العتبة الحسينية المقدسة

# المصباح

مجلة علمية فصلية محكمة  
تعنى بالدراسات والأبحاث القرآنية

تصدر عن

الامانة العامة

للعتبة الحسينية المقدسة

العدد الرابع والعشرون - السنة السادسة

شتاء (٢٠١٦م - ١٤٣٧هـ)

ببالغ الأسف والحزن تنعى مجلة المصباح عضو هيئة  
التحرير الاستاذ المتمرس الدكتور علي محسن مال الله الذي  
وافاه الأجل المحتوم يوم ٢٣ / ١١ / ٢٠١٥ عن عمر قضاه  
في خدمة العلم ورسالته الخالدة عبر كرسيه الجامعي في  
العراق تغمد الله الفقيد الغالي برحمته الواسعة وألهم ذويه  
الصبر والسلوان وانا لله وانا اليه راجعون...

بسم الله الرحمن الرحيم -

Republic Of Iraq  
Ministry Of Higher Education &  
Scientific Research  
Research and Development



جمهورية العراق  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
دائرة البحث والتطوير

No :

Date:

العدد: ب ت ٤ / ٢٨١٤  
التاريخ: ٦ / ١٠ / ٢٠١٣

ديوان الوقف الشيعي / الامانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

م/ مجلة المصباح

تحية طيبة...

اشارة الى كتابكم المرقم ١٤٩٩٦ في ٢٩/٩/٢٠١٣ والحاقا بكتابنا المرقم ب ت ٤ / ٨٠٣٣ في ٦/٦/٢٠١٣ بالإمكان اعتماد "مجلة المصباح" الصادرة عنكم لأغراض الترقية العلمية .  
....مع وأفر التقدير

أ.م.د. محمد عبد عطية السراج  
المدير العام لدائرة البحث والتطوير  
٢٠١٣/١٠/٦

نسخة منه إلى/

- دائرة البحث والتطوير/ الشؤون العلمية.  
- الصادرة.  
١٠/٦/١٣

Website: [www.rddiraq.com](http://www.rddiraq.com)

mail : [gd\\_office@rddiraq.com](mailto:gd_office@rddiraq.com) , [scientificdep@rddiraq.com](mailto:scientificdep@rddiraq.com)

الهاتف / ٧١٩٤٠٦٥

المشرف العام

سَمَاحَةُ الشَّيْخِ عَبْدِ الْمُهْدِيِّ الْكِرْبَلَائِيِّ

الأمين العام للعتبة الحسينية المقدسة

رئيس التحرير

محمد علي هادي

مدير التحرير والعلاقات العامة

الدكتور حميد مجيد هادي

هيئة التحرير

أ.د. علي رحيم هادي الحلوي

أ.د. صالح مهدي عباس

أ.د. زهير غازي زاهد

أ.د. علي محسن مال الله

أ.م.د. علي عباس الاعرجي

أ.د. عمار عبودي نصار

أ.م.د. عبد الجواد البيضاني

## الريادة الاستشارية

أ.د. عبد الجبار ناجي

بيت الحكمة - بغداد

أ.د. احمد مطلوب

رئيس المجمع العلمي العراقي

أ.د. محمد علي آذرشب

جامعة طهران - ايران

أ.د. حازم سليمان الحلي

جامعة بابل - العراق

أ.د. محمد كريم ابراهيم

جامعة بابل - العراق

أ.د. علي ابو الخير

مجمع البحوث الاسلامية - جمهورية مصر العربية

أ.د. عبد النبي اصطيف

جامعة دمشق - سورية

أ.د. عبد الامير كاظم زاهد

جامعة الكوفة - العراق

أ.د. عبود جودي الحلي

جامعة كربلاء - العراق

أ.د. محمد جواد الطريحي

جامعة بغداد - العراق

# المصباح

مجلة علمية فصلية محكمة  
تعنى بالدراسات والأبحاث القرآنية

العدد الرابع والعشرون - السنة السادسة

شتاء (٢٠١٦م - ١٤٣٧هـ)

الترقيم الدولي :

ISSN: 2226 - 5228

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق

٢٠١٠ / ١٤١٤

العنوان الموقعي

مجلة المصباح - شارع السدرة  
كربلاء المقدسة - جمهورية العراق

الاتصالات

مدير التحرير والعلاقات العامة

٠٧٨١٠٨٠٠٦٢٧

٠٧٧٠٣٢٨٥٠٧٨

ادارة المجلة

٠٠٩٦٤ ٣٢ ٣١٠٠٥٥

٠٠٩٦٤ ٣٢ ٣١٠٠٦٦

بدالة

داخلي: ٥٦١

التنسيق والمتابعة والتوزيع

علي افضيلة الشمري (العراق)

٠٧٨١٠٤٢٧١٣٠ / هـ

معمد الترجمة الانكليزية

سعد شريف طاهر

الاتصالات والمراسلة

غاضر عبد الامير الطريحي

الاخراج والتصميم

قاسم سالم محمد

البريد الإلكتروني: [almissbah@imamhussain.org](mailto:almissbah@imamhussain.org)

موقعنا على شبكة الإنترنت: [www.almissbah.imamhussain.org](http://www.almissbah.imamhussain.org)



## المحتويات

« كلمة الافتتاح/ رئيس التحرير ..... ١١..... »

### ملف العدد

« الدلالات التفسيرية في شواهد نهج البلاغة القرآنية/ د. عدي جواد الحجار..... ١٥ »

« معالم مدرسة اهل البيت التفسيرية/ د. علي رمضان الأوسي..... ٣٩ »

« الأثر القرآني في فكر الامام الحسين (عليه السلام)/ د. محمد كاظم الفتلاوي..... ٦١ »

« النص القرآني في روايات الامامين الجوادين(عليهما السلام)/ أ.م.د. علي الاعرجي..... ١٠١ »

« توظيف الامام علي بن الحسين للقصص القرآني/ أ.م.د. جاسم محمد الغرابي..... ١٣٥ »

« الفصل المفرد بين المصحف والمسند/ احمد حسين خشان..... ١٦١ »

« مرجعية اهل البيت في الكشف عن البعد الغيبي/ أ.م.د. حيدر مصطفى هجر..... ١٧٧ »

« من النتائج الفكرية للامام علي بن الحسين/ أ.م.د. صادق فوزي العبادي..... ١٩٥ »

« منهج تفسير القرآن بالقرآن/ السيد زيد البطاط..... ٢١٥ »

« أهل بيت النبوة مفهوم ومصداق قرآني/ م.م. محمد جبار جاسم..... ٢٣٩ »

### أبحاث العدد

« باطن القرآن جدلية الإثبات والمعنى والمنشأ/ د. علي الحواني..... ٢٥٩ »

« الاعجاز اللغوي في القرآن الكريم بين التفسير والتاويل/ أ.د. عبد القادر السلامي..... ٢٩١ »

« من تاريخ بني اسرائيل ودعوة النبي موسى ايهم بشهادة القرآن/ د. منصور مندور..... ٣٠٩ »

« الكلام الموجه في القرآن الكريم/ د. وائل عبد الامير الحربي..... ٣٤١ »

« نافذة المصباح..... ٣٩١ »

## ضوابط النشر

١. أن يكون البحث منسجماً مع اختصاص المجلة وتوجهها في نشر الابحاث التي تتعلق بالقرآن الكريم حصرياً.
٢. أن لا يكون البحث منشوراً في مجلة داخل العراق وخارجه، أو مستلاً من كتاب أو رسالة جامعية أو محملاً على الشبكة العنكبوتية على أن يلتزم الباحث بذلك بتعهد خطي.
٣. أن لا يكون البحث نمطياً أو مما أشبع موضوعه بحثاً، أو سردياً أو إحصائياً أو إجرائياً مما لا يتمثل فيه جهد الباحث الفكري.
٤. يرسل البحث محملاً على CD أو فلاش او بوساطة البريد الالكتروني للمجلة مع احتفاظ الباحث بنسخة الأصل عنده. ولاتستوفي المجلة أية مبالغ نقدية عن نشر الابحاث المطلوبة للتحكيم والترقية.
٥. تقوم المجلة باشعار الباحث بوصول البحث، ثم تشعره بقبول النشر في حال موافقة هيئة التحرير على ذلك وعندها يكون البحث ملكاً للمجلة لايجوز تقديمه للنشر في مجلة أخرى.
٦. ترتيب الابحاث في المجلة يخضع لسياق فني صرف ولا علاقة لأهميته أو لمكانة الباحث بذلك.
٧. يهمل كل بحث لا يحمل المعلومات المطلوبة عن الباحث (اسمه -درجته العلمية -مكان عمله -عنوانه الكامل ورقم هاتفه أو عنوان بريده الالكتروني).
٨. يستحسن للباحث الإشهار بنشاطه العلمي والثقافي في سطور قليلة.
٩. تحتفظ هيئة التحرير بحق حذف أو تعديل ما لايتماشى وسياسة المجلة في نشر علوم القرآن الكريم حصرياً أو ماخرج منها عن منهج البحث العلمي أوالموضوعي أو مامس جوهر العقائد الاسلامية ورموزها الفكرية والدينية.

# كلمة الافتتاح

بقلم رئيس التحرير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على محمد رسول الله، وعلى آله و من والأه، واللعن الدائم على من زاغ وأزاع، ومن ضل وأضل، من أول الدنيا الى قيام يوم الدين.

وبعد: فبفضل من الله - سبحانه - وتوفيق من لدنه، فها نحن أولاء نقف على ختام السنة السادسة من عمر [المصباح] الحافل بالخير والعطاء وترسيخ علوم القرآن الكريم.

لقد احتوى هذا العدد ملغاً يوثق مكانة القرآن الكريم في علوم وعقول وتراث اهل بيت النبوة ﷺ وهم عدل القرآن والثقل الموازن له [إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما فلن تضلوا أبدا] رواه الحاكم في المستدرک.

هذا الحديث الشريف الصريح بمواءمة القرآن بالعترة، قد حاول حكام الشجرة الملعونة من آل أمية، أن يغروا مرتزقتهم من المنافقين بأن يصوغوا قولاً يتهافت أمام ما يقبله العقل وصدق الايمان والمعنى البلاغي!. فجعلوا بدل [وعترتي] كلمة [وسنتي] ناسين أن السنة تنتهي بعد وفاة صاحبها، و

لا يُعقل أن تُغطّي كل معاني القرآنِ وعلومه، أو تشتمل على كلِّ قوانين الحياةِ ونواميسها وتطوّرها وتطبيقاتها في كلِّ مكانٍ وزمانٍ...!! كما نسي [أحدُهُم] أنه قال يوماً ما، والرسول ﷺ مسجىً بين الحياةِ والموتِ، [حَسْبُنَا كِتَابُ اللَّهِ]...!! إننا نقول لهؤلاء: تعساً لمن لا يُوظف عقله في تفسير التاريخ. لقد وصف الله - سبحانه - امثال هؤلاء بكلمة حق لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها حين قال في كتابه العزيز: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [سورة الاعراف: ١٧٩].

كما يعجبُ العاقل ممن يروي علوم القرآنِ عمَّن هبَّ ودبَّ من أهل الحديث، ثم يقفُ ساهماً عند روايتها عمَّن نزلَ بغنائهم وأناخَ برحليهم وأوحى به في أبياتهم، ممَّن تلقوا ترتيله وتفسيره وتأويله من فم رسول الله ﷺ عن جبريل. فهممهمم والقرآن توأمان لا يفترقان حتى يردا على رسول الله الحوض يوم القيامة. وقد نعى الامام ابو عبد الله الحسين عليه السلام على العامة أن يخوضوا في القرآن. فقد أورد [الطبرسي] رواية عن [وهب بن وهب] عن الامام الصادق عليه السلام عن أبيه الباقر عليه السلام أن أهل البصرة كتبوا الى الحسين بن علي عليه السلام يسألونه عن [الصمد] فكتب إليهم [بسم الله الرحمن الرحيم: أما بعد فلا تخوضوا في القرآن ولا تجادلوا فيه ولا تكلموا فيه بغير علم. فقد سمعتُ جدي رسول الله ﷺ يقول: مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بغيرِ عِلْمٍ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ. وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ فَسَّرَ - سبحانه - الصِّمْدَ فَقَالَ ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُؤَلِّدْ﴾ (٢) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ...!!

وقد أَلَّفَ علماءُ الإماميةِ كتباً في تفسيرِ القرآنِ برواياتِ أهلِ البيتِ ومنهم عليُّ بنُ إبراهيمِ القميِّ وابو النصرِ محمدُ بنُ سَعُوْدِ العياشيِّ السمرقنديِّ وغيرهم ممن لَسْنَا بصَدَدٍ تَعْدَادِهِمْ.

وبتضمينِ هذا الملفِّ العَدَدَ الرَّابِعَ والعشرينِ مِنَ المجلَّةِ لايَعْنِي أَنها قَدْ غَطَّتْ كُلَّ ما تَجِبُ معرفتُهُ عن صِلَةِ أَهلِ البَيْتِ عليهم السلام بالقرآنِ الكَرِيمِ، انما هي شَذَرَاتٌ مِنَ القَصْدِ. وقد كَانَتْ المجلَّةُ قَدْ نَشَرَتْ في أَعْدَادٍ مُتَقَدِّمَةٍ جَوَانِبَ مِنْ هَذِهِ الصِّلَةِ مُدْعَمَةً بِالأمثَلَةِ والنَّمَاذِجِ، وقد تَنْشُرُ جَوَانِبَ أُخْرَى مِنْ هَذَا السِّيَاقِ في اَعْدَادِهَا اللاحِقَةِ - ان شاء اللهُ تعالى -.

وما تَزَالُ هَيْئَةُ التَّحْرِيرِ تَشْكُو أُموراً نَوَّهْنَا بِهَا مرَّاتٍ ومرَّاتٍ أَهمُّها ضَرُورَةُ مُرَاجَعَةِ البَاحِثِ بَحْثَهُ بِعنايةٍ فائِقةٍ وَتَنْقِيئِهِ مِنْ شَوَائِبِ الغَلَطِ اللُّغَوِيِّ والطَّبَاعِيِّ وَمِنْ ضَعْفِ الأَسْلُوبِ وَمَنْهَجِيَّةِ الطَّرْحِ لِيكونَ هَذَا البَاحِثُ - أَيَّاً كَانَتْ تَحْصِيلُهُ العِلْمِيُّ -، مَتَحَمِّلاً كُلَّ المُسْؤُولِيَةِ عَمَّا يَعْيبُ عَلَيْهِ القَارِئُ، فَالمجلَّةُ تُخاطِبُ عَقولَ المُتَخَصِّصِينَ مِنْ ذَوِي المَهَارَةِ والدَّرَبَةِ في تَدْبِيحِ البُحُوثِ العِلْمِيَّةِ. وَتَتَرَكِّزُ أَهمِيَّةُ هَذَا الطَّرْحِ إِذَا كانَ البَحْثُ مُطْلُوباً لِلتَّرْقِيَةِ العِلْمِيَّةِ.

فضلاً عن لزومِ بُرُوزِ شَخْصِيَّةِ الكاتِبِ العِلْمِيَّةِ مِنْ خِلالِ التَّحْلِيلِ والمُقارَنَةِ والاستنتاجِ، لِكِي يُثَبَّتَ لِقُرَائِهِ أَنه جاءَ بِشَيْءٍ جَدِيدٍ عَلى البَحْثِ العِلْمِيِّ. وَقَدْ نَشَرَتْ المجلَّةُ لكَثيرٍ مِمَّنْ يَحْمِلُونَ هَذِهِ المِزِيَّةَ مِنْ عُلَماءِ حَوْرُوبِيينَ واساتذَةِ جامِعِيينَ مِمَّنْ يَحِقُّ لَهُمْ أَنْ يَفْخَرُوا بِما قَدَّمُوا وَأَنْ يَكُونُوا قِدْوَةً لِكُلِّ مَنْ يَتَصَدَّى لِلنُّزُولِ إِلى حَلْبَةِ البَحْثِ العِلْمِيِّ الرَّصِينِ. وَفَقَّ اللهُ الجَمِيعَ وإيَّانا لِخِدْمَةِ كِتابِ اللهِ العَزِيزِ وَهُوَ الفَرْدُ الَّذِي لا يَعْلَمُ القَصْدَ سِوَاهُ...

ملف العدد

القرآن الكريم في علوم

أهل البيت (عليهم السلام)

# الدَّلالاتُ التَّفْسِيرِيَّةُ فِي شَوَاهِدِ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ الْقُرْآنِيَّةِ

د. عدي جواد الحجار

كلية التربية الأساسية - جامعة الكوفة

## المقدمة

منهل للباحثين في الحكمة، والادب، والعرفان وتفسير القرآن الكريم، وقد امتاز كتاب "نهج البلاغة": بوحدة الروح والمثل والاسلوب على اختلاف موضوعاته ومقاصده وفنونه في صور فنية رائعة تسمو بأرفع أساليب البلاغة والفصاحة. وذلك مما يضيف للباحثين من توثيق لنسبته إلى إمام البلغاء، زائداً إلى وثاقة ما اعتمده الشريف الرضي من مصادر جمع منها نهج البلاغة، كونه عالماً بصيراً، وثبتاً مؤتمناً، مما يجعل كتاب النهج جديراً بأن يكون من أوثق الكتب وأعلاها قيمة، إذ يرتقي لدرجة

إن لكتاب "نهج البلاغة"، بما يحمل من خطب وأقوال وكلمات قصار وأمثال وشواهد بلاغية وقرآنية، أهمية كبرى في العلوم الشرعية وعلوم اللغة والعلوم التي تصب في خدمتها عموماً، إذ انتظم بين دفتيه معارف الهية عالية، ومنهجاً للاخلاق الفاضلة، وقوانين الاجتماع الدقيقة، إلى جانب السياسة الملتزمة، وضوابط الحرب العادلة، وما يتعلق بأصول الاقتصاد، وما يمت إلى العلوم النظرية والتطبيقية بكافة نواحيها، وقد كان لعلوم الشريعة والعلوم المساعدة حيزاً كبيراً فيه، ولذا فهو

بيان مصاديق لكل ما ورد في القرآن الكريم، وبيان مفردة أو تفصيل إجمال، أو بيان تخصيص عام، وغير ذلك من شواهد.

### «نهج البلاغة» منهل العلوم:

من نافلة القول التعريف بكتاب «نهج البلاغة» من حيث شهرته ونسبته وسمو مكانته، واشتماله على المعارف الإلهية والعلوم الشرعية وعلوم اللغة وغيرها، لما ضم من علم الإمام الذي هو من رشحات ينبوعه المعرفي ومكون علمه، من ومضات علمية ومعرفية، فهو يلقي الضوء على التوحيد ويشير إلى بداية الخليقة وانبثاق الوجود، وخلق الملائكة، وخلق السماوات والأرضين، والإنسان، والحيوان، وما اشتمل من رؤى مكثفة في علوم الاجتماع، وعلم النفس، والتاريخ، والأدب، بل انتظم العلوم الطبيعية من فيزياء، وعلم الأرض «الجيولوجيا» مما لا يزال يتسم بالجددة والحداثة لدى العلماء المعاصرين على الرغم من التطور الذي وصل إليه الإنسان في هذا العصر. ولا غرو فهو الذي هتف بصلاية

ما يرويه المحدثون الثقات، الذين يؤخذ بمروياتهم مسلماً بها من دون تشكيك، وبعد ثبوت نسبة ما في «نهج البلاغة» من الخطب والكلمات إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الذي ألقى على عاتقه مسؤوليات تفسير القرآن بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، يتضح أن الأداء الفكري والتطبيقي والتنظيري لتفسير القرآن، هو من ذلك النمير الرائق المتصل بالعلم الإلهي الذي أوحاه الله لرسوله الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقد ورد في نهج البلاغة جملة من تفسير الآيات والألفاظ القرآنية، بل يمكن الاستفادة من بعض الشواهد أسسا تمثل قواعد أولية للجانب النظري في تفسير القرآن الكريم، وانتظم جملة من الدلالات التفسيرية التي يتلمسها الباحث في شواهد «نهج البلاغة» القرآنية، واضحة وجلية كما سيثبت البحث ذلك، باعتبار أن أمير المؤمنين هو الأعراف بكتاب الله تعالى بعد الرسول الأكرم، إذ أنه كان الأذن الواعية للقرآن الكريم وما فيه من أحكام ودلالات، من محاسن الاستخراج ولطائف الاستنباط، ومن





ورسوخ: «سلوني قبل أن تفقدوني»<sup>(١)</sup>، ثم لم يعجز عن جواب سؤال قط، ولم يسجل التاريخ مثيلاً لهذه الظاهرة<sup>(٢)</sup>، وقد كان هذا القول منه في عدة مواقف، منها ما يتعلق بعلوم شتى، ومنها يختص بالقرآن الكريم، إذ قال: (سلوني قبل أن تفقدوني، فو الذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لو سألتُموني عن أية آية، في ليل أنزلت، أو في نهار أنزلت، مكيتها ومدنيها، سفريها وحضريها، ناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وتأويلها وتنزيلها، إلا أخبرتكم)<sup>(٣)</sup>.

وقد ضم نهج البلاغة روائع البيان وأسرار العلوم، وقد أشار الشيخ محمد عبده (ت ١٣٢٣هـ) إلى انطباق اسمه على محتواه، بقوله: (ولا أعلم اسماً

(١) أبو جعفر الإسكافي - المعيار والموازنة: ٨٢ + الصدوق - الأمالي: ١٩٦ + الحاكم النيسابوري - المستدرک: ٢ / ٣٥٢ + الشريف الرضي - نهج البلاغة: من كلام له عليه السلام ١٨٩ + ابن سلامة - دستور معالم الحكم: ١٠٤.

(٢) ظ: محمد الريشهري - موسوعة الإمام علي عليه السلام: ١٠ / ٩ + ١٨٩.

(٣) الصدوق - الأمالي: ٤٢٣.

أليق بالدلالة على معناه منه، وليس في وسعي أن أصف هذا الكتاب بأزيد مما دلّ عليه اسمه، ولا أن آتي بشيء في بيان مزيته فوق ما أتى به صاحب الاختيار<sup>(٤)</sup>، وذلك أنه كلام وصي خاتم الأنبياء ﷺ، الذي انتهل من مدينة العلم ألف باب من العلم يفتح له من كل باب ألف باب<sup>(٥)</sup>، فهو قبس من نور الخطاب الإلهي وسراج يضيء بفصاحة المنطق النبوي، ومن هذا قيل: (ليس في أهل هذه اللغة إلا قائل بأن كلام الإمام علي بن أبي طالب هو أشرف الكلام وأبلغه بعد كلام الله تعالى وكلام نبيه، وأغزره مادّة، وأرفعه أسلوباً، وأجمعه لجلائل المعاني)<sup>(٦)</sup>، بما يمثله من أنموذج واضح وصورة من صور المنهج العام لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، في الدين والسياسة والإدارة العامّة للدولة، وسائر شؤون النشأتين من أمر المعاش والمعاد.

(٤) شرح نهج البلاغة: ١ / ٤.

(٥) ظ: الصدوق - الأمالي: ٣٧٣ + الزرند (الحنفي) - نظم درر السمطين: ١١٣.

(٦) محمد عبده - شرح نهج البلاغة: ١ / ٦.



التفسيري، لما اختص بذلك، إذ قال عليه السلام:  
(لو شئت لأوقرت من تفسير الفاتحة  
سبعين بعيراً)<sup>(٩)</sup>، وذلك مما دعا البحث  
أن يتتبع مظان الشواهد التفسيرية في  
«نهج البلاغة».

### الشخصية التفسيرية لأمر المؤمنين:

وتتمثل بأهليته عليه السلام لبيان مراد الله  
تعالى في خطابه في القرآن الكريم، من  
إيضاح معنى لغوي عام، أو تفصيل  
إجمال، أو بيان مبهم، أو تخصيص عام،  
أو تجلية مصداق، أو استنباط حكم  
شرعي فرعي، أو إرشادي أو تنزيهي،  
وغير ذلك مما ينتظمه تفسير النص  
القرآني.

كان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله المفسر الأول  
للقرآن الكريم، كما عهد إليه الله سبحانه  
وتعالى، بقوله **﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ  
لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَفْكُرُونَ﴾**  
[سورة النحل: ٤٤] ونهض من بعده  
أئمة أهل البيت عليهم السلام، فهم الراسخون في

(٩) الوقر - بكسر الواو: الحِمل، وأكثر ما  
يُستعمل في حِمل البغل والحمار: النهاية: ٥ /  
٢١٣ + ظ: القندوزي - ينابيع المودة: ٣ /  
٢٠٩ + ابن شهر آشوب - المناقب: ٤٣ / ٢.

ويلحظ أن الخطب والأقوال  
والحكم التي في نهج البلاغة تتسق ونظام  
القرآن الكريم تفسيراً واستشهاداً وحثاً  
على قراءته وحفظه والاعتبار به وتدبره،  
وتطبيقه، ولا غرو أن يكون الهدف  
الأساسي في «نهج البلاغة» هو القرآن  
الكريم بوصفه الدستور الإلهي، إذ هو  
جدير بأن يصب في خدمته كل كلام،  
استجلاءً للخطاب الإلهي في القرآن  
الكريم، قال أمير المؤمنين علي بن أبي  
طالب عليه السلام: (ذلك القرآن فاستنطقوه ولن  
ينطق، ولكن أخبركم عنه: ألا إن فيه علم  
ما يأتي، والحديث عن الماضي، ودواء  
دائكم، ونظم ما بينكم)<sup>(٧)</sup>، وهو عليه السلام  
أعرف بتفسيره، بعد رسول الله صلى الله عليه وآله لما  
حباه من علوم هي أسس في تفسير النص  
القرآني، إذ قال عليه السلام: (إن الله تبارك وتعالى  
قد خصني من بين أصحاب محمد صلى الله عليه وآله  
بعلم الناسخ والمنسوخ، والمحكم  
والمتشابه، والخاص والعام، وذلك مما منَّ  
الله به عليّ وعلى رسوله)<sup>(٨)</sup>، ومن الأداء

(٧) نهج البلاغة: الخطبة ١٥٨.

(٨) الصدوق - الخصال: ٥٧٦.



العلم، وهم عدل القرآن الذي أكد عليه النبي ﷺ في مواقف عديدة.

وعلى رأسهم أول من تكلم في تفسير القرآن بعد رسول الله ﷺ مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وهو أعلم المسلمين بتفسير كتاب الله وتأويله بلا مدافع، بل هو باب مدينة العلم.

عن ابن مسعود أنه قال: «إن القرآن نزل على سبعة أحرف ما منها حرف إلا وله ظهر وبطن، وإن علياً عنده من الظاهر والباطن»<sup>(١٠)</sup>. ثم لاشك ولاريب أن أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) داخلة في السنة الشريفة، وتفسير القرآن لا يمكن أن يخلو مما صدر عنهم صلوات الله عليهم، لما جعلهم الله وعاة للقرآن، فقد ورد أنه قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَعَبَّأُ أَذُنًا وَّعِيَةً﴾ [سورة الحاقة: ١٢]، ثم التفت إلى علي فقال: "سألت الله أن يجعلها أذنك، قال علي (عليه السلام) فما سمعت شيئاً نسيته"<sup>(١١)</sup>.

قال الزمخشري (ت ٥٣٨هـ): (إن قلت: لم قيل «أذن واعيّة» على التوحيد والتتكير؟. قلت: للإيدان بأن الوعاة فيهم قلة، ولتوييح الناس بقلة من يعي منهم، وللدلالة على أن الأذن الواحدة إذا وعت وعقلت عن الله فهي السواد الأعظم عند الله، وأن ما سواها لا يبالي بهم وإن ملأوا ما بين الخافقين)<sup>(١٢)</sup>، وروى الكليني (ت ٣٢٩هـ) بإسناده عن سليم بن قيس الهلالي (ت: نحو ٨٥هـ): قال سمعت أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول... وساق الحديث إلى أن قال: (ما نزلت آية على رسول الله ﷺ إلا أقرأنيها وأملاها عليّ فكتبتها بخطي وعلمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها ودعا الله لي أن يعلمني فهمها وحفظها فما نسيت آية من كتاب الله ولا علماً أملاه علي فكتبته منذ دعا لي بها دعا وما ترك شيئاً علمه

درر السمطين / ٩٢ + المتقي الهندي - كنز العمال: ١٣ / ١٧٧ + الطبري - جامع البيان ٢٩ / ٦٩ + الحاكم الحسكاني - شواهد التنزيل ٢ / ٣٦٥.  
(١٢) الزمخشري - الكشاف: ٤ / ٥٨٨.

(١٠) ظ: القمي - التفسير ١ / ٢٠.  
(١١) أبو الفتح الكراجكي - كنز الفوائد / ٢٦٥ + ابن طاووس الحسني - سعد السعود / ١٠٨ + الزرندي الحنفي - نظم



والعام، وغيرها، وبما ألهمه الله تعالى من علوم أخرى فوق كونه من أفصح أهل اللسان الذي أنزل به القرآن الكريم. ونجد العلوم التفسيرية وشواهدا التطبيقية مبثوثة في أمهات كتب التفسير والمجاميع الحديثية وغيرها من الكتب التاريخية الإسلامية، فكان أولى بنا أن نتبع تلك الشواهد التفسيرية في كتاب «نهج البلاغة» الذي اشتمل الجَمَّ من مختلف العلوم بعد أن ثبتت صحة نسبته إلى أمير المؤمنين عليه السلام.

### الأداء التأسيسي لتفسير القرآن الكريم في نهج البلاغة.

الأداء ما يوصل به أو يتوصل به، ويستعمل في المقدمات التي يُتَهيأ بها للوصول، كما يستعمل في الاستعداد الذاتي والقابلية للوصول إلى الشيء، ويكون الشخص الذي يتوسل بها مؤدياً.

فيعبّر عما يتوصل به المفسر لاستكشاف المراد والوقوف على معاني الآيات بالأداء التفسيري، وهو يستند إلى أسس وضوابط تمثل معايير تحدد نظام

الله من حلال ولا حرام ولا أمر ولا نهي كان أو يكون ولا كتاب منزل على أحد قبله من طاعة أو معصية إلا علمنيه وحفظته فلم أنس منه حرفاً واحداً ثم وضع يده على صدري ودعا الله أن يملأ قلبي علماً وفهماً وحكمة ونوراً. فقلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي مذ دعوت الله لي بما دعوت لم أنس شيئاً ولم يفتني شيء لم أكتبه أو تتخوف علي النسيان فيما بعد؟. فقال: لست أتخوف عليك نسيانا ولا جهلاً<sup>(١٣)</sup>.

فأمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام تكونت شخصيته التفسيرية من خلال الجعل التكويني لوجود المؤهل ومن خلال التربية النبوية الكريمة، بما تحمل من إعداد له لتحمل أعباء الوصية الكبرى للولاية التشريعية العامة، ولما جعله الله تعالى الأذن الواعية للقرآن الكريم، صار سيد الراسخين في العلم، وخصه الرسول الأكرم بعلوم القرآن بما فيها من أسس تفسيرية كعلم الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه والخاص

(١٣) الكافي ١ / ٢٢٨.



سير الأداء في العملية التفسيرية.  
وقد خص الرسول الأكرم ﷺ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، بهذه الضوابط لما يتفق ومنصب الإمامة الكبرى، التي من أول خصوصياتها بيان المراد من كلام الله تعالى في القرآن الكريم، بلحاظ أن أمير المؤمنين عليه السلام، له مقام حفظ الشريعة المقدسة، وقد بكر في رسم الخطوط العريضة للتفسير التي تمثل الأطر الأولية التي يمكن أن تكون منطلقاً لتشييد دعائم يتناسك بها البناء المعرفي المحصن للعملية الفكرية التي على رأسها ما يتعلق بكتاب الله تعالى وتفسيره.

ويمكن تلمس جملة من تلك الأسس فيما ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، في نهج البلاغة، فمنها ما ذكره من الأسس في أخذ الرواية، والتي يفاد منها أسساً في التفسير والحديث لاتحاد النص القرآني والحديث الشريف لإمكان النسخ والتخصيص والإجمال فيهما، كما عبّر عنه عليه السلام في كلامه، الذي انتظم الملامح الأولى للأداء التفسيري،

والتي تظهر معالمها في جوابه لسليم بن قيس (ت - نحو ٨٥هـ)، إذ سأله قائلاً: (رأيت في أيدي الناس أشياء كثيرة من تفسير القرآن والأحاديث والروايات عن رسول الله ﷺ، يخالفونها. فيكذب الناس متعمدين، ويفسرون القرآن بأرائهم!؟) (١٤).

فكان جواب أمير المؤمنين عليه السلام: (قد سألت فافهم الجواب) (١٥)، وفي ذلك إلفات للسائل بما يتضمنه كلامه من قواعد كلية، إذ قال عليه السلام: (إن في أيدي الناس حقاً وباطلاً، وصدقاً وكذباً، وناسخاً ومنسوخاً، وعاماً وخاصاً، ومحكماً ومتشابهاً، وحفظاً ووهماً، إنما أتاك بالحديث أربعة ليس لهم خامس: رجل منافق يظهر الإيثار متصنع بالإسلام لا يتأثم ولا يتحرج أن يكذب على رسول الله ﷺ، متعمداً... ورجل سمع من رسول الله ﷺ، شيئاً ولم يحفظه على وجهه فوهم فيه ولم يتعمد كذباً...)

(١٤) الكليني - الكافي: ١ / ٦٢ + ابن عقدة - فضائل أمير المؤمنين: ١٦١.  
(١٥) الكليني - الكافي: ١ / ٦٢ + ابن عقدة - فضائل أمير المؤمنين: ١٦١.





ويستفهمه، كان منهم من يسأل ولا يستفهم، حتى لقد كانوا يجنون أن يجيء الأعرابي أو الطاري أو الذمي فيسأل حتى يسمعوا ويفهموا... (١٧).

فالذي أسسه الإمام في هذا النص حل لكثير من الإشكاليات في النصوص الشرعية الموروثة وما يتعلق بها من أمر ونهي ونسخ ومتشابه وكشف عن المراد وفهم ذلك، إذا ما قيست وفق الضوابط التي وضعها عليه السلام من حيث سلامة الأداء. لذا لا بد من اتباع هذا المنهج في التفسير أو الحديث ليفاد منه تفسيراً أو غيره.

وتعد هذه الحوارية قواعد كبرى في "نهج البلاغة" لرسم الخطوط العريضة التي ينبغي أن تبني عليها جملة من الأسس في الأداء التفسيري. ولا عجب فأن المرجع الثاني بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، عند عموم المسلمين في تأسيس الأصول وترسيخ القواعد لشتى العلوم الإسلامية سيما ما يتعلق منها بالقرآن الكريم، هو أمير المؤمنين علي بن أبي

(١٧) الكليني - الكافي: ١ / ٦٢ + ابن عقدة - فضائل أمير المؤمنين: ١٦١.

ورجل ثالث سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً يأمر به ثم نهى عنه وهو لا يعلم، أو سمعه ينهى عن شيء ثم أمر به وهو لا يعلم، فحفظ المنسوخ ولم يحفظ الناسخ... وآخر رابع لم يكذب على الله ولا على رسوله، مبغض للكذب خوفاً من الله وتعظيماً لرسوله صلى الله عليه وآله، ولم يهجم، بل حفظ ما سمع على وجهه، فجاء به على ما سمعه لم يزد فيه ولم ينقص منه، فحفظ الناسخ فعمل به وحفظ المنسوخ فجنب عنه، وعرف الخاص والعام فوضع كل شيء موضعه وعرف المتشابه ومحكمه، وقد يكون من رسول الله صلى الله عليه وآله، الكلام له وجهان، فكلام خاص وكلام عام، فيسمعه من لا يعرف ما عني الله به ولا ما عني رسول الله صلى الله عليه وآله، فيحمله السامع ويوجهه على غير معرفة بمعناه وما قصد به وما خرج من أجله (١٦)، ثم أشار إلى أن معرفة ذلك لم تكن على حد سواء حتى بالنسبة إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، إذ (ليس كل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، كان يسأله عن الشيء

(١٦) نهج البلاغة: خطبة ٢١٠.

طالب عليه السلام (١٨).

ومن أسس التفسير ما جاء في وصيته عليه السلام لابن عباس (ت ٦٩هـ) والتي وردت في «نهج البلاغة»، لتأسس أن القرآن يجتمل وجوها، وأن (هناك من القرآن ما لا يعلم ولا يفهم إلا ببيان من أهل البيان، وهم المعصومون عليهم السلام)، ومن القرآن ما يفهم معناه بدون حاجة إلى ذلك، حيث إنه ظاهر اللفظ، واضح المعنى لا ستره فيه) (١٩)، إذ قال عليه السلام: (لا تخصمهم بالقرآن فإن القرآن حمال ذو وجوه، تقول ويقولون، ولكن حاججهم بالسنة، فإنهم لن يجدوا عنها محيصا) (٢٠)، وهي من وصية له عليه السلام لعبد الله بن العباس، لما بعثه للاحتجاج على الخوارج.

وقد فصل الإمام الصادق عليه السلام، كلام جده أمير المؤمنين، ومناطق المنع من المحاجة بالقرآن، (وذلك أنهم ضربوا بعض القرآن ببعض، واحتجوا

(١٨) ظ: عبد الحلي الكتاني - التراتيب الإدارية - نظام الحكومة النبوية: ٣ / ٣٧٣.  
(١٩) مسلم الحلي - القرآن والعقيدة: ٦١  
(٢٠) نهج البلاغة: وصية ٧٧.

بالمسوخ، وهم يظنون أنه الناسخ، واحتجوا بالمشابهة، وهم يرون أنه المحكم، واحتجوا بالخاص، وهم يقدرّون أنه العام، واحتجوا بأول الآية، وتركوا السبب في تأويلها. ولم ينظروا إلى ما يفتح الكلام وإلى ما يختمه، ولم يعرفوا موارده ومصادره، إذ لم يأخذوه عن أهله، فضلّوا وأضلّوا) (٢١).

وملخص مفاد هذا الأداء التأسيسي للتفسير، الوارد في «نهج البلاغة»: أن القرآن الكريم منه ما يمكن للمفسر أن يفهم منه بأدوات متاحة، والآخر ما اختصّ المعصوم ببيانه، ومنه ما لا بد من التوقف في تفسيره، وفي ضوء تلك الوصية بين ابن عباس أقسام التفسير، فقال: (تفسير لا يعذر أحد بجهالته. وتفسير تعرفه العرب بكلامها. وتفسير يعلمه العلماء. وتفسير لا يعرفه إلا الله عز وجل. فأما الذي لا يعذر أحد بجهالته: فهو ما يلزم الكافة من الشرائع التي في القرآن، وجمل دلائل التوحيد.

(٢١) الحر العاملي - وسائل الشيعة: ٢٧ / ٢٠١.





وأما الذي تعرفه العرب بلسانها: فهو حقائق اللغة، وموضوع كلامهم. وأما الذي يعلمه العلماء: فهو تأويل المشابه، وفروع الأحكام. وأما الذي لا يعلمه إلا الله: فهو ما يجري مجرى الغيوب، وقيام الساعة<sup>(٢٢)</sup>، فكلام الإمام في «نهج البلاغة» وضع قاعدة كبرى للتعامل مع النص القرآني، ويمكن إفادة تفرجات هذه القاعدة من كلام الإمام نفسه في موارد أخرى حيث جاء على ذكر هذه التقسيمات<sup>(٢٣)</sup>.

وأوقرت سبعين بعبيراً من تفسير فاتحة الكتاب<sup>(٢٤)</sup>، وقد تناثر التفسير المأثور عن أمير المؤمنين عليه السلام، في بطون الكتب عن السنة الرواة، وهناك شواهد تطبيقية اشتملها كتاب «نهج البلاغة» توافرت على مناحي تفسيرية عدة، فمنها:

١. كشف المراد من آية. وهو إيضاح المراد من قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [سورة فصلت:

### الشواهد التطبيقية في التفسير في

#### «نهج البلاغة»:

٣٠]، إذ ذكر الآية، فقال: (فاستقيموا على كتابه، وعلى منهاج أمره، وعلى الطريقة الصالحة من عبادته)<sup>(٢٥)</sup>، فلاستقامة معلومة، ولكن لم يتضح معيار الاستقامة المطلوب لإطلاق اللفظ، فذكر الإمام عليه السلام المعايير الثلاثة لذلك. وهذه المعاني التي وردت في «نهج البلاغة» عن أمير المؤمنين قد تفرّد

أمير المؤمنين عليه السلام هو أعلم الناس بعد الرسول صلى الله عليه وآله بالقرآن الكريم بلا منازع، وأعرفهم بتفسيره وتأويله بلا مدافع، فكان بحراً زخاراً لا يسبر غوره، ولا يدرك مداه، فهو أعلم بظاهر القرآن وباطنه، وحده ومطلعه، وتنزيله وتأويله، ومن ذلك قوله: (لو شئت

(٢٤) أبو طالب المكي - قوت القلوب: ١ /

١٠١

(٢٥) نهج البلاغة: خطبة ١٧٦.

(٢٢) الطبرسي - مجمع: ١ / ٤٠.

(٢٣) ظ: الحر العاملي - الفصول المهمة: ١ /

٥٩٧ + علي الكوراني العاملي - تدوين

القرآن: ١٩٢.



بجمعها، إذ تفرقت مفرداتها في كلام قدماء المفسرين<sup>(٢٦)</sup>، وأفاد منها البعض من متأخري مفسري الإمامية<sup>(٢٧)</sup>، مشيرين إلى أن هذا المورد التفسيري من كتاب "نهج البلاغة".

٢. تفصيل مجمل بالاستشهاد بآية.

ورد ذكر الظلم في القرآن الكريم في مواطن كثيرة، ولم تتجَلَّ تفاصيله، ومن ذلك: الظلم الذي لا يغفر، قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة لقمان: ١٣]، جاء قول أمير المؤمنين في "نهج البلاغة"، مفصلاً لهذا الإجمال، إذ قال: (ألا وإن الظلم ثلاثة: فظلم لا يغفر، وظلم لا يترك، وظلم مغفور لا يطلب. فأما الظلم الذي لا يغفر فالشرك بالله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [سورة

(٢٦) ظ: الصنعاني - تفسير القرآن: ٣ / ١٨٦ +  
الطبري - جامع البيان: ٢٤ / ١٤٣ +  
١٤٤ - ١٤٥ + السمرقندي - تفسير  
السمرقندي: ٣ / ٢١٥ + الثعلبي - تفسير  
الثعلبي: ٨ / ٢٩٤.

(٢٧) ظ: الفيض الكاشاني - الصافي: ٤ / ٣٥٨ +  
الحويزي - نور الثقلين: ٤ / ٥٤٦.

النساء: ٤٨] وأما الظلم الذي يغفر فظلم العبد نفسه عند بعض الهنات. وأما الظلم الذي لا يترك فظلم العباد بعضهم بعضاً<sup>(٢٨)</sup>، وهذا الشاهد من محاسن بيان دقائق المراد.

٣. بيان انصراف الإطلاق في آيتين.

إن انصراف الذهن من اللفظ إلى بعض مصاديق معناه، أو بعض أصنافه يمنع من التمسك بالإطلاق، لما له من ظهور يجعل اللفظ بمنزلة المقيد بالتقييد اللفظي، ففي قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ نَصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [سورة محمد: ٧]، وقوله تعالى ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللهَ قرضًا حسنًا فيضوعفه له، وله أجر كبير﴾ [سورة الحديد: ١١]، بين أمير المؤمنين عليه السلام، أن النصر هنا ليست على إطلاقها، إذ أن النصر على إطلاقها تكون من ذل، والاستقراض على إطلاقه يكون عن حاجة فقال عليه السلام: (فلم يستنصركم من ذل، ولم يستقرضكم من قل)<sup>(٢٩)</sup> بل هو سبحانه (استنصركم

(٢٨) نهج البلاغة: خطبة ١٧٦.

(٢٩) نهج البلاغة: خطبة ١٨٣.



وله جنود السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم. واستقرضكم وله خزائن السماوات والأرض وهو الغني الحميد<sup>(٣٠)</sup> ثم كشف سر المراد من الاستنصار والاستقراض بعد أن أضيف لله سبحانه، ليتضح مؤداها: بأنه تعالى (أراد أن يبلوكم أيكم أحسن عملاً)<sup>(٣١)</sup>. وقد أثبت صاحب تفسير نور الثقلين<sup>(٣٢)</sup> هذا المورد التفسيري عن "نهج البلاغة".

٤. كشف المراد من خطاب العموم في آية.

قال تعالى ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِذْرِهِمْ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [سورة آل عمران: ٦٨]، ومفهومه الأولوية في هذه الآية كشف عنه الإمام عليه السلام، إذ قال: (إن أولى الناس بالأنبياء أعلمهم بما جاءوا به. ثم تلا ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِذْرِهِمْ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا...﴾<sup>(٣٥)</sup>، وقد استشهد بعض المفسرين بهذا

(٣٣) نهج البلاغة: قصار الكلمات ٢٠١.  
(٣٤) ظ: الفيض الكاشاني - التفسير الأصفى:  
٢ / ٨٩٣ + التفسير الصافي: ٤ / ٤٨ +  
الحويزي: - تفسير نور الثقلين: ٤ / ٦٣ -  
٦٤ + محمد حسين الطباطبائي - تفسير  
الميزان: ١٥ / ٣٠٧.  
(٣٥) نهج البلاغة: قصار الكلمات ٩٥.

قد يأتي الخطاب بلفظ يحتمل شمول أنواع أو أفراد، وإن كان لأمر، منها: التأكيد، التعظيم، التشفير، التقرير، التغليب، التنزيه، التغليب، إلى غير ذلك من الموارد. قال عليه السلام: (إنما عقر ناقة ثمود رجل واحد فعمهم الله بالعذاب لما عموه بالرضا فقال سبحانه: ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ فَأَصْبَحُوا نَدِيمِينَ﴾ [سورة الشعراء:

٤. كشف المراد من خطاب العموم في آية.

المصدر نفسه. (٣٠)  
المصدر نفسه. (٣١)  
ظ: الحويزي: ٥ / ٣٠. (٣٢)



النص التفسيري دون نسبته إلى «نهج البلاغة» (٣٦).

٦. بيان مصداق آية.

قد لا يكون من المجازفة القول بأن ذكر الأوصاف المختصة أبلغ في تشخيص المصايق من ذكر الاسم، فقد يشترك الاسم فيحصل الأجمال في تشخيص الأفراد و المصايق، أما في الأوصاف المختصة فلا محالة من انصرافها للانطباق على الفرد الأكمل الجامع لتلك الأوصاف، خصوصاً إذا كانت تلك الأوصاف لا تجتمع إلا بمثل أمير المؤمنين صلوات الله عليه وشواهد ذلك في القرآن كثيرة، وذلك ما جاء من الموارد التفسيرية في «نهج البلاغة»، لقوله تعالى: ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ

بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ [سورة الانفال:

٧٥]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ أَوْلَىٰ النَّاسِ

بِأَرْحَامِهِمْ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ

ءَامَنُوا ﴾ [سورة آل عمران: ٦٨]، إذ

(٣٦) ظ: الطبرسي - مجمع البيان: ٢ / ٣١٨ +

الفيض الكاشاني - التفسير الأصفي:

١ / ١٥٥ + التفسير الصافي: ١ / ٣٤٧ +

الحويزي - تفسير نور الثقلين: ١ / ٣٥٣.

شخص مصداق ما ذكر في الآيتين، إذ قال عليه السلام: (فنحن مرة أولى بالقرابة، وتارة أولى بالطاعة) (٣٧)، وذكر ذلك صاحب تفسير نور الثقلين في موردي التفسير للآيتين (٣٨).

٧. تفسير آية بلفظ.

قال في النهج: (وسئل عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ﴾ [سورة النحل: ٩٧]، فقال: هي القناعة) (٣٩)، وقد اختلفت كلمات المفسرين في تفسير هذه الآية، وذكروا فيها أقوالاً، منها أن الحياة الطيبة تعني القناعة، ثم منهم من صرح بنسبة هذا القول مشيراً إلى وروده في «نهج البلاغة»، ومنهم من نسه إلى الإمام عليه السلام دون ذكر المصدر، ومنهم من أشار إلى القول دون نسبته إلى الإمام (٤٠).

(٣٧) نهج البلاغة: من كتاب له ٢٨.

(٣٨) الحويزي: ١ / ٣٥٤ + ج ٢ / ١٧٢.

(٣٩) نهج البلاغة: باب الحكم ٢٢٩.

(٤٠) ظ: الطبري - جامع البيان: ١٤ / ٢٢٤ +

النحاس - معاني القرآن: ٤ / ١٠٤ +

السمرقندي - تفسير السمرقندي: ٢ /

٩٠ + الثعلبي - تفسير الثعلبي: ٦ / ٤٠ +

الطوسي - التبيان: ٦ / ٤٢٤ + الزمخشري -

الكشاف: ٢ / ٤٢٧ + الطبرسي - مجمع



٨. تفسير لفظ في آية.

قال في النهج: (قال عليه السلام: في قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [سورة النحل: ٩٠]، العدل الانصاف، والإحسان التفضل<sup>(٤١)</sup>، وقد ذكر المفسرون من الجمهور والإمامية هذا التفسير عن الإمام من مصادر شتى<sup>(٤٢)</sup>.

٩. جمع تفسيري بين مفهومي آيتين.

في نهج البلاغة: (قال عليه السلام: لا تأمنن على خير هذه الأمة عذاب الله لقوله تعالى ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٩٩]، ولا تياسن لشر هذه الأمة من روح الله، لقوله تعالى ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [سورة يوسف:

٨٧]...<sup>(٤٣)</sup>، وقد ذكر ذلك التفسير بعض المفسرين مصرحين بنسبته إلى كتاب نهج البلاغة<sup>(٤٤)</sup>.

١٠. جري صدق مفهوم في آية.

قال عليه السلام: (كان في الأرض أمانان من عذاب الله وقد رفع أحدهما فدونكم الآخر فتمسكوا به. أما الأمان الذي رفع فهو رسول الله ﷺ. وأما الأمان الباقي فلاستغفار قال الله تعالى ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [سورة الأنفال: ٣٣]<sup>(٤٥)</sup> وعلق صاحب النهج على ذلك، بقوله: (وهذا من محاسن الاستخراج ولطائف الاستنباط)<sup>(٤٦)</sup>،

وقد صرح بعض المفسرين بنسبة هذا التفسير إلى "نهج البلاغة"، قال في الأمثل: (فإن مفهوم الآية لا يختص بمعاصري النبي ﷺ، بل هو قانون عام

بمعاصري النبي ﷺ، بل هو قانون عام

بمعاصري النبي ﷺ، بل هو قانون عام

بمعاصري النبي ﷺ، بل هو قانون عام

بمعاصري النبي ﷺ، بل هو قانون عام

بمعاصري النبي ﷺ، بل هو قانون عام

بمعاصري النبي ﷺ، بل هو قانون عام

بمعاصري النبي ﷺ، بل هو قانون عام

بمعاصري النبي ﷺ، بل هو قانون عام

بمعاصري النبي ﷺ، بل هو قانون عام

بمعاصري النبي ﷺ، بل هو قانون عام

بمعاصري النبي ﷺ، بل هو قانون عام

بمعاصري النبي ﷺ، بل هو قانون عام

بمعاصري النبي ﷺ، بل هو قانون عام

بمعاصري النبي ﷺ، بل هو قانون عام

بمعاصري النبي ﷺ، بل هو قانون عام

بمعاصري النبي ﷺ، بل هو قانون عام

بمعاصري النبي ﷺ، بل هو قانون عام

بمعاصري النبي ﷺ، بل هو قانون عام

بمعاصري النبي ﷺ، بل هو قانون عام

بمعاصري النبي ﷺ، بل هو قانون عام

بمعاصري النبي ﷺ، بل هو قانون عام

بمعاصري النبي ﷺ، بل هو قانون عام

بمعاصري النبي ﷺ، بل هو قانون عام

بمعاصري النبي ﷺ، بل هو قانون عام

بمعاصري النبي ﷺ، بل هو قانون عام

بمعاصري النبي ﷺ، بل هو قانون عام

بمعاصري النبي ﷺ، بل هو قانون عام

بمعاصري النبي ﷺ، بل هو قانون عام

بمعاصري النبي ﷺ، بل هو قانون عام

بمعاصري النبي ﷺ، بل هو قانون عام

بمعاصري النبي ﷺ، بل هو قانون عام

بمعاصري النبي ﷺ، بل هو قانون عام



كلي يشمل جميع الناس<sup>(٤٧)</sup> مفيداً ذلك من قول أمير المؤمنين، كما أفاد من ذلك التفسير بعض المفسرين مصرحين بنسبته إلى نهج البلاغة<sup>(٤٨)</sup> حيناً، والاختصار على نسبته إلى الإمام حيناً آخر<sup>(٤٩)</sup>.

١١. بيان الحد الدلالي للفظ في تفسير آية.

قال في النهج: (قال عليه السلام: الزهد كله بين كلمتين من القرآن قال الله سبحانه **لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ**) [سورة الحديد: ٢٣]، ومن لم يأس على الماضي، ولم يفرح بالآتي فقد أخذ الزهد بطرفيه<sup>(٥٠)</sup>، ففي ذلك تفسير للآية وتصريح بأنها تعني وضع حدٍّ دلاليٍّ للزهد، وقد نقل بعض المفسرين تلك الفائدة التفسيرية عن الإمام من كتاب «نهج البلاغة»<sup>(٥١)</sup>.

(٤٧) ناصر مكارم الشيرازي - الأمثل: ٥ / ٤١٦.

(٤٨) ظ: الفيض الكاشاني - الصافي: ٢ / ٣٠٠ + الحويزي - تفسير نور الثقلين: ٢ / ١٥٢.

(٤٩) ظ: الطبرسي - مجمع البيان: ٤ / ٤٦١ + ابن عربي - تفسير ابن عربي: ١ / ٢٧٩.

(٥٠) نهج البلاغة: باب الحكم ٤٢٩.

(٥١) الفيض الكاشاني - التفسير الصافي: ٥ /

١٢. بيان مصادر التشريع من تفسير آية.

(فقد قال الله تعالى لقوم أحب

إرشادهم **يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ**

**وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن نَّزَعْتُمْ فِي**

**شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ**) [سورة النساء:

٥٩]، فالرد إلى الله الأخذ بمحكم كتابه،

والرد إلى الرسول الأخذ بسنته الجامعة

غير المفرقة<sup>(٥٢)</sup>، ويلحظ أنه عليه السلام، قد

أشار إلى قيدين للأخذ بالكتاب والسنة،

فالكتاب مقيد بالمحكم منه، والسنة

الشريفة مقيدة بما كان مجمعاً على صحة

نسبتها إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وفي ذلك إرشاد

للفقيه والمفسر والحاكم لما يشتهه عليهم

من الأمور، وقد ذكر هذه الفائدة

التفسيرية بعض المفسرين<sup>(٥٣)</sup>.

١٣٨ + ج ٧ / ١١٨ + الحويزي - تفسير

نور الثقلين: ٥ / ٢٤٩ + محمد حسين

الطباطبائي - الميزان: ١٩ / ١٦٩ + ناصر

مكارم الشيرازي - الأمثل: ١٨ / ٦٨ -

٦٩.

(٥٢) نهج البلاغة: المختار من كتبه ٥٣.

(٥٣) ظ: الفيض الكاشاني - التفسير الصافي:

١ / ٤٦٥ + الحويزي - تفسير نور الثقلين:

١ / ٥٠٦ + محمد المشهدي - تفسير كنز

الدقائق: ٢ / ٥٠٤.



١٣. تفسير لفظتين في آية.

التفسير إلى أمير المؤمنين عليه السلام في كتاب

«نهج البلاغة»<sup>(٥٩)</sup>.

ومن خلال ما تقدم من تشخيص

للدلالات التفسيرية للشواهد القرآنية

التي جاء على ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام

في خطبه وكتبه ووصاياه وأقواله

والتي قام بجمعها الشريف الرضي

في كتاب "نهج البلاغة" يظهر للبحث

بعداً تأصيلياً جديداً يضاف إلى ما

ضمّ هذا السفر القيم من علوم بكر في

طريقة طرحها، نظرية وتطبيقية، دنيوية

وأخروية، تتعلق بالعلة الأولى وبدء

الخلق وكيفيته ونهاية ذلك وقيام الساعة

وبعث الخلائق. وإن هذا التأصيل

يتجلى واضحاً في التفسير والكشف

والبيان لمراد الله تعالى في كتابه الكريم

كون الإمام معنياً بعد رسول الله صلى الله عليه وآله

بيان مبهمه وتفصيل مجمله وتخصيص

عامه وتقييد مطلقه و ناسخه ومنسوخه

وسبب نزوله كما صرح عليه السلام بهذا المعنى

(٥٩) ظ: -الفيض الكاشاني-التفسير الصافي:

٥ / ٦١ ج ٦ / ٥٣٧ + الحويزي -تفسير

نور الثقلين: ٥ / ١١١ + محمد حسين

الطباطبائي-الميزان: ١٨ / ٣٥٧.

قال عليه السلام في تفسير قوله تعالى:

(﴿سَوَاءٌ أَعَنَكَ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ [سورة

الحج: ٢٥]، فالعاكف المقيم به والبادي

الذي يحج إليه من غير أهله)<sup>(٥٤)</sup>، وقد

استقى جملة من المفسرين هذا التفسير

من أمير المؤمنين عليه السلام، منهم من سبق

عصره جمع «نهج البلاغ»<sup>(٥٥)</sup>، ومنهم

من صرح بنسبته إلى النهج<sup>(٥٦)</sup>، ومن

نسبه إلى أمير المؤمنين دون الإشارة إلى

مصدره<sup>(٥٧)</sup>.

وفي قوله تعالى: ﴿وَحَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ

مَعَهَا سَائِقٌ وَشَائِدٌ﴾ [سورة ق: ٢١]،

قال عليه السلام: (سائق يسوقها إلى محشرها

وشاهد يشهد عليها بعملها)<sup>(٥٨)</sup>، وقد

صرّح جملة من المفسرين بنسبة هذا

(٥٤) نهج البلاغة: المختار من كتبه ٦٧.

(٥٥) ظ: الطبري -جامع البيان: ١٧ / ١٨٠.

(٥٦) ظ: الفيض الكاشاني-التفسير الصافي: ٣ /

٣٧١ + الحويزي -نور الثقلين: ٣ / ٤٨٠.

(٥٧) ظ: الراوندي -فقه القرآن: ١ / ٣٢٧ +

الفيض الكاشاني -التفسير الأصفى: ٢ /

٨٠٢ + ناصر مكارم الشيرازي -الأمثل:

١٠ / ٣١٧.

(٥٨) نهج البلاغة: خطبة ٨٥.



في مواطن كثيرة حتى قال: (سلوني قبل أن تفقدوني، فو الذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لو سألتُموني عن أية آية، في ليل أنزلت، أو في نهار أنزلت، مكيتها ومدنيها، سفرها وحضرها، ناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وتأويلها وتنزيلها، إلا أخبرتكم) (٦٠).

وإن المنصف ليجد في هذا القول تصريحاً واضحاً بالمعرفة الجليلة التي لا يشوبها تردد ولا يعترها ضعف أو اشتباه في بيان المعنى والدلالة لجميع الحثيات التي جاء على ذكرها الإمام في هذا القول، كيف لا وهو صاحب الملكة في زَمِّ أعنة اللغة ومعانيها، لتكون طوع قلبه ولسانه ليطبق المفصل بين الألفاظ ومعانيها مضافاً لما حباه الله به من أذن وافية وكفى بها من حبوة.

والشواهد التي جاء البحث على ذكرها والتي كانت شواهد تطبيقية للتفسير في خطب وكتب ومقالات "نهج البلاغة" والتي تنوعت بين كشف المراد من آية وتفصيل مجمل، وبيان (٦٠) الصدوق - الأمل: ٤٢٣.

انصراف الإطلاق، وكشف المراد من خطاب العموم، وبيان المفهوم، وبيان المصداق، وتفسير آية بلفظ، وتفسير لفظ في آية، والجمع التفسيري بين مفهومين، وجري صدق مفهوم في آية وبيان الحد الدلالي للفظ، وبيان مصادر التشريع من تفسير آية وتفسير لفظتين في آية، تكشف عن اشتغال كتاب "نهج البلاغة" أداءً تفسيريًا ثراً يندرج تحت واحد من عناوين الشواهد التفسيرية الآتية، يمكن الأخذ به واعتماده مصدراً للتفسير لما تقدم من ثبوت صحة نسبة ما في النهج إلى الإمام عليه السلام.

### خلاصة البحث:

إن لكتاب «نهج البلاغة» أهمية كبرى في العلوم الشرعية وعلوم اللغة والعلوم التي تصب في خدمتها عموماً، وقد كان لعلوم الشريعة والعلوم المساعدة حيزاً كبيراً فيه، ولذا فهو منهل للباحثين في الحكمة، والأدب، والعرفان، وتفسير القرآن الكريم. وقد امتاز كتاب «نهج البلاغة»: بوحدة الروح والمثل والأسلوب على اختلاف موضوعاته



القرآن، هو من ذلك النمير الرائق المتصل بالعلم الإلهي الذي أوحاه الله لرسوله الكريم ﷺ، فقد ورد في نهج البلاغة جملة من تفسير الآيات والألفاظ القرآنية، بل يمكن الإفادة من بعض الشواهد أسما تمثل قواعد أولية للجانب النظري في تفسير القرآن الكريم، وانتظم جملة من الدلالات التفسيرية التي يتلمسها الباحث في شواهد «نهج البلاغة» القرآنية، واضحة وجلية وقد أثبت البحث أن المفسرين قد استفادوا موارد تفسيرية عديدة في مصنفاتهم التفسيرية، فمنهم من صرح بنسبة ذلك التفسير إلى الإمام علي عليه السلام في «نهج البلاغة»، ومنهم من اكتفى بذكر التفسير منسوباً إليه عليه السلام، مع أخذه للنص التفسري المثبت في «نهج البلاغة» من دون إشارة إلى المصدر، فضلاً عن ورود بعض النصوص التفسيرية المطابقة لما في «نهج البلاغة» المنسوبة للإمام عليه السلام، عند متقدمي المفسرين الذي سبقوا عصر جمع الشريف الرضي لنهج البلاغة، مما يزيد في اعتبار صحة نسبة النهج إلى أن أمير المؤمنين عليه السلام.

ومقاصده وفنونه في صور فنية رائعة تسمو بأرفع أساليب البلاغة والفصاحة. وقد ثبتت صحة نسبة ما مجموع في «نهج البلاغة» إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، إذ إن الكثير من نصوصه محكوم بالتواتر عنه عليه السلام، وإذا ثبت صحة نسبة البعض، ثبت أن الجميع منه، لاتفاق جميع نصوصه في الأسلوب. ثم إن كثيراً من خطب «نهج البلاغة» موجودة في مصادر شتى، قبل زمن الشريف الرضي، أما ما لم نقف اليوم على مصادره، فلا يعني أنه موضوع، لكثرة ما كان في تناوله من المصادر. ولما اشتمله «نهج البلاغة» من الإخبار بالمغيبات وأسرار العلوم الواردة، بتلك الجزالة والقوة في السبك والدلالة، مما يبعد الشبهة واحتمال الوضع، فإن من دواعي اعتبار خبر الواحد الاعتبار بمتنه ودلالته. وبعد ثبوت نسبة ما في «نهج البلاغة» من الخطب والكلمات إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، الذي ألقيت على عاتقه مسؤوليات تفسير القرآن بعد النبي ﷺ، يتضح أن الأداء الفكري والتطبيقي والتنظيري لتفسير





## أهم المصادر والمراجع

أول ما نتشرف بالبدء بذكره: القرآن الكريم.

ابن سلامه: القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة (ت ٤٥٤هـ).  
دستور معالم الحكم ومأثور مكارم الشيم.  
مكتبة المفيد - قم.

ابن شهر آشوب: محمد بن علي أبو عبد الله (ت ٥٨٨هـ).  
مناقب آل أبي طالب.  
تحقيق لجنة من أساتذة النجف الأشرف - المطبعة الحيدرية - النجف ١٣٧٦هـ.

ابن طاووس الحسني: رضی الدين أبي القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد الحسني  
(ت ٦٦٤هـ).  
سعد السعود.  
منشورات الرضى - قم.

ابن عربي: محي الدين محمد بن علي بن عربي (ت ٦٣٨هـ).  
تفسير ابن عربي.  
تحقيق: عبد الوارث محمد علي - ط ١ - دار الكتب العلمية - ١٤٢٢هـ - بيروت.

أبو طالب المكي: محمد بن علي (ت ٣٨٦هـ).  
قوت القلوب.  
تحقيق: عبد المنعم الحفني، دار الرشاد - ١٤١٢هـ - القاهرة.

أبو حيان الأندلسي: محمد بن يوسف (ت ٧٤٥هـ).  
البحر المحيط في التفسير.  
طبعة الرياض. المملكة العربية السعودية.



<p>الثعالبي: أبو منصور عبد الملك النيسابوري (ت ٤٢٩هـ).          يتمة الدهر.          تحقيق: مفيد محمد قمحية.          دار الكتب العلمية - ط ١ - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م - بيروت - لبنان.</p>
<p>الحاكم الحسكاني: عبيد الله بن احمد (ت ق ٥هـ).          شواهد التنزيل، لقواعد التفضيل في الآيات النازلة في أهل البيت <small>عليهم السلام</small>.          تحقيق: محمد باقر المحمودي - أحياء الثقافة الإسلامية - ط ١ - طهران - ١٤١١هـ.</p>
<p>الحر العاملي: محمد بن الحسن (ت ١١٠٤هـ).          الفصول المهمة في أصول الأئمة.          تحقيق: محمد بن محمد الحسين القائيني.          مؤسسة معارف إسلامي إمام رضا <small>عليه السلام</small> - ط ١ - قم - ١٤١٨هـ.</p>
<p>الحويزي: عبد علي بن جمعة العروسي (ت ١١١٢هـ).          نور الثقلين.          تحقيق: هاشم الرسولي المحلاتي.          مؤسسة إسماعيليان - ط ٤ - ١٤١٢هـ - قم.</p>
<p>الراوندي: هبة الله بن سعيد «القطب الراوندي» (ت ٥٧٣هـ).          فقه القرآن.          تحقيق: أحمد الحسيني.          منشورات: مكتبة المرعشي العامة - ط ٢ - ١٤٠٥هـ - قم.</p>
<p>السمرقندي: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد (ت ٣٨٣هـ أو غير ذلك).          تفسير السمرقندي.          تحقيق: محمود مطرجي - طبع ونشر: دار الفكر - بيروت.</p>





السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي الشافعي (ت ٩١١هـ).  
الدر المنثور.

طبع ونشر: دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت.

الصدوق: محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ).  
الأمالي.

تحقيق قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة - : ١ - ١٤١٧ هـ - طهران.

الصدوق: نفسه.

الخصال.

تحقيق: علي أكبر الغفاري.

منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة - ١٤٠٣ هـ.

الصنعاني: أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١هـ).  
تفسير القرآن.

تحقيق: مصطفى مسلم - ط - ١ - مكتبة الرشد - ١٤١٠ هـ - الرياض.

الطبرسي: أبو علي الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨هـ).

مجمع البيان في تفسير القرآن.

تحقيق لجنة من العلماء والمحققين - ط - ١ - مؤسسة الأعلمي - ١٤١٥ هـ - بيروت.

الطبري: محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ).

جامع البيان عن تأويل آي القرآن.

تحقيق صدقي جميل العطار.

دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٥ هـ.

الطوسي: محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ).

التبيان: في تفسير القرآن.

تحقيق أحمد حبيب قصير - دار إحياء التراث العربي - ط - ١ - بيروت - ١٤٠٩ هـ.

<p>علي الكوراني العاملي - تدوين القرآن: ١٩٢.</p>
<p>الطبري: محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ). جامع البيان عن تأويل آي القرآن. تحقيق صدقي جميل العطار. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٥ هـ.</p>
<p>علي الكوراني العاملي - تدوين القرآن: ١٩٢.</p>
<p>علي خان المدني: صدر الدين علي خان المدني (ت ١١٢٠ هـ). تحقيق: محمد صادق بحر العلوم. منشورات مكتبة بصيرتي ١٣٩٧ هـ - قم.</p>
<p>الفيض الكاشاني: محمد محسن (ت ١٠٩١ هـ). التفسير الأصفى، في تفسير القرآن. مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية.</p>
<p>القرطبي: أبو عبد محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١ هـ). تفسير القرطبي. "الجامع لأحكام القرآن". تحقيق: سالم مصطفى البدري - دار الكتب العلمية - بيروت.</p>
<p>القمي: علي بن إبراهيم القمي (ت: نحو: ٣٢٩ هـ). تفسير القمي. تحقيق: طيب الموسوي الجزائري. مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر - ط ٣ - ١٤٠٤ هـ - قم.</p>



القندوزي: سليمان بن إبراهيم الحنفي (ت ١٢٩٤هـ).

ينابيع المودة لذوي القربى.

تحقيق: علي جمال أشرف الحسيني.

دار الأسوة للطباعة والنشر - ط ١ - .

الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (ت ٣٢٩هـ).

الكافي.

تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري.

منشورات: دار الكتب الإسلامية - ط ١ - طهران.

لطف الله الصافي: الكلبايكاني.

مجموعة الرسائل.

مؤسسة الإمام المهدي ١٤٠٤هـ - قم.

محمد الريشهري.

موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ.

تحقيق: مركز بحوث دار الحديث وبمساعدة: محمد كاظم الطباطبائي + محمود

الطباطبائي نژاد.

دار الحديث للطباعة والنشر - ط ٣ - ١٤٢٥هـ.

محمد المشهدي: محمد بن محمد رضا القمي (ت - حدود ١١٢٥هـ).

تفسير كنز الدقائق.

تحقيق: مجتبی العراقي - مؤسسة النشر الإسلامي - ١٤٠٧هـ - قم.

محمد حسين الطباطبائي: نفسه.

الميزان في تفسير القرآن.

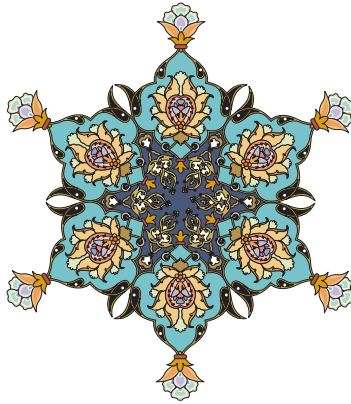
منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية - قم.



مسلم الحلي: مسلم بن حمود الحسيني (ت ١٤٠١هـ).  
القرآن والعقيدة.  
تحقيق: فارس حسون كريم.  
ب. م.

ناصر مكارم الشيرازي:  
الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل.  
طبعة جديدة منقحة مع إضافات.

النحاس: أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري (ت ٣٣٨هـ).  
معاني القرآن.  
تحقيق محمد علي الصابوني.  
منشورات جامعة أم القرى - ط: ١ - ١٤٠٨ هـ - مكة المكرمة.



# مَعَالِمُ مَدْرَسَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ التَّفْسِيرِيَّةِ

أ.د. علي رمضان الأوسي

الجامعة العالمية للعلوم الاسلامية

مسؤول القسم العربي في المركز الاسلامي

لندن - المملكة المتحدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين.

المقدمة:

مرّ التفسير القرآني بمراحل عديدة وقد ظهرت مدارس ومذاهب وطرق عدة لقراءة النص القرآني وبيانه وتفسيره، ناهيك عن نشأته الأولى التي قادها رسول الانسانية والمعلم الأول محمد بن عبد الله ﷺ، فكان الشارح والمبين عن الله سبحانه قال سبحانه: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَفْكُرُونَ﴾ [سورة النحل: ٤٤].

وقد لعب النص القرآني دوراً عظيماً

في حماية المجتمع الاسلامي وفي بناء الانسان المسلم، لكن اختلاف طريقة القراءة والتعاطي مع النص القرآني أورت ذلك أفهاماً متباينة وأذواقاً متعددة فكانت مناهج مذمومة في تفسير النص القرآني، الى جانب الجهود الكثيرة التي بذها المسلمون في هذا المجال، ولحماية النص القرآني في مجال استنطاقه وتفسيره، وبيانه تصدى أهل البيت ﷺ لهذه العملية الكبرى فورد عنهم ﷺ الكثير جداً من الروايات في تفسير القرآن ولعل المسانيد المتعددة عن ائمة أهل البيت ﷺ وما تضمنته الكتب الأربعة وغيرها تحكي عن هذا الدور الكبير لهم ﷺ في تفسير

هذه السلسلة من الدروس القرآنية. كان الرسول محمد ﷺ هو المعلم الأول لبيان آيات القرآن وتعليمه للناس ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [سورة الجمعة: ٢]. وبناء على ذلك فقد أخذ المسلمون الأوائل تلك البيانات من سنة الرسول ﷺ في مجال التفسير القرآني، ولكن على اختلاف نسبة هذا التحمل عن الرسول ﷺ، وكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، هو أول الصحابة جميعهم تميز أخذه عن الرسول ﷺ بالوفرة والشمولية والدراية، كما ذكر ذلك السيوطي في كتابه الاتقان، حيث يقول: أما الخلفاء فأكثر من روي عنه الامام علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه)، والرواية عن (الخلفاء) الثلاثة نزره جداً<sup>(٢)</sup>. ثم ينقل السيوطي الرواية (وقد روى معمر عن وهب بن عبدالله عن أبي الطفيل قال: شهدت

القرآن الكريم، وما على الباحثين إلا ان يتلمسوا المعالم والأبعاد لهذه المدرسة التفسيرية باستقراء ما ورثناه عنهم عليه السلام كونهم عدل القرآن الكريم كما ورد ذلك عن رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>.

وفي هذه الدراسة نعرض لأبرز هذه المعالم والابعاد في هذه المدرسة.

### من هم أهل البيت عليه السلام:

هل حقاً هناك مدرسة للتفسير محددة المعالم يمكن نسبتها الى أهل البيت عليه السلام؟. كيف نشأ التفسير في هذه المدرسة؟. وهل تطور الى مناهج تفسيرية، ام جمد على الرواية التاريخية المسندة الى المعصومين؟. وهل هناك تطبيقات واضحة للقواعد وأساليب التفسير عند ائمة أهل البيت عليه السلام؟. ثم اين توضع هذه المدرسة التفسيرية من جهود المفسرين الآخرين؟. هذه الاسئلة وغيرها التي تبحث في معرفة هذا اللون من التفسير، سنتناولها في

(١) ينابيع المودة لذوي القربى، سليمان بن ابراهيم القندوزي، الطبعة الأولى، ١/ ٩٩.

(٢) التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، محمد هادي معرفة، ص ٢١١.





علياً يخطب وهو يقول: سلوني فو الله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم، وسلوني عن كتاب الله فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليلاً نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل).

ويضيف السيوطي فيقول: وقد ورد عن ابن عباس ما لا يُحصى كثرة وفيه روايات وطرق مختلفة. وتجدر الإشارة هنا إلى أن ابن عباس أخذ الكثير عن الإمام علي عليه السلام رائد هذه المدرسة التفسيرية، وهذا يكشف عن عمق وواقعية وشمولية هذه المدرسة لأهل البيت والتي يمكن أن نقول أن أمير المؤمنين علي عليه السلام قد أسس خطواتها الأولى من خلال تصديه للمرجعية الفكرية لهذه الأمة التي هي الامتداد الطبيعي لعمل الرسول صلى الله عليه وآله في بناء الأمة ومن بعده أئمة الهدى من أهل البيت عليه السلام.

إنّ هذا الإرث العظيم في تفسير القرآن الكريم حملته الأمة الإسلامية في مختلف أطوار حياتها وتعرض كغيره للكثير من عوامل التأثير الخارجي، وأزاء ذلك انطلق الأئمة من أهل

البيت عليه السلام لوضع قواعد وضوابط لمعرفة هذا الإرث المقدس والمحافظة عليه رغم كل أعمال التزوير والتحريف التي مرّ بها التاريخ. وتجدر الإشارة هنا إلى أن المسلمين بشكل عام كان لهم اهتمام واضح في كتاب الله، لكن المتطلع والمتابع لمرجعية أهل البيت عليه السلام وأدوارهم المختلفة في ضوء فترات حياتهم والظروف التي أحاطت بهم يقف على خصوصية التفسير المروي عن هذه المدرسة المباركة، والتي استفاد منها المسلمون على طول تاريخ المسيرة الإسلامية رغم عوامل التضليل والاحتراب السياسي ضد أهل البيت عليه السلام طيلة القرون الماضية.

وقبل الدخول في تحليل مرتكزات التفسير في هذه المدرسة الرائدة، لابد من التذكير بالمكانة الدينية والقيادية والرعاية الإلهية التي حظي بها أقطاب هذه المدرسة ومؤسسوها من المعصومين الكرام عليه السلام، والتي امتدت باقطابها المعصومين إلى ثلاثمائة سنة أعطت الكثير، وكانت بمثابة الأعمدة الناطقة



- الحق معه حيث دار) (٥).
٤. قوله ﷺ: (النجوم جعلت أماناً لأهل السماء، وان أهل بيتي أمان لأمتي) (٦).
٥. قوله ﷺ: (مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق) (٧).
٦. قوله ﷺ: (أنا مدينة العلم وعليّ بابها) (٨).
٧. قوله ﷺ لعليّ عليه السلام: (أنت تبين لأمتي ما اختلفوا فيه بعدي) (٩).

وقد روت تلك النصوص كتب أهل السنة الى جانب كتب الرواية عند الامامية، وعليه فهؤلاء الذين يصفهم رسول الله ﷺ بهذه الصفات لا بد ان ينتظرهم دور مهم وحساس في بناء

- (٥) الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، محمد بن عيسى الترمذي، الطبعة الثانية، ٥ / ٢٩٧، رقم الحديث ٣٧٩٨.
- (٦) مجمع الزوائد، للهيتمي، ٩ / ١٧٤.
- (٧) المستدرک على الصحيحين، الحاكم ابو عبد الله النيسابوري، ٢ / ٣٤٣.
- (٨) أمالي الصدوق، ابن بابويه القمي، الطبعة الأولى، ص: ٦٥٥، رقم الحديث: ٨٩١.
- (٩) المستدرک، للنيسابوري، ٣ / ١٢٢.

التي حفظت للأمة مسيرتها ويمكن النظر لهذه المكانة من خلال جملة من النصوص التي اختص بها الائمة عليهم السلام، ونكتفي باختصارها والاشارة إليها ومن ثم يحق للقارئ ان يعرف مدى عمق وأهمية ومكانة هذه السلسلة الذهبية من أهل بيت العصمة وهم الائمة الاثنا عشر عليهم السلام من آل الرسول، أولهم أمير المؤمنين علي بن ابي طالب وآخرهم قائم آل محمد المهدي الموعد (عجل الله فرجه الشريف) ومن هذه النصوص:

١. حديث الثقلين، قوله ﷺ: (اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً، كتاب الله جبل ممدود من السماء الى الارض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض) (٣).
٢. قوله ﷺ: (علي مع القرآن والقرآن مع علي) (٤).
٣. قوله ﷺ: (رحم الله علياً، اللهم أدر (٣) كتاب الغدير، عبد الحسين الاميني، الطبعة الرابعة، ١ / ١٧.
- (٤) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، ٩ / ١٣٤.



الامة والحفاظ على الرسالة باعتبارهم امتداداً لها. بالاضافة الى انهم الائمة في تبليغ الفكرة. والشاهدون عليها، ويقضي ذلك ان يتصدوا لهذا البيان ولهذا العمل الرسالي الذي يستهدف ابتداءً شرح وبيان دستور المسلمين وهو القرآن الكريم.

ومن خلال نظرة علمية منصفة لابد ان يفخر ابناء الاسلام جميعاً بهذا الامتياز الذي توافرت عليه اقطاب هذه المدرسة، انطلاقاً من الحرص على فهم حقائق الشريعة وتفسير القرآن بشكل يبعث على الاطمئنان بعد ان صدرت كل تلك البيانات من هذه السلسلة المطهرة المعصومة التي حظيت بكل تلك الرعاية الالهية والاهتمام المباشر من الرسول ﷺ بهم.

وهناك أمر آخر بشأن هذه البيانات الصادرة عنهم ﷺ، وهو كيف كان الائمة يجيئون ويبنون للناس، وبعبارة اخرى ما هي مصادر المعرفة لديهم ﷺ، لا سيما في تفسير وعلوم القرآن الكريم؟. ويمكن توضيح ذلك من خلال:

١. تلك النصوص التي أشرنا اليها تؤكد بما لا يقبل الشك ان هناك رعاية إلهية، وصناعة ربانية لهذه الاعمدة الناطقة من أهل البيت ﷺ، وبهم حُفِظَت الرسالة، فهم المطهرون الذين لم يشركوا ولم يسجدوا لصنم، ولم يظلموا، بل كانوا أهلاً للخطاب الالهي ليستحقوا بذلك المنزلة الخاصة التي يث فيها رب العزة الالهام والقوة على الكشف ومعرفة الاشياء بحقائقها، وهذا الامر ليس خيلاً بل ان المسلمين جميعاً متفقون على ان الامة لا تخلو من مثل هؤلاء الرجال الذين فتح عليهم بتقواهم وقربهم من الله وتجردهم وتطهرهم، فكيف بالائمة الهداة الذين أشارت اليهم كل تلك النصوص التي أسلفناها.

٢. ما تحملوه عن الرسول ﷺ وما تحمله الائمة بعضهم عن البعض، حيث اكدت كثير من الروايات هذا الأسلوب، فكان الامام المعصوم يروي عن الرسول ﷺ وعن آبائه ﷺ



وقد ملئت كتب الحديث والرواية في امتدادات هذه المدرسة من خلال الكتب الحديثية الكبرى والاصول الاربعمائة.

٣. وهناك مصدر آخر يمكن استشرافه من خلال الروح القرآنية الواضحة في النصوص التي وردت عن الائمة عليهم السلام في أدعيتهم وبعض الزيارات والمناجات المروية عنهم، وفي اجاباتهم على الاسئلة وبياناتهم وخطبهم وغيرها وبتدبر واضح لهذه النصوص المفعمة بالروح القرآنية نجد ان الائمة عليهم السلام استنتقوا القرآن، واستدلوا واستعانوا به في التفسير من خلال (تفسير القرآن بالقرآن)، وهناك أمثلة كثيرة تبين هذا المعنى نشير الى بعض منها: ما روي عن تفسير الامام علي عليه السلام في اثبات اقل مدة للحمل عند المرأة تكون ستة أشهر، بالنظر الى قوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [سورة الاحقاف: ١٥]، وقوله تعالى: ﴿وَفِصْلُهُ﴾ [١٥]،

وفي عامين عليهم السلام (١٠)، وهذا اللون من التفسير مارسه الرسول صلى الله عليه وآله من قبله في تفسيره للشرك في أحد صوره بانه الظلم، بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (١١)، هذه القاعدة التفسيرية كانت ملهمة للنصوص التي وردت عن ائمة أهل البيت عليهم السلام.

**طبقات المفسرين:**

في المبحث الأول تحدثنا عن المكانة التي ميزت أئمة أهل البيت عليهم السلام لتبوء هذه المواقع المؤثرة في المرجعية الفكرية لهذه الأمة، وفي بيان مقاصد القرآن الكريم.

واشرنا كذلك الى مصادر المعرفة لدى الائمة عليهم السلام ولا سيما في مجال تفسير القرآن الكريم.

في هذا المبحث نتحدث عن طبقات المفسرين في مدرسة أهل البيت عليهم السلام،

(١٠) الغدير، للأميني، ٦/ ٩٣، [سورة الاحقاف: ١٥]، [سورة لقمان: ١٤].

(١١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، الطبعة الثانية، ١/ ٨١، [سورة لقمان: ١٣].



ولابد من الاشارة هنا الى ان هذه المدرسة التي أسسها الائمة المعصومون من أهل البيت عليهم السلام امتدت لمساحات واسعة وضمت إليها رموزاً مؤثرين في مختلف الطبقات. وفي فجر الدعوة الاسلامية حيث كان الرسول صلى الله عليه وآله يعلم المسلمين تفسير القرآن، لذلك فالحديث عن طبقات المفسرين في هذه المدرسة يكشف عن أصالتها وحضورها منذ بدء المسيرة، وقد كانت لمتابعات كل من المرحوم آية الله السيد حسن الصدر في كتابه تأسيس الشيعة لفنون الإسلام والمرحوم آقا بزرگ الطهراني في كتابه الذريعة، ثمرات مفيدة في تاريخية هذه المدرسة لا سيما في معطياتها التفسيرية. توسّع علماء أهل السنة في ذكر طبقات المفسرين فذكروا طبقة الصحابة وأخرى للتابعين وثالثة لتابعي التابعين، ثم طبقة أوائل المفسرين مثل ابن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، وسفيان بن عيينة (ت ١٩٨هـ)، ثم طبقة خامسة للذين نقلوا الاحاديث في تفاسيرهم بحذف الاسانيد، واما الطبقة السادسة فهم

المفسرون الذين كتبوا التفسير بعد ظهور العلوم كالنحو والبلاغة وعلم الكلام والفلسفة والفقه وغيرها (١٢). أما طبقات المفسرين في مدرسة أهل البيت عليهم السلام فلا حاجة للتوسع فيها بنفس الاسلوب السابق لاسباب منها: ان فترة المعصومين الاثني عشر عليهم السلام امتدت ثلاثة قرون وهذه الفترة كافية لأن يستقبل الاصحاب (اصحاب الائمة) ما سمعوه من المعصومين انفسهم ومن ثم تدوينه. لذلك برزت الاصول الاربعائة، وهي النصوص التي رواها الاصحاب عن الائمة المعصومين عليهم السلام حتى جاءت الموسوعات الحديثية كما هي في الكتب الأربعة (الكافي، والتهذيب، والاستبصار، ومن لا يحضره الفقيه) وغيرها، واستناداً الى ذلك فلا ضرورة لطبقات أخرى، إلا الذين ألفوا في هذه التفسير من العلماء الاوائل في هذه المدرسة، فأمكن ايجاد طبقة ثانية لهم بعد طبقة أصحاب النبي صلى الله عليه وآله واصحاب

(١٢) طبقات المفسرين، جلال الدين السيوطي، ص ٩ - ١٠.



وهو من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام كما عده أصحاب السير، وكان منقطعاً لأهل البيت ويذكر مآثرهم في كافة المحافل، وهو الذي زار قبر الامام الحسين عليه السلام في ٢٠ صفر سنة استشهاده، ومنهم أيضاً أبي بن كعب سيد القراء في هذه المدرسة توفي سنة ٣٢هـ، وهو من مفسري الصحابة كما عده السيوطي، وكان في هذه المدرسة مفسرون قدماء مثل سعيد بن جبير الذي يعتبره قتادة من أعلم التابعين بالتفسير، وقد قتله الحجاج سنة (٦٤هـ) بسبب تشييعه، ومنه أيضاً يحيى بن يعمر التابعي، وهو اول من نقط القرآن، ويعتبر أحد اعلام الشيعة في علم القرآن، توفي قبل المائة الاولى من الهجرة، ومن قدامى المفسرين في هذه المدرسة ابو صالح ميزان البصري، وهو تلميذ ابن عباس، روى عنه كثيراً محمد بن السائب الكلبي، وهو من الشيعة الثقات، توفي بعد المائة من الهجرة.

ومنهم أيضاً طاووس بن كيسان ابو عبد الله اليماني، وأخذ التفسير عن ابن عباس، قال فيه ابن تيمية: انه من أعلم

الائمة عليهم السلام الذين رووا عن المعصوم مباشرة.

وما ان ظهرت العلوم وتعددت أمكن ايجاد طبقة ثالثة لمفسري مدرسة أهل البيت في الجوانب المختلفة (الفلسفية والكلامية والفقهية والبلاغية وغيرها).

اذن اختزلت مدرسة أهل البيت للسبب الذي ذكرنا، الطبقات العديدة من المفسرين لدى أهل السنة (١٣).

من رموز مدرسة أهل البيت، التفسيرية والذين استفادوا من الرسول صلى الله عليه وسلم في فجر الرسالة الاسلامية يمكن الاشارة الى عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الذي كان من خواص تلاميذ أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام، وقد اكثر ابن عباس من الرواية في إمامة الائمة الاثني عشر وبأسمائهم من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن الصحابة المفسرين في مدرسة أهل البيت جابر بن عبد الله الانصاري (ت ٧٤هـ)،

(١٣) القرآن في الاسلام، العلامة محمد حسين الطباطبائي، ص ٥٩ - ٦٢.



الناس في التفسير، وكان من أصحاب الامام زين العابدين عليه السلام، ونص كذلك ابن قتيبة على تشيعه، توفي سنة (١٠٦هـ). وكذلك محمد بن السائب بن بشر، كان صاحب تفسير كبير وكان من الشيعة المخصوصين بالامامين الباقر والصادق عليهما السلام، توفي سنة (١٤٦هـ)، وجابر بن يزيد الجعفي امام في الحديث والتفسير وقد اخذهما عن الامام الباقر عليه السلام، وكان من المنقطعين اليه، وله تفسير في القرآن، قال عنه الحافظ العسقلاني في التقريب: انه ضعيف رافضي، وهذه شهادة في تشيعه، ومن السهل اسفاً ان ترمى الاحكام بعواهنها على رموز في هذه المسيرة الاسلامية توفي سنة (١٢٧هـ). ومن قدامى المفسرين في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، السدي الكبير اسماعيل بن عبد الرحمن الكوفي، وكان من اصحاب الامام زين العابدين عليه السلام، وقد نص على تشيعه ابن قتيبة، وروى عنه سفيان الثوري وشعبة، توفي سنة (١٤٥هـ) وكذلك أبو حمزة الثمالي ثابت بن دينار، توفي سنة (١٥٠هـ)، وابو

بصير يحيى بن القاسم الاسدي من اصحاب الامامين الباقر والصادق عليهما السلام، توفي سنة (١٤٨هـ)، وعلي بن مهزيار الاهوازي، احد ائمة العلم في الحديث والتفسير، روى عن الامام الرضا عليه السلام وصنف كتاب تفسير القرآن. وكذلك ابن فضال ابو الحسن علي بن الحسين كان في طبقة الكليني صاحب الكافي، وهو من علماء المائة الثالثة. وكذلك محمد بن خالد البرقي، من أصحاب الامام الرضا عليه السلام. وعلي بن ابراهيم القمي، صاحب التفسير المعروف، وهو من مشايخ الكليني. وعلي بن بابويه القمي، والد الشيخ الصدوق، وابن عقدة الحافظ المشهور المتوفى سنة ٣٣٣هـ. والعايش محمد بن مسعود، صاحب التفسير المعروف، وهو من طبقة الكليني، والشيخ فرات بن ابراهيم الكوفي، من علماء عصر الامام الجواد عليه السلام (١٤).

ويمكن الاشارة هنا الى بعض المؤلفات في علوم القرآن الخاصة (١٤) المصدر نفسه.



الذي يذكر العديد من المؤلفات في التفسير مع ذكر اصحابها، والتي تكشف عن شمولية وإحاطة علماء تلك المدرسة في مختلف علوم القرآن بفضل ما استفادوه من أئمة أهل البيت عليهم السلام، ويشير أيضاً الى نسبة غير قليلة منهم لتلك العصور المتقدمة في بدايات الرسالة الاسلامية.

من خلال ما تقدم تتضح اصالة وحضور علماء مدرسة أهل البيت التفسيرية منذ الخيوط الاولى لفجر الرسالة الاسلامية وحتى يومنا الحاضر، وستبقى عترة النبي والقرآن الكريم عدلين متلازمين حتى يرثي الحوض على رسول الله صلى الله عليه وآله، يوم القيامة، وهذا البعد بمستوييه الغيبي والواقعي يُلهم هذه المدرسة شرعيتها وواقعيتها في توجيه الامة، ولا بد للامة الاسلامية ان تلتزم نهج هذا الامتداد الشرعي وتقندي به، وما سواه لا يكون إلا تعميقاً لمعطيات مدرسة أهل البيت عليهم السلام، ولكن التاريخ الاسلامي منذ بداياته أخذ ينتهج في أهم مواقع المؤثرة أسلوباً تميز بالابتعاد

بمدرسة أهل البيت عليهم السلام:

١. كتاب التحريف والتعديل لمحمد بن الحسن الصيرفي، من أصحاب الامام الصادق عليه السلام.
  ٢. كتاب الوجوه والنظائر والناسخ والمنسوخ لدارم بن قبيصة التميمي، من أصحاب الامام الرضا عليه السلام.
  ٣. كتاب الناسخ والمنسوخ لعبد الله المسمعي، من أصحاب الامام الصادق عليه السلام.
  ٤. كتاب المتشابه والمحكم، وكتاب ما أنزل في أهل البيت من القرآن، لمحمد بن العباس بن الحجام، من أهل القرن الثالث <sup>(١٥)</sup>.
- هذه جولة سريعة في جانب من رموز وعلماء هذه المدرسة التفسيرية، وهناك الكثير من تلك الاعلام البارزة في التاريخ الاسلامي، ويمكن مراجعة كتاب (الذريعة في تصانيف الشيعة) لمؤلفه العالم الفاضل آقا بزرك الطهراني
- 
- (١٥) الذريعة الى تصانيف الشيعة، آقا بزرك الطهراني، الطبعة الثانية، ج ٢٥ بشكل كامل تقريباً.





عن معطيات هذه المدرسة.

عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ .

### تفسير القرآن بالقرآن:

ما معنى تفسير القرآن بالقرآن، وهل يصح ان يكون منهجاً وطريقاً في الاستنطاق؟ وكيف نتلمس أصالته في العملية التفسيرية؟ وما هي المساحة التي استوعبها في جهود المفسرين؟ وأين هذه القاعدة الرئيسة، والمنهج القرآني الأثري من مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

صحيح ان هذه القاعدة كانت موضع اهتمام كل المفسرين، لا سيما ان هناك روايات كثيرة استخدمت هذا النوع من التفسير، لكنها كانت واسعة جداً في جهود هذه المدرسة وروايات أهل البيت عليهم السلام. وسنكتفي بالقليل منها ونحيل القارئ أو الباحث لمطالعة كتب الحديث في مذهبنا الامامي.

لقد كان للمعلم الأول رسول الله محمد صلى الله عليه وآله زيادة واضحة في هذا المنهج، فمثلاً فسر صلى الله عليه وآله (الظلم) في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ بالشرك لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ

ومنذ ذلك الوقت احتلت هذه القاعدة مساحة مميزة من جهود الامام علي بن أبي طالب عليه السلام، رائد هذه المدرسة، والذي يستهدي بمنطق وطريقة وأسلوب رسول الله صلى الله عليه وآله. فقد استنبط أمير المؤمنين عليه السلام من القرآن الكريم أن أقل مدة للحمل ستة أشهر، وقد حلّ مشكلة اجتماعية كادت ان تأتي على فهم وتطلع اجتماعي حصل آنذاك ويحصل الكثير منهم على طول مسيرة هذه الأمة. حيث استفاد عليه السلام من التقابل بين آيتين في كتاب الله العزيز هما: ﴿فِي عَامَيْنِ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَحَمَلُهُ وَفَصْلُهُ، ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ (١٧) ولسعة تطبيقات هذه القاعدة عند ائمة الهدى من أهل البيت عليهم السلام، يمكن التأمل في أسلوب الدعاء والمناجاة وغير ذلك مما روي عنهم عليهم السلام، حيث أن في ذلك عرضاً لمفاهيم استفادوها من القرآن نفسه.

(١٦) انظر الصفحة ٦ من البحث.

(١٧) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٨/ ٢٨٥، [سورة الغاشية: ١]، [سورة ابراهيم: ٥٠].



التي دعت لهذا التفسير وهذه الطريقة؟. ولعلّ الأساس في هذه الطريقة هو ما أشار اليه القرآن نفسه. فهناك من الآيات المحكمات هن أم الكتاب. ترجع إليها المشابهات لأجل بيانها، فلا يمكنك تفسير قوله تعالى: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٥]، من غير الرجوع الى قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [سورة الشورى: ١١]، وبدون هذا الرجوع هناك أكثر من محذور كالوقوع في التجسيم والتشبيه للباري جل وعلا. ومثلما صرح القرآن الكريم بالرجوع الى المتشابه، نرى التأكيدات الكثيرة لذلك في الروايات عن أهل البيت (عليهم السلام)، والتطبيقات الواسعة لتلك المعاني، كما حصل في نفي رؤية الله تعالى بالاستناد لقوله تعالى: ﴿ لَا تَدْرِكُهُ الْآبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبْصَرَ ﴾ [سورة الانعام: ١٠٣]، فكما ان قاعدة المحكم والمتشابه في القرآن تقتضي هذا النوع من التفسير، كذلك فتطبيقات هذه القاعدة واضحة وملموسة بشدة في ما روى عن

ومن أمثلة ذلك الدعاء المروي عن أمير المؤمنين والمعروف بدعاء كميل، فهو مليء بالمعطيات القرآنية المستوحاة من الآيات نفسها. ويلمس ذلك أيضاً في نهج البلاغة لأمير المؤمنين (عليه السلام).

وقد جرى على هذه القاعدة مفسرون أوائل في مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، من أصحاب وتابعين كأبن عباس (عليه السلام) الذي روي عنه الكثير من تفسير القرآن بالقرآن، كما روي عن سعيد بن جبير (عليه السلام) أحد أقطاب هذه المدرسة ومن التابعين، في معنى الغاشية في قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾ [سورة الغاشية: ١] بانها النار تغشى وجوه الكفار وهذا هو قوله تعالى: ﴿ وَتَعَثَّى وُجُوهُهُمْ النَّارُ ﴾ [سورة ابراهيم: ٥٠].

ويصف الامام علي (عليه السلام) القرآن بانه: (ينطق بعضه ببعض ويشهد بعضه على بعض) (١٨).

وقد يسأل السائل: ما هي الحاجة

(١٨) شرح نهج البلاغة، محمد عبده، ج ٢ الخطبة: ١٢٣.



أهل البيت عليهم السلام.

كذلك مفهوم النسخ الذي نهى عنه أمير المؤمنين عليه السلام أحد المسلمين آنذاك بعد ان تصدى الأخير للتفسير من غير أن يعلم الناسخ من المنسوخ، فكان النهي الصريح للإمام عليه السلام إذ قال له: (لقد هلكت وأهلكت). والأمر عينه في أساليب البيان التي وردت في القرآن الكريم من قبيل العام والخاص والمطلق والمقيد والمجمل والمبين، فمقابلة هذه الموارد من غير الحاجة الى نصوص من خارج القرآن يمكن ان تساعد على فهم دقيق لمعاني الآيات المباركة، وهذا مقتضى آخر لهذا المنهج القرآني (تفسير القرآن بالقرآن).

لقد دعا القرآن الكريم الى التدبر والتأمل ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ <sup>(١٩)</sup> [سورة محمد: ٢٤]، ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [سورة النساء: ٨٢]، فهنا تبرز للعيان مسألتان: (١٩) الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، ابن حزم الاندلسي، ص ٥.

١. اقفال القلوب الذي هو وراء عدم التدبر أو عدم القدرة على التدبر في المعاني القرآنية، وفي صدر هذه المعطيات التفسيرية ومن خلال مقابلة الآيات ببعضها البعض مع ضمان عدم الاختلاف بين آيات الكتاب المنزل من الله سبحانه، يدفع الى الامام وبثقة لتطبيق هذا النوع من المقابلات بشكل واسع بين آيات القرآن من غير حاجة أولية للخروج الى نصوص من خارج القرآن.

٢. التدبر في القرآن الذي هو بذاته منهج قرآني يقف وراء عملية تفسير القرآن بالقرآن، وكأن هذا اللون من التفسير يأتي ضمن الأوامر القرآنية باتجاه استخدام هذه القواعد لتفسير القرآن ومن نافلة القول ان هذه القاعدة مقدمة على غيرها من القواعد.

ان هذا التفسير بالقرآن الكريم لم ييؤب كغيره من روايات التفسير في بداية تدوين الحديث في القرن الثاني الهجري منفصلاً، بل كان قد



التأمل والتدبر ومقابلة النصوص القرآنية أحياناً.

لكن اهتمت هذه المدرسة بالعقل اهتماماً كثيراً، بينما شهد تاريخنا الإسلامي حرباً شعواء على المنهج العقلي راح ضحيته الكثير من المفكرين وعمالقة الفكر الاسلامي. ولكثرة ما روي عن ائمة الهدى من أهل البيت عليهم السلام في هذا الباب، نرى ان كتب الحديث عن الإمامية اشتملت على مساحات كبيرة في هذا المجال، وهو حقل الحث على العلم والعقل والتحذير من أخطار الابتعاد عن معطيات هذا البعد العقلي في التفكير، حتى عدّ أصلاً من أربعة أصول في مصادر التشريع الإسلامي إلى جانب القرآن الكريم والسنة المشرفة والاجماع، ان كتاب الكافي لثقة الإسلام الشيخ الكليني رحمته الله وهو من أبرز الكتب الحديثية والروائية المعتبرة عند الإمامية، عقد في مطلع أصول الكافي (كتاب العقل والجهل) وآخر (كتاب فضل العلم)، وأورد الاحاديث والروايات عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام.

دونّ ضمن أبواب الحديث ما دام قد روي، وما لبث ان اتسع فتبلور منهجاً وطريقة وقاعدة استعملها المفسرون في استنطاق الآيات القرآنية ببعضها كما ان هذه القاعدة في تفسير القرآن بالقرآن تدخل في تأسيس المنهج الموضوعي في تفسير القرآن، إذ أن الأخير يعتمد الى حد كبير على مقابلة الآيات بعضها مع بعض في الموضوع الواحد، ومن يرد ان ينفع من ذلك ويفسر القرآن بالقرآن فهو بحاجة لحفظ أكثر نسبة من السور والآيات القرآنية ليكون أكثر استحضاراً. وقد ندب لذلك ائمة الهدى من أهل البيت عليهم السلام في الأمر بحفظ القرآن وتدبر آياته.

### مكانة العقل لدى مدرسة أهل البيت التفسيرية.

وما هي الثمرة العلمية وراء إبراز مثل هذه المكانة؟.

صحيح ان التفسير في نشأته الأولى لم تنهج فيه المناحي العقلية بشكل كاف، وكان المأثور هو الغالب على كل المحاولات التفسيرية الأولى، إلا بحدود



وفي هذا المجال نذكر شذرات بسيطة ونحيل القارئ على هذه الكتب الحديثة التي تضمنت تلك الاشادة بالعقل والذم على من لا يتمسك به.

قال الامام الصادق عليه السلام: (من كان عاقلاً كان له دين، ومن كان له دين دخل الجنة)<sup>(٢٠)</sup>. وعن الامام الرضا عليه السلام: (صديق كل امرئ عقله، وعدوه جهله)<sup>(٢١)</sup>، وقال الامام الكاظم عليه السلام لهشام بن الحكم: (يا هشام ان الله بشر أهل العقل والفهم في كتابه فقال:

﴿ فَبَشِّرْ عِبَادَ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [سورة الزمر:

١٧- ١٨]، وقال عليه السلام: (يا هشام ثم خوف الذين لا يعقلون عقابه، فقال تعالى:

﴿ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّا لَنَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَإِلَيْلٍ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾<sup>(٢٢)</sup>.

(٢٠) الأصول عن الكافي، ابو جعفر محمد بن يعقوب الكليني، كتاب العقل والجهل، الطبعة الثالثة، ١ / ١١.

(٢١) المصدر السابق نفسه.

(٢٢) المصدر السابق نفسه، ١ / ١٤، [سورة

الصفات: ١٣٦- ١٣٨].

وروي في الكافي حول التفكير عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: (التفكر حياة قلب البصير، كما يمشي الماشي في الظلمات بالنور يحس التخلص وقلة التربص)<sup>(٢٣)</sup>.

وعن فضل العلم روي عن الامام الباقر عليه السلام: (عالم ينتفع بعمله أفضل من ألف عابد)<sup>(٢٤)</sup>، وعن أبيه الباقر عليه السلام: (الكمال كل الكمال التفقه في الدين، والصبر على النائبة، وتقدير المعيشة)<sup>(٢٥)</sup>. وعنه عليه السلام انه أوضح حق الله على العباد، فقال عليه السلام: (ان يقولوا ما يعلمون ويقفوا عندما لا يعلمون)<sup>(٢٦)</sup>.

انّ هذا الاتجاه في إبراز دور العقل والعلم والفهم في حياة الإنسان إنّما سلكته هذه المدرسة المباركة في ضوء ما حتّ عليه القرآن الكريم من التدبر والتأمل. وهناك مئات الآيات التي وردت فيها مصطلحات وكلمات العلم والمعرفة والعقل ونظائرها. قال تعالى:

(٢٣) المصدر السابق نفسه، ١ / ٢٨.

(٢٤) المصدر السابق نفسه، ١ / ٢٣.

(٢٥) المصدر السابق نفسه، ١ / ٣٢.

(٢٦) المصدر السابق نفسه، ١ / ٤٣.



فالعقل والاستخدام المنطقي السليم لأدواته مقتضى مهم لبلوغ الطالب التي بها نجاة الانسان والمجتمع في الآخرة، وتحقيق السعادة لهم في الدنيا. وفي ضوء ما تقدم لم تبق أية غرابة لظهور المنهج العقلي وأنهاط التفسير بالرأي لدى هذه المدرسة التي كانت السبّاقة في هذا الميدان، لكن هذه المدرسة انطلقت بالتفسير بالرأي في ضوء المحددات الشرعية لهذا التفسير، ولم يكن ذلك رغبة ذاتية لدى هذه المدرسة، وحتى لا تبقى أية ضباية على هذا الاتجاه العقلي في مدرسة أهل البيت، فان ما روي عن رسول الله ﷺ: (من فسّر القرآن برأيه فليتبوء مقعده من النار)<sup>(٢٨)</sup>، يمكن حمل النص - كما ذكر ذلك علماء القرآن - انه نهي عن القول في مشكل القرآن ومتشابهه، أو أريد بالرأي الذي يغلب على صاحبه من غير دليل يقوم عليه، أو يحمل النهي على من يقول بظاهر العربية دون ان يرجع الى المأثور، ولا يمكن

(٢٨) الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، محمد بن عيسى الترمذي، ٥ / ٢٩٨.

﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [سورة المجادلة: ١١].

ومنطلق ذلك هو توفير الاداة السليمة بيد الانسان ليحث الخطى ويجد السير نحو المطلق وهو الله سبحانه وتعالى، ﴿ يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴾ [سورة الانشقاق: ٦]. ولا

يرضى لعباده ان ينشغلوا عن الحق ويلهون بظاهر هذه الحياة، قال تعالى ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غٰفِلُونَ ﴾ [سورة الروم: ٧]،

ويشير العلامة الطباطبائي الى تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [سورة الملك: ١٠]

بقوله: (أريد بالعقل الالتزام بمقتضى ما يدعون إليه من الحق بتعقله والاهتداء العقلي إلى انه حق ومن الواجب ان يخضع الانسان للحق)<sup>(٢٧)</sup>، ومما تفيده الآية المباركة هذه هو وجوب تعقل الحق، وإلا كان سبباً مباشراً لدخول جهنم.

(٢٧) تفسير الميزان، العلامة محمد حسين الطباطبائي، ١٩ / ٣٥٣.



أن يشمل هذا النهي من يفسر القرآن بالرأي ويستعين بالماثور، وأدوات التفسير الأخرى من قبيل اللغة العربية وعلومها وعلوم القرآن والتاريخ والفقه وأصوله وعلم العقائد وغيرها التي ذكرت شروطاً للمفسرين على أن لا تكون نتائج هذا التفسير بالرأي مخالفة لحقائق الشريعة.

من جهة أخرى تعتقد الامامية بأنه يجب على العاقل بحكم عقله تحصيل العلم والمعرفة بصانعه والاعتقاد بوحدانيته في الألوهية، وعدم اتخاذ شريك له في الربوبية واليقين، بأنه المستقل بالخلق والرزق والموت والحياة والايجاد والاعدام، وان الله سبحانه وتعالى لا يظلم أحداً ولا يفعل ما يستقبحه العقل السليم، اذ نعتقد بالتحسين والتقيح العقليين، لكن العقل هنا في الوقت نفسه ليس حاكماً في قبال الله سبحانه وتعالى ولكن العقل لديه القابلية لأدراك الاحكام الشرعية من غير طريق النقل. وخلاصة الأمر في باب الاعتقاد ان الواجب شرعاً في

أصول الدين هو الاقتناع.

وفي هذا السياق نشير الى ان مدرسة أهل البيت عليهم السلام التفسيرية لم تغلق باب الاجتهاد، كما انسد لدى الآخرين، فبرزت مشاكل حقيقية عجزوا عنها، فعادوا الى الاجتهاد ثانية، وهذا الاجتهاد في حقيقته هو عملية ابداعية رائعة فيها التأمل والامعان والموازنة وتحكيم الأولويات وتطبيق حشد من القواعد واستنطاق النصوص، وهذا استخدام صحيح للعقل وأدواته السليمة. فإذا لم يعترض أحد على المجتهد الفقيه وهو يؤدي دوره الصحيح والمثمر، لماذا يتردد البعض أمام التفسير العقلي حين لا يتنكب قواعد التفسير ويلتزم بشروطه.

وأخيراً، فان من يريد ان يجمد على النص ولا يُعمل العقل وفهم أدواته، كيف يمكنه ان يجيب على تيار الأسئلة والتحديات القائمة اليوم؟. في حين ان النص القرآني فيه من القدرة الذاتية ما تمكنه من الاجابة على كافة أسئلة واحتياجات الانسان المعاصر **﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ**



القرآن فليس عني<sup>(٣٠)</sup> من هذين النصين  
يمكن ان نستفيد أمرين أحدهما:

١. ان القرآن الكريم يبقى محفوظاً  
بأرادة إلهية ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ  
وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [سورة الحجر: ٩]  
الى جانب شموليته وإحاطته بكل  
الحاجات وكونه جامعاً ولا يمكن  
ان تلبس الاهواء في تنزيله، وبالتالي  
فهو المرجع.

٢. لقد أنبأنا رسول الله ﷺ ان الحديث  
سيناله بعد وفاته الكثير من العوامل  
المؤثرة في ضعفه أو وضعه، وهذا  
مبرر كاف لضرورة العرض على  
القرآن الكريم، وهذه القاعدة هي  
التي أمر بها رسول الله ﷺ صراحة  
ومن غير غموض.

هذه المعاني جاءت بشكل متواتر في  
طرق أهل البيت ﷺ منها ما روي عن  
الامام الصادق قال خطب النبي ﷺ  
فقال: (أيها الناس ما جاءكم عني يوافق  
كتاب الله فأنا قلته وما جاءكم يخالف  
كتاب الله فلم أقله).

(٣٠) المصدر السابق نفسه، ١ / ٦٩.

وَالْجِبَالِ فَأَبْتُ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقَنَ مِنْهَا  
وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿  
[سورة الاحزاب: ٧٢] قيل عن  
(الامانة) هي العقل، وقيل الارادة  
الاختيارية في الانسان، وقيل غير ذلك.

### عرض السنة على القرآن

ما معنى هذه القاعدة في التفسير،  
ولماذا خالفها الأخباريون والمحدثون الى  
حد كبير؟ وما هي أهم مبررات وحجة  
هذه القاعدة في التفسير، وكيف تجلت في  
ما روي عن النبي ﷺ وأئمة الهدى من  
أهل بيته ﷺ.

روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي  
طالب عليه السلام انه قال: (سمعت رسول  
الله ﷺ يقول: ستكون فتن، قلت وما  
المخرج منها قال: كتاب الله فيه نبأ ما  
قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم  
هو الفصل ليس بالهزل<sup>(٢٩)</sup>، وهو الذي لا  
تزيغ به الأهواء ولا تلبس به الألسنة).

كما روي عن النبي ﷺ قال: (ان  
الحديث سيفشوش عني فما أتاكم عني يوافق  
القرآن فهو عني وما أتاكم عني يخالف

(٢٩) الاصول من الكافي، الكليني، ٢ / ٥٩٩.





وقد ذكر الفيض الكاشاني في تفسير الصافي عن الامام الصادق (عليه السلام)، كل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف (٣١).

ولكن هذه القاعدة واجهت معارضة واسعة من أهل الرواية والحديث الذين اعتمدوا الاخبار وهم كثر في المدرستين السنية والشيعية، فمن الشيعة الاخباريون مثلاً، يقول السيد الخوئي: وقد اجمع علماء الاصول عند الامامية على حجية ظواهر القرآن خلا الاخباريين الذين عولوا على الاخبار والاحاديث.

ولدى أهل السنة نذكر مثلاً لذلك ابن حزم (ت ٤٥٧هـ) الذي يقول: لا سبيل الى وجود خبر صحيح مخالف لما في القرآن أصلاً، وكل خبر شريعة فهو اما مضاف الى ما في القرآن ومعطوف عليه ومفسر لجملته، واما مستثنى منه ميين لجملته ولا سبيل الى وجه ثالث (٣٢)،

(٣١) المصدر السابق نفسه / ١ / ٦٩.  
(٣٢) الاحكام في أصول الأحكام، ابن حزم والاندلسي، ٢ / ١٩٨.

مفسراً ان هذه القاعدة تخالف قوله تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [سورة الحشر: ٧] وقوله تعالى: ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [سورة النساء: ٨٠]، وقوله تعالى: ﴿ لَتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ﴾ [سورة النساء: ١٠٥]. وكذلك ما روي عن رسول الله ﷺ: (ألا وان ما حرم رسول الله ﷺ مثل ما حرم الله).

وقد فات هؤلاء ان قاعدة عرض السنة على القرآن انها تجري في الاحاديث والروايات عن النبي وأهل بيته المعصومين التي لم تكن متواترة او غير محفوفة بقرائن تفيد قطعاً انها صادرة عن المعصوم. ولا يمكن أن يكون حديثاً أو خبراً أو رواية عن النبي وأهل بيته صحيحة تخالف النص القرآني.

من جهة أخرى ان علماء الدراية ونقد الحديث اعتبروا (عرض السنة على القرآن) من أسس نقد الحديث وان مخالفتها لصريح القرآن من علامات الوضع في المتن أي متون الاحاديث والروايات.



مسلمات الكتاب والسنة مثل عصمة الانبياء والملائكة، فقد جاء في الرواية ان موسى عليه السلام لما سأل ربه النظر إليه وعد الله ان يقعد في موضع ثم أمر الملائكة تمر عليه موكباً موكباً بالرعد والبرق والريح والصواعق، فكلما مر به موكب من الموكب ارتعدت فرائصه فيرفع رأسه فيسأل أيكم ربي؟. فيجاب هو آت وقد سألت عظيماً يا ابن عمران (٣٣).

إنّ هذه الرواية تمس العصمة وتحدث في مسألة التوحيد أيضاً، حيث تصور ان الله آتٍ وتحكي مادية هذا المجيء، فلو عرضنا هذه الرواية على القرآن الكريم لوجدنا آيات التوحيد والعصمة تتناقض تماماً معها، فهذه القاعدة هي السبيل لتمييز هذه الروايات صحيحها عن عقيمها.

وفي جانب القصة القرآنية (اي التي وردت في القرآن الكريم) وجدنا ان جمهوراً من المفسرين أفرطوا في تحكيم هذه الروايات الواردة من طرق مختلفة

(٣٣) تفسير العياشي، محمد بن مسعود بن عياش، [سورة الاعراف: ١٤٣].

ان هذه القاعدة من المقاييس الضرورية لأي مفسر يتناول النصوص القرآنية مستفيداً من الروايات والاحاديث.

ولقد واجه المعارضون لهذه القاعدة إحباطات واسعة حينما لم يجدوا وجهاً لحمل الرواية أو تفسيرها بما ينسجم وصریح القرآن الكريم، وهنا برزت اهتمامات علماء الحديث الذين وفروا ادوات توثيق المتون فتوقفوا عن تأييد الكثير من الروايات التي لم تؤيدها المعطيات القرآنية. وفي هذا السياق يتجلى الموقف العلمي الدقيق من (الاسرائيليات) التي عمد لوضعها في الحديث أهل الكتاب. كذلك جماعات الوضاعين للحديث وحتى بعض المتصوفة الذين كانوا يرون مصلحة في توسعة وزيادة تصوير العقاب أو الثواب طلباً لتشجيع عامة الناس نحو العمل الحسن أو تنفيرهم عن السيئات. وهناك أمثلة كثيرة في تطبيق هذه القاعدة فهل يعقل ان النبي موسى عليه السلام لا يعرف ربه مثلاً!. بل ان هذه الرواية تمس



واعتبروها متصلة بالقصة القرآنية بياناً وتفصيلاً لما جاء في القرآن، وقد امتلأت بها كتب المغازي والتفاسير وكتب السير والتاريخ.

ان من يتصدى للتفسير سيواجه معضلة تفسير الاحاديث والروايات الى جانب تفسير النص القرآني، ولا بد هنا من إمامة للقرآن تعرض عليه كافة النصوص الأخرى، وهذه الامامة يفسر بعضها مبدأ عرض السنة على القرآن، وبدونها أي هذه الامامة سوف لا يتمكن المفسر من معالجة الروايات ان جاءت مخالفة لصريح القرآن الكريم.

الروايات المؤكدة لهذه القاعدة والتي جاءت من طرق ائمة أهل البيت عليهم السلام بشكل يقرب من التواتر انما تكشف عن اصالة مدرسة أهل البيت عليهم السلام في التفسير ومدى تمسكها بالمنهج الذي

اختطه الرسول صلى الله عليه وسلم.

وقد يذهب البعض الى ان استخدام هذه القاعدة لا ينسجم مع نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن التفسير بالرأي، إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من فسر القرآن برأيه فليتبوء مقعده من النار) والحقيقة ان هذا النهي انما يخص الرأي المذموم. بينما المفسر الذي يستخدم أدوات التفسير الصحيحة ولا يحمل القرآن رأيه الخاص فهو تفسير محمود وليس مذموماً، كذلك التأشير على ضعف رواية ما بعد عرضها على القرآن لا يعد ذلك تفسيراً بالرأي وانما تفسير بالقرآن، وعليه فهذه القاعدة تعين الى حد كبير المفسرين او من يريد التأمل في الموروث الروائي الواسع والذي امتلئت به كتب الرواية والتفسير بالمأثور.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي  
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ  
وَالَّذِي جَعَلَ مِنَ  
النَّارِ سِجِّينَ  
الَّذِي يَجْعَلُ  
الْمَاءَ حَمِيقًا  
سَالِقًا  
وَالَّذِي يَجْعَلُ  
الْحَدِيدَ حَلِيقًا  
سَالِقًا  
وَالَّذِي يَجْعَلُ  
الْمَاءَ حَمِيقًا  
سَالِقًا  
وَالَّذِي يَجْعَلُ  
الْحَدِيدَ حَلِيقًا  
سَالِقًا  
وَالَّذِي يَجْعَلُ  
الْمَاءَ حَمِيقًا  
سَالِقًا  
وَالَّذِي يَجْعَلُ  
الْحَدِيدَ حَلِيقًا  
سَالِقًا

الْحَمْدُ لِلَّهِ

# الأثر القرآني في فكر الإمام الحسين عليه السلام

## (دراسة تفسيرية)

د. محمد كاظم الفتلاوي

كلية التربية - جامعة الكوفة

### مقدمة:

والميدانية والتي أجمعت على وجود خلل في منظومة البناء القيمي نتيجة العزوف عن إرشادات القرآن الكريم ومنهجه القويم، واللهث وراء القيم الغربية عن منظومتها القيمية؛ وإن (الكثير من المسلمين بعد أن نسوا دينهم وهجروا قرآنهم، صاروا يقلدون غيرهم ويستوردون عقائد ومبادئ متطرفة وبعيدة عن منهجنا الإسلامي)<sup>(١)</sup>.

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين. أما بعد.. فإن الأمة الإسلامية في هذه الآونة إن كانت فقدت التقدم التقني، فإنها تملك المنهج الربانيّ الأقوم المتمثل بنصوص القرآن المجيد، الذي يعيد لها مكان الصدارة والريادة، ومحور ارتكاز الشهود الحضاري ينبثق من الأخلاق، ونتائج ذلك لا تأتي في يوم وليلة، بل تحتاج إلى مجاهدة وصبر والتزام حقيقي. وقد اتضح أن السبب الحقيقي وراء تخلف الأمة هو عدم الالتزام بالقيم الإسلامية التي جاءت بها السماء، وقد أكدت الكثير من الدراسات النظرية

(١) د. حاتم جاسم السعدي، القيم التربوية في فكر الإمام الحسين، العتبة الحسينية المقدسة، العراق، ٢٠١٣م، ص ١٣. ومن هذه الدراسات: محمد فاضل الجمالي، الفلسفة التربوية في القرآن، تونس، دار الكتاب الحديث،

تسليط الضوء على المعالم الرسالية التربوية التي جسدها الإمام الحسين عليه السلام في فكره الشريف، والتي كانت بارزة في خطابه، وبيان أثر روح النصوص القرآنية فيه.

وكذلك لما بدا من ضعف في الاهتمام بالتراث القرآني وما يحويه من فكر تربوي بناءً، فلم يلحظ الباحث عناية كافية وإقبالاً واضحاً على منهجيتها وتنظيمها بنماذج محددة مرتبطة بعديل القرآن العظيم، لهذا وغيره كان التوجه صوب هذا البحث.

وأما أهمية البحث فتكمن في الوقوف على تجليات هذه المعالم التربوية والارتواء منها لما يصيب مجتمعاتنا الإنسانية اليوم من تجرد واضح عن كثير من القيم، ومن ثم أصبحت خاوية، فكانت الحاجة الماسة إلى هذا البحث -بحسب اعتقاد الباحث- لما يلتمسه فيه من بارقة أمل وضياء ينتفع منه من ألقى السمع وهو شهيد فالقرآن المجيد: ﴿ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة البقرة: ٢]؛ والحسين الشهيد: (مصباح

والإمام الحسين عليه السلام مصباح الإنسانية الباهرة الذي أضاء بالنور في ليل من لياليها الخالكة، ليصنع لها نهارها المشرق الوضاح، وما ذاك إلا لارتباطه الوثيق بالمصدر الإلهي وينبوع الحياة القرآن المجيد، ولهذا كان هذا البحث في بيان ذلك التأثير العظيم في نهج الإمام عليه السلام، والأثر البالغ للقرآن العظيم فيه، وليكون في ذلك دلالة دامغة على الترابط والكيونة الواحدة بين الثقلين العظيمين: (القرآن الكريم والعترة المطهرة)<sup>(٢)</sup>.

وقد كان من أسباب اختيار البحث

١٩٦٦م، ط٣، إسحاق احمد فرحان، القيم التربوية في عالم متغير من منظور إسلامي، بحث مقدم في مؤتمر القيم والتربية في عالم متغير، جامعة اليرموك، الأردن، ١٩٩٩م، وغيرها وللتوسعة في هذه الدراسات ط: المصدر المتقدم.

(٢) في ذلك إشارة إلى قول النبي الكريم ﷺ: (إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي-أهل بيتي-لن تضلوا ما تمسكتم بهما وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)، ابن شعبة الحراني، تحف العقول، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المشرفة، ١٤٠٤هـ، ط٢، ص٤٥٩.



الهدى وسفينة النجاة)<sup>(٣)</sup>.

وكذلك تكمن أهمية البحث أيضاً في بناء الشخصية المتوازنة التي تجمع بين مكونات التربية الإسلامية، وتوازن بين الأصول، والقوانين الثابتة لهذه التربية وبين ما أنتجته المعاصرة والحداثة مما تسبب باختلال حركة الأمة، وإنحرافها نحو تيارات الفكر التربوي الغربي وتقليده ونسيان الذات، مما طبع تربيتها بالجفاف الروحي وطبع مجتمعا بالتمزق الداخلي والاضطراب الخُلقي والتبعية الفكرية، مما أدى إلى تعريب الإنسان المسلم وتشويه فكره وروحه.

وقد كان منهج البحث الذي اعتمده الباحث هو المنهج التحليلي، مضافاً إليه سائر المناهج البحثية بحسب ما يقتضيه مقام البحث، مع التعويل في فهم نصوص القرآن الكريم وتوجيهها على المصادر التفسيرية وذلك التزاماً بعنوان البحث.

أما خطة البحث فكانت من مقدمة ومطلبين، الأول منها كان عن نصوص

(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ٤٢ / ٢٦٢.

في القرآن الكريم توضح منهج القرآن الكريم في البناء التربوي، والذي كان بعنوان: الأثر القرآني في بناء الفكر التربوي للإمام الحسين عليه السلام.

والمطلب الثاني فقد كان عن المعالم التربوية الرسالية في خطب الإمام الحسين عليه السلام، وهو بعنوان: الأثر القرآني في الخطاب الرسالي للإمام الحسين عليه السلام، متلوات بخاتمة وقائمة بالمصادر، وعلى النحو التالي:

### المطلب الأول:

#### الأثر القرآني في بناء الفكر التربوي

##### للإمام الحسين عليه السلام

تساهم التربية مساهمةً فعالةً في تخطيط، وتشكيل، وصنع شخصية الفرد، وتحديد صيغتها، فشخصية الفرد - في غالب الأحيان - هي نتاج صنع المربي وصورة جهوده..

فالاستعدادات والقابليات الإنسانية تولد وهي طاقة حرّة غير متكيفة، ولا متشكلة، فتتناولها يد المربي، أباً كان أو أمّاً أو معلماً - فتتصرّف بها وتعمل على تشكيلها، وتخطيط بنيتها، وفق قيم



في بناء الإنسان وفي شخصية الإمام الحسين (عليه السلام) وفكره الرسالي<sup>(٥)</sup> - وهو محل البحث، ومن ذلك نلاحظ إن العناية القرآنية في بناء الإنسان تبدأ منذ مرحلة الطفولة داخل الأسرة، فهذه المرحلة التي فيها تشكيل الذات والشخصية<sup>(٦)</sup>.

لذلك جاء تأكيد القرآن المجيد صريحاً للعناية بتربية النفس والأهل والأبناء، بقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوًا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [سورة التحريم: ٦]، وذلك أن (المؤمن مكلف هداية أهله، وإصلاح بيته، كما هو مكلف هداية نفسه وإصلاح

(٥) ينظر الباحث إلى شخصية الإمام الحسين (عليه السلام) هنا على أنها شخصية إنسانية بعيداً عن التبني العقائدي الذي يرى فيه الإمام مفترض الطاعة ومعصوماً مسدداً من السوء وإن كانت هذه حقائق ثابتة لا غبار عليها.

(٦) للتوسعة ظ: خالد عبد الرحمن العك، بناء الأسرة في ضوء القرآن والسنة، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠١م، محمد تقى فلسفي، الطفل بين الوراثة والتربية، تعريب: فاضل الحسيني الميلاني، دار سبط النبي، قم، ٢٠٠٥م.

وأهداف تربوية فكرية محدّدة، لذلك نشاهد الدول والأحزاب والمنظمات تحرص على توجيه وتربية الأفراد والجماعات تربية خاصّة ووفق منهج خاص.

ولقد جاءت رسالات الأنبياء ومناهج الرسل (عليهم السلام) كلّها للبناء الفكري التربوي، ورسم منهاج الإعداد وتربية الذات لشخصية الإنسان.

لقد علمنا إن التربية هي (النشاط الفردي والاجتماعي الهادف إلى تنشئة الإنسان فكرياً وعقلياً ووجدانياً وحسياً وجمالياً وخلقياً، وتزويده بالمعارف والاتجاهات والقيم والخبرات اللازمة لنموه نمواً سليماً طبقاً لأهداف الإسلام)<sup>(٤)</sup>.

ونصوص القرآن الكريم حافلة بهذا النهج البنائي للإنسان، وهو ما سوف نلاحظه من دور مميز في تكوين الشخصية المتزنة - وخصوصاً أثر الأسرة القرآنية

(٤) علي خليل أبو العينين، منهجية البحث في التربية الإسلامية، مجلة رسالة الخليج العربي، السنة الثامنة، ١٩٨٨م، العدد ٢٤، ص ١١٠.





قلبه<sup>(٧)</sup>، إذ إن البيت الواحد قلعة من قلاع العقيدة، ولا بد أن تكون القلعة متماسكة من داخلها حصينة في ذاتها، والآية المباركة تربي الإنسان المؤمن على (أن يتجه بالدعوة أول ما يتجه إلى بيته وأهله، واجبه أن يؤمن هذه القلعة من داخلها، واجبه أن يسد الثغرات فيها قبل أن يذهب عنها بدعوته بعيداً)<sup>(٨)</sup>.

وتترجم السنة النبوية هذا المحتوى القرآني، وتؤكد أن التربية الصالحة حق للولد على الوالد، فقد روي عن الإمام علي بن موسى الرضا<sup>(عليه السلام)</sup> أنه قال: (جاء رجل إلى النبي<sup>(صلى الله عليه وآله)</sup> فقال: يارسول الله! ما حقّ ابني هذا؟ قال<sup>(صلى الله عليه وآله)</sup>: تحسن اسمه وأدبه، وضعه موضعاً حسناً)<sup>(٩)</sup>.

ولقد كان رسول الله<sup>(صلى الله عليه وآله)</sup> يوصي بحبّ الصبيان وتقبيلهم ومداعتهم، وكان هو نفسه يقبل ابنته فاطمة<sup>(عليها السلام)</sup>، وابنيها الحسن والحسين<sup>(عليهم السلام)</sup>، ويداعبهما ليملاً نفس الصبي بالحب والحنان،

ويبعد عنها عقدة الكراهية والقسوة والنفور، فيشب الصبي سليم النفس، سوي السلوك، نظيف القلب.

فشخصية الإنسان تبدأ التشكّل من خلال التأثير بالواقع الأسري، والجو الفكري والتربوي الذي يحيط به، والإمام الحسين<sup>(عليه السلام)</sup> عاش في كنف معلم الإنسانية الأول الرسول الأكرم<sup>(صلى الله عليه وآله)</sup>، وقد أولاه عنايته الخاصة ورعايته منذ صغره، فكان أن نهج الإمام<sup>(عليه السلام)</sup> في فكره وسلوكه نهج رسول الله<sup>(صلى الله عليه وآله)</sup> وسلوكه القرآني.

وذلك أن النبي الأكرم<sup>(صلى الله عليه وآله)</sup> يؤكد في حديث آخر أهمية التربية ودورها في البناء الفكري وفي تكييف الملكات والاستعدادات الفطرية، وأثرها في بناء الشخصية بقوله: (كل مولود يولد على الفطرة، وإنما أبواه، يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه)<sup>(١٠)</sup>.

ولأهمية هذه النشأة وأثرها في نفس

(٧) سيد قطب، في ظلال القرآن، ٦ / ٣٦١٩.

(٨) المصدر نفسه.

(٩) الكليني، الكافي، ٦ / ٤٨.

(١٠) البخاري (ت ٤٥٦هـ) محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البنا، دار ابن كثير، بيروت، ط ٣، ١٩٨٧م، ١ / ٤٦٥.



من خلال تأكيد القرآن الكريم على مسؤولية الإنسان تجاه نفسه وغيره، قال تعالى: ﴿وَفَقُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ [سورة الصفات: ٢٤]، فالإنسان مسؤول عما كان تحت تصرفه وكان قادراً على إحداث تغيير فيه ونفع (في ذلك اليوم يتم السؤال عن كل شيء، عن العقائد وعن التوحيد والولاية، وعن الحديث والعمل، وعن النعم والمواهب التي وضعها الله سبحانه وتعالى في إختيار الإنسان)<sup>(١٢)</sup>، وكيف كان موقفه تجاهها ومن ذلك موقف الإنسان اتجاه الآخرين وهدايتهم إلى سواء السبيل.

ومن ذلك ما نلحظه في السنة الشريفة، قول الرسول الأكرم ﷺ: (ألا كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته..)<sup>(١٣)</sup>، ويقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: (اتقوا الله في عباده وبلاده، فإنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم)<sup>(١٤)</sup>.

(١٢) ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٤ / ٢٢٢.  
(١٣) مسلم، صحيح مسلم، ٣ / ١٤٥٩.  
(١٤) نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ٢ / ٨٠.

الطفل داخل الأسرة، ما نلحظه في وصية الإمام علي عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام، فنشأه واضحاً ومتجسداً وهو يخاطب ابنه بقوله: (... وإنما قلب الحدث كالأرض الخالية ما ألقى فيها من شيء قبلته، فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ويشغل لبك)<sup>(١١)</sup>.

فنفس الطفل وعقله واستعداداته إذن قابلة للنمو والتوجيه الذي تتلقاه، خيراً كان أو شراً، كما تتقبل الأرض البذرة، فتنمو في رحابها، بغض النظر عن خبثها أو طيبتها، ومن المعلوم بداهة دور القرآن المجيد في بناء فكر الإنسان، ومن ذلك الإمام الحسين عليه السلام إذ كانت التربية الأسرية القرآنية ذات أهمية بالغة في بناء شخصية الإنسانية، وتكوين اتجاهها.

كما ونلحظ أثر القرآن المجيد على المجتمع من خلال ذلك البناء، القيمي الذي يُنمي في الإنسان الفرد إيقاظ الشعور بالمسؤولية تجاه الآخرين، وذلك

(١١) شرح نهج البلاغة، محمد عبده، ٣ / ٤٠.



والإمام الحسين عليه السلام وهو ابن الدوحة المحمدية والنشأة القرآنية، كان واضحاً فيه الأثر القرآني وهو عدل القرآن، فكان في خروجه على النظام الحاكم، جزءاً من مسؤوليته في الإصلاح، الإصلاح الذي يجعل الله تعالى مصدرراً للسلطة الوحيدة في جهاز ذلك الحكم، ويعتبر الشعوب عياله وشعبه وقيم الإمام أميناً على تنفيذ قوانينه، وحارساً لأحكامه ومسؤولاً بين يديه، يوزع على ضوء تلك القوانين حقوق الحياة السواء بين إخوان في الدين والإنسانية، وقد أعطى سيد الشهداء عليه السلام صورة رائعة عن ذلك في قوله: (فَلَعَمْرِي مَا الْإِمَامُ إِلَّا الْحَاكِمُ بِالْكِتَابِ، الْقَائِمُ بِالْقِسْطِ، الدَّائِنُ بِدِينِ الْحَقِّ الْحَابِسُ نَفْسَهُ عَلَى ذَلِكَ) (١٥) (١٦).

(١٥) ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ): عز الدين محمد الشيباني، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٥م، ٣ / ٣٨٦.

(١٦) محمد باقر الصدر، سيقى هذا الصوت خالداً، مجلة النشاط الثقافي، تصدرها جمعية التحرير الثقافي في النجف، السنة الأولى، ١٩٥٧م، العدد الأول، ص ٤٢٩.

وكنظرة مقارنة، نجد أن المذاهب الاجتماعية الوضعية، بُنيت على أساس المسؤولية الفردية في هذه الحياة فحسب، وتأييدها بمؤيدات قانونية كحجز الحرية، أو التعذيب، أو التفرغ المالي أو العزل عن الوظيفة، أو التسريح عن العمل، أو المكافأة بالمال أو الترقية في الوظيفة.. وما إلى ذلك، وبمؤيدات اجتماعية كالثقة أو حجبها والتقدير أو التحقير.

أما المذهب القرآني، فلا يقتصر على مسؤولية الفرد أمام المجتمع الذي يعيش بين ظهرانیه في هذه الحياة، وإنما يُنمّي في الفرد المسؤولية العظمى أمام الخالق العظيم في حياة أخرى، وحينئذ يدفعه إلى التحديد الذاتي أو الطوعي لرغباته، والشعور الاجتماعي نحو غيره، بغض النظر عن القانون أو العرف أو الضمير، لأن الضمير قد يعجز عن مواجهة الغرائز عند فقدان العقيدة الدينية، كما أنه ليس من المسور توفير الرقابة الاجتماعية في كل مكان، وبصورة دائمة، وعليه فإنّ



دعائه المعروف في يوم عرفة، إذ قال: (متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدلّ عليك ومتى بُعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك عميت عينٌ لا تراك عليها رقيباً)<sup>(١٨)</sup>، وواضح أن هذه الرقابة لا يمكن أن تتحقق في غير الأثر القرآني، وليس من شأن القيم والمفاهيم المجردة الميتة التي يؤمن بها الإنسان أن تعي تصرفات الناس، وتراقب حركاتهم وتصرفاتهم، وتحاسبهم على ذلك.

إذن تعمل القيم القرآنية على بناء حياة الإنسان من خلال تقديم الخير وبذل التضحية، ومقاومة الانحراف لأنها ربانية المصدر، والإيمان بها يستلزم العمل بها لأنها ضوابط وحوافز بين الإنسان وربه، وبين الإنسان ونفسه، وبين الإنسان والإنسان<sup>(١٩)</sup>، ولا شك أن القيم المستمدة من الأديان السواوية تعتبر السبيل إلى توجيه الإنسان إلى

(١٨) المجلسي، بحار الأنوار، ٩٥ / ٢٢٦.

(١٩) ظ: أنور الجندي، مفاهيم العلوم الاجتماعية والنفس والأخلاق في ضوء الإسلام، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٧٧م، ص ٦٧.

هذه الرقابة الداخلية لا توجد في غير العقيدة الدينية.

كما أن الدعوة لدين الله ليست حرفة ولا مهنة، وإنما يقوم بها من يرى نفسه أهلاً لها لوجه الله وحده.. ولمصلحة الإنسانية دون غيرها.

وكذلك كانت آثار العقيدة الدينية في فكر الإمام الحسين عليه السلام، يقول المفكر عباس محمود العقاد: (إن مسألة العقيدة الدينية في نفس الحسين لم تكن مسألة مزاج أو مساومة، وأنه كان رجلاً يؤمن أقوى الإيمان بأحكام الإسلام ويعتقد أشد الاعتقاد أن تعطيل حدود الدين هو أكبر بلاء يحيق به وبأهله وبالامة العربية قاطبة في حاضرها ومصيرها، لأنه مسلم، ولأنه سبط محمد.. فمن كان إسلامه هداية نفس فالإسلام عند الحسين هداية نفس وشرف بيت)<sup>(١٧)</sup>.

وقد تجلّى مفهوم الرقابة الذاتية في فكر الإمام الحسين عليه السلام واضحاً في

(١٧) أبو الشهداء الحسين بن علي، تحقيق: محمد جاسم الساعدي، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، طهران، ٢٠٠٤م، ص ٢٠٦.



الخير العام.  
والقيم القرآنية تسمو بالفرد وترفعه فوق الماديات الحسية من مستوى الحيوانية إلى مستوى الإنسانية الرفيعة بكل ما فيها من مثل ومبادئ ومعايير ومشاركة وجدانية، وهي في الوقت نفسه تعتبر عاملاً هاماً وفعالاً في ربط أفراد المجتمع بعضهم ببعض، وتوحيد وجهتهم، ومساعدتهم على تحديد هدفهم، والسعي الجاد للوصول إليه، هذه حقيقة واضحة إذا أمعنا النظر في حكمة هذه القيم والمعاني الكبيرة التي تحملها، وهي واضحة في كثير من النصوص القرآنية ولا يمكن تحقيق السعادة من دون اتخاذ هذه القيم طريقة ومنهجاً في الحياة الفردية والاجتماعية معاً<sup>(٢٠)</sup>.

فبالتأثر بهذه القيم القرآنية يكون بناء (الروح الرائعة التي لا يدخل شئ من أشياء هذا العالم المحدود في حسابها،

(٢٠) ظ: مقداد بالجن، التربية الأخلاقية والإسلامية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٧م، ص ١٠٩.

ولا ترى بعد الظفر بالجانب الإلهي جانباً آخر يخشى فواته، أو يؤمل إدراكه، لأن المحدود ليس إلا لمعة لذلك الوجود غير المحدود<sup>(٢١)</sup>.

إذن التربية الإسلامية وبنظرة موضوعية في مناهجها وموضوعاتها الإلهية والبشرية (تحقق جانبي القيمة الظاهرية، والباطنية، فهي تعنى بسلوك الفرد مع نفسه ومع الناس، وتحتة على أداء العبادات، وعلى طهارة القلب والنفس والجوارح وتمنحه الوازع الذي يدفعه إلى التضحية والفداء والصبر، وتقرب به في مثاليته إلى جوانب الحق والخير والجمال، وتصل به في بعض مواقفها إلى سمو يرفعه فوق ترابيته، ويدنيه من عالم الروح، فهي إذن تربية تنشُد الوصول إلى الخلق الكامل عند الفرد المسلم وتساعده بهذا البناء الخلقى على الاهتمام بالجسم والعقل والعمل<sup>(٢٢)</sup>.

(٢١) محمد باقر الصدر، سيبقى هذا الصوت خالداً. ص ٤٢٨.

(٢٢) عبد العزيز عبد الرشيد سالم، طرق تدريس التربية الإسلامية، وكالة



من فريضة الصلاة مثلاً من أمثلة القيم القرآنية وبيان -بحسب جهد الباحث- أثرها على الشخصية الإنسانية، وقد علمنا سلفاً معنى التربية، واتضح إنها مجموعة المؤثرات المعينة، التي تمتد إلى إحداث تغييرات لدى الأفراد، حتى يكتسبوا سمات الشخصية التي نتفق على اعتبار أنها قد تزودت بالخصائص التربوية (٢٥).

قد اقتربوا منك ولا والله لا تقتل حتى اقتل دونك إن شاء الله وأحب أن ألقى ربي وقد صليت هذه الصلاة التي قد دنا وقتها، قال: فرفع الحسين رأسه ثم قال: ذكرت الصلاة جعلك الله من المصلين الذاكرين، نعم هذا أول وقتها ثم قال: سلوهم أن يكفوا عنا حتى نصلي فقال لهم الحصين بن تميم إنها لا تقبل. فقال له حبيب بن مظاهر: زعمت الصلاة من آل محمد ﷺ لا تقبل وتقبل منك يا حمار..، الطبري (ت ٣١٠هـ)، تاريخ الأمم والملوك، مؤسسة الاعلمي، بيروت، (دت)، ٤ / ٣٣٤، ظ: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٤ / ٧٠.

(٢٥) ظ: نبيه يس، أبعاد متطورة في الفكر التربوي، القاهرة، مطبعة الخانجي، (دت)، ص ١٨، علي خليل أبو العينين، منهجية البحث في التربية الإسلامية، ص ١١٠.

والتربية الإسلامية نمط خاص من التربية يتعهد المسلم بتغذيته روحياً وتمي العواطف الإنسانية، والمشاعر الخلقية فيه (٢٣).  
وإذا أردنا أن نوضح بالأمثلة حقيقة كون القيم القرآنية ذات أثر تربوي وتمثل المعاهد التي تعقد بها الروابط الاجتماعية والفردية تواردت علينا أمثلة كثيرة جداً.

وبما إن الصلاة من أهم أهداف حركة الإمام الحسين ﷺ ونهضته، إذ لم يكن مؤدياً لها فحسب، بل مقيماً لها، وفي أضنك الظروف (٢٤)، سوف نتخذ

المطبوعات، بيروت، ط ٣، ١٩٨٢م، ص ٢٥٣.

(٢٣) ظ: محمد باقر الصدر، فلسفتنا، دار التعارف، بيروت، ط ١٠، ١٩٨٠م، ص ٤٨.

(٢٤) ففي أرض كربلاء وفي ضراوة المعركة نلحظ أداء الصلاة وقيامها، (فلا يزال الرجل من أصحاب الحسين قد قتل فإذا قتل منهم الرجل والرجلان تبين فيهم، وأولئك كثير لا يتبين فيهم ما يقتل منهم، قال فلما رأى ذلك أبو ثمامة عمرو ابن عبد الله الصائدي قال للحسين: يا أبا عبد الله نفسي لك الفداء إني أرى هؤلاء



وأقول: لا يصل صاحب الأخلاق إلى هذه الدرجة إلا بعد المرور بمرحلة من تربية النفس نحو الفضائل، وتنحيتهما عن الرذائل، إنَّ العلاقة بين الأخلاق والتربية هي العلاقة بين النظري والتطبيق..

فالأخلاق الفاضلة: من عفو وحلم وعزة وسخاء علم نظري راق، والتربية تعويد النفس على هذه الأخلاق حتى تصبح سجية.

إذ لا يكتمل إسلام المرء إلا بامتزاج التشريعات بالأخلاق، كامتزاج الروح بالجسد، فلا يُكتفى بالعبادة وتهجر التربية والأخلاق، وقد جمع الله - عز وجل - كل ذلك في قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة البقرة: ١١٢].

إنَّ ما بين التشريعات والجوانب الأخلاقية والتربوية من تعاضد وتكاتف كما بين لحمة النسيج وسداه، لا يتم الفصل بينها، فإنَّ المسلم الحق هو الذي ملأت أخلاقه جميع جوانب حياته في

عقيدته وعبادته ومعاملاته، إذ (لا يغني إسلام القلب وحده ولا العمل بدون إخلاص بل لا نجاة إلا بهما) (٢٦).

وفي موضوع الصلاة في القرآن الكريم وأثرها على الإنسان، نلاحظ في قوله سبحانه: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَأَصْبِرْ عَلَيْهَا﴾ [سورة طه: ١٣٢]،

ووجه الدلالة من هذه الآية: أن الصلاة التي هي جزء في سلوك الإنسان اليومي تحتاج إلى صبر، وهي ما هي في مكانتها وعظمتها، فكل ما يتعلق بالأخلاق والسلوك التربوي كذلك فقد اقترنت عبادة الصلاة بالقول الحسن فقال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [سورة البقرة: ٨٣].

فينبغي أن يكون المصلي متعاهداً نفسه لتربيتها على القول الحسن، وليس القول الحسن خاصاً بالمؤمنين فقط، بل لجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم. فقد ذكر النيسابوري نقلاً عن أهل التحقيق: أنه على العموم وذلك أن كلام الناس مع

(٢٦) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١ / ٦٥٧.





الأثر القرآني في فكر الإمام الحسين (عليه السلام)

• **الزُّكُورَةُ**

لِلزُّكُورَةِ فَعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ  
حَافِظُونَ ﴿٥﴾ [سورة المؤمنون: ٣-٥].

فمع أن الصلاة قرينة الزكاة في أغلب آيات القرآن، لكن في هذا الموطن لما كانت السورة تحمل في اسمها (المؤمنون) أسمى ما يتصف به المرء. فقد مزجت التشريع بالأخلاق، فأتبعت الصلاة بخلق الإعراض عن اللغو.

من هذا المنطلق وجب على حامل القرآن أن يتدبر في كلامه عز وجل، حتى يكون نموذجاً يحتذى، وخليفة لله في أرضه، عفت اللسان، طاهر اليد، نظيف القلب.

ونلاحظ إن الصلاة مقترنة بالإعراض عن اللغو **﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾** [سورة المؤمنون: ٣].

تؤثر الصلاة تأثيراً إيجابياً فتجعل صاحبها يعي ما يتكلم به، بحيث يكون عقله قبل لسانه، فلا يلغو ولا يفحش، وإذا سمعه يعرض عنه **﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْنِئُ الْجَنَّةَ لَكُمْ ﴾** [سورة القصص: ٥٥]، وعن معنى اللغو

الناس في الأمور الدينية إن كان بالدعوة إلى الإيمان وجب أن يكون بالرفق واللين، كما قال الله تعالى لموسى **﴿ فَقُولْ لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا ﴾** [سورة طه: ٤٤]، وقال لنبينا محمد **﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَفَضْنَا مِنْ حَوْلِكَ ﴾** [سورة آل عمران: ١٥٩]، وإن كان بالدعوة إلى الطاعة كدعوة الفساق فحسُن القول أيضاً معتبر **﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُمْ يَأْتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾** [سورة النحل: ١٢٥]، **﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾** [سورة فصلت: ٣٤]، وأما في الأمور الدنيوية فمن المعلوم: أنه إذا أمكن التوصل إلى الغرض باللطيف من القول لم يعدل إلى غيره، وما دخل الرفق في شيء إلا زانه، وما دخل الخرق في شيء إلا شانه، فثبت أن جميع آداب الدين والدنيا داخل تحت هذا القول (٢٧).

ولنتأمل في ذلك قوله تعالى: **﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾** ﴿٣﴾ **﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾** ﴿٣﴾

(٢٧) النيسابوري، غرائب القرآن و رغائب الفرقان / ١ / ٣٢٥.



يقول ابن منظور: اللغو واللغا: السقط وما لا يعتد به من كلام وغيره، ولا يحصل منه فائدة ولا نفع، لقلته أو لخروجه على غير جهة الاعتماد من فاعله (٢٨).

وقال الراغب: هو ما لا يعتد به، وهو الذي يرد لا عن روية وفكر، فيجري مجرى اللغا - وهو صوت العصافير - وقد يسمى كل كلام قبيح لغواً (٢٩).

وفي التعبير بـ (مُعْرَضُونَ) يفيد أنهم على هذه الأخلاق في عامة أوقاتهم - أي: تربوا على ذلك - كما ينبئ عنه الاسم الدال على الاستمرار، فيدخل في ذلك إعراضهم عنه حال اشتغالهم بالصلاة دخولاً أولياً، وإقامة الإعراض مقام الترك؛ ليدل على تباعدهم عنه رأساً مباشرة وتسبباً وميلاً وحضوراً (٣٠)، ومن ثم إذا (كانوا معرضين عن اللغو فإعراضهم عن المحرم من باب أولى وأحرى) (٣١).

(٢٨) ابن منظور، لسان العرب، ١٥ / ٤٥٠١.

(٢٩) الراغب، المفردات، ص ٤٥١.

(٣٠) ظ: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٦ / ١٢٤.

(٣١) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير

٣- الصلاة مقترنة بتطهير النفس من برائن الفواحش والمنكر، قال تعالى: ﴿ أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقْرَأَ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ [سورة العنكبوت: ٤٥].

### المطلب الثاني:

### الأثر القرآني في الخطاب الرسالي

#### للإمام الحسين عليه السلام

قبل الولوج في مضامين خطاب الإمام الحسين عليه السلام وبيان الأثر القرآني فيه، يرى الباحث أن يوضح الرؤية عامة للنهضة الحسينية والتي من خلالها تتمكن من عيش حيثيات خطابه عليه السلام، فالناظر إلى ثورة الإمام الحسين عليه السلام يلحظ إن نهضته عليه السلام كانت تتركز في عوامل رئيسة يمكن إن نجملها في (٣٢):

الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص ٥٩٤.  
(٣٢) ظ: مرتضى المطهري، الملحمة الحسينية، ص ١٧٦، محمد مهدي الآصفي، في رحاب عاشوراء، ١ / ٢٦٩، محمد صادق الصدر، أضواء على ثورة الحسين، ص ٨٤، محمد مهدي شمس الدين، ثورة الحسين، ص ١٣٩، عباس محمود العقاد،



مظاهر الثورة على الواقع المير، وواقع عاشه الإمام الحسين عليه السلام إذ تحول فيه الإنسان المسلم الذي أرادته صياغة النبي والقرآن إنسان عقائدي، إلى إنسان فاقد لكثير من القيم جراء ضغوطات الأنظمة الحاكمة التي تمارس شتى أنواع القهر والاستغلال وجميع صوره، فكانت هذه الأساليب الجاهلية (خليقة بأن تحوله من إنسان عقائدي، تسير حياته على خط مستقيم، خط النضال من أجل العقيدة، التي يحرر بها غيره من الناس ويرد إليهم اعتبارهم الإنساني المسلوب إلى إنسان لا تركز حياته على عقيدة، ولا يحفزها مطمح عظيم، إنسان تستبد به النزوات الطارئة، والمنافع القريبة، وتجعله تارة هنا وتارة هناك) <sup>(٣٣)</sup>.

فكانت نهضته الشريفة على الظلم والجور بعد أن تشرب روح القرآن وكذا من قبل كان جده المصطفى صلى الله عليه وآله في تصحيح المسار، فكانت قوة الإرادة فيه عليه السلام، يقول الشيخ باقر شريف القرشي:

(٣٣) محمد مهدي شمس الدين، ثورة الإمام الحسين، ص ١٠١.

١. تغيير الأوضاع السياسية وتغيير الجهاز الحاكم وأسلوب الإدارة والسياسة والتعامل مع الأمة وفق الموازين والمقاييس التي ثبتها الإسلام.

٢. إيقاظ الحس والوعي السياسي للأمة وجعلها جهاز مراقبة للسلطة متى ما انحرفت عن المبادئ أو تخلت عن تطبيق الأحكام والقوانين الإسلامية.

٣. تثبيت مبدأ شرعية المقاومة المسلحة للحاكم الظالم.

٤. إعادة تربية وبناء الأمة من جديد بناءً سليماً.

٥. تصحيح الانحراف وتطبيق أحكام الشريعة وقوانينها.

٦. كسر حاجز الخوف والإرهاب المفروض على الأمة وتحريك روح الثورة والفداء فيها.

ومعلوم أن الإمام الحسين عليه السلام هو الامتداد الطبيعي للنبي الخاتم صلى الله عليه وآله، وهو تلميذ القرآن، والنبي والقرآن أهم

أبو الشهداء الحسين بن علي - من مقدمة المحقق - ص ٢٦.



(من النزعات الذاتية لأبي الشهداء عليه السلام)  
 قوة الإرادة، وصلابة العزم والتصميم،  
 وقد ورث هذه الظاهرة الكريمة من جدّه  
 الرسول صلى الله عليه وآله الذي غير مجرى التاريخ،  
 وقلب مفاهيم الحياة، ووقف صامداً أمام  
 القوى الهائلة التي هبّت لتمنعه من أن  
 يقول كلمة الله) (٣٤).

وكان الإمام الحسين عليه السلام مع هذا؛ من  
 رجال الفصاحة وفرسانها وحماة البلاغة،  
 وشجعانها، عليه تهذّلت أغصانها ومنه  
 تشعبت أفنانها، يفوح أريج النبوة من  
 كلامه ويعبق نشر الرسالة من نثره  
 ونظمه.

وللذوق الأدبي بسيرته ملتقى،  
 كملتقى الفكر والخيال والعاطفة،  
 وسوف نجتزئ من خطبة له عليه السلام بعض  
 القيسات (٣٥) مسطّبين الضوء - بقدر

(٣٤) نفحات من سيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام،  
 ص ١٣٧.

(٣٥) للاطلاع على الخطبة كاملة، ينظر:  
 المفيد (٤١٣هـ)، الإرشاد في معرفة حجج  
 الله على العباد، ٩٨ / ٢، الطبرسي (ت  
 ٥٤٨هـ)، إعلام الوري بأعلام الهدى، ١/  
 ٤٥٩

مستطاع الباحث - على هذه الشذرات  
 الكريمة في بيان المعالم الرسالية التربوية  
 فيها موضحين ذلك الأثر القرآني العظيم  
 في فكره عليه السلام، وعلى النحو التالي:

أولاً: المعاني المهمة التي تضمنها  
 استهلال الخطبة: تبدو الخطبة في مجملها  
 شائعة يسيرة الفهم، إلا إننا ونحن نتلوها  
 وهي في حلتها البلاغية نشعر أننا أمام  
 اثر فني متكامل، بالرغم من تصديه عليه السلام  
 لجماعة قلّم صفت ذائقتهما الفنية، على  
 أن عناية الإمام بالأداء الأدبي لم تصرفه  
 عن العناية بالواقع النفسي، كما إن  
 نغمته عليهم لم تثنه عن التوسل بما يثير  
 عواطفهم، ويصور ضلالهم وعنادهم  
 وجبنهم.

وقد بدت أفكاره عليه السلام أفكاراً واعظة،  
 تحدّث إليهم بأمور دينهم، محاولةً  
 لإيقاظهم من سباتهم العميق وغفلتهم  
 المتأصلة وعبوديتهم لأهوائهم.

وهذا هو أسلوب الأنبياء  
 والمصلحين الرساليين في تأكيد الدعوة  
 الإصلاحية، وان عملهم هو قربة إلى الله  
 تعالى وان كانت هذه الدعوة لا تثمر في



إن التكليف بالعظة ليس مختصاً بنا بل انتم أيضاً مثلنا يجب عليكم أن تعظوهم لان ربكم لمكان ربوبيته يجب أن يعتذر إليه، ويبذل الجهد في فراغ الذمة من تكاليفه والوظائف التي أحالها إلى عباده، وانتم مربوبون له كما نحن مربوبون فعليكم من التكاليف ما هو علينا.

ثانياً: عمد الإمام الحسين عليه السلام إلى تذكير القوم بنسبه وشانه ومنزلته لعلمهم يرجعوا عن غيهم ويحاسبوا أنفسهم، فهو ابن نبيهم وابن وصيه وابن عمه وأول المؤمنين بالله، والمصدق لرسوله بما جاء من عند ربه، وهو اخو الحسن. قال عنها جدما الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: (سيدا شباب أهل الجنة) <sup>(٣٧)</sup>.

ويرى الباحث أن الإمام الحسين عليه السلام أراد من ذكر هذا النسب الشريف والأسماء المقدسة تذكيرهم بمنازل الوحي والألطف الإلهية التي أفاضت على أهل هذا البيت، ويكتفي الباحث في هذا المورد بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ

بعض العباد العاصين إلا أنهم يدعوهم لما هو خير على كل الأحوال وان اعترض من اعترض، وهذا ما نلمسه في صريح القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُم ۗ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [سورة الأعراف:

[١٦٤].

يقول السيد الطباطبائي: (إن المتعدين طغوا في تعديهم وتجاهروا في فسقهم فلم يكونوا لينتهوا بنهي ظاهراً غير إن الأمة التي كانت تعظهم لم ييأسوا من تأثير العظة فيهم، وكانوا يرجون منهم الانتهاء لو استمروا في عظتهم، ولا أقل من انتهاء بعضهم ولو بعض الانتهاء، وليكون ذلك معذرة منهم إلى الله سبحانه بإظهار أنهم غير موافقين لهم في فسقهم منزجرون عن طغيانهم بالتمرد) <sup>(٣٦)</sup>.

ونلاحظ هنا أيضاً إن المصلحين أضافوا الرب إلى الأئمة لهم - وهم غير الفاسقين ممن يئس من الفاسقين ولم يعد ينصحهم - ولم يقولوا: إلى ربنا إشارة إلى



وَيُطَهِّرُكُمْ تَطَهُّيراً ﴿ [سورة الأحزاب: ٣٣].

يقول الآلوسي بعد أن يذكر حديث الكساء المتعارف الذي جمع الإمام علياً عليه السلام وفاطمة الزهراء والحسين، وبعد كلام طويل حول الآية: (... هذا ما عندي في الكلام على الآية الكريمة المتضمنة لفضيلة لأهل البيت عظيمة، ويعلم منه وجه التعبير يريد على صيغة المضارع ووجه تقديم إذهاب الرجس على التطهير ووجه دعائه عليه السلام لأهل الكساء بإذهاب الرجس من غير حاجة إلى القول بان ذلك طلب للدوام كما قيل في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُونَ﴾ [سورة النساء: ١٣٦] ونحوه ولا يورد عليه كثير مما يورد على غيره ومع هذا لمسلك الذهن اتساع ولا حجر على فضل الله عز وجل فلا مانع من أن يوفق أحداً لما هو أحسن من هذا واجل فتدبر ذاك والله سبحانه يتولى هداك) (٣٨).

(٣٨) روح المعاني، ٢٢ / ٢٧٢. وقد أورد الآلوسي كثير من الروايات الدالة على إن المقصود من أهل البيت هم الخمسة عليهم السلام.

ويرى الباحث أن الله سبحانه وفق كثيراً من المؤمنين إلى تلمس المقصد الإلهي في هذه الآية الكريمة، فهذا السيد الطباطبائي بعد كلام طويل في تفسيرها يقول: (والمعنى: أن الله سبحانه تستمر إرادته أن يخصكم بموهبة العصمة بإذهاب الاعتقاد الباطل واثـر العمل السيئ عنكم أهل البيت وإيراد ما يزيل اثر ذلك عليكم وهي العصمة) (٣٩).

ثالثاً: إصرار القوم على الانتقام: استعمال أسلوب التهديد والوعيد قبال مواعظ الإمام الحسين عليه السلام وإرشاده ونصحه إياهم؛ فقال الأجلاف الطغاة، المتحجرة قلوبهم: (نحن غير تاركيك حتى تذوق الموت عطشاً)، وفي موضع آخر قال قيس بن الأشعث للإمام الحسين عليه السلام: (تنزل على حكم بني عمك)، وهذه اللغة هي ذاتها اللغة التي انبرى الطغاة ألظمة يوجهونها إلى الدعاة الرساليين من الأنبياء والصالحين

(٣٩) الميزان في تفسير القرآن، ١٦ / ٢٦٨. وأورد السيد كثير من الروايات الدالة على إن أهل البيت هم الخمسة أصحاب الكساء.



والخنوع للإرادة الفرعونية، والعودة إلى سنن الجاهلية الأولى.

يقول الدكتور محمد حسين الصغير: (وما كان للحسين عليه السلام أن يعطي بيده إعطاء الدليل، فينزل على رغبات الحكم الأموي، وهو يرى الكتاب مهجوراً والسنة محرّفة، والحدود معطلة، فهذا هو الذل الدائم الذي يتنافى مع تمثيله للكرامة الإنسانية، في إباطه للضيم، وتجسيده للمثل الأخلاقية والنضالية، وهو العلم الشاخص الذي يشار إليه بالبنان لتتقى ما علق بالإسلام من أوشاب غريبة) (٤١).

عندها أيقن الإمام الحسين، أنه إما أن يبايع الفاجر العاهر وأما أن يُقتل، ولا يكفيه مجرد السكوت، فالجماعة سيطر على قلوبهم حب الدنيا والمال الذي وعدهم به يزيد، ونسوا ذكر الله وعبدوا الشيطان بدل عبادة الله. فهل يترك الإمام الحسين عليه السلام وظيفته الإلهية

(٤١) الإمام الحسين عليه السلام عملاق الفكر الثوري دراسة في المنهج والمسار، مؤسسة العارف للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٢م، ص ٩٠.

عندما تعيهم الحجج والبراهين، وهكذا في كل زمان ومكان؛ استكباراً وعدواناً عليهم. وندتمس مثل هؤلاء القوم في القرآن الكريم وحالمهم مع أولياء الله تعالى، قال سبحانه عن قوم نبي الله شعيب عليه السلام: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِنُخْرِجَكَ وَيَسْعِبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرِينًا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوْلُو كُنَّا كَرِهِينَ ﴾ [سورة الأعراف: ٨٨].

يقول السيد الطباطبائي: (لم يسترشد الملاء المستكبرون من قومه بما أرشدهم إليه من الصبر وانتظار الحكم الفصل في ذلك من الله سبحانه بل بادروه بتهديده وبتهديد المؤمنين بإخراجهم من أرضهم إلا أن يرجعوا إلى ملتهم بالارتداد عن دين التوحيد) (٤٠)، وان كان الأمر في حق الإمام الحسين عليه السلام كان من طغاة عصره هو أما الموت أو الركون إلى الظالمين كما يستشف من ردود أفعالهم ومقولتهم الدالة على الانحراف بعينه عن كتاب الله الكريم وسنة رسول الله ﷺ،

(٤٠) الميزان في تفسير القرآن، ٨ / ١٦٦.



ومسؤوليته اتجاه أمته واتجاه أبيه وجدده،  
وتجاه الله تعالى، ويصير من أتباع يزيد،  
ويصبح مطيعاً ومؤيداً ليزيد بعيداً عن  
التقوى؟!.

هذا مما لا يمكن تصوّره في حقّه عليه السلام  
فنفسه كنفس أبيه وجدده فهم وجدوا  
لأجل إصلاح الأمة الإسلامية وهداية  
الناس إلى سواء السبيل.

رابعاً: النعمة: في هذه المرحلة  
يؤس الإمام من إصلاح القوم لتحجر  
قلوبهم وبعدهم عن إتباع الحق، فثار  
عليهم وأنبهم: (تباً لكم أيتها الجماعة  
وترحاً<sup>(٤٢)</sup>)، أحين استصرختمونا والهين،  
فأصرخناكم موجفين<sup>(٤٣)</sup>، سللتم علينا  
سيفاً لنا في أيمانكم، وحششتم<sup>(٤٤)</sup> علينا  
ناراً اقتدحناها على عدونا وعدوكم،  
فأصبحتم ألباً<sup>(٤٥)</sup> لأعدائكم على  
أوليائكم!.

(٤٢) الترح نقيض الفرح، وترحه الأمر أي  
أحزنه. ظ: ابن منظور، لسان العرب، ٢/  
٤١٧.

(٤٣) موجفين: مسرعين في السير.

(٤٤) حششتهم: أوقدتم.

(٤٥) البأ: مجتمعين.

فسحقاً لكم ياعبيد الأمة، وشذاذ  
الأحزاب، ونبذة الكتاب، ومحرفي  
الكلم، وعصبة الإثم، ونفثة الشيطان،  
ومطفئي السنن)، لقد بدت النعمة مبثوثة  
في طيات هذا الجزء من الخطبة بصورة  
واضحة، نعمة ثورية تقريرية تلتفت إلى  
واقع الأمور وتنقله، وقد بعثت به إلى  
ذلك التكرار عندما أعلن لهم إنهم عبيد  
الأمة، ونفثت الشيطان، وزادت النعمة،  
وظفح الكيل.

وهنا يؤكد الإمام عليه السلام على الحقيقية  
الإلهية في أن الإنسان الطاغية (ينسى  
فيوغل في نسيانه، لأنه اشم في نفسه  
رائحة من غنى، ويطغى في عتوه مدفوعاً  
بدافع من الغرور الذي يسلمه إلى محض  
العجب والاختيال)<sup>(٤٦)</sup>.

وهذا الأمر تعود صورته مرة أخرى  
كردة فعل للمصلحين الرساليين؛ فهذا  
نبي الله شعيب لما بلغ الكلام هذا المبلغ  
وقد اخبره طغاة عصره بعزمهم وعقد  
أمرهم على احد أمرين: الإخراج أو

(٤٦) د. محمد حسين الصغير، الإمام الحسين عليه السلام

عملاق الفكر الثوري، ص ١٣٥.



من الكفر نعمة عظيمة، ولكن أتى لهؤلاء الكفرة أن يدركوا تلك النعمة وهم لم يتذوقوها<sup>(٤٨)</sup>.

وأبو الأحرار وسيد الشهداء -  
روحي له الفداء - اختار المواجهة  
لإحقاق الحق مؤثرها على السلامة  
والدعة؛ وهذا ما أطمئنت له نفسه  
الرسالية القرآنية وبناءه المحمدي  
العلوي عندما حلل إرهاصات القوم  
وسبلهم وكيدهم بالإسلام، (ولم يبق  
أمام الحسين ﷺ إلا الخيار الأخير الذي  
تمسك به منذ اللحظة الأولى بعزم  
وأسبقية، وهو طريقه الوحيد الذي ظل  
فيه سائراً متحدياً العقبات والضغط  
العاتية)<sup>(٤٩)</sup>، فقال ﷺ: (ألا إن الدعي<sup>(٥٠)</sup>

(٤٨) نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن،  
التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم،  
كلية الدراسات العليا والبحث العلمي،  
جامعة الشارقة، ٢٠١٠م، ٦١ / ٣.

(٤٩) د. محمد حسين الصغير، الإمام  
الحسين ﷺ عملاق الفكر الثوري،  
ص ٩٠.

(٥٠) الدعي: هو المنسوب إلى غير أبيه وقد  
كانوا يفعلونه حتى جاء الإسلام فجعل  
الولد للفراس وللعاهر الحجر. وقد  
خالف معاوية القران الكريم والسنة

العود، ولما كانت العقيدة والأهداف  
اسما من العاصين المتمردين في نفوس  
المصلحين؛ هنا كانت ردة فعل اليأس من  
هدايتهم؛ قال شعيب ﷺ: ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ  
بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾  
[سورة الأعراف: ٨٩].

يقول السيد الطباطبائي: (يسأل ربه  
أن يفتح بينهم أي بين شعيب والمؤمنين  
به، وبين المشركين من قومه، وهو الحكم  
الفصل فان الفتح بين شيئين يستلزم  
أبعاد كل منهما عن صاحبه حتى لا يياس  
هذا ذاك ولا ذاك هذا دعا ﷺ بالفتح  
وكنى به عن الحكم الفصل وهو الهلاك  
أو هو بمنزلته)<sup>(٤٧)</sup>.

نعم وذلك أن القادة الرساليين  
وأصحاب الفكر النير يتمسكون  
بمبادئهم مهما كانت النتيجة أو كبر  
الضغوطات الخارجية عليهم، وإيمانهم  
هذا نابع من يقينهم بتلك المبادئ،  
فنبى الله شعيب ﷺ يبين (أن الرجوع  
عن الإيمان يعني افتراء الكذب على الله  
تعالى، وأنّ الدخول في الإيمان والنجاة  
(٤٧) الميزان في تفسير القرآن، ٨ / ١٦٧.





ابن الدعي قد ركز بين اثنتين: بين السلة<sup>(٥١)</sup> والذلة، وهيئات من الذلة).

هو شعار طرحه الإمام من خلال ثورته الرسالية المباركة، أراد أن ينبه الأمة من خلاله إلى أصالتها الرسالية، وعقيدتها القرآنية وأن العزة الحقيقية لا تكون بالضرورة مع أصحاب المناصب والجاه الدنيوي والرفاهية المادية وفي هؤلاء مصداق قوله تعالى: ﴿أَيَبْنَعُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [سورة النساء: ١٣٩]، ونلاحظ في هذه الآية الكريمة (استفهام إنكاري ثم جواب بما يقرر الإنكار فان العزة من فروع الملك، والملك لله وحده)<sup>(٥٢)</sup>، فلا يمكن أن تكون العزة إلا مع المالك الحقيقي وهذا المالك الحقيقي هو الله المنعم على عباده المكرمين وييده الأمور؛ قال تعالى:

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ

الشريفة بإدعائه زياد بن سمية، ظ: ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، ٣/ ٤٨٧.

(٥١) السلة: استلال السيوف.

(٥٢) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٥/ ١٠٢.

مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ [سورة آل

عمران: ٢٦]؛ وكذلك نلاحظ التأكيد

على العزة في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ

وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٥٣)</sup> [سورة

المنافقون: ٨]، فأراد الطغاة أن يُسبوا

للإمام الذل في أي صورة كانت، ومهما

كانت دناءة الوسيلة، يقول السيد

الشهيد محمد صادق الصدر<sup>(٥٤)</sup>: (لا

شك أن المعسكر المعادي وقادته أرادوا

إذلاله، وحاولوا إهانته، وهذا أكيد، إلا

إن شيئاً من ذلك لم يحصل، لأن الذلة

الحقيقية إنما تحصل لو حصلت المبايعة

للمحاكم الأموي والخضوع له، تلك هي

الذلة التي تجنبها الحسين<sup>(٥٥)</sup> بكل جهده،

وضحى ضدها بنفسه، وأنها الصمود في

ساحة القتال فلن يكون ذلة، لا في نظر

(٥٣) ومن كلام خفيد الإمام الحسين<sup>(٥٦)</sup>

الإمام جعفر الصادق<sup>(٥٧)</sup> قال: (إن الله

تبارك وتعالى فوّض إلى المؤمن أموره

كلها، ولم يفوض إليه أن يذل نفسه، لم

تر قول الله سبحانه وتعالى هاهنا: ﴿وَلِلَّهِ

الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ والمؤمن

ينبغي أن يكون عزيزاً ولا يكون ذليلاً،

للتوسعة ينظر: الكليني، الكافي، ٥/ ٦٣.



والجاهلية العمياء.  
فقد فرضوا الذل على المسلمين  
وألبسوهم هذا الثوب البعيد عن  
إسلامهم وإيمانهم، فبعض الناس كعمر  
بن سعد وغيره... تنازلوا عن هذه  
العزة والكرامة من أجل حفنة من المال  
قدمها الطاغية فألجمهم عن قولهم الحق  
واستعبدتهم.

وبعض آخر استهوهم بالمناصب  
والمراتب فذلوا له وأطاعوه طاعة  
الحيوانات، فتعطلت حواسهم وإدراكهم  
وتفكيرهم.

وقسم ثالث رفضوا كل عطيات  
الحاكم الظالم، ونظروا إلى الحق بعين  
القرآن التي تأبى الذل والهوان، وترفض  
المساومة والاستعباد على مقومات  
عزتها وكرامتها، وأبت أن يقودها يزيد  
وأتباعه، ومن هم على شاكلته، لأن  
الذل لا يسمح به الله تعالى لعباده، فإذا  
كانت العزة بهذا العمق وهذا التأصل  
فهل يتنازل عنه سيد الشهداء وابن  
الأكرمين ليزيد الدعي ابن الدعي!!

خامساً: الأدلة والبراهين: بدأت

أصدقائه ولا في نظر ربه جل جلاله)<sup>(٥٤)</sup>.  
فكان عليه السلام من المؤمنين الذين أعزهم  
ربنا بعزه، فإذا لم يكن الإمام الحسين  
من المؤمنين فمن عسا أن يكون من  
المؤمنين؟ بل كيف لا يرتقي إلى أكثر  
من ذلك درجة وهو القائل فيه جده  
الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: (حسين مني وأنا  
من حسين)<sup>(٥٥)</sup>.

وبهذا أراد الإمام صد المحاولات  
الأموية التي سعت إلى إفراغ الأمة  
من محتواها العقائدي وهي محاولات  
جاهلية يرفضها الإسلام ويرفضها  
المؤمنون، أراد الإمام الحسين أن  
يصحح مفهوم العز والذل في شعاره  
هذا، فطاغية عصره يزيد ومن قبله  
معاوية والأسرة الأموية ساروا على  
خطى السنة الفرعونية والقارونية

(٥٤) أضواء على ثورة الحسين، ص ١٣٢.  
(٥٥) المجلسي، بحار الأنوار، ٤٣ / ٣٠٦.  
للتوسعة في مضامين هذا الحديث الشريف،  
ينظر كتاب: محمد باقر البهودي، قال  
رسول الله: حسين مني وأنا من حسين،  
ترجمة: جعفر بهاء الدين مرزه، مؤسسة  
أهل البيت، بيروت، ١٩٨١م.



الخطبة تجري بأسلوب تصاعدي يتدرج فيه الإمام بإظهار نغمته درجة درجة، حتى إن الفكرة اللاحقة تطغى الفكرة السابقة وتتسامى عليها، ويكاد لا يصل إلى المقطع الأخير حتى يكون قد عبر عن جميع ما كان يضطرب في نفسه، ويلهج في صدره من أفكار وآراء معتمداً على البراهين المنطقية والآيات القرآنية:

١. ﴿ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرَكُمْ عَلَيْكُمْ عُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾ [سورة يونس: ٧١]،

ونلاحظ إن استشهاد الإمام بهذه الآية لم يكن عفويًا بل إن تناسبها مع الموقف يجدد سبب نزولها وهدفها، إذ (إن نوحاً رسول الله الكبير صمد مقابل أعداءه الأقوياء المعاندين وواجههم بقاطعيه وحزم وفي منتهى الشجاعة والشهامة مع أصحابه القليلين الذين كانوا معه، وكان يستهزئ بقواهم ويريمهم عدم اهتمامه بخطتهم وأفكارهم وأصنامهم، وبهذه الطريقة كان يوجه ضربة نفسية عنيفة إلى

أفكارهم) (٥٦).

هذا من جانب نبي الله نوح عليه السلام ولنزولها على نبينا محمد صلى الله عليه وآله شاهد آخر له للتصبر والتسليّة لما وقع عليه وانه كان واقع على إخوانه من الأنبياء عليهم السلام، وهي كذلك دافع للاقتداء من لدن الصالحين في كل زمان، وإن مصير المعاندين الهوان، يقول ابن عاشور: (فذكر قصة نوح مع قومه عضة للمشركين وملقياً بالوجل والذعر في قلوبهم، وفي ذلك تأنيس للرسول وللمسلمين بأنهم إسوة بالأنبياء، والصالحين من أقوامهم) (٥٧).

٢. ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [سورة هود:

٥٦]. وهذا دليل آخر يستشهد بها الإمام عليه السلام وهي لنبي آخر من أنبياء الله تعالى وهو هود عليه السلام، ونلاحظ هذا التطابق الموضوعي لحركات المصلحين المعصومين، ومعنى الآية

(٥٦) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٦/ ٢٧٩.

(٥٧) التحرير والتنوير، ١١/ ١٣٧.



وهكذا نرى الأدلة والبراهين وإدخال الآيات القرآنية شواهد دامغة تمثل اللحمية في الخطبة، وقد ظهرها في خطب الإمام علي (عليه السلام) كما ظهرت أيضاً في خطب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهي تدل على أن الخطبة أصبحت أقرب إلى الحياة الواقعية وأكثر ارتباطاً بعضها ببعض من الخطب الجاهلية، المتشبه غالباً بأسجاع الكهان.

سادساً: (المقابلة والتمثيل) والدعاء وإعمال العقل: كما استعان الإمام بالأدلة الشائعة في الخطابة آنذاك، فانه توسل أيضاً بما يدعونه (المقابلة)، فهو إذاً أراد أن يمثل حبهم الدنيا والمناصب وتهاقتهم عليها وصفه بأنه كتهافت الفراش الذي يسرع إلى النار ليحترق بها، وهذا دليل رعونتهم وظلالهم ونهايتهم المحزنة، فبعد أن ضاق ذرعاً بهم قال الإمام (عليه السلام) بعد أن رفع يديه إلى السماء: (اللهم احبس عنهم مطر السماء، وابعث عليهم سنين كسني يوسف وسلط عليهم غلام ثقيف يسقيهم كأساً مصبرة).

لأنهم خذلوه وكذبوه؛ وهذا

الكريمة محل الشاهد والتي على لسان النبي هود (عليه السلام) لقومه العاصين؛ يقول الشيرازي في تفسيرها: (إنني لا أقول إلا الحق والصدق، وان قلبي مرتبط بعالم آخر، فلو فكرتم جيداً لكان هذا وحده معجزاً حيث ينهض إنسان مفرد وحيد بوجه الخرافات والعقائد الفاسدة في مجتمع قوي ومتعصب، ولكنه في الوقت ذاته لا يشعر في نفسه بالخوف منهم، ولا يستطيع الأعداء أن يقفوا بوجهه! ثم يضيف: لستم وحدكم في قبضة الله فإنه ﴿مَأْمِنٌ دَابَّةً إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾، فما لم يأذن به الله، لا يستطيع احد أن يفعل شيئاً<sup>(٥٨)</sup>.

وهذه الأدلة القاطعة، والبراهين المنطقية، ضرورة للتأثير في الخطابة، لأنها تضع السامع أمام واقع يشاهده ويلتمسه بحواسه، وتسهم في إقناعه عن طريق العقل والمنطق.

(٥٨) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، /٦، ٣٩٠.



التكذيب والخذلان بطبيعة الحال هو تكذيب وخذلان لمبادئ الإسلام وأساس الإيمان عند التفكير في بواعث النهضة الحسينية.

كل هذا الدعاء المؤثر يرمز إلى إن انتصارهم هو انتصار الباطل على الحق، ويؤدي بهم إلى تمثل الخزي الذي لحق بهم.

ودعاء المصلحين لا ينبع من غضب فارغ، أو لفوات منفعة آنية، بل هو لأجل الإصلاح وان كان هذا الإصلاح آجلاً في موعده؛ فهم يطلبون تفكيك العقبات التي تقف حائلاً أمام ولوج الإصلاح إلى مظانه، ومن هذه الموانع الإصلاحية وجود هكذا طغاة منحرفين عن الجادة الحق، فإبادتهم فتح لنور الشمس ليصل إلى غيرهم ممن حرموا إياه بسبب وقوفهم وصددهم.

وهذا نبي الله نوح عليه السلام يدعو على قومه العاصين المنحرفين، قال تعالى:

﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْكَافِرِينَ دِيَارًا ﴾ [سورة نوح: ٢٦]، ثم يتضح سبب هذا الدعاء وتبريره في قوله تعالى:

﴿ إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾؛ وهنا تشير الآية إلى (إن دعاء الأنبياء ومن بينهم نوح عليه السلام لم يكن ناتجاً عن الغضب والانتقام والحقد، بل انه على أساس منطقي، وإن نوحاً عليه السلام ليس ممن يتضجر ويضيق صدره لأوهن الأمور فيفتح فمه بالدعاء عليهم) (٥٩).

وهذا ما نلاحظه أيضاً عند وارث الأنبياء الإمام الحسين عليه السلام وما تقدم من دعاءه على الظالمين، فظالم الحسين الذي لم يحفظ حرمة الإمام لا يمكن أن يحفظ حرمة احد من المسلمين مع علو وشرف الإمام الحسين عليه السلام وهو من لا ابن بنت نبي على وجه الأرض غيره.

واستعمل الإمام عليه السلام في تعبيره المتقدم ما فيه إثارة العقل وإعماله ودعوة إلى التفكير، بما ضرب من أمثلة؛ وهذا أسلوب قرآني بامتياز كما يتضح من آيات القرآن الكريم (٦٠).

(٥٩) ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٩ / ٥٠.

(٦٠) على سبيل المثال ينظر: [سورة الروم: ١٠]، [سورة الإسراء: ١٦]، [سورة الحج: ٤٦]....



كان (المشركون من قوم شعيب يجاربون دعوته ويصدون عن دينه، مستخدمين إمكاناتهم الإعلامية، فاختدوا يجذبون الناس من إتباعه...، وفي هذا إشارة ظاهرة إلى شدة تمسك هؤلاء الكفار بباطلهم، وحرصهم عليه، وتواصيهم برفض الإيمان، وعداوة نبي الله والمؤمنين)<sup>(٦٢)</sup>.

وهكذا كان الجهل بمبادئ الدين الإسلامي الحق، وهكذا كان يعمل أهل التضليل وباسم الدين بعملية التضليل الديني التي (تكفل بإيجاد تبرير ديني للوضع الاجتماعي الشاذ الذي كان عليه المجتمع الإسلامي، وأريد منه حمل الجماهير المسلمة على السكوت عن النقد والقعود عن محاولة تغيير الوضع إلى مستوى أحسن)<sup>(٦٣)</sup>، ومن خلالها استطاع الأمويون تحشيد الجيوش للقضاء على رسالية الثورة الحسينية،

(٦٢) نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ٣ / ٦١.

(٦٣) محمد مهدي شمس الدين، ثورة الحسين، ص ١٠٠.

والخطيب الرسالي الناجح في خطبته هو الذي يعتمد المنطق في تحليله وأمثلته لإثارة العقول، وقد يتحقق الإبداع الخطابي ويظهر في قدرة الخطيب على اكتشاف النتائج التي تستميل عقول السامعين وتؤثر في نفوسهم تأثيراً عميقاً.

سابعاً: الانحراف العقائدي للقوم واليأس منهم: يظهر واضحاً الحالة التي يعبر عنها الإمام عليه السلام في النهاية وهي مفعمة باليأس من القوم الضالين الذين زين لهم الشيطان أعمالهم فحسبوا أن في قتل الحسين أجراً وجزاءً فكانوا مصداق قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾ [سورة فاطر: ٨]، وسوء الفهم وتلبس الشيطان والانحراف هذا هو المفتاح لكل مصائب الأقوام الضالة والمعاندة، الذين يرون أعمالهم القبيحة أعمالاً جميلة، وذلك لانسجامها مع شهواتهم وقلوبهم المعتمة)<sup>(٦١)</sup>.

وهكذا هو ديدن المعاندين، فمن قبل

(٦١) ناصر مكارم الشيرازي، الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٤ / ٢٢.



مستعينين بحالة غياب الوعي وشيوع الجهل الذي خلفته السقيفة، ونلمس هذا الزيف في قول عمرو بن الحجاج الزبيدي - من قادة الجيش الأموي - يحفز الناس لمواجهة الإمام الحسين (عليه السلام) حين وجد منهم تردداً وتباطؤاً عن الأوامر قائلاً:

(يا أهل الكوفة ألزموا طاعتكم وجماعتكم، ولا ترتابوا في قتل من مرق من الدين، وخالف الإمام) (٦٤). فالدين في دعوى الأمويين طاعة يزيد ومقاتلة الحسين (عليه السلام).

فكانت النتيجة الزحف والقتال لأن الأمة في سبات لا يُنهضها منه إلا صدمة ودم، وليس صدمة كالصددمات ولا دماً كالدماء، وهي بحاجة إلى هداية من نوع آخر لا تتحقق ولا يتحقق فيها الرشد في عصرها وما بعده إلا من كان فيه نفس الرسول ورسالته الإصلاحية عند انعدام الرسول (عليه السلام)؛ انه الحسين فحسب، فقال (عليه السلام): (ألا واني زاحفٌ بهذه الأسرة، على قلة العدد، وخذلان الناصر... والله

(٦٤) ظ: الطبري، تاريخ الطبري، ٤ / ٣٣١.

لا يدع أحداً منهم إلا انتقم إليّ منه، قتلةً بقتلة، وضربةً بضربة، وانه ليتصر لي ولأهل بيتي وأشياعي...) (٦٥).

وهو (عليه السلام) متألم على هؤلاء القوم الضالين الظالمين، أسفاً على مصيرهم وعاقبتهم الحتمية في جهنم، وإن يكن (عليه السلام) السبب الذي يؤدي إلى سوء عاقبتهم مع ظلمهم إياه وجرأتهم عليه (٦٦).

وهذا ليس بغريب على وارث الأنبياء (عليهم السلام)، فذاك جدّه الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) يتألم ويتحسر على مصير الضالين والكافرين، فيقول الله سبحانه له: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ﴾

[سورة فاطر: ٨]، والآية واضحة الإشارة على شدة تحرق الرسول (صلى الله عليه وآله) على الضالين والمنحرفين، وكذلك (هي حال الفائد الإلهي المخلص يتألم لعدم تقبل

(٦٥) المجلسي، بحار الأنوار، ٤٥ / ١٠. قال الزهري: (ما بقي من قتالي الحسين إلا وعوقب في الدنيا، أما بالقتل أو العمى)، العلامة الحلي، منهاج الكرامة، ص ٨٢.

(٦٦) ظ: لجنة التأليف، أعلام الهداية (الإمام الحسين)، معاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت، ط ٦، بيروت، ٢٠٠٩.



أي إذا كان من الواجب أن نتوكل عليه ونحن مؤمنون به وقد هدانا سبلنا فلنصبرن على إيدائكم لنا في سبيل الدعوة إليه متوكلين عليه حتى يحكم بما يريد ويفعل ما يشاء من غير أن نأوي في ذلك إلى ما عندنا من ظاهر الحول والقوة<sup>(٦٨)</sup>.

والقرآن الكريم يوضح هذا المبدأ في منهجه التربوي، حيث جعل صفة كظم الغيظ من صفات المتقين، وهذا هو (مفهوم القيم كما يقررها المنهج القرآني من أن مكانة المرء تتحدد بقوة إيمانه لا بعنجهية سلطانه، وان تقوى الله هي التي تسمو بالإنسان إلى أعلى الدرجات من الإكرام والتبجيل)<sup>(٦٩)</sup>، وان الإيمان هو المعيار الحقيقي الذي تقاس به منزلة المؤمن والمسوغ الذي يرشحه لقيادة الأمة.

ولكن يقال ذلك الخلق الرفيع والمفهوم الإيماني في تحمل الأذى والصبر

الناس الحق وتسليمهم للباطل، وضربهم بكل أسباب السعادة عرض الجدار، إلى حد كان روحه تريد أن تفارق بدنه)<sup>(٦٧)</sup>.

ومع كل هذا لقد أبى القوم إلا الإصرار على حربه والتماذي في باطلهم، وأجابوه بمثل ما أجاب به أهل مدين نبينهم كما حكى الله عز وجل عنهم في كتابه الكريم: ﴿ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِنَاكَ فِيْنَا ضَعِيفًا ﴾ [سورة هود: ٩١].

(... وأنت ياربنا عليك توكلنا واليك المصير) هكذا ختم السبب الإمام خطبته مع الظالمين المنحرفين بالتوكل والصبر على الأذى في جنب الله تعالى، وهكذا ختم الرسل كلامهم مع طغاة عصرهم وظالمهم، قال تعالى: ﴿ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [سورة إبراهيم: ١٢].

وفي تفسير قول الرسل لقومهم يقول السيد الطباطبائي: (من تفرغ الصبر على ما بين وجوب التوكل عليه

(٦٨) الميزان في تفسير القرآن، ١٢ / ٢٨.

(٦٩) احمد جهان الفورتيه، القرآن أصل التربية، ص ٦٨.

(٦٧) ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٤ / ٢٤.





عليه، يبرز أماننا مفهوم آخر يُجده المقام في اتخاذه منهجاً وسيلاً عندما لا تكون جدوى من المفهوم الأول، وذلك هو الجهاد والتصدي للطغيان والظلم، فأيات الله في القرآن صريحة واضحة في التحريض على القتال لاستنقاذ المظلومين من الرجال والنساء والأولاد الذين لا يجدون حيلة للتحرر من الاستغلال والاستعباد، قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ [سورة النساء: ٧٥]، فنلاحظ هنا (الحث على القتال الذي لا بد منه لكونه في سبيل الحق أي وماذا ثبت لكم من الأعذار في حال ترك القتال حتى تتركوه؟. أي لا عذر لكم ولا مانع يمنعكم أن تقاتلوا في سبيل الله، لإقامة التوحيد مقام الشرك، وإحلال الخير محل الشر، ووضع العدل والرحمة، في موضع الظلم والقسوة)<sup>(٧٠)</sup>.

وهكذا كان القرار الحاسم الذي اتخذه الإمام الحسين عليه السلام في التصدي للشر وبذل النفس في سبيل الله وبكل ما

(٧٠) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ٥ / ٢٢٠.

تحمل كلمة سبيل الله من معنى، وأول ما يلاحظ في هذا القرار أن الحسين عليه السلام قد أنبأ الجميع برؤيته للمصير المرتقب، فقد كتب إلى أخيه محمد بن الحنفية بخاصة، وإلى بني هاشم بعامه، وبنسخة واحدة برسالة معبرة، كان فيها: (أما بعد، فكأن الدنيا لم تكن، وكأن الآخرة لم تنزل، والسلام)<sup>(٧١)</sup>.

ولك أن تعجب من بلاغة هذه الرسالة القصيرة التي جاءت سطرًا واحدًا، ولك أن تقف مترصدًا لدلالاتها الإيجابية الصارخة، فالحسين عليه السلام فيها ينعى لأخيه وبني عمومته نفسه، فهو يودع الدنيا وداع مؤمن بفنائها، ويستقبل الآخرة استقبال متيقن بخلودها، وهكذا كان<sup>(٧٢)</sup>.

وفي موضع آخر للأثر القرآني في الخطاب الحسيني في تشخيص أسباب الفشل والانحطاط التي أصابت الأمة كمجتمع وافراد، نلحظه في قوله عليه السلام:

(٧١) ابن قولويه، كامل الزيارات، ص ٧٥.  
(٧٢) ظ: د. محمد حسين الصغير، الإمام الحسين عليه السلام عملاق الفكر الشوري، ص ٩١.



## الأثر القرآني في فكر الإمام الحسين (عليه السلام) ..... (التصنيف)

وعدم البذل هو الحرص، والحرص من اسباب الشقاء والعناء في هذه الحياة، يقول الإمام علي عليه السلام: (الحرص عناء مؤبد) (٧٥).

وبأدنى ملاحظة عندما ندرس حالات الذين يعيشون الحرص والطمع في حركة الحياة نرى مدى التعب والشقاء الذي يعيشه هؤلاء ليل نهار في سبيل جمع الاموال والزخارف الدنيوية من دون الاستفادة منها، ومن ثم الانشغال بهذه الحياة وتمتعها وبالتالي التعلق فيها وعدم المبالاة في الوقوف مع الحق او نصرته، بل الوقوف ضد الحق ومن ذلك موقفهم من الامام الحسين عليه السلام، وما دعى اليه من احقاق الحق.

وما ذاك إلا ان (الحرص من الامور التي تؤدي الى الكثير من الذنوب والخطايا والقبائح منها عدم مراعاة الحلال والحرام وترك احترام حقوق الاخرين والتلوث بأنواع الظلم والجور

(٧٥) الري شهري، ميزان الحكمة، ١ / ٥٨٦.

(فلا مالا بذلتموه ولا نفساً خاطرتم بها للذي خلقها ولا عشيرةً عاديتموها في ذات الله) (٧٣)، فنجد من جملة التشخيصات:

١. الشح: من اسباب الانحطاط والانحراف التي تصيب الانسان الفرد والمجتمع هو الشح، والامساك عن البذل فيما حولنا الله سبحانه من النعم، ومن هذه النعم هو المال، وقد نبه القرآن الكريم ان الانسان تارك ما حوّل، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكْتُمْ مَا حَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ [سورة الانعام: ٩٣]، ومعنى ذلك ان (الاموال التي وهبناها لكم وكنتم تستندون اليها في حياتكم، قد خلتموها وراءكم وجئتم صفر الايدي) (٧٤).

فإذا علم الانسان هذه الحقيقة وواقعيتها، ندرك ان سبب هذا الامساك

(٧٣) المجلسي، بحار الانوار، ١٠٠ / ٧٩.

(٧٤) ناصر مكارم الشيرازي، الامثل في تفسير

كتاب الله المنزل، ٤ / ٢٦٦.



والعدوان<sup>(٧٦)</sup>.

ومن الجدير بالذكر ان الإمام الحسين عليه السلام لم يحرص خطابه فقط في أهل الحرص، او الذين يؤدون حقوقهم الشرعية (خمس وزكاة) بل (يقصد شيئاً غير الحقوق الواجبة، لان بقاء الدين في بعض الاحيان يحتاج الى الانفاق من الاموال الشخصية، وحينئذ ليس من الصحيح ان نقول اننا قد ادينا حقوقنا الواجبة وليس على عاتقنا حق آخر)<sup>(٧٧)</sup>، فكان عليكم تحصين انفسكم والاجيال واستثمار الاموال في سبيل الله، وما سبيل الله الا سبيل الانسانية، والاسلام والعترة الطاهرة هما عين الانسانية وقيمها، والامام الحسين عليه السلام في خطابه للناس يبين ان من اسباب الانحراف هو عدم بذل المال، إذ كان من المحتم (ان تنفقوا من اموالكم في سبيل نشر الاسلام والحيلولة دون انتشار البدع والتصدي لأصحاب البدع، ولكنكم

(٧٦) ناصر مكارم الشيرازي، الاخلاق في القرآن، ٢/ ٨٠.

(٧٧) محمد تقي مصباح اليزدي، بارقة من سماء كربلاء، ص ١٢٩.

لم تفعلوا شيئاً من ذلك)<sup>(٧٨)</sup> فكان ان انحرفت الامة عن سواء السبيل، وهل يوجد اشد واقسى انحراف من ان تقتل ابن بنت نبيها!

٢. الحرص على الحياة: والملاحظ ان من اسباب الانحراف عن الدين والقيم السماوية، هو ايثار السلامة، فيقول عليه السلام: (... ولا نفساً خاطرم بها للذي خلقها..)، والتخاذل عن التضحية من اجل المبادئ لا يقل خطراً من عدم الانفاق في سبيل الله تعالى.

ومراد الإمام عليه السلام في المخاطرة بالنفس هو التصدي لإقامة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، اذ ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الاعظم في الدين وهو الهدف الهام الذي ابتعث الله له النبيين، ولو طوى بساطه واهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة واضمحلت الديانة وعمت الفترة وفشت الضلالة وشاعت الجهالة واستشرى الفساد واتسع الخرق وانا اليه راجعون اذ قد

(٧٨) المصدر نفسه.



## الأثر القرآني في فكر الإمام الحسين (عليه السلام) ..... المصباح

اصول الثقافة العربية، وكذا (اليوم حيث يُلاحظ وجود مثل هذه العقليات والترابط القومي والعشائري وتعصبات الاقارب بين الناس الذين يعيشون الاجواء القبائلية) (٧٩).

فمن المعلوم حث الاسلام على صلة الرحم ووجوبها، والتقارب بين أفراد العشيرة الواحدة او العائلة، ولكن لا يمكن ان تكون هذه الصلة وهذا التقارب على حساب المبادئ وصلة الدين التي هي اكبر واهم من اي صلة اخرى، اذ (ان الواجب الشرعي يقتضي احياناً ان يعادي الانسان ابناء عشيرته واقربائه) (٨٠).

وهذا العداة للمبادئ المنحرفة عن الدين ومنهج الاسلام القويم من علامات المؤمنين الرساليين، وهذا واضح في وصف القرآن لهم، قال تعالى: **لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ**

(٧٩) محمد تقي مصباح اليزدي، بارقة من سماء كربلاء، ص ١٣١.  
(٨٠) المصدر نفسه، ص ١٣٤.

اندرس من هذا القطب علمه وعمله والمحق بالكلية رسمه، فأستولت على القلوب مداهنة الخلق وانمحت عنها مراقبة الخالق واسترسل الناس في اتباع الهوى والشهوات استرسال البهائم.

فكان ان سعى الامام الحسين عليه السلام قولاً وعملاً في اقامة هذه الفريضة، عائباً على الناس وعلماهم اهمالها وتعطيلها، وحاتماً عليه السلام لتلافي هذه الفترة والسعي لسد هذه الثلمة اما متكفلاً بعملها او متقلداً لتنفيذها مجدداً لهذه الفريضة الدائرة ناهضاً بأعبائها ومتشمرراً في احيائها.

٣. العلاقات القومية والفتوية: يوضح الامام الحسين عليه السلام ان الالتفاف حول العشيرة والقومية بكل سلبياتها وتبني افكارها وتقاليدها امام مبادئ الاسلام ومرضاة الله تعالى من عوامل الانحراف عن الدين، فقال عليه السلام: (ولا عشيرة عاديتموها في ذات الله).

اذ كانت العلاقات القومية والعشائرية في ذلك الزمان اصلاً من



عَشِيرَتَهُمْ أُوتِيكَ كِتَابَ فِي قُلُوبِهِمْ  
الْإِيمَانَ ﴿ [سورة المجادلة: ٢٢].

فأولئك المنحرفون الذين خاطبهم الامام الحسين عليه السلام قد خالفوا ما وجه به القرآن المجيد ونبه اليه، فكانوا (يوالون من خالف الله ورسوله، والمعنى لا تجتمع موالاته الكفار مع الايمان، والمراد به الموالاتة في الدين)<sup>(٨١)</sup> لا الموالاتة تحت عنوان العشيرة والقومية، والبراءة والمعاداة تكمن في حقيقتها في الترك القلبي والفعلي للكافرين والظالمين والفاسقين، وعدم اتباع مناهجهم وسلوكياتهم وافكارهم الضارة بالدين والمجتمع.

وبكلمة اخيرة... ان الإمام الحسين عليه السلام في هذا المقطع من خطبته (محل البحث) شخص ابرز مظاهر الانحراف عن قيم السماء، وكذلك اكد عليه السلام على الأهمية البالغة في نبذها فهي من اخطر عوامل الضلال والاضلال، وان العامل على مجاهدة هذه الظواهر ممن رسخ في نفسه جوهر الاسلام بما

(٨١) الطبرسي، مجمع البيان، ٩ / ٣٠٥.

فيه من مبادئ عالية المضامين، ومن ثم يكون على الخط الذي شرعه الله سبحانه وسار على منهج سيد الشهداء عليه السلام، وبما ان صراع الحق مع الباطل لا يقف عند حدود زمانية معينة، فإن الامام عليه السلام ابلغ في مضامين خطبته عصرنا الحاضر وزماننا الشاهد، وهو بهذا حجة دامغة علينا.

ولا غرو فقد كان الحسين عليه السلام الامتداد الطبيعي للأنبياء ووارث رسالاتهم وحامل أهدافهم ومبادئهم، وسائر (الثورات والحركات المقدسة، قد ابتدأت في الحقيقة بالأنبياء العظام،.. أقاموا في سبيل مكافحة عبادة الأصنام والنضال ضد الظلم والاستبداد والجهل والتعصب والإسراف والتبذير والإفساد في الأرض والفحشاء والامتيازات الاجتماعية الوهمية)<sup>(٨٢)</sup>، (فهم عليه السلام من بادر إلى إقامة الكيان السياسي، ليس على مبدأ القوة أو الصراع الطبقي، وإنما على أساس شرائع سماوية ذات

(٨٢) د. حاتم جاسم السعدي، القيم التربوية في فكر الإمام الحسين عليه السلام، ص ٢٢.



وتحليلها وتفسير مرتكز الفكر السياسي الإسلامي، هي من أهم الأبحاث في هذا المجال، وكذلك بيان مدى العلاقة والارتباط بين السياسة والدين في إعطاء النتائج لقد اعتمدت الأديان الإلهية ثلاثة أهداف مهمة وأساسية في إستراتيجية عملها وهي:

١. إقامة القسط وهداية المجتمعات البشرية نحو تطبيق العدالة.
٢. الدعوة إلى الحق، وإيجاد الارتباط البناء والمتين بين الإنسان وربه.
٣. السير نحو التكامل، قال تعالى:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [سورة الحديد: ٢٥].

وكل واحد من هذه الأهداف الساوية وتعاليم الأنبياء، له ارتباط مباشر بقضايا السياسة، وهذه الأهداف ذاتها نلاحظها في النهضة الحسينية الرسالية كما تقدم -وهي لا تتحقق أبداً من دون أن يكون هناك فكر سياسي منسجم ومنتظم، وفلسفة

مناهج اجتماعية، تنظم حركة المجتمع على وفق قواعد الحق والعدل، وتوحد صفوفه في ظل قيادة رسالية (الأنبياء)، وهذا ما يمكن تسميته بالدولة، وعليه يكون الترابط بين ظاهرة النبوة وظاهرة الدولة ترابطاً سببياً وزمناً<sup>(٨٣)</sup>، فقد نشأت هذه الظاهرة على يد الأنبياء، ورسالات السماء، واتخذت صيغتها السوية، ومارست دورها السليم في قيادة المجتمع الإنساني، وتوجيهه من خلال ما حققه الأنبياء من أهداف في هذا المجال من تنظيم اجتماعي<sup>(٨٤)</sup>.

فالدعوة بحاجة إلى برامج وأيديولوجية موجهة ومنتظمة، لان كل مشروع أو تنظيم هو بنفسه عمل سياسي، فالهداية بمعنى التوجيه، والقيادة بمعنى إيصال جماعة إلى إيديولوجية وأهداف محددة ومرسومة من قبل، إنها هما الاصطلاح السياسي بنفسه.

فدراسة الأهداف السياسية للأنبياء  
 (٨٣) محمد علي الحكيم، الفكر السياسي المعاصر للشيعنة الأمامية، ص ٣٥.  
 (٨٤) ط: محمد باقر الصدر، الإسلام يقود الحياة، ص ١٣.



سياسية واضحة متكاملة؛ وعلى هذا، فإن هداية الأنبياء هي بمعنى القيادة الرسالية، وبذلك هي عمل سياسي محض، وإن أئمة أهل البيت هم ورثة الأنبياء، ولا مجال لأي شبهة تثار هنا أو هناك بان الإمام الحسين عليه السلام طالب دنيا وسلطان، ومعالم خطبته شاهد لا ينكره إلا معاند ظلوم، وموقعه من الأمة موقع القائد الهادي، والعالم المعصوم، والمصلح الرسالي، الذي اتخذ من القرآن منهجاً عملياً في نهضته المباركة، تحقيقاً للعدل الإلهي ولو بعد حين، ومناراً للثائرين ومساراً يعزز (الكثير من طموح الشعوب المستغلة من أجل إنهاض هذه الشعوب وإيقاد فتيل الثورة للإطاحة بالنظم المستبدة وإيجاد المجتمعات السليمة التي تحقق للشعوب حريتها وكرامتها وطموحاتها في التخلص من الاستغلال وتطوير الحياة وما يضمن لتلك الشعوب أمنها ورفاهيتها) <sup>(٨٥)</sup>.

(٨٥) هاشم معروف الحسني، من وحي الثورة الحسينية، ص ٤٥.

وبهذا لا يمكن أن يطلب الإمام عليه السلام (فتحاً عسكرياً، وإنما كان يطلب في خروجه تحريك ضمائر المسلمين وإثارة الضمائر والنفوس والعواطف والعقول بفعل المأساة المفجعة التي واجهها الحسين عليه السلام على يد جيش بني أمية في كربلاء) <sup>(٨٦)</sup>.

إذن لا يمكن النظر إلى ثورة كربلاء وخطب الإمام الحسين عليه السلام فيها على أنها حدث تاريخي كغيره من الوقائع التي سجلها التاريخ والتي نتجت عن تضافر ظروف سياسية وفكرية لتعبر عن موقف اللحظة أو المحطة التي اقتضت تغييراً بهذا الأسلوب الفريد الذي لم تشهده كل تجارب الأمم والشعوب السابقة والذي لن يتكرر بكل عناصره وخصوصياته ذلك أن هذه النظرة ستخرج قضية كربلاء عن كونها منهجاً كاملاً وأسوة صالحة للاقتداء بها واتباعها في كل وقت، فهي ثورة قرآنية عملية تجسدت في شخص الإمام الحسين عليه السلام، وممتدة

(٨٦) محمد مهدي الآصفي، في رحاب عاشوراء، ص ٢٩٤.



- أفقياً مع المنهج القرآني، ولعل الإشارة إلى هذا المعنى كانت واضحة وتامة في المقولة المشهورة: (كل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء)<sup>(٨٧)</sup>، فهو عليه السلام (شموخ مع التاريخ وصمود مع الأجيال يتجلى بكل وضوح في أفق الحياة الواسع ومع سير الزمن السرمدي لا يطويه دوران الأيام ولا تنسيه الدهور والأعوام)<sup>(٨٨)</sup>، وكذلك هو القرآن الكريم لا يمكن فصله عن الحياة في كل جزئياتها.

والحمد لله رب العالمين

#### الخاتمة:

نتائج البحث:

- من خلال هذه الرحلة القرآنية الحسينية، وبين الجانب النظري والواقع العملي، أضع بين يدي القارئ الكريم أهم نتائجها، وهي كالآتي:
- (٨٧) بقدر تتبع الباحث لم يعثر على تخرّيج هذا الحديث من الكتب الروائية. ظ: محمد رضا الجلالى، الإمام الحسين عليه السلام سواته وسيرته، دار المعرفة، قم، (دت)، ص ١٩٩.
- (٨٨) هاشم معروف الحسني، من وحي الثورة الحسينية، ص ٤٣.





١. التناص المباشر مع آيات نصره الحق وإزهاق الباطل، والوقوف إزاء الظلم والفساد والطغيان.
٢. تمثّل مضامين الآيات وتجسيدها في خطابات نهضوية تمثل أقصى مراتب البلاغة الثورية والفصاحة الحركية.
٣. إرشاد الأمة إلى الجوانب المعطّلة من القرآن الكريم عندهم والمهمّلة فيهم.
- قائمة المصادر:**
- خير ما نبدأ به القرآن الكريم.
١. ابن الأثير: عز الدين أبي الحسن علي ابن أبي الكرم محمد بن عبد الواحد الشيباني (ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٥م.
٢. أحمد رجب الأسمر، فلسفة التربية في الإسلام انتفاء وارتقاء، دار الفرقان، الأردن، ١٩٩٧م.
٣. البخاري (ت ٤٥٦هـ) محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البنا، دار ابن كثير، بيروت، ط ٣، ١٩٨٧م.
- للإصلاح والبناء، ونصوصه داعمة إلى النهوض ضد الاستبداد والطغيان.
- إن هدف الأثر القرآني هو تجسيد معنى الاستخلاف بتحقيق العبودية المطلقة لله تعالى وإعداد المسلم إعداداً هادفاً وتربيته تربية سامية مستمرة.
- التراث هو الذي يحمل عناصر الأصالة، ومن خلاله يتعلم الإنسان أسلوب حياته وأنماط سلوكه وقيمه وعاداته وتقاليده، فهو أصالة في المعرفة وعمق في التفكير، وأساس ويطيد لكل جديد، وزرع الثقة بالنفس، والوسيلة الفعالة للتقدم والتطور.
- انضح من نصوص القرآن الكريم إن القيمة الروحية التي يتقرب بها الإنسان إلى الله سبحانه هي التجسيد العملي للتقوى الفكرية والسلوكية.
- تجلّى الخطاب القرآني عند الإمام الحسين عليه السلام قولاً وعملاً على مستوياتٍ عدة:



الأثر القرآني في فكر الإمام الحسين (عليه السلام) ..... (المصباح)

٤. الألوسي أبو الفضل شهاب الدين (ت ١٢٧٠هـ) روح المعاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٩م.
٥. أنور الجندي، مفاهيم العلوم الاجتماعية والنفس والأخلاق في ضوء الإسلام، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٧٧م.
٦. حاتم جاسم السعدي (الدكتور)، القيم التربوية في فكر الإمام الحسين (عليه السلام)، العتبة الحسينية المقدسة، العراق، ٢٠١٣م.
٧. ابن شعبة الحراني، تحف العقول، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المشرفة، ١٤٠٤هـ، ط ٢.
٨. أبو السعود (ت ٩٨٢هـ) محمد الحنفي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م.
٩. الطبرسي: الفضل بن الحسن (ت: ٥٤٨ هـ)، أعلام الوري بأعلام
- الهدى، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٩.
١٠. الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، تاريخ الطبري (الأمم والملوك)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
١١. محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ، بيروت، (د. ت).
١٢. عباس علي عميد الزنجاني، الفكر السياسي الإسلامي المبادئ والأطر العامة، تعريب: ضياء الدين الخزرجي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ٢٠١٠م.
١٣. عباس محمود العقاد، أبو الشهداء الحسين بن علي، دار المعرفة، بيروت، (د. ت).
١٤. عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٥م.
١٥. علي خليل أبو العينين، منهجية البحث في التربية الإسلامية، مجلة

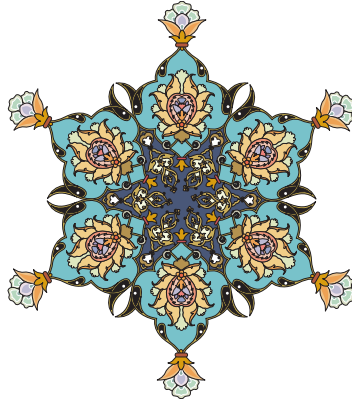


- رسالة الخليج العربي، السنة الثامنة،  
١٩٨٨م، العدد ٢٤.
١٦. الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب  
بن إسحاق الرازي (ت: ٣٢٩هـ)،  
الأصول من الكافي، تحقيق: علي  
أكبر غفاري، دار الكتب الإسلامية،  
ط٤، ١٣٦٥هـ.
١٧. لجنة التأليف، أعلام الهداية (الإمام  
الحسين)، معاونية الثقافية للمجمع  
العالمي لأهل البيت، ط٦، بيروت،  
٢٠٠٩.
١٨. المجلسي محمد باقر (ت ١١١١هـ)،  
بحار الأنوار الجامع لدرر أخبار  
الأئمة الأطهار، تحقيق: السيد  
إبراهيم الميانجي ومحمد الباقر  
البهبودي، مؤسسة الوفاء، بيروت،  
ط٢، ١٩٨٣.
١٩. مقداد بالجن، التربية الأخلاقية  
والإسلامية، مكتبة الخانجي،  
القاهرة، ١٩٧٧م.
٢٠. محمد باقر البهبودي، قال رسول  
الله: حسين مني وأنا من حسين،  
ترجمة: جعفر بهاء الدين مرزه،
- مؤسسة أهل البيت، بيروت،  
١٩٨١م.
٢١. محمد باقر الصدر، الإسلام يقود  
الحياة، دار الزهراء، بيروت، ط٦،  
١٩٨٧م.
٢٢. سيقى هذا الصوت خالداً!. مجلة  
النشاط الثقافي، تصدرها جمعية  
التحرير الثقافي في النجف، السنة  
الأولى، ١٩٥٧م، العدد الأول.
٢٣. محمد تقي المدرسي، من هدى  
القرآن، دار القارئ، بيروت، ط٢،  
٢٠٠٨م.
٢٤. محمد حسين فضل الله، تفسير من  
وحي القرآن، دار الملاك، بيروت،  
ط٣، ٢٠٠٧م.
٢٥. محمد حسين الطباطبائي، الميزان في  
تفسير القرآن، دار الكتاب العربي،  
بغداد، ٢٠٠٩م.
٢٦. محمد حسين الصغير (الدكتور)،  
الإمام الحسين عليه السلام عملاق الفكر  
الثوري دراسة في المنهج والمسار،  
مؤسسة العارف للمطبوعات،  
بيروت، ٢٠٠٢م.



الأثر القرآني في فكر الإمام الحسين (عليه السلام) ..... المصباح

٢٧. محمد رضا الجلاي، الإمام الحسين عليه السلام سماته وسيرته، دار المعرفة، قم، (د.ت).
٢٨. محمد رشيد رضا، تفسير القرآن العظيم المعروف بتفسير المنار، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).
٢٩. المفيد: الشيخ محمد بن محمد بن النعمان ابن المعلم أبي عبد الله العكبري البغدادي (ت: ٤١٣هـ)، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، تحقيق: مؤسسة آل البيت: (د.ت).
٣٠. ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٥م.
٣١. نبيه يس، أبعاد متطورة في الفكر التربوي، القاهرة، مطبعة الخانجي، (د.ت).
٣٢. نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، ٢٠١٠م.



# النص القرآني

## في روايات الإمامين الجوادين عليهما السلام

### (دراسة ومعجم)

أ.م.د. علي عباس الاعرجي  
كلية الاداب - جامعة القادسية

#### المقدمة:

في ما روى عنه في ذلك فهو المفسر الأول للقران الكريم، ولكن أحتاج القران إلى تفسير وقد أنزله الله نورا وهدى وتبانا لكل شيء، ونزل ليكون بنفسه أحسن تفسيراً؟.

يقول الأستاذ معرفة: (أنزل الله الكتاب ليكون بذاته بيانا للناس عامة وتفصيلا لكل شيء غير أن بواعث الإبهام أمر عارض، ولعله كان من طبيعة البيان القرآني جاء تشريعا للأصول والمباني، وأجمل في البيان إيكالا إلى تبين النبي صلى الله عليه وآله ليبيّن للناس تفاصيل ما نزل

تميز القران الكريم عن باقي الكتب في كونه المعجزة ومصدر التشريع خلاف باقي الكتب السماوية، فلكل نبي رسالة ومعجزة إلا الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله فمعجزته عين رسالته، ورسالته عين معجزته، وهو القران الكريم.

وبحسبان هذا الأمر أصبحت المهمة مضاعفة على المسلمين، بمدارسته وتدبره، وتفسيره وتأويله، وعلى الأقل تجويد تلاوته.

وتعدّ البذرة الأولى لتفسير القران الكريم زمن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله تتمثل

النص القرآني في روايات الامامين الجوادين (عليهما السلام) ..... (التصنيف)

مثال ذلك: (ما جاء من طريق العامة والخاصة أن قدامة بن مظعون شرب الخمر، فأراد عمر أن يحده، فقال له قدامة: لا يجب على الحد، لأن الله تعالى يقول: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (فدرأ عمر عنه الحد، فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فمشى إلى عمر فقال له: لم تركت إقامة الحد على قدامة في شرب الخمر؟. فقال: إنه تلا علي الآية: وتلاها عمر، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ليس قدامة من أهل هذه الآية، ولا من سلك سبيله في ارتكاب ما حرم الله، إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لا يستحلون حراما، فاردد قدامة واستتبه مما قال، فان تاب فأقم عليه الحد، وإن لم يتب فاقتله فقد خرج عن الملة فاستيقظ عمر لذلك، وعرف قدامة الخبر، فأظهر التوبة والإقلاع، فدرأ عمر عنه القتل، ولم يدر كيف يحده، فقال لأمر المؤمنين عليه السلام: أشر علي في حده فقال: حده ثمانون، إن شارب الخمر إذا شربها سكر، وإذا سكر

إليهم) (التفسير والمفسرون ١ / ١٥). قال الإمام الصادق عليه السلام (... إن رسول الله ﷺ نزلت عليه الصلاة ولم يسم لهم ثلاثا ولا أربعا، حتى كان رسول الله ﷺ هو الذي فسّر لهم ذلك) (الكافي/ ٢٨٦) وكفى به شاهدا. ولكن ما ورد عنه عليه السلام: في التفسير قليل وهذا ما دعا الالوسي الى أن يقول (إن ما ورد عنه عليه السلام في التفسير كالكبريت الأحمر) (روح المعاني: ١ / ٦). لذا اتجه المسلمون إلى ما ورد عن الصحابة وأهل بيته الكرام، أما ما ورد عن الصحابة فلا يمكن الاعتداد به لسبب بسيط إنهم متفاوتون في فهمهم القرآن الكريم واختلاف استعداداتهم وتوفيقاتهم، فمنهم من يقف عند ألفاظه وعموم خطابه، وهذا الاختلاف في مستوى الفهم والعلم قد ينتج عنه اختلاف وقصور في فهم الآيات وتفاوت في تفسيرها، فضلا عن اختلاف الصحابة في مقدار الصحبة وظروفها وبالتالي مقدار العلم الذي حملوه من رسول الله ﷺ (منهج النقد في التفسير: ٤٤).



هذي، وإذا هذي افترى، فجلده عمر  
ثمانين وصار إلى قوله ﷺ في ذلك) (بحار  
الأنوار، المجلسي: ٧٦ / ١٥٩-١٦١).

فلا يبقى إلا أهل البيت ﷺ لأنهم  
المعين الثرّ والبحر الذي لا ينضب  
كيف لا وقد أذهب الله عنهم الرجس  
وطهرهم تطهيرا، وهم خلفاء  
الرسول ﷺ، وهم حملة علمه، ولم  
يثبت أو يرو عن واحد منهم تناقضا  
في تفسير، أو توجيه لآية قرآنية واحدة،  
وقد نسبت لابن عباس-وهو حبر  
الأمة- أقوالا لا تقبل توفيقا ولا تسوية  
(مذاهب التفسير الإسلامي: ١٠٤).

فأهل البيت ﷺ هم شارحو القرآن  
الكريم و سنة الرسول ﷺ، بعد تطور  
العقلية العربية، وإسلام الكثير من  
الموالي الذين جلبوا معهم العلوم  
العقلية كالمنطق والفلسفة اليونانية  
فظهرت كثير من الإشكالات الفكرية  
والعقائدية كالجبر والتفويض، وقضية  
خلق القرآن فكان لا بدّ من الرجوع إلى  
النبع الصافي لحل هذه الإشكالات وهم  
أهل البيت ﷺ وكانوا بدورهم يرجعون

الناس إلى القرآن الكريم لحل كثير من  
هذه الإشكالات فيستدلون لهم بأي  
القران الكريم.

### الوضع في التفسير<sup>(١)</sup>:

كان الوضع والتزوير من أهم اسباب  
الوهن في التفسير المأثور.

فقد كانت الدواعي متوافرة للدسّ  
والاختلاق في المأثور من التفسير، الى  
جنب الوضع في الحديث، فهناك اسباب  
سياسية واخرى مذهبية وكلامية، وربما  
عاطفية، كانت عن قصور النظر لا عن  
سوء نية.

والعمدة ان القرآن كان المحور  
الاساس الذي يدور عليه رحى الدين  
والسياسة والسلوك انذاك، فلا بد لكل  
منتحلي مسلك من المسالك ان يتشبث  
بعرى القرآن، ويجعل من آياته الكريمة  
وسيلة ناجعة لبلوغ اهدافه ان خيرا وان  
شرا، الامر الذي جعل من سوق الكذب  
والتزوير في التفسير والحديث رابحة  
ذلك العهد.

وقد بدأ هذا الامر على يد معاوية،

(١) التفسير والمفسرون، معرفة: ٢ / ٣٣.



اشتد الاختراع واستفاض بعد مبايعة الامام امير المؤمنين عليه السلام فانه ما كاد المسلمون يبايعونه بيعة تامة، حتى ذرّ قرن الشيطان الاموي ليغتصب الخلافة من صاحبها، ويجعلها حكما امويا، وقد كان واسفاه<sup>(٤)</sup>!

وفي ذلك يقول الامام الشيخ محمد عبده: وتوالت الاحداث بعد الفتنة الكبرى، ونقض بعض المبايعين للخليفة الرابع الامام الامام امير المؤمنين عليه السلام ماعقدوا، وكانت حروب بين المسلمين انتهى فيها امر السلطن الى الامويين! غير ان بناء الجماعة قد انصدع، وانفصمت عرى الوحدة بينهم، وتفرقت بهم المذاهب في الخلافة، واخذت الاحزان في تأييد ارائهم، كل ينصر راية على رأى خصمه بالقول والعمل، وكانت نشأة الاختراع في الرواية والتاويل، وغلا كل قبيل<sup>(٥)</sup>.

إذ كان يجعل الجعائل على وضع الحديث او قلبه تمشية لسياسته الغاشمة ذلك الحين<sup>(٢)</sup>، وراج ذلك طول عهد الامويين وبعدهم العباسيين؛ حيث اخذ بالتوسع والاطراد.

قال الاستاذ الذهبي: وكان مبدا ظهور الوضع في سنة احدى واربعين بعد وفاة الامام امير المؤمنين حيث اختلف المسلمون سياسيا، وتفرقوا شيعا، ووجد من اهل البدع والاهواء من روجوا من لبدعهم وتعصبوا لاهوائهم، ودخل في الاسلام من تبطن الكفر والتحف الاسلام بقصد الكيد له وتضليل اهله، فوضعوا ما وضعوا من روايات باطلة ليصلوا بها الى اغراضهم السيئة ورغباتهم الخبيثة<sup>(٣)</sup>.

قال الاستاذ ابو ريّة: وقد اجمع الباحثون والعلماء المحققون، على ان نشأة الاختراع في الرواية ووضع الحديث على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انما كان في اواخر عهد عثمان وبعد الفتنة التي اودت بحياته، ثم

(٤) التفسير والمفسرون، معرفة، ١ / ١٥٨.

(٥) المصدر نفسه.

(٢) شرح النهج لابن ابي الحديد، ٤ / ٦٣.

(٣) التفسير والمفسرون، ١ / ١٥٨.





## وفرة الإسرائيليات في التفسير والتاريخ

### بما شوه وجه التفسير

لفظ الإسرائيليات يستعمله علماء التفسير والحديث ويطلقونه على ما هو أوسع وأشمل من القصص اليهودية، فهو في اصطلاحهم يدل على كل ما تسلل إلى التفسير والحديث من أساطير قديمة منسوبة في أصل روايتها إلى مصدر يهودي أو عبراني، والنسبة فيها إلى النبي إسرائيل، وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم أبو الأسباط الاثني عشر، وإليه ينسب اليهود، فيقال بنو إسرائيل.

وإنما أطلق علماء التفسير والحديث لفظ الإسرائيليات على كل ذلك من باب التغليب للون اليهودي على غيره؛ لأن غالب ما يروى من هذه الخرافات والأباطيل يرجع في أصلها إلى مصدر يهودي، واليهود كانوا أشد أهل الكتاب صلة بالمسلمين وثقافتهم كانت أوسع من ثقافات غيرهم..<sup>(٦)</sup>.

(٦) الإسرائيليات في التفسير والحديث، محمد حسين الذهبي، ط ٢، دار الأيمان، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م: ٢١.

وربما كانت الإسرائيليات من باب النسبة إلى كتب بني إسرائيل المجموعة باسم العهد القديم الذي يأخذ منه اليهود والنصارى على سواء، باعتباره كتاباً مقدساً لديهم وهو المصدر لهم فيما يرجع إلى قصص الأنبياء والأمم السابقة على المسيح ﷺ وهي تشكل القسم الأساس من الروايات الإسرائيلية في التفسير والحديث.

وأطلق على ما نقل عن النصارى الذين دخلوا الإسلام، كعبد الله بن سلام، وقيم الداري وابن جريح وغيرهم، بالإسرائيليات لأنهم كانوا يرجعون في أكثر ذلك إلى كتب بني إسرائيل، وأسفار الأنبياء على وجه الخصوص.

وقد شكلت الإسرائيليات قسماً معتداً به من الروايات التفسيرية حتى عدها بعض الباحثين المصدر الرابع من مصادر الصحابة في التفسير بالمأثور<sup>(٧)</sup>.

على أساس أن بعض القضايا التي طرحت في القرآن تنفق مع ما طرح في

(٧) التفسير والمفسرون، الذهبي، ١ / ٦٤.



### تحكيم الرأي والاجتهاد:

قامت دعوة الإسلام على أعمال الفكر والعقل والتدبر في الآيات الافاقية و الانفسية، وفي آيات القران الكريم، واستنطاق معانيه، فالآيات تدعو الناس جميعا ممن شاهد عصر النزول أو غاب عنه إلى تعقل القران وتأمله وتدبره.

وإذا كان في القران تلك الدعوة، فان المفسرين هم أولى الناس بتلبية هذه الدعوة، لا سيما وان في القران تركيزا على عليّة القوم من أصحاب الفكر وأرباب العقل وأولي الألباب، وقد كان المسلمون منذ عصر الصحابة بل وحتى في زمن الرسول ﷺ يحاولون استلهام الفكر من القران الكريم وتلمس معانيه والسعي لتطبيقها في حياتهم<sup>(١٠)</sup>.

يقول الدكتور إحسان الأمين (ومن هنا عدّ الزركشي ضمن أمهات مآخذ التفسير بعد ذكر النقل عن

التوراة إلا أنها في القران موجزة والتوراة مفصلة، ولما كانت العقول دائما تميل إلى الاستيفاء والاستقصاء جعل بعض الصحابة ﷺ يرجعون في استيفاء هذه القصص التي لم يعرض لها القران من جميع نواحيها إلى من دخل دينهم من أهل الكتاب...<sup>(٨)</sup>.

ورأى آخرون أن من أسباب قبول الإسرائيليات ورواجها في كتب المفسرين هو حسن ظنهم في رواية تلك الأنبياء وأنهم لا يروون إلا الصحيح، وتعويلاً على ما رواه الأمام أحمد والبخاري والترمذي عن عمرو بن العاص - وهو من رواية الإسرائيليات - عن رسول الله ﷺ قال: (بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج)، ورواه أبو داود أيضاً بإسناد صحيح عن أبي هريرة - وهو من رواية الإسرائيليات أيضاً - عن رسول الله ﷺ أنه قال: (حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج) فترخصوا في روايتها كيف كانت...<sup>(٩)</sup>.

القاسمي: ١ / ٤١ ط٢، بيروت، دار

الفكر، ٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

(١٠) منهج النقد في التفسير: ١٠٧.

(٨) المصدر نفسه: ٦٥.

(٩) محاسن التأويل، محمد جمال الدين



رسول الله ﷺ والأخذ بقول الصحابي، والأخذ بمطلق اللغة... الرابع: التفسير بالمقتضى من معنى الكلام والمقتضب من قوة الشرع، قال (وهذا هو الذي دعا به النبي ﷺ لابن عباس في قوله (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل) وروى البخاري في كتاب الجهاد في صحيحه عن علي: هل خصكم رسول الله ﷺ بشيء؟ فقال: ما عندنا غير ما هذه الصحيفة أو فهم يؤتاه الرجل)<sup>(١١)</sup>. وقال الزركشي (وعلى هذا قال بعض أهل الذوق: للقران نزول وتنزل، فالنزول قد مضى، و التنزل باق إلى قيام الساعة، ومن هنا اختلف الصحابة في معنى الآية فأخذ كل برأيه على مقتضى نظره في المقتضى، ولا يجوز تفسير القران بمجرد الرأي والاجتهاد من غير أصل)<sup>(١٢)</sup> إلا أن هناك نوعين من التفسير بالرأي: نوع من التفسير بالرأي من غير دليل يقوم عليه، والنوع الآخر هو الذي يسنده برهان، والنوع الأول

(١١) المصدر نفسه.

(١٢) البرهان ٢ / ١٦١.

هو النوع الذي نهت عنه الروايات<sup>(١٣)</sup>، ويحسن في هذا المقام أن نورد بعض الأحاديث في هذا الشأن:

١. روى أبو جعفر الصدوق بإسناده عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله جلّ جلاله (ما آمن بي من فسر برأيه كلامي)<sup>(١٤)</sup>.

٢. وروي أيضا عنه (عليه السلام) (إياك أن تفسر القران برأيك، حتى تفقهه من العلماء، فانه ربّ تنزيل يشبه بكلام البشر، وهو كلام الله، وتأويله لا يشبه كلام البشر)<sup>(١٥)</sup>.

٣. وروي عن الإمام الرضا (عليه السلام) قوله لعلي بن محمد الجهم (لا تؤوّل كتاب الله (عز وجل) برأيك، فإن الله (عز وجل) يقول ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾<sup>(١٦)</sup>).

وغيرها من أحاديث يستشف

(١٣) منهج النقد: ١٠٨.

(١٤) الامالي: ٦، طبعة النجف.

(١٥) التوحيد للصدوق: ٢٦٤، طبعة بيروت.

(١٦) عيون أخبار الرضا: ١ / ١٥٣. وانظر:

بحار الأنوار، كتاب القران باب ١٠

ج ٨٩ / ١٠٧ / ١١٢.



**روايات الإمام الكاظم (عليه السلام):**

ما ورد من ألقابه في الروايات:

١. الكاظم.
٢. عبدا صالحا.
٣. العبد الصالح.
٤. أبو الحسن.
٥. أبو إبراهيم.

- أبو عبد الله الأشعري، عن بعض أصحابنا، رفعه عن هشام بن الحكم قال: قال لي أبو الحسن موسى بن جعفر (عليه السلام): يا هشام إن الله تبارك وتعالى بشر أهل العقل والفهم في كتابه فقال:

**﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۗ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾** [سورة الزمر: ١٧-١٨] يا هشام إن الله تبارك وتعالى أكمل للناس الحجج بالعقول، ونصر النبيين بالبيان، ودلهم على ربوبيته بالأدلة، فقال: **﴿ وَاللَّهُمَّ إِنَّكَ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ**

منها إن السر في منع التفسير بالرأي أمران (١٧):

**الأول:** التفسير لغرض المراء والغلبة والجدال، وهذا إنما يعمد إلى دعم نظريته وتحكيم رأيه الخاص، بما يجد من آيات متشابهة صالحة للتأويل إلى مطلوبه إن صحيحا أو فاسدا، غير أن الآية لا تهدف ذلك لولا الالتواء بها في ذلك الاتجاه.

**الثاني:** التفسير من غير استناد إلى أصل ركين، اعتمادا على ظاهر التعبير محضا، فإن هذا هو القول بلا علم، وهو ممقوت لا محالة، ولا سيما في مثل كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن ثم فإنه أيضا غير مأجور على عمله حتى لو أصاب المعنى؛ لأنه أورد أمرا خطيرا من غير مورده والأكثر الغالب في مثله الخطأ والضلال وافتراء على الله وهو عظيم (١٨).

(١٧) التفسير والمفسرون، معرفة: ٦٧ / ١.  
(١٨) المصدر نفسه، مقدمة جامع التفاسير، الراغب: ٩٣.



الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿ [سورة البقرة: ١٦٣ - ١٦٤] يا هشام قد جعل الله ذلك دليلاً "على معرفته بأن لهم مدبراً، فقال: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ آتِلَ وَالنَّهَارَ وَالسَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِ رَبِّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [سورة النحل: ١٢]، وقال: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِيَكونُوا سُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلٍ وَلْيَبْلُغُوا أَجْلاً مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [سورة غافر: ٦٧] وقال: ﴿ وَأَخْلَفَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ ءآيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [سورة الجاثية: ٥] وقال: ﴿ يَحْيَى الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [سورة الحديد: ١٧]، وقال: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ أَغْصَابِ وَرِزْقٍ وَنَحْيِلٍ صِنَوَانٌ وَعِزْرٌ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَجِدٍ وَنُفِضِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ

لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [سورة الرعد: ٤]، وقال: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [سورة الروم: ٢٤]، وقال: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [سورة الأنعام: ١٥١]، وقال: ﴿ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْتُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [سورة الروم: ٢٨]. يا هشام ثم وعظ أهل العقل ورغبهم في الآخرة فقال: ﴿ وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَفْلا تَعْقِلُونَ ﴾ [سورة الأنعام: ٣٢]، يا هشام ثم خوف الذين لا يعقلون عقابه فقال تعالى: ﴿ ثُمَّ



بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿ [سورة الفرقان: ٤٤]. وقال: ﴿ لَا يَقْنَلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [سورة الحشر: ١٤]. وقال: ﴿ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتَلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [سورة البقرة: ٤٤]. يا هشام ثم ذم الله الكثرة فقال: ﴿ وَإِنْ تُطِيعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ ﴾ [سورة الأنعام: ١١٦]. وقال: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة لقمان: ٢٥]. وقال: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [سورة العنكبوت: ٦٣]. يا هشام ثم مدح القلة فقال: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [سورة سبأ: ١٣]. وقال: ﴿ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ﴾ [سورة النساء: ٦٦]، وقال: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ

دَمَرْنَا الْآخِرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَيَأْتِلُّ أَفَلًا تَعْقِلُونَ ﴾ [سورة الصافات: ١٣٦-١٣٨]، وقال: ﴿ إِنَّا مَنَزَلُونَا عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [سورة العنكبوت: ٣٤-٣٥]، يا هشام إن العقل مع العلم فقال: ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ [سورة العنكبوت: ٤٣]، يا هشام ثم ذم الذين لا يعقلون فقال: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا آفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَتْ آبَاءُؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ سَيِّئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [سورة البقرة: ١٧٠] وقال: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عَمِيٌّ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [سورة البقرة: ١٧١]، وقال: ﴿ وَنَمَّتْ مَن يَسْمَعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ الصَّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [سورة يونس: ٤٢] وقال: ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ



اللَّهُ ﴿ [سورة غافر: ٢٨]. وقال: ﴿ وَمَنْ  
ءَامِنٌ وَمَأْمِنٌ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [سورة  
هود: ٤٠]. وقال: ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا  
يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الأنعام: ٣٧]. وقال:  
﴿ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [سورة المائدة:  
١٠٣]، وقال: ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾  
[سورة المائدة: ١٠٣]. يا هشام ثم ذكر  
اولي الألباب بأحسن الذكر، وحلاهم  
بأحسن الحلية، فقال: ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ  
مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ  
أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو  
الْأَلْبَابِ ﴾ [سورة البقرة: ٢٦٩]، وقال:  
﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامِنًا بِهِ كُلُّ  
مَنْ عِنْدَ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾  
[سورة آل عمران: ٧] وقال: ﴿ إِنَّكَ  
فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ  
وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [سورة  
آل عمران: ١٩٠]، وقال: ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ  
أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا  
يَذَّكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [سورة الرعد: ١٩]  
وقال: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَتِيتٌ ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا  
وَقَائِمًا يَحْذُرُ الْآخِرَةَ وَرَجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ  
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا

يَذَّكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [سورة الزمر: ٩]،  
وقال: ﴿ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكًا لِيَذَّبُوا  
ءَابَائِهِمْ وَيَسْتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [سورة  
ص: ٢٩]، وقال: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى  
الْهُدَىٰ وَأَوْشَعَٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ  
﴿ ٥٣ ﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾  
[سورة غافر: ٥٣-٥٤]، وقال:  
﴿ وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ نَفْعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾  
[سورة الذريات: ٥٥]. يا هشام إن  
الله تعالى يقول في كتابه: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ  
لَذِكْرَىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾ [سورة ق:  
٣٧] "يعني: عقل: وقال: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا  
لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ ﴾ [سورة لقمان: ١٢]، قال:  
الفهم والعقل. يا هشام إن لقمان قال  
لابنه: تواضع للحق تكن أعقل الناس،  
وإن الكيس لدى الحق يسير، يا بني إن  
الدنيا بحر عميق، قد غرق فيها عالم كثير  
فلتكن سفينتك فيها تقوى الله، وحشوها  
الإيمان وشراعها التوكل، وقيمها العقل  
ودليلها العلم، وسكانها الصبر. يا هشام  
إن لكل شئ دليلًا ودليل العقل التفكير،  
ودليل التفكير الصمت، و لكل شئ  
مطية ومطية العقل التواضع وكفى بك



في الوحشة، وصاحبه في الوحدة، وغناه في العيلة، ومعه من غير عشيرة. يا هشام نصب الحق لطاعة الله، ولا نجاة إلا بالطاعة، والطاعة بالعلم والعلم بالتعلم، والتعلم بالعقل يعتقد، ولا علم إلا من عالم رباني، ومعرفة العلم بالعقل. يا هشام قليل العمل من العالم مقبول مضاعف، وكثير العمل من أهل الهوى والجهل مردود. يا هشام إن العاقل رضي بالدون من الدنيا مع الحكمة، ولم يرض بالدون من الحكمة مع الدنيا، فلذلك ربحت تجارتهم. يا هشام إن العقلاء تركوا فضول الدنيا فكيف الذنوب، وترك الدنيا من الفضل، وترك الذنوب من الفرض. يا هشام إن العاقل نظر إلى الدنيا وإلى أهلها فعلم أنها لا تنال إلا بالمشقة ونظر إلى الآخرة فعلم أنها لا تنال إلا بالمشقة، فطلب بالمشقة أبقاهما. يا هشام إن العقلاء زهدوا في الدنيا ورغبوا في الآخرة، لأنهم علموا أن الدنيا طالبة مطلوبة والآخرة طالبة ومطلوبة، فمن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفي منها رزقه، ومن

جهلاً أن ترك ما نهيت عنه. يا هشام ما بعث الله أنبياءه ورسله إلى عباده إلا ليعقلوا عن الله، فأحسنهم استجابة أحسنهم معرفة، وأعلمهم بأمر الله أحسنهم عقلاً، وأكملهم عقلاً أرفعهم درجة في الدنيا والآخرة. يا هشام إن الله على الناس حجتين: حجة ظاهرة وحجة باطنة، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة عليهم السلام، وأما الباطنة فالعقول. يا هشام إن العاقل الذي لا يشغل الحلال شكره، ولا يغلب الحرام صبره، يا هشام من سلط ثلاثاً على ثلاث فكأنها أعان على هدم عقله: من أظلم نور تفكره بطول أمله، ومحاطائف حكمته بفضول كلامه، وأطفأ نور عبرته بشهوات نفسه، فكأنها أعان هواه على هدم عقله، ومن هدم عقله، أفسد عليه دينه ودنياه. يا هشام كيف يزكو عند الله عملك، وأنت قد شغلت قلبك عن أمر ربك وأطعت هواك على غلبة عقلك. يا هشام الصبر على الوحدة علامة قوة العقل، فمن عقل عن الله اعتزل أهل الدنيا والراغبين فيها، ورغب فيما عند الله، وكان الله انسه





طلب الدنيا طلبته الآخرة فيأتيه الموت، فيفسد عليه دنياه وآخرته. يا هشام من أراد الغنى بلا مال، وراحة القلب من الحسد، والسلامة في الدين فليترضع إلى الله عز وجل في مسألته بأن يكمل عقله، فمن عقل قنع بما يكفيه، ومن قنع بما يكفيه استغني، ومن لم يقنع بما يكفيه لم يدرك الغني أبدا. يا هشام إن الله حكى عن قوم صالحين: أنهم قالوا: ﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ [سورة آل عمران:

٨] حين علموا أن القلوب تزيغ وتعود إلى عماها ورداها، إنه لم يخف الله من لم يعقل عن الله، ومن لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه على معرفة ثابتة يبصرها ويمجد حقيقتها في قلبه، ولا يكون أحد كذلك إلا من كان قوله لفعله مصدقا، وسره لعانيته موافقا، لأن الله تبارك اسمه لم يدل على الباطن الخفي من العقل إلا بظاهر منه، وناطق عنه. يا هشام كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: ما عبد الله بشئ أفضل من العقل، وما تم عقل امرء حتى يكون فيه خصال شتى: الكفر والشر منه

مأمونان، والرشد والخير منه مأمولان، وفضل ماله مبذول، وفضل قوله مكفوف، ونصيبه من الدنيا القوت، لا يشبع من العلم دهره، الذل أحب إليه مع الله من العز مع غيره، والتواضع أحب إليه من الشرف، يستكثر قليل المعروف من غيره، ويستقل كثير المعروف من نفسه، ويرى الناس كلهم خيرا منه، وأنه شرهم في نفسه، وهو تمام الأمر، يا هشام إن العاقل لا يكذب وإن كان فيه هواه.

يا هشام لا دين لمن لا مروءة له، ولا مروءة لمن لا عقل له، وإن أعظم الناس قدرا الذي لا يرى الدنيا لنفسه خطرا أما إن أبدانكم ليس لها ثمن إلا الجنة فلا تبيعوها بغيرها. يا هشام إن أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول: إن من علامة العاقل أن يكون فيه ثلاث خصال: يجب إذا سئل، وينطق إذا عجز القوم عن الكلام، ويشير بالرأي الذي يكون فيه صلاح أهله، فمن لم يكن فيه من هذه الخصال الثلاث شئ فهو أحمق. إن أمير المؤمنين عليه السلام قال: لا يجلس في





صدر المجلس إلا رجل فيه هذه الخصال  
الثلاث أو واحدة منهن، فمن لم يكن  
فيه شيء منهن فجلس فهو أحمق. وقال  
الحسن بن علي عليه السلام: إذا طلبتم الحوائج  
فاطلبوها من أهلها، قيل يا ابن رسول  
الله ومن أهلها؟ قال: الذين قص الله  
في كتابه وذكرهم، فقال: ﴿ إِنَّمَا يَذْكُرُ أَوْلُوهُا  
أَلْأَبْنِبِ ﴾ [سورة الرعد: ١٩] قال: هم  
أولو العقول، وقال علي بن الحسين عليهما السلام:  
مجالسة الصالحين داعية إلى الصلاح،  
وآداب العلماء زيادة في العقل، وطاعة  
ولاية العدل تمام العز، واستثمار المال  
تمام المروة وإرشاد المستشار قضاء لحق  
النعمة، وكف الأذى من كمال العقل،  
وفيه راحة البدن عاجلا وآجلا، يا هشام  
إن العاقل لا يحدث من يخاف تكذيبه،  
ولا يسأل من يخاف منعه ولا يعد ما لا  
يقدر عليه، ولا يرجو ما يعنف برجائه،  
ولا يقدم على ما يخاف فوته بالعجز  
عنه <sup>(١٩)</sup>.

- عدة من أصحابنا، عن سهل

بن زياد، عن علي بن أسباط، عن مولى  
لأبي عبد الله عليه السلام قال: رأيت أبا الحسن  
الأول عليه السلام دعا ببدنة فنحرها فلما ضرب  
الجزارون عراقيتها فوقعت إلى الأرض  
وكشفوا شيئا عن سنامها <sup>(٢٠)</sup> قال: اقطعوا  
وكلوا منها [وأطعموا] فإن الله عز وجل  
يقول: ﴿ فَإِذَا وَجِئَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا  
وَأَطْعِمُوا ﴾ [سورة الحج: ٣٦].

- وعنه، رفعه عن الحسن بن  
راشد، عن يعقوب بن جعفر، عن أبي  
إبراهيم عليه السلام أنه قال: لا أقول: إنه قائم  
فأزيله عن مكانه، ولا أحده بمكان  
يكون فيه ولا أحده أن يتحرك في شيء  
من الأركان والجوارح، ولا أحده  
بلفظ شق فم، ولكن كما قال الله تبارك  
وتعالى: ﴿ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [سورة البقرة:  
١١٧] بمشيئته من غير تردد في نفس،  
صمدا فردا، لم يحتج إلى شريك يذكر له  
ملكه، ولا يفتح له أبواب علمه <sup>(٢١)</sup>.

- محمد بن يحيى، عن محمد بن  
الحسين، عن محمد بن إسماعيل بن

(٢٠) الكافي-الشيخ الكليني-ج ٤-ص ٨٩.

(٢١) الكافي-الشيخ الكليني-ج ١-ص ١٢٥.

(١٩) الكافي-الشيخ الكليني-ج ١-ص ١٣-

بزيع، عن عمه حمزة بن بزيع، عن علي بن سويد، عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿بَحَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾ [سورة الزمر: ٥٦] قال: جنب الله: أمير المؤمنين عليه السلام وكذلك ما كان بعده من الأوصياء بالمكان الرفيع إلى أن ينتهي الأمر إلى آخرهم.

- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن أبي وهب عن محمد بن منصور قال: سألت عبدا صالحا عن قول الله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾ [سورة الأعراف: ٣٣] قال: فقال: إن القرآن له ظهر وبطن فجميع ما حرم الله في القرآن هو الظاهر، والباطن من ذلك أئمة الجور، وجميع ما أحل الله تعالى في الكتاب هو الظاهر، والباطن من ذلك أئمة الحق <sup>(٢٢)</sup>.

- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن غير واحد، عن علي بن أسباط، عن أحمد بن عمر الحلال، الكافي-الشيخ الكليني-ج ١-ص ١٤٥.

عن علي بن سويد، عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال: سألته: عن قول الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [سورة الطلاق: ٣] فقال: التوكل على الله درجات منها أن تتوكل على الله في أمورك كلها، فما فعل بك كنت عنه راضيا، تعلم أنه لا يألوك خيرا وفضلا وتعلم أن الحكم في ذلك له، فتوكل على الله بتفويض ذلك إليه وثق به فيها وفي غيرها <sup>(٢٣)</sup>.

- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن سنان، عن عمار بن مروان، عن سماعة بن مهران قال: قال لي عبد صالح (صلوات الله عليه): يا سماعة أمنوا على فرشهم وأخافوني أما والله لقد كانت الدنيا وما فيها إلا واحد يعبد الله ولو كان معه غيره لأضافه الله عز وجل إليه حيث يقول: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة النحل: ١٢٠] فغبر بذلك ما شاء الله، ثم إن الله أنسه بإسماعيل وإسحاق فصاروا ثلاثة، (٢٣) الكافي-الشيخ الكليني-ج ٢-ص ٦٥.



فكتب عليه السلام إن إبراهيم كان مؤمناً وأحب أن يزداد إيماناً وأنت شك والشاك لا خير فيه، وكتب إنها الشك ما لم يأت اليقين فإذا جاء اليقين لم يجز الشك، وكتب أن: الله عز وجل يقول: ﴿ **وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ** ﴾ [سورة الأعراف: ١٠٢] قال: نزلت في الشاك (٢٥).

- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسين، عن محمد بن الفضيل قال: سألت عبداً صالحاً عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿ **الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ** ﴾ [سورة الماعون: ٥] قال: هو التضييع.

- عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن موسى بن القاسم البجلي؛ و محمد بن يحيى، عن العمري بن علي جميعاً، عن علي بن جعفر، عن أخيه موسى عليه السلام قال: إن الله عز وجل فرض الحج على أهل الجدة في كل عام وذلك قوله عز وجل: ﴿ **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ** **الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ** **اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ** ﴾ [سورة آل عمران: ٩٧] الكافي-الشيخ الكليني-ج ٢-ص ٣٩٩.

أما والله إن المؤمن لقليل وإن أهل الكفر لكثير أتدري لم ذاك؟. فقلت: لا أدري جعلت فداك فقال: صيروا انسا للمؤمنين يشون إليهم ما في صدورهم فيستريحون إلى ذلك ويسكنون إليه.

- عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن علي بن أسباط، عن موسى بن بكير قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن الكفر والشرك أيها أقدم؟. قال: فقال لي: ما عهدي بك تحاصم الناس، قلت: أمرني هشام بن سالم أن أسألك عن ذلك، فقال لي: الكفر أقدم وهو الجحود، قال الله عز وجل (٢٤): ﴿ **إِلَّا** **إِلَيْسَ أَبِي وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ** ﴾ [سورة البقرة: ٣٤].

- علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن الحسين بن الحكم قال: كتبت إلى العبد الصالح عليه السلام أخبره أني شك وقد قال إبراهيم عليه السلام: ﴿ **رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى** ﴾ [سورة البقرة: ٢٦٠] وإني أحب أن تريني شيئاً،



[٩٧] قال: قلت فمن لم يحج منا فقد كفر؟ قال: لا ولكن من قال: ليس هذا هكذا فقد كفر (٢٦).

- عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، وعلي بن إبراهيم، عن أبيه، وعلي بن محمد، عن أحمد بن محمد، عن ابن أبي نصر، عن يونس بن يعقوب قال: قلت لأبي الحسن الأول (عليه السلام): إن أهل مكة لا يذبحون البقر وإنما ينحرون في اللبة فما ترى في أكل لحمها؟ قال: فقال (عليه السلام): ﴿فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ [سورة البقرة: ٧١] لا تأكل إلا ما ذبح (٢٧).

- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن علي بن أبي حمزة قال: سألت العبد الصالح (عليه السلام) عن قول الله عز وجل: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [سورة النساء: ٣٥] فقال: يشترط الحكماء إن شاء فرقا وإن شاء جمعا فرقا أو جمعا جاز (٢٨).

(٢٦) الكافي - الشيخ الكليني - ج ٣ - ص ٢٦٨.  
(٢٧) الكافي - الشيخ الكليني - ج ٦ - ص ٢٢٩.  
(٢٨) الكافي - الشيخ الكليني - ج ٦ - ص ١٤٦ - ١٤٧.

- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن بعض أصحابنا قال: أولم أبو الحسن موسى (عليه السلام) وليمة على بعض ولده فأطعم أهل المدينة ثلاثة أيام الفالوذجات في الجفان في المساجد والأزقة فعابه بذلك بعض أهل المدينة فبلغه (عليه السلام) ذلك فقال: ما آتى الله عز وجل نبيا من أنبيائه شيئا إلا وقد آتى محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم) مثله وزاده ما لم يؤتتم قال لسليمان (عليه السلام): ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [سورة ص: ٣٩] وقال لمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) (٢٩): ﴿وَمَا آتَانَكُمْ الرَّسُولُ فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ [سورة الحشر: ٧].

- أحمد بن مهران، عن محمد بن علي، عن موسى بن سعدان، عن عبد الرحمن بن الحجاج، عن أبي إبراهيم (عليه السلام) في قول الله عز وجل: ﴿وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [سورة الروم: ١٩] قال: ليس يحييها بالقطر ولكن يبعث الله رجالا فيحيون العدل فتحيي الأرض لآحياء العدل، ولإقامة الحد لله أنفع في الأرض من (٢٩) الكافي - الشيخ الكليني - ج ٦ - ص ٢٨١.



شئ من الدم فتغسل ذلك منها. فإن أصاب ثوبها دم الحيض فغسلته فلم يذهب أثره صبغته بمشق حتى يختلط ويذهب. وإن انقطع عن المرأة الحيض فحضبت رأسها بالحناء فإنه يعود إليها الحيض. ولا بأس أن تسكب الحائض الماء على يد المتوضي وتناوله الخمرة. ولا يجوز مجامعة المرأة في حيضها لان الله عز وجل نهي عن ذلك فقال: ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٢]، يعني بذلك الغسل من الحيض، فإن كان الرجل شبقا وقد طهرت المرأة وأراد أن يجامعها قبل الغسل أمرها أن تغسل فرجها، ثم يجامعها ومتى جامعها وهي حائض في أول الحيض فعليه أن يتصدق بدينار، فإن كان في وسطه فنصف دينار، وإن كان في آخره فربع دينار<sup>(٣١)</sup>.

- وقال أبو الحسن الأول عليه السلام "في قول الله عز وجل: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانٍ

(٣١) من لا يحضره الفقيه - الشيخ الصدوق - ج ١ - ص ٩٤ - ٩٦.

القطر أربعين صباحا<sup>(٣٠)</sup>.  
- وسئل موسى بن جعفر عليه السلام «عن رجل اشترى جارية فمكثت عنده أشهر لم تطمئث وليس ذلك من كبر، وذكر النساء أنه ليس بها حبل هل يجوز أن تنكح في الفرج؟. فقال: إن الطمئث قد تحبسه الريح من غير حبل، فلا بأس أن يمسه في الفرج». وإذا احتبس على المرأة حيضها شهرا فلا يجوز أن تسقي دواء الطمئث من يومها لان النطفة إذا وقعت في الرحم تصير إلى علقة، ثم إلى مضغة، ثم إلى ما شاء الله وإن النطفة إذا وقعت في غير الرحم لم يخلق منها شئ، فإذا ارتفع طمئثها شهرا وجاوز وقتها التي كانت تطمئث فيه لم تسق دواء. وإذا اشترى الرجل جارية مدركة ولم تحض عنده حتى مضى لذلك ستة أشهر وليس بها حبل فإن كان مثلها تحيض لم يكن ذلك من كبر فهذا عيب ترد به. وليس على الحائض إذا طهرت أن تغسل ثيابها التي لبستها في طمئثها أو عرقت فيها إلا أن يكون أصابها

(٣٠) الكافي - الشيخ الكليني - ج ٧ - ص ١٧٤.



اللَّهِ ﴿ [سورة الحديد: ٢٧] قال: صلاة الليل (٣٢).

- وروى الوشاء، عن أحمد بن عمر الحلبي قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾ [سورة الأنبياء: ٧٨] قال: كان حكم داود عليه السلام رقاب الغنم، والذي فهم الله عز وجل سليمان عليه السلام أن حكم لصاحب الحرث باللين والصوف ذلك العام كله (٣٣).

- وروى محمد بن خالد البرقي، عن محمد بن سنان عن أبي الحسن عليه السلام قال: سألته عن الإجارة فقال: صالح لا بأس بها إذا نصح قدر طاقته، قد آجر نفسه موسى بن عمران عليه السلام واشترط قال: إن شئت ثانيا وإن شئت عشرا فأنزل الله تعالى فيه (٣٤): ﴿عَلَىٰ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حِجَابًا فَإِنْ أَتَمَمْتَ

(٣٢) من لا يحضره الفقيه - الشيخ الصدوق - ج ١ - ص ٤٧٢.

(٣٣) من لا يحضره الفقيه - الشيخ الصدوق - ج ٣ - ص ١٠١.

(٣٤) من لا يحضره الفقيه - الشيخ الصدوق - ج ٣ - ص ١٧٣ - ١٧٤.

عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ﴾ [سورة القصص: ٢٧].

- وروى صفوان بن يحيى عن أبي الحسن عليه السلام (في قول الله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيَنَّكَ أَسْتَجِرُهُ﴾ إِنَّ خَيْرَ مَنْ أَسْتَجَرْتَ الْقَوِيَّ الْأَمِينُ﴾ [سورة القصص: ٢٦] قال: قال لها شعيب عليه السلام: يا بنية هذا قوى قد عرفته برفع الصخرة، الأمين من أين عرفته؟ قالت: يا أبة إني مشيت قدامه فقال: أمشي من خلفي فإن ضللت فأرشد يني إلى الطريق فإن قوم لا ننظر في أدبار النساء (٣٥).

- وسأل علي بن يقطين أبا الحسن عليه السلام «عن الرجل يموت ويدع أخته ومواليه، قال: المال لأخته». ومتى ترك الرجل ذا رحم من كان ذكرا كان أو أنثى ابنة أخت، أو ابنة ابنة أو ابنة خال، أو ابنة خالة، أو ابنة عم، أو ابنة عمّة، أو أبعد منهم، فالمال كله لذوي الأرحام وإن سفلوا ولا يرث الموالى مع أحد منهم شيئا، لان الله عز وجل قد ذكرهم (٣٥) من لا يحضره الفقيه - الشيخ الصدوق - ج ٤ - ص ١٩.



عليه في ذلك؟ قال: أحب له تعجيل الصيام فإن كان آخره فليس عليه شيء. فإنه أيضا محمول على ما ذكرناه فيما تقدم من أنه متى آخره غير متهاون به وفي نيته الصيام انه ليس عليه شيء من الصدقة وإنما يلزمه القضاء حسب ما تضمنه القرآن قال الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [سورة البقرة: ١٨٥] ففرض على من شهد شهر رمضان أن يصومه ومن كان مسافرا أو مريضا ان يصوم عدة من أيام أخر، وهذا غير مضاد لما قلناه أولا والحمد لله وحده (٣٨).

- وعنه عن علي بن جعفر قال: قلت لأخي موسى بن جعفر (عليه السلام) لأهل مكة أن يتمتعوا بالعمرة إلى الحج؟ فقال: لا يصلح أن يتمتعوا لقول الله عز

(٣٨) تهذيب الأحكام - الشيخ الطوسي - ج٤ - ص ٢٥٢-٢٥٣.

وفرض لهم وأخبر أنهم أولى، في قول الله عز وجل: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [سورة الاحزاب: ٦] ولم يذكر الموالي (٣٦).

- الحسين بن سعيد عن محمد بن الحصين قال: كتبت إلى عبد صالح (عليه السلام) الرجل يصلي في يوم غيم في فلاة من الأرض ولا يعرف القبلة فيصلّي حتى إذا فرغ من صلاته بدت له الشمس فإذا هو قد صلى لغير القبلة أيعتد بصلاته؟ أم يعيدها؟ فكتب: يعيدها ما لم يفته الوقت أو لم يعلم؟! إن الله يقول وقوله الحق (٣٧): ﴿فَأَيْنَمَا تُولُونَ فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ [سورة البقرة: ١١٥].

- سعد بن عبد الله عن أحمد بن محمد عن عباد بن سليمان عن سعد بن سعد عن رجل عن أبي الحسن (عليه السلام) قال: سألته عن رجل يكون مريضا في شهر رمضان ثم يصبح بعد ذلك فيؤخر القضاء سنة أو أقل من ذلك أو أكثر ما

(٣٦) من لا يحضره الفقيه - الشيخ الصدوق - ج٤ - ص ٣٠٤.

(٣٧) تهذيب الأحكام - الشيخ الطوسي - ج٢ - ص ٤٩.





وجل (٣٩): ﴿ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ، حَاضِرِي  
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [سورة البقرة: ١٩٦].

- موسى بن القاسم عن أبي الحسين  
النخعي عن صفوان ابن يحيى عن عبد  
الرحمن بن الحجاج قال: كنت قائماً  
أصلي وأبو الحسن عليه السلام قاعد قدامي وأنا  
لا اعلم فجاءه عباد البصري قال: فسلم  
ثم جلس فقال له: يا أبا الحسن ما تقول  
في رجل تمتع ولم يكن له هدي؟ قال:  
يصوم الأيام التي قال الله تعالى قال:  
فجعلت اصغي إليهما فقال له عباد:  
وأي أيام هي؟ قال: قبل التروية بيوم  
ويوم التروية ويوم عرفة قال: فان فاته  
ذلك؟ قال: يصوم صبيحة الحصبية  
ويومين بعد ذلك، قال: أفلا تقول كما  
قال عبد الله بن الحسن؟ قال: فأيش  
قال؟ قال: قال يصوم أيام التشريق  
قال: ان جعفرًا كان يقول إن رسول  
الله ﷺ امر بديلا ان ينادي أن هذه أيام  
اكل وشرب فلا يصومن أحد، قال: يا

أبا الحسن ان الله قال: ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ  
فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ [سورة البقرة:  
١٩٦] قال: كان جعفر عليه السلام يقول: ذو  
الحجة كله من أشهر الحج. ومن صام  
يوم التروية ويوم عرفة فإنه يصوم يوماً  
آخر بعد أيام التشريق ومتى لم يصم يوم  
التروية لا يجوز له ان يصوم عرفة بل  
يجب عليه ان يصوم بعد انقضاء أيام  
التشريق ثلاثة أيام متتابعات (٤٠).

- أحمد بن محمد عن ابن أبي نصر  
قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن المتمتع  
يكون له فضول من الكسوة يحتاج إليه  
فتسوى تلك الفضول بمائة درهم يكون  
ممن يجب عليه؟ فقال: له بد من كراء  
ونفقة؟ قلت: له كراء وما يحتاج إليه  
بعد هذا الفضل من الكسوة قال: وأي  
شئ كسوة بمائة درهم؟ هذا ممن قال  
الله (٤١): ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا  
رَجَعْتُمْ﴾ [سورة البقرة: ١٩٦].

(٤٠) تهذيب الأحكام - الشيخ الطوسي -  
ج ٥ - ص ٢٣٠ - ٢٣١.

(٤١) تهذيب الأحكام - الشيخ الطوسي -  
ج ٥ - ص ٤٨٦.

(٣٩) تهذيب الأحكام - الشيخ الطوسي -  
ج ٥ - ص ٣٢ - ٣٣، الاستبصار - الشيخ  
الطوسي - ج ٢ - ص ١٥٧.





[سورة الطلاق: ١]؟ قال: فقال: إنما عنى بذلك التي تطلق تطليقة بعد تطليقة فتلك التي لا تخرج ولا تخرج حتى تطلق الثالثة، فإذا طلقت الثالثة فقد بانت ولا نفقة لها، والمرأة التي يطلقها الرجل تطليقة ثم يدعها حتى يخلو أجلها فهذه أيضا تعتد في منزل زوجها ولها النفقة والسكنى حتى تنقضي عدتها<sup>(٤٣)</sup>.

- عنه عن عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد وعلي بن إبراهيم عن أبيه عن أحمد بن محمد بن أبي نصر عن يونس بن يعقوب قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام أن أهل مكة لا يذبحون البقر إنما ينحرون في اللبة البقر فما ترى في أكل لحمها؟ قال: فقال: ﴿فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ [سورة البقرة: ٧١] لا تأكل إلا ما ذبح<sup>(٤٤)</sup>.

- فأما ما رواه علي بن الحسن بن

(٤٣) تهذيب الأحكام - الشيخ الطوسي - ج ٨ - ص ١٣٢-١٣٣.

(٤٤) تهذيب الأحكام - الشيخ الطوسي - ج ٩ - ص ٥٣.

- محمد بن يعقوب عن عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن أحمد بن محمد بن أبي نصر قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن رجل يكون في يده مال لأيتام فيحتاج إليه فيمد يده فيأخذه وينوي أن يرده قال: لا ينبغي له ان يأكل إلا القصد ولا يسرف، فإن كان من نيته ان لا يرده إليهم فهو بالمنزل الذي قال الله عز وجل<sup>(٤٢)</sup>: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آيَتَمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [سورة النساء: ١٠].

- وعنه عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن ابن محبوب عن سعد بن أبي خلف قال: سألت أبا الحسن موسى عليه السلام عن شئ من الطلاق فقال: إذا طلق الرجل امرأته طلاقا لا يملك فيه الرجعة فقد بانت منه ساعة طلقها وملكت نفسها ولا سبيل له عليها وتذهب حيث شاءت ولا نفقة لها عليه قال قلت: أليس الله يقول: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يُخْرِجَنَّ﴾

(٤٢) تهذيب الأحكام - الشيخ الطوسي - ج ٦ - ص ٣٣٩.

فضال عن جعفر بن محمد بن حكيم وجعفر بن محمد بن أبي الصباح جميعا عن إبراهيم بن عبد الحميد عن أبي الحسن عليه السلام قال: المصحف لا تمسه على غير طهر ولا جنبا ولا تمس خطه ولا تعلقه <sup>(٤٥)</sup> ان الله تعالى يقول ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [سورة الواقعة: ٧٩].

- فأما ما رواه الحسين بن سعيد عن صفوان عن إسحاق بن المبارك قال: سألت أبا إبراهيم عليه السلام عن صدقة الفطرة أهي مما قال الله: ﴿فَأَقِمْ وَدَانِ الزَّكَاةَ﴾ [سورة المجادلة: ١٣]؟ فقال: نعم، وقال: صدقة التمر أحب إلي لان أبي عليه السلام كان يتصدق بالتمر، قلت فيجعل قيمتها فضة فيعطيها رجلا واحدا أو اثنين؟ فقال: يفرقها أحب إلي ولا بأس بأن يجعلها فضة والتمر أحب إلي، قلت: فأعطيها غير أهل الولاية من هذا الجيران؟ قال: نعم الجيران أحق بها، قلت: فاعطي

الرجل الواحد ثلاثة أصيغ وأربعة أصيغ؟ قال: نعم <sup>(٤٦)</sup>.

### الجواد عليه السلام:

ما ورد من ألقابه في الروايات

١. أبو جعفر الثاني.
٢. أبو جعفر (بقرينة قوله عليه السلام عن أبي موسى بن جعفر).
٣. محمد بن علي الرضا.

- علي بن محمد، ومحمد بن الحسن، عن سهل بن زياد، ومحمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى جميعا، عن أبي هشام الجعفري قال: سألت أبا جعفر الثاني عليه السلام: ما معنى الواحد؟ فقال: إجماع الألسن عليه بالوحدانية كقوله تعالى <sup>(٤٧)</sup> ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾ [سورة الزخرف: ٨٧].

- محمد بن أبي عبد الله ومحمد بن الحسن، عن سهل بن زياد، ومحمد بن يحيى، عن أحمد ابن محمد جميعا، عن الحسن العباس بن الحريش عن أبي

(٤٥) الاستبصار - الشيخ الطوسي - ج ١ - ص ١١٣ - ١١٤، تهذيب الأحكام - الشيخ الطوسي ج ١ - ص ١٢٧.

(٤٦) الاستبصار - الشيخ الطوسي - ج ٢ - ص ٥٢.

(٤٧) الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٢٤٢.



العلم عند الأوصياء، فكيف يعلمونه؟. قال: كما كان رسول الله ﷺ يعلمه إلا أنهم لا يرون ما كان رسول الله ﷺ يرى، لأنه كان نبيا وهم محدثون، وأنه كان يفد إلى الله عز وجل فيسمع الوحي وهم لا يسمعون، فقال: صدقت يا ابن رسول الله سأتيك بمسألة صعبة. أخبرني عن هذا العلم ماله لا يظهر؟. كما كان يظهر مع رسول الله ﷺ؟. قال فضحك أبي ﷺ وقال: أباي الله عز وجل أن يطلع على علمه إلا ممتحنا للايان به كما قضى على رسول الله ﷺ أن يصبر على أذى قومه، ولا يجاهداهم، إلا بأمره، فكم من اكتتام قد اكتتم به حتى قيل له: اصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين وأيم الله أن لو صدع قبل ذلك لكان آمنا، ولكنه إنما نظر في الطاعة، وخاف الخلاف فلذلك كف، فوددت أن عينك تكون مع مهدي هذه الأمة، والملائكة بسيف آل داود بين السماء والأرض تعذب أرواح الكفرة من الأموات، وتلحق بهم أرواح أشباههم من الأحياء. ثم أخرج سيفاً ثم قال: ها إن هذا منها، قال: فقال: أباي

جعفر الثاني ﷺ قال: قال أبو عبد الله ﷺ: بينا أبي ﷺ يطوف بالكعبة إذا رجل معتجر قد قيص له فقطع عليه أسبوعه حتى ادخله إلى دار جنب الصفا، فأرسل إلي فكننا ثلاثة فقال: مرحبا يا ابن رسول الله ثم وضع يده على رأسي وقال بارك الله فيك يا امين الله بعد آبائه يا أبا جعفر ان شئت فأخبرني وأن شئت فأخبرتك وان شئت سلني وان شئت سألتك وان شئت فأصدقني وان شئت صدقتك؟. قال: كل ذلك أشاء، قال: فأياك ان ينطق لسانك عند مسألتني بأمر تضمير لي غيره قال: إنما يفعل ذلك من في قلبه علما يخالف أحدهما صاحبه وان الله عز وجل أباي أن يكون له علم فيه اختلاف قال: هذه مسألتني وقد فسرت طرفا منها. أخبرني عن هذا العلم الذي ليس فيه اختلاف، من يعلمه؟. قال: أما جملة العلم فعند الله جل ذكره، وأما ما لا بد للعباد منه فعند الأوصياء، قال: ففتح الرجل عجيرته واستوى جالسا وتهلل وجهه، وقال: هذه أردت ولها أتيت زعمت أن علم ما لا اختلاف فيه من



والذي اصطفى محمدا على البشر، قال: فرد الرجل اعتجاره وقال: أنا إلياس، ما سألتك عن أمرك وبي منه جهالة غير أنني أحببت أن يكون هذا الحديث قوة لأصحابك و سأخبرك بآية أنت تعرفها إن خاصموا بها فلجوا. قال: فقال له أبي: إن شئت أخبرتك بها؟ قال: قد شئت، قال: إن شيعتنا إن قالوا لأهل الخلاف لنا: إن الله عز وجل يقول لرسوله ﷺ ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ [سورة القدر: ١].

- إلى آخرها - فهل كان رسول الله ﷺ يعلم من العلم - شيئاً لا يعلمه - في تلك الليلة أو يأتيه به جبرئيل عليه السلام في غيرها؟. فإنهم سيقولون: لا، فقل لهم: فهل كان لما علم بد من أن يظهر؟. فيقولون: لا، فقل لهم: فهل كان فيما أظهر رسول الله ﷺ من علم الله عز ذكره اختلاف؟. فان قالوا: لا، فقل لهم: فمن حكم بحكم الله فيه اختلاف فهل خالف رسول الله ﷺ؟. فيقولون: نعم - فإن قالوا: لا، فقد نقضوا أول كلامهم - فقل لهم: ما يعلم تأويله إلا

الله والراسخون في العلم. فإن قالوا: من الراسخون في العلم؟. فقل: من لا يختلف في علمه، فإن قالوا فمن هو ذاك؟. فقل: كان رسول الله ﷺ صاحب ذلك، فهل بلغ أولاً؟. فإن قالوا: قد بلغ فقل: فهل مات ﷺ والخليفة من بعده يعلم علماً ليس فيه اختلاف؟. فإن قالوا: لا، فقل: إن خليفة رسول الله ﷺ مؤيد ولا يستخلف رسول الله ﷺ إلا من يحكم بحكمه وإلا من يكون مثله إلا النبوة، وإن كان رسول الله ﷺ لم يستخلف في علمه أحدا فقد ضيع من في أصلاب الرجال ممن يكون بعده. فإن قالوا لك فإن علم رسول الله ﷺ كان من القرآن فقل: ﴿ حَمَّ ١ ﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢ ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبْرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾ [سورة الدخان: ١-٣] - إلى قوله -: ﴿ أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ [سورة الدخان: ٥] فإن قالوا لك: لا يرسل الله عز وجل إلا إلى نبي فقل: هذا الامر الحكيم الذي يفرق فيه هو من الملائكة والروح التي تنزل من سماء إلى سماء، أو من



القرآن ليس بناطق يأمر وينهى، ولكن للقرآن أهل يأمرون وينهون، وأقول: قد عرضت لبعض أهل الأرض مصيبة ما هي في السنة والحكم الذي ليس فيه اختلاف، وليست في القرآن، أبى الله لعلمه بتلك الفتنة أن تظهر في الأرض، وليس في حكمه راد لها ومفرج عن أهلها. فقال: ههنا تفلجون يا ابن رسول الله، أشهد أن الله عز ذكره قد علم بما يصيب الخلق من مصيبة في الأرض أو في أنفسهم من الدين أو غيره، فوضع القرآن دليلا قال: فقال الرجل: هل تدري يا ابن رسول الله دليل ما هو؟ قال أبو جعفر عليه السلام: نعم فيه جمل الحدود، وتفسيرها عند الحكم فقال أبى الله أن يصيب عبدا بمصيبة في دينه أو في نفسه أو [في] ماله ليس في أرضه من حكمه قاض بالصواب في تلك المصيبة. قال: فقال الرجل: أما في هذا الباب فقد فلجتهم بحجة إلا أن يفتری خصمكم على الله فيقول: ليس لله جل ذكره حجة ولكن أخبرني عن تفسير **﴿رَكِبْنَا نَأْسُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾**؟.

سما إلى أرض؟. فإن قالوا: من سما إلى سما، فليس في السماء أحد يرجع من طاعة إلى معصية، فإن قالوا: من سما إلى أرض - وأهل الأرض أحوج الخلق إلى ذلك - فقل: فهل لهم بد من سيد يتحاكمون إليه؟. فإن قالوا: فإن الخليفة هو حكمهم فقل: **﴿اللَّهُ وَرِئِ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾** [سورة البقرة: ٢٥٧] - إلى قوله: **﴿خَذِلُوا﴾** [سورة البقرة: ٢٥٧] لعمرى ما في الأرض ولا في السماء ولي لله عز ذكره إلا وهو مؤيد، ومن أيد لم يخط، وما في الأرض عدو لله عز ذكره إلا وهو مخذول، ومن خذل لم يصب، كما أن الامر لا بد من تنزيه من السماء يحكم به أهل الأرض، كذلك لا بد من وال، فإن قالوا: لا نعرف هذا فقل: [لهم] قولوا ما أحببتم، أبى الله عز وجل بعد محمد عليه السلام أن يترك العباد ولا حجة عليهم. قال أبو عبد الله عليه السلام: ثم وقف فقال: ههنا يا ابن رسول الله باب غامض رأيت إن قالوا: حجة الله: القرآن؟. قال: إذن أقول لهم: إن



ما خص به علي عليه السلام ﴿ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ [سورة الحديد: ٢٣] قال: في أبي فلان وأصحابه واحدة مقدمة وواحدة مؤخرة "لا تأسوا على ما فاتكم" مما خص به علي عليه السلام "ولا تفرحوا بما آتاكم" من الفتنة التي عرضت لكم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال الرجل: أشهد أنكم أصحاب الحكم الذي لا اختلاف فيه ثم قام الرجل وذهب فلم أره <sup>(٤٨)</sup>.

- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن عبد العظيم بن عبد الله الحسيني قال: حدثني أبو جعفر (صلوات الله عليه) قال: سمعت أبي يقول: سمعت أبي موسى بن جعفر عليه السلام يقول: دخل عمرو بن عبيد البصري على أبي عبد الله عليه السلام فلما سلم وجلس تلا هذه الآية ﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ ﴾ [سورة النجم: ٣٢] ثم أمسك فقال أبو عبد الله عليه السلام: ما أسكتك؟ قال: أحب أن أعرف الكبائر من كتاب

(٤٨) الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٢٤٢ -

الله عز وجل فقال: نعم يا عمرو أكبر الكبائر الشرك بالله يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾ [سورة النساء: ٤٨] ويقول الله عز وجل: ﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ [سورة المائدة: ٧٢] وبعده اليأس من روح الله لان الله عز وجل يقول: ﴿ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [سورة يوسف: ٨٧] ثم الامن من مكر الله لان الله تعالى يقول: ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [سورة الأعراف: ٩٩] ومنها عقوق الوالدين لان الله عز وجل جعل العاق جبارا شقيا في قوله تعالى: ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ [سورة مريم: ٣٢]، وقتل النفس التي حرم الله تعالى إلا بالحق لان الله عز وجل يقول: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ﴾ [سورة النساء: ٩٣] - إلى آخر الآية "وقذف المحصنات لان الله عز وجل يقول: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ



النص القرآني في روايات الامامين الجوادين (عليهما السلام) ..... **الْبَصْبِجِ** •

يقول: ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾  
يُضْعَفُ لَهُ الْكَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ  
فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ ﴿  
[سورة الفرقان: ٧٠] [سورة الفرقان:  
٦٨ - ٧٠]، واليمين الغموس: لان  
الله عز وجل يقول: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ  
بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ  
لَا خَلَقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ ﴾ [سورة آل  
عمران: ٧٧]... الآية والغلول: قال  
الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ  
الْقِيَامَةِ ﴾ [سورة آل عمران: ١٦١]  
ومنع الزكاة المفروضة لان الله عز  
وجل يقول: ﴿ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ  
جَهَنَّمَ فَتَكُونُ بِهَا جَاهُهُمْ وَجُوبُهُمْ  
وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ  
فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [سورة  
التوبة: ٣٥] وشهادة الزور وكتان  
الشهادة لان الله عز وجل يقول ﴿ وَمَنْ  
يَكْتُمْهَا فَإِنَّهٗ آثِمٌ ﴾ [سورة البقرة:  
٢٨٣] وشرب الخمر لان الله عز  
وجل عدل بها عبادة الأوثان، وترك  
الصلاة متعمدا أو شيئا مما فرض الله  
عز وجل لان رسول الله ﷺ قال: من

الْمُحْصَنَاتِ الْغَفِيلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لِعُنُوفٍ فِي  
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [سورة  
النور: ٢٣] وأكل مال اليتيم ظلما لقول  
الله عز وجل: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ  
الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا  
وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا ﴾ [سورة النساء:  
١٠] والفرار من الزحف لان الله عز  
وجل يقول: ﴿ وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبرُهُ  
إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقُنَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ  
فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ  
وَبئس المصير ﴾ [سورة الأنفال:  
١٦] وأكل الربا لان الله تعالى يقول:  
﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ  
إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ  
الْمَيْسِ ﴾ [سورة البقرة: ٢٧٥] ويقول  
الله عز وجل: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا  
اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ  
مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ  
اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [سورة البقرة: ٢٧٨ -  
٢٧٩] والسحر: لان الله عز وجل  
يقول: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ  
مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلْقٍ ﴾ [سورة  
البقرة: ١٠٢] والزنا: لان الله عز وجل





ترك الصلاة متعمدا فقد برئ من ذمة الله عز وجل وذمة رسوله ﷺ ونقض العهد، وقطيعة الرحم لان الله عز وجل يقول: ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [سورة الرعد: ٢٥] قال: فخرج عمرو بن عبيد وله صراخ من بكائه وهو يقول: هلك من قال برأيه ونازعكم في الفضل والعلم<sup>(٤٩)</sup>.

- علي بن محمد، عن سهل بن زياد، عن علي بن مهزيار قال: كتب أبو الحسن ابن الحصين إلى أبي جعفر الثاني ﷺ معي: جعلت فداك قد اختلفت موالوك في صلاة الفجر فمنهم من يصلي إذا طلع الفجر الأول المستطيل في السماء ومنهم من يصلي إذا اعترض في أسفل الأفق واستبان ولست أعرف أفضل الوقتين فاصلي فيه، فإن رأيت أن تعلمني أفضل الوقتين وتحده لي وكيف أصنع مع القمر والفجر لا يتبين معه حتى يحمر ويصبح وكيف أصنع مع الغيم وما

(٤٩) الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ - ص ٢٨٥ - ٢٨٧، وينظر: . من لا يحضره الفقيه - الشيخ الصدوق - ج ٣ - ص ٥٦٣ - ٥٦٤.

حد ذلك في السفر والحضر؟. فعلت إن شاء الله. فكتب ﷺ بخطه وقرأته: الفجر - يرحمك الله - هو الخيط الأبيض المعترض ليس هو الأبيض صعداء فلا تصل في سفر ولا حضر حتى تتبينه فإن الله تبارك وتعالى لم يجعل خلقه في شبهة من هذا فقال: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [سورة البقرة: ١٨٧] فالخيط الأبيض هو المعترض الذي يحرم به الاكل و الشرب في الصوم وكذلك هو الذي توجب به الصلاة<sup>(٥٠)</sup>.

- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن الحسين بن سيف، عن محمد بن سليمان، عن أبي جعفر الثاني ﷺ قال: قلت له: جعلت فداك كيف صارت عدة المطلقة ثلاث حيض أو ثلاثة أشهر وصارت عدة المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشرا؟. فقال: أما عدة المطلقة ثلاثة قروء فلاستبراء الرحم من الولد، وأما عدة المتوفى عنها زوجها فإن الله عز وجل شرط للنساء شرطا وشرط عليهن

(٥٠) الكافي - الشيخ الكليني - ج ٣ - ص ٢٨٢.



والدم ولحم الخنزير فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه أن يأكل الميتة، قال: فقلت له: يا ابن رسول الله متى تحل للمضطر الميتة؟ قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن آباءه عليهم السلام أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل فقيل له: يا رسول الله إنا نكون بأرض فتصيبنا المخمصة فمتى تحل لنا الميتة؟ قال: ما لم تصطحبوا أو تغتبقوا أو تحتفتوا بقلا فشأنكم بها. قال عبد العظيم: فقلت له: يا ابن رسول الله ما معنى قوله عز وجل: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [سورة البقرة: ١٧٣] قال: العادي السارق، والباغي الذي يبغي الصيد بطرا أو لهوا لا ليعود به على عياله، ليس لها أن يأكلا الميتة إذا اضطررا، هي حرام عليهما في حال الاضطرار كما هي حرام عليهما في حال الاختيار، وليس لها أن يقصرا في صوم ولا صلاة في سفر. قال: فقلت: فقوله عز وجل: ﴿وَالْمُنْخِنَةَ وَالْمَوْقُوذَةَ وَالْمُرْدِيَّةَ وَالنَّطِيحَةَ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذُكِّرْتُمْ﴾ [سورة المائدة: ٣] قال: المنخنقة التي انخنقت بأخناقها حتى

شرطا فلم يجأ بهن فيما شرط لهن ولم يجز فيما اشترط عليهن شرط لهن في الايلاء أربعة أشهر إذ يقول الله عز وجل: ﴿لِلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِنْ نَسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٦] فلم يجوز لاحد أكثر من أربعة أشهر في الايلاء لعلمه تبارك وتعالى أنه غاية صبر المرأة من الرجل، وأما ما شرط عليهن فإنه أمرها أن تعتد إذا مات عنها زوجها أربعة أشهر وعشرا فأخذ منها له عند موته ما أخذ لها منه في حياته عند إيلائه، قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [سورة البقرة: ٢٣٤] ولم يذكر العشرة الأيام في العدة إلا مع الأربعة أشهر وعلم أن غاية صبر المرأة الأربعة أشهر في ترك الجماع فمن ثم أوجبه عليها ولها (٥١).

- وروى عبد العظيم بن عبد الله الحسيني عن أبي جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام أنه قال: «سألته عما أهل لغير الله به، فقال: ما ذبح لصنم أو وثن أو شجر حرم الله ذلك كما حرم الميتة (٥١) الكافي - الشيخ الكليني - ج ٦ - ص ١١٣.



تموت، والموقوذة التي مرضت وقذفها المرض حتى لم يكن بها حركة، والمتردية التي تتردى من مكان مرتفع إلى أسفل أو تتردى من جبل أو في بئر فتموت، والنطيحة التي تنطحها بهيمة أخرى فتموت وما أكل السبع منه فمات، وما ذبح على النصب على حجر أو صنم إلا ما أدرك ذكاته فيذكي. قلت: ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْكَرِ﴾ [سورة المائدة: ٣]. قال: كانوا في الجاهلية يشترون بعيرا فيما بين عشرة أنفس ويستقسمون عليه بالقداح، وكانت عشرة: سبعة لها أنصباء، و ثلاثة لا أنصباء لها، أما التي لها أنصباء فالفد والتوأم والنافس والجلس والمسبل و المعلى والرقيب، وأما التي لا أنصباء لها فالفسيح والمنيح والوغد فكانوا يجيلون السهام بين عشرة فمن خرج باسمه سهم من التي لا أنصباء لها الزم ثلث ثمن البعير فلا يزالون بذلك حتى تقع السهام الثلاثة التي لا أنصباء لها إلى ثلاثة منهم فيلزمونهم ثمن البعير، ثم ينحرونه ويأكله السبعة الذين لم

ينقدوا في ثمنه شيئا، ولم يطعموا منه الثلاثة الذين نقدوا ثمنه شيئا، فلما جاء الاسلام حرم الله تعالى ذكره ذلك فيما حرم فقال عز وجل: ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْكَرِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾ [سورة المائدة: ٣] -يعني حراما-». وهذا الخبر في روايات أبي الحسين الأسدي عليه السلام عن سهل بن زياد عن عبدالعظيم بن عبد الله [الحسني] عن أبي جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام (٥٢).

- وروي عن علي بن مهزيار قال: قلت لأبي جعفر الثاني عليه السلام: قوله عز وجل، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۗ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ [سورة الليل: ١ - ٢] وقوله عز وجل ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [سورة النجم: ١] وما أشبه هذا، فقال: إن الله عز وجل يقسم من خلقه بما يشاء وليس لخلقه أن يقسموا إلا به عز وجل (٥٣).

- روى أبو الحسين الأسدي عن سهل بن زياد عن عبد العظيم بن عبد (٥٢) من لا يحضره الفقيه -الشيخ الصدوق- ج ٣-ص ٣٤٣-٣٤٥.  
(٥٣) من لا يحضره الفقيه-الشيخ الصدوق- ج ٣-ص ٣٧٦.



قال: قلت له فقوله تعالى: ﴿وَالْمَنْخِقَةُ وَالْمَوْفُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّبَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ﴾ [سورة المائدة: ٣] قال: المنخقة التي انخقت باخناقها حتى تموت، والموقوذة التي مرضت ووقدها المرض حتى لم تكن بها حركة، المتردية التي تتردى من مكان مرتفع إلى أسفل أو تتردى من جبل أو في بئر فتموت، والنطيحة التي تنطحها بهيمة أخرى فتموت، وما اكل السبع منه فمات، وما ذبح على النصب على حجر أو على صنم إلا ما أدركت ذكاته فذكي، قلت ﴿وَأَنْ تَسْتَفْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ﴾ [سورة المائدة: ٣] قال: كانوا في الجاهلية يشترون بعيرا فيما بين عشرة أنفس ويستقسمون عليه بالقداح وكانت عشرة سبعة لهم أنصباء وثلاثة لا أنصباء لها أما التي لها أنصباء: فالفد والتوام والنافس والجلس والمسبل والمعلى والرقيب، وأما التي لا أنصباء لها: فالسفع والمنيح والوغد، وكانوا يجبلون السهام بين عشرة فمن خرج باسمه سهم من التي لا أنصباء لها الزم

الله الحسيني عن أبي جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام أنه قال: سألته عما أهل لغير الله قال: ما ذبح لصنم أو وثن أو شجر حرم الله ذلك كما حرم الميتة والدم ولحم الخنزير: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [سورة البقرة: ١٧٣] ان يأكل الميتة قال: فقلت له يا بن رسول الله متى تحل للمضطر الميتة؟ فقال: حدثني أبي عن أبيه عن آبائه عليهم السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله سئل فقيل له: يا رسول الله انا نكون بأرض فتصيينا المخصصة فمتى تحل لنا الميتة؟ قال: ما لم تصطبحوها أو تغتبقوها أو تحتفوا بقلها فشأنكم بهذا، قال عبد العظيم: فقلت له يا بن رسول الله فما معنى قوله عز وجل: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ [سورة البقرة: ١٧٣] قال: العادي السارق والباغي الذي يبغي الصيد بطرا وهوا لا ليعود به على عياله، ليس لها أن يأكله الميتة إذ اضطرأ هي حرام عليهما في حال الاضطرار كما هي حرام عليهما في حال الاختيار، وليس لهما ان يقصرا في صوم ولا صلاة في سفر



ثلث ثمن البعير فلا يزالون كذلك حتى تقع السهام التي لا أنصباء لها إلى ثلاثة فليزموهم ثمن البعير ثم ينحرونه ويأكله السبعة الذين لم ينقدوا في ثمنه شيئا، ولم يطعموا منه الثلاثة الذين وفروا ثمنه شيئا، فلما جاء الاسلام حرم الله تعالى ذكره ذلك فيما حرم وقال عز وجل: ﴿وَأَنْ تَسْنَقَسُوا بِالْأَرْزَلِمْ ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾ [سورة المائدة: ٣] يعني حراما (٥٤).

#### ثبت المصادر:

#### القرآن الكريم

١. الإسرائيليات في التفسير والحديث، محمد حسين الذهبي، ط٢، دار الأيمان، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
  ٢. بحار الأنوار - العلامة المجلسي - مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان.
  ٣. التفسير والمفسرون للذهبي، طبعة ١، بيروت، دار القلم.
  ٤. التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، محمد هادي معرفة، من منشورات
- 
- (٥٤) تهذيب الأحكام - الشيخ الطوسي - ج٩ - ص ٨٣ - ٨٤.

الجامعة الرضوية، ط١، ١٤١٩هـ.

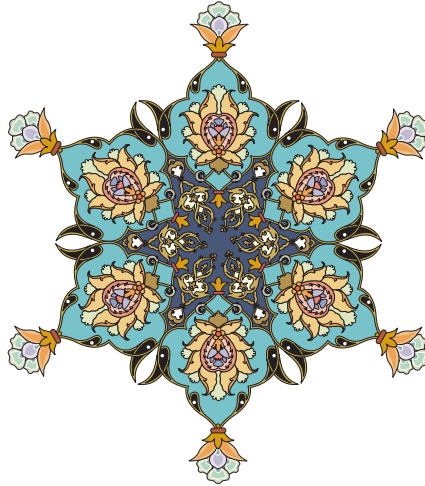
٥. تهذيب الأحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد رضوان الله عليه تأليف شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي قدر المتوفى (٤٦٠هـ)، حققه وعلق عليه الحجة السيد حسن الموسوي الخرسان نهض بمشروعه الشيخ علي الآخوندي الناشر دار الكتب الاسلامية تهران بازار سلطاني.

٦. جامع البيان في تفسير القرآن - ابو جعفر محمد بن جرير الطبري، ط٢، مصر، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده - ١٩٥٤.
٧. الصحاح، الجوهري: اسماعيل بن حماد (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: احمد عبد الغفور عطار، مطبعة دار الكتاب العربي، مصر (د. ت).
٨. قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة، محمد فاكرو الميدي، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب ط١ ٢٠٠٧م.
٩. الكافي، تأليف ثقة الاسلام أبي



النص القرآني في روايات الامامين الجوادين (عليهما السلام) ..... (المصباح)

- جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي رحمته الله المتوفى سنة ٣٢٨ / ٣٢٩ هـ مع تعليقات نافعة مأخوذة من عدة شروح صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري نهض بمشروعه الشيخ محمد الآخوندي الناشر دار الكتب الاسلامية مرتضى
- آخوندي تهران بازار سلطاني. ١٠. محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، ط٢، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٨ م. ١١. منهج الشيخ الطوسي في تفسير القران، د. كاصد ياسر الزيدي، بغداد.



# تَوْظِيفُ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليهما السلام

## الْقَصَصَ الْقُرْآنِيَّ فِي كَلِمَاتِهِ وَمَوَاعِظِهِ

أ.م.د. جاسم محمد علي الغرابي  
جامعة الكوفة - كلية الفقه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ومعارفه، ف ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة البقرة: ٢]، والوسيلة لإصلاح المجتمع الإسلامي إذا ساروا على ضوئه، وأخذوا بأحكامه وتعاليمه، ولم يجيدوا عن سننه وشرائعه.

فالقُرآن الكريم لم يتخذ لنفسه طريقة خاصة لإفهام مقاصده غير ما هو مفهوم من لغة العرب وأصول محاوراتهم بلسان عربي مبين، ليدبروا آياته ويفهموا معانيه، وكان من جملة ما جاء به القصص القرآني لما فيه من نصوص مكتنزة بالمعاني، أشارت في طيها إلى جملة من الأحكام

القرآن العظيم كتاب أنزله الله (عز وجل) على نبيه محمد ﷺ خاتم الأنبياء، ودينه عام لجميع الخلق وخاتمة لجميع الأديان، وهو دستور الخالق لإصلاح المخلوقين من البشر، وقانون السماء هداية أهل الأرض، من حيث أمور دينه ودنياه، وهو برهان الرسالة ودليلها: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [سورة فصلت: ٤٢]، وهو مصدر التشريع الإسلامي يستند إليه في عقائده وعباداته وحكمه وأحكامه وآدابه وأخلاقه وقصصه ومواعظه وعلومه

## توظيف الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) للقصص القرآني..... (البصائر)

وأمثاله معتبراً، ويوطد تعليماته وتشريعاته متقنناً، ويستوحي عبره ومواعظه مسترشداً، يبكيه الوعيد في فقراته، ويحييه الرجاء في مكنونات عاداته، يتدبر شأنه بإمعان، ويستنطق دلالاته بأناة.

وهو في ذلك يقول: ((اللَّهُمَّ فَاذْذِ أَفْذَتَنَا الْمُعُونَةَ عَلَى تِلَاوَتِهِ، وَسَهَّلْتَ جَوَابِي أَلْسِنَتَنَا بِحُسْنِ عِبَارَتِهِ، فَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يَرَعَاهُ حَقَّ رِعَايَتِهِ، وَيَدِينُ لَكَ بِاعْتِقَادِ التَّسْلِيمِ لِحُكْمِ آيَاتِهِ، وَيَفْرَعُ إِلَى الْإِقْرَارِ بِمُتَشَابِهِهِ وَمَوْضَحَاتِ بَيِّنَاتِهِ. اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَنْزَلْتَهُ عَلَى نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مُجْمَلًا، وَأَهْمَمْتَهُ عِلْمَ عَجَائِبِهِ مُكْمَلًا، وَوَرَّثْتَنَا عِلْمَهُ مُفَسَّرًا، وَفَضَّلْتَنَا عَلَى مَنْ جَهَلَ عِلْمَهُ، وَقَوَّيْتَنَا عَلَيْهِ لِتَرْفَعَنَا فَوْقَ مَنْ لَمْ يُطِقْ حَمَلَهُ))<sup>(١)</sup>.

ومن هنا جاء البحث في محاولة متواضعة لبيان ما للإمام عليه السلام من دور في عملية استنطاق النصوص القرآنية التي حوت في مضانها تلك القصص، فنجد عليه السلام يروي تفاصيل القصص دون

(١) الصحيفة السجادية/ من الدعاء الحادي والأربعون.

التي يمكن أن يستنبط منها الفقهاء الكثير من الأحكام الشرعية، وكذلك نجد في القصة القرآنية الكثير من الدروس والعبر لما انمازت به من واقعية وأنبأتنا عن الأحداث التي جرت على الأمم السابقة بكل صدق وحقيقة، كي تكون عبرة لأصحاب العقول، وكذا تثبيتاً لفؤاد النبي ﷺ، وما أجرى الله (عز وجل) من سننه في الأقوام السابقة ﴿وَقَدْ خَلَّتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ [سورة الحجر: ١٣]. وإعلاماً بالغيب الماضي.

والقرآن العظيم أبان عن ذلك من خلال عرضه طائفة من قصص الأنبياء والمرسلين، والأولياء والصالحين، وعباد الله المخلصين كقصة صاحب موسى عليه السلام ومريم الصديقة، ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنَّ الْعَاقِلِينَ﴾ [سورة يوسف: ٣].

كان القرآن العظيم عند الإمام علي بن الحسين عليه السلام، يحتل المكانة السامية في قلبه، وتتقاطر آياته من شفتيه، يقف عند زواجره ونواهييه عاملاً، يسير مع حكمه





أن يحدث عن أحد، ولم يسند روايته لأحد، وإنما يمارس دوره الحقيقي الذي رسمه النبي الأكرم محمد ﷺ ((إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، وأنها لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض))<sup>(٢)</sup>، فهو ﷺ مصدر من مصادر التشريع الإسلامي.

والذي يقف عند ما جاء به الإمام ﷺ من سرد للقصص القرآني، وسبر أغوارها ليميط اللثام عن الكثير من أسرارها، والمتمثلة عادة في أبرز أسماء شخوصها، وربطها بواقعها الزمني، يجد الأمام ﷺ حاكياً إلى جنب القرآن الكريم ومن خلال القرآن دروساً وعبر، يحتم على الإنسان المؤمن السير في ضوئها وهذا ما عمل عليه البحث.

اقتضت طبيعة البحث أن يكون على مقدمة وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تناول البحث فيه:

المطلب الأول: التأصيل العلمي لمفهوم القصة في اللغة والاصطلاح.

(٢) الحر العاملي: وسائل الشيعة ٢٧ / ٢٩.

المطلب الثاني: أنواع القصص القرآني في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: تطرق البحث فيه:

المطلب الأول: خصائص القصص القرآني.

المطلب الثاني: القيم التربوية في القصة القرآنية.

المبحث الثالث: اشتمل على ما يأتي:

المطلب الأول: الإمام علي بن الحسين ﷺ وقصص الأنبياء ﷺ.

المطلب الثاني: الإمام علي بن الحسين ﷺ وقصص الماضين من غيرهم.

### المبحث الأول:

#### القِصَّة في القرآن الكريم

#### تناول البحث فيه:

المطلب الأول: التأصيل العلمي لمفهوم القصة في اللغة والاصطلاح.

#### القِصَّة في اللغة:

الحَبْر، وهو القَصَص، والقَصُّ فعل القاص إذا قَصَّ القَصَصَ، والقِصَّة معروف والقَصُّ: إتباع الأثر، ويقال خَرَجَ فلان في أثر فلان قَصًّا وذلك إذا أَقْتَصَّ أثره، وقيل القاصُّ يَقْصُ القَصَصَ



توظيف الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) للقصص القرآني ..... **الْبَصْبِجَاتُ** •

قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْعَفْلِيَاتِ ﴾ [سورة يوسف: ٣]: ((الْقَصَصُ إِتْبَاعُ بَعْضِهِ بَعْضٌ وَأَصْلُهُ فِي اللُّغَةِ الْمَتَابَعَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيه ... ﴾ [سورة القصص: ١١]، أي إِتْبَاعِي أَثْرَهُ، وَقَالَ تَعَالَى ﴿ .. فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ [سورة الكهف: ٦٤]، أي إِتْبَاعًا وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ الْحِكَايَةُ قَصَصًا لِأَنَّ الَّذِي يَقُصُّ الْحَدِيثَ يَذْكُرُ الْقِصَّةَ شَيْئًا فَشَيْئًا))<sup>(٦)</sup>. وهو بهذا القول يدل على أن الرازي يحاول التقريب بين المعنى اللغوي والاصطلاحي الأدبي، وذلك حين يربط بين الاثنين باستعمال لفظ الحكاية وإطلاقه لفظ القصة عليها<sup>(٧)</sup>.

وأما في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ .. ﴾ [سورة آل عمران: ٦٢] فيقول: ((والْقَصَصُ هُوَ مَجْمُوعُ الْكَلَامِ الْمَشْتَمَلِ عَلَىٰ مَا يَهْدِي إِلَىٰ

لإتباعه خبراً بعد خبر وسوقه الكلام سوقاً<sup>(٣)</sup>.

وقال الراغب في المفردات: القص، تتبع الأثر، يقال: قصصت أثره<sup>(٤)</sup>.

وأما القصة في الاصطلاح: علماء التفسير وجهوا المسألة إلى أمرين:-

الأول: اعتمدوا على ما أورده اللغويون بما تحصل لديهم من معناه اللغوي، الذي أورد البحث جانباً منه.

والثاني: وقفوا من القصص القرآني تجاه ما يرمي إليه من أهداف وغايات، فتجدهم يصبون إليه من وجهة دينية، وهي مقصد القرآن الكريم من قصصه أو أهدافه التي.

ذكر الطوسي (ت ٤٦٠هـ): إن المراد بالقصص: الخبر الذي تتابع فيه المعاني وأصله إِتْبَاعُ الْأَثْرِ، وَفُلَانٌ يَقْصُ أَثْرَ فُلَانٍ أَي يَتْبَعُهُ<sup>(٥)</sup>.

قال الرازي (ت ٦٠٦هـ) في تفسير

(٣) ابن منظور: لسان العرب ٧ / ٣٨٨ (مادة قصص)، الفيروز آبادي: القاموس المحيط: ٢ / ٣١٣.

(٤) ١ / ٦٧١.

(٥) التبيان ٢ / ٤٨٦.

(٦) مفاتيح الغيب ٨ / ٨٧.

(٧) محمد خلف الله: الفن القصصي في القرآن

الكريم ١٥١.



الدين، وَيُرْشَدُ إلى الحق، ويأمرُ بطلب النجاة))<sup>(٨)</sup>. وهو بهذا القول يشرح معنى القَصَص شرحاً دينياً، ويوضح معناه الاصطلاحي<sup>(٩)</sup>.

وردت لفظة ((قَصَص)) وما اشتق منها في القرآن الكريم ثلاثين مرة<sup>(١٠)</sup>.

وكان للشهيد الصدر الثاني (ت ١٤٢١هـ) وقفة مع المعنيين يمكن لنا أن نعرض ما جاء به بهذا المضمار إذ يقول: ((ومن هنا نلاحظ أن الراغب يرجع القصة المعروفة إلى معنى تتبع الأثر، لكونها بالأصل من الأخبار المتتبعة، أي المطلوب بيانها وسماها. في حين ترى ابن منظور يجعل القصة المعروفة مأخوذة من القصاص وهو الخبر أو الكلام الذي في النفس. كما يمكن أن تكون القصة مأخوذة من القص وهو

(٨) المصدر السابق ١٥٢.

(٩) محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم: ٦٥٤-٦٥٥.

(١٠) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ٥/

١١٣، الشوكاني: فتح القدير الجامع بين

فني الرواية والدراية في علم التفسير ١/

١٠٧٨.

القطع، على اعتبار أنها قطعة من البيان المطلوب))<sup>(١١)</sup>.

القصة في القرآن الكريم ليست عملاً فنياً مستقلاً في موضوعه وطريقة عرضه وإدارة حوادثه - كما هو الشأن في القصة الغنية الحرّة، التي ترمي إلى أداء غرض فني طليق - إنما هي وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى أغراضه الدينية. والقرآن كتاب دعوة دينية قبل كل شيء، والقصة إحدى وسائله لإبلاغ هذه الدعوة وتثبيتها<sup>(١٢)</sup>.

وفي القصص القرآني ترى تديراً عجبياً معجزاً في توزيع المشاهد القصصية توزيعاً محكماً بين الحدث والشخصية، فالأشخاص في القرآن أياً كانوا ليسوا مقصودين لذاتهم من حيث هم أشخاص تاريخيون يراد إبراز معالمهم وكشف أحوالهم، وإنما يكونون نماذج بشرية في مجال الحياة الخيرة والشريرة في صراعها مع الخير والشر، وينظر إليهما باعتبار الدور الذي تؤديه كشاهد من

(١١) ما وراء الفقه ١٠ / ١١٨

(١٢) سيد قطب: في ظلال القرآن ١ / ٥٥.



## توظيف الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) للقصص القرآني..... (المصباح)

موضع واحد مثل قصة نوح عليه السلام، أو ترد مرة واحدة في مكانٍ واحد كقصة يوسف عليه السلام.

٢. قصة قصيرة محتوية على بعض العناصر كقصة النمل والهدد، أو مشتملة على كل عناصر القصة إلا أنها قصيرة<sup>(١٥)</sup>.

أما تقسيمها عند الدكتور مناع القطان فقد جاء على ثلاثة أنواع<sup>(١٦)</sup>:

١. قصص الأنبياء، وقد تضمن دعوتهم إلى قومهم، والمعجزات التي أيدهم الله بها، وموقف المعاندين منهم، وعاقبة المؤمنين والمكذبين، كقصص نوح، وإبراهيم، وموسى، وهارون، وعيسى، ومحمد عليه السلام.

٢. قصص قرآني يتعلق بحوادث مضت، وأشخاص لم تثبت نبوتهم، ومن ذلك قصة الذين أخرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، وابني آدم، وأهل الكهف، وذوي القرنين،

شواهد الإنسانية في قوتها أو ضعفها، وفي استقامتها أو أغراضها في أهدافها أو ضلالها<sup>(١٣)</sup>.

عرّف مناع القطان (ت ١٤٢٠هـ) قصص القرآن بأنها: ((إخباره عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة، وقد اشتمل على كثير من وقائع الماضي، وتاريخ الأمم، وذكر البلاد والديار، وتتبع آثار كل قوم، وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه))<sup>(١٤)</sup>.

المطلب الثاني: أنواع القصص القرآني في القرآن الكريم.

اختلفت تقسيمات العلماء للقصص القرآني، فمنهم من قسمها باعتبار الطول والقصر ومنهم من قسمها باعتبار شخصيات القصة من أنبياء وغيرهم، فجاء تقسيم القصص عندهم على النحو الآتي:

١. قصة طويلة ترد مجزأة ثم تتجمع في

(١٥) مريم السباعي: القصة في القرآن الكريم ٣٠.

(١٦) ظ: المصدر السابق ٦ ٣٠.

(١٣) ظ: فضل حسن عباس: القصص القرآني إجاؤه ونفحاته ٤٠.

(١٤) مباحث في علوم القرآن ٣٠٠.



وقارون، وأصحاب السبت، ومريم، وأصحاب الأخدود، وأصحاب الفيل ونحوهم.

٣. قصص يتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن رسول الله ﷺ كغزوة بدر وأحد في سورة آل عمران، وغزوة حنين وتبوك في التوبة، وغزوة الأحزاب في سورة الأحزاب، والهجرة، والإسراء ونحو ذلك.

### المبحث الثاني:

المطلب الأول: خصائص القصص القرآني.

أُسمت القصة في القرآن الكريم بخصائص فنية عالية المستوى لم تستطع أن تدانيها سائر القصص الأخرى لما لها من قدسية وجلالة شرفها القرآن العظيم، فضلاً عما يزيد في بلاغته وإعجازه، كما ان غرضها ديني محدد؛ لهذا جاء أسلوبها متناغماً مع هذا الغرض الذي سبقت لأجله.

قسم العلماء خصائص القصص

القرآني على قسمين:

١. خصائص ذاتية.

٢. خصائص فنية.

أما الذاتية فمنها: القصص القرآني جزء من كتاب الله تعالى، وهو الحق الذي قال الله تعالى فيه: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنَّ الْعَاقِلِينَ ﴾ [سورة يوسف: ٣].

القصص القرآني تعبير صادق، قائم على الواقعية، فهو يتفق مع الإنسان في حقيقته وواقعه.

التسامي في الهدف، حيث لا يدعى في القصص القرآني إلى شيء إلا ويُقصد من ورائه هدف نبيل في غايته، ولا ينهي عن شيء إلا وكان للنهي عنه حكمة جليلة<sup>(١٧)</sup>.

موضوع القصص هو الإنسان المستخلف في الأرض بما يدور حوله في الكون وما يحدث له وما ينبغي أن يكون عليه حاله، فهو قطب الرحي في القصة القرآنية مثلما هو قطب الرحي في الكون الذي استخلف فيه.

(١٧) ظ: مريم السباعي: القصة في القرآن الكريم ٣٩.



## توظيف الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) للقصص القرآني..... (المصباح)

المساومة مع الطغاة.

ونوح عليه السلام: بطل الصبر والإستقامة  
والشفقة والقلب المحترق في ذلك العمر  
الطويل المبارك.

وموسى عليه السلام: البطل المربي لقومه  
اللاجوجين، والذي وقف بوجه فرعون  
المتكبر الطاغى.

ويوسف عليه السلام: بطل الورع والتقوى  
والطهارة... أمام امرأة محتالة جميلة  
عاشقة<sup>(٢٠)</sup>.

ويمكن إجمال أبرز الخصائص الفنية  
للقصص القرآني فيما يأتي:

١. الأسلوب المتنوع للعرض:

فالقصة في القرآن العظيم لا يتم  
الإخبار عنها إخباراً مجرداً، بل نجده  
يقدم ملخصاً للقصة، ثم يبدأ بعرض  
التفصيلات من بدئها إلى نهايتها، متناولاً  
جميع المشاهد والمناظر المعروضة، فإذا  
بالقصة حادث يقع ومشهد يجري، وذلك  
كقصة أصحاب الكهف، فالتلخيص  
في بدايتها كان مقدمة تجذب النفس  
للتفصيلات، فقد قال (عز وجل): ﴿ **أمر**

القصة القرآنية ليست عملاً فنياً  
مستقلاً في موضوعه وطريقة عرضه،  
وإدارة حوادثه، كما هو شأن القصة  
العادية، وإنما هي وسيلة من وسائل  
القرآن إلى إبراز الأغراض الدينية التي  
تكفل للإنسان السعادتين<sup>(١٨)</sup>.

وقد أبان الشهيد الصدر الثاني  
(ت ١٤٢١هـ) عن واقعية وحقيقة وصدق  
القصص القرآني عندما فصل القول في  
كتابه (ما وراء الفقه في مبحث القصة في  
القرآن الكريم) لدى حديثه عن وهمية  
وحقيقة القصص القرآني<sup>(١٩)</sup>.

أضف إلى ذلك أن التأمل في آيات  
القصص القرآني يكشف لنا عن وجه  
من وجوه الأعجاز في القرآن العظيم، إذ  
يتأتى ذلك في الشخصوس الذي يتناولها  
القصص، فالأبطال الذين يقدمهم في  
قصصه أبطال حقيقيون لا خياليون،  
وكل واحد في نفسه منهم منعدم النظير:

فإبراهيم عليه السلام: البطل الذي حطّم  
الأصنام بروحه العالية التي لا تقبل

(١٨) ظ: محمد قطب: القصة في القرآن ٢٥.

(١٩) ظ: ١٠ / ١٣٢ - ١٣٩.

(٢٠) تفسير الأمل ٧ / ١١٢.



حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا  
مِنَ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى  
الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِن لَّدُنكَ رَحِمَةٌ وَهَيِّئْ  
لَنَا مِن أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَى  
عَآذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾  
ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِئُوا  
أَمَدًا ﴿سورة الكهف: ٩-١٢﴾.

يقول ناصر مكارم الدين الشيرازي:  
(المُلَفَّت للنظر أنَّ القرآن ذكر في البداية  
قصة هذه المجموعة من الفتية بشكل  
مجمل، مؤظفاً بذلك أحد أصول فن  
الفصاحة والبلاغة، وذلك لتهيئة أذهان  
المستمعين ضمن أربع آيات، ثم بعد ذلك  
ذكر التفاصيل في (١٤) آية<sup>(٢١)</sup>).

إذ يبين لنا القرآن العظيم كيف بدأ  
ت التفاصيل الشائقة توضح تشاورهم  
قبل دخول الكهف، ثم نومهم ويقظتهم،  
وإرسال أحدهم إلى السوق، ثم موتهم  
واختلاف الناس في أمرهم.

في حين نجد أن القرآن الكريم  
في سورة يوسف عليه السلام يصور لنا مشهداً  
آخر تتجلى فيه بوضوح عاقبة القصة  
(٢١) تفسير الأمل ٩/ ٢٠٣.

وهدفها، ثم بدايتها وسير خطواتها.  
و قد افتتح (عز وجل) قصته عليه السلام  
بذكر هذه الرؤيا التي أراها له وهي  
بشرى له تمثل له ما سيناله من الولاية  
الإلهية و يخص به من اجتباء الله إياه و  
تعليمه تأويل الأحاديث و إتمام نعمته  
عليه ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي  
رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ  
لِي سَاجِدِينَ ﴾ [سورة يوسف: ٤]،  
ويدرك الأب النبي أن هذه الرؤيا ترمز  
إلى اصطفاء ولده يوسف عليه السلام.

واللافت أن الرؤيا قد تحققت حساً  
ومعنى، انظر ما جاء في خواتيم سورة  
يوسف ﴿ وَرَفَعَ أَبُوبِهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا  
لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَاكَ مِن  
قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا رُبِّي حَقًّا ﴾ [سورة يوسف:  
١٠٠]، فالصورة الحسية للسجود المعبر  
عن الاحترام والاعتراف بالفضل قد  
تحققت كما ورد في الرؤيا<sup>(٢٢)</sup>.

كما نلاحظ أن القرآن العظيم قد يذكر  
القصة مباشرة بلا مقدمة ولا تلخيص،  
(٢٢) ظ: الطباطبائي: الميزان ١١ / ٤١، سيد  
قطب: في ظلال القرآن ٤ / ٢٩١.



## توظيف الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) للقصص القرآني..... (المصباح)

وهذه الطريقة من العرض سمة بارزة في القصص القرآني، إذ من شأنها أن تعطي القيمة الفنية للقصّة، وتضفي عليها الحيوية وتبعث فيها الحياة، بينما تقل هذه القيمة وتضعف أكثر فأكثر كلما شغل الذهن بعرض تلك الروابط البديهية، وذكر تلك التفصيلات التي غالباً ما تمل النفوس سماع الحديث عنه (٢٣).

ومن أمثلة هذه الخاصة المهمة: المشهد الذي يصوره القرآن في قصة إبراهيم وإسماعيل في بنائهما الكعبة المشرفة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ

(٢٣) التنوع في الاستهلال بالقصة ووضع المدخل إليها: أمل عبد الجبار كريم  
www. uobabylon. edu. الشرع،  
iq/ uobcoleges/ lecture.  
aspx?fid=19&lcid=34954

ويكتفى بما في ثناياها من مفاجآت خاصة بها، وذلك مثل قصة مريم عند ولادتها عيسى عليه السلام.

قال تعالى ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ﴾  
﴿قَالُوا يَمْرَيْمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾﴾  
﴿يَتَأَخَّتْ هُرُونَ مَا كَانَ لَكِ مِنْ أَمْرٍ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ [سورة مريم: ٢٧ - ٢٨].  
﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَرْحَامِ صَيِّبًا﴾ [سورة مريم: ٢٩].

فالتأمل للآيات المباركة يجد هذه الشريحة القصصية المتصلة بمريم وعيسى تشكل القسم الأخير من قصة مريم، مثلما يمكننا أن نقول بأنها بداية لقصة جديدة هي قصة عيسى عليه السلام.

ومن خصائص القصص القرآني أيضاً، العرض التمثيلي: وهو العرض الذي يقوم على إبراز المشاهد الرئيسية، والحلقات الأساسية من القصة، بشكل واضح وجلي أمام الناظر أو المتخيل، بينما يترك له بين كل مشهد وآخر من هذه المشاهد أو الحلقات فجوات يطوي فيها ما بين المشاهد من الروابط البديهية، ويفسح المجال للخيال حتى يملأها.





وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿[سورة البقرة: ١٢٧-١٢٩].

قال في تفسير الأمل (٢٤): يتضرع إبراهيم وإسماعيل إلى رب العالمين بخمسة طلبات مهمة. وهذه الطلبات المقدسة حين الإشتغال بإعادة بناء الكعبة جامعة ودقيقة بحيث تشمل كل احتياجات الإنسان المادية والمعنوية، وتفصح عن عظمة هذين النبيين الكبيرين.

قالا أولاً: ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ ﴾. ثم أضافا: ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً ﴾.

وطلبا تفهم طريق العبادة: ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ﴾، ليعبد الله حقَّ عبادته.

ثم طلبا التوبة: ﴿ وَتُبَّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾.

الآية الأخيرة تضمنت الطلب الخامس، وهو هداية الذرية ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾.

ظاهرة تكرار القصة في القرآن العظيم:

(٢٤) ناصر مكارم الدين الشيرازي / ١ / ٣٨٣.

تكاد تكون علامة فارقة من خصائص القصص القرآني لكن هذا ليس المراد به التكرار في الموضوع الواحد كما يتصوره البعض، وذلك لأن القصة الواحدة يتكرر عرضها في سور شتى، ولكن النظرة الفاحصة تؤكد أنه ما من قصة، أو حلقة تكررت في صورة واحدة من ناحية القدر الذي يُساق، وطريقة الأداء في السياق، وأنه حيثما تكررت حلقة كان هنالك جديد تؤديه، ينفي حقيقة التكرار (٢٥).

وقد أبان الخطيب الإسكافي عن هذا بقوله: ان ليس في القرآن تكرار إلا وله قصد يبعث على ذلك التكرار؛ إذ يقول: ((إذا أعيد الكلام لإسباب مختلفة، لم يُسَمَّ تكراراً)) (٢٦). ((وأن التكرار لم يأت إلا ويقدم زيادة في القصة لم تكن وردت من قبل)) (٢٧). ومما يلفت النظر في قصص الأنبياء هو أن معاني القصة ترد مكررة في مواضع شتى من سور

(٢٥) سيد قطب: في ظلال القرآن ٥٥.

(٢٦) درة التنزيل وغيرة التأويل: في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز ٨٢.

(٢٧) الزركشي: البرهان في علوم القرآن ٣ / ٢٩.





القرآن الكريم، ولكن هذا التكرار غالباً لا يتناول القصة كلها، وإنما هو تكرار لبعض حلقاتها، وسببه أن المعاني الأدبية والفنية هي من مقاصد القصة في القرآن، ومن الأمور التي يبحث عنها، وهي التي تجعل الحادثة الواحدة تُصور بصور مختلفة ويُعبر عنها بعبارات متفاوتة حسب الظروف والمناسبات<sup>(٢٨)</sup>.

يقول سيد قطب (ت ١٣٨٧هـ) عن هذه الظاهرة: ((ولكن هذا التكرار أنشأ جمالاً فنياً من ناحية أخرى ذلك أن عرض هذا الشريط يجيل للمتأمل أنه نبي واحد، وأنها إنسانية واحدة، على تطاول الأزمان والآماد كل نبي يمر وهو يقول كلمته الهادية، فتكذبه الإنسانية الضالة، ثم يمضي ويحيى تاليه فيقول الكلمة ذاتها ويمضي، وهكذا))<sup>(٢٩)</sup>.

وقد أخذت ظاهرة التكرار حيزاً كبيراً في مجال الدراسات المتخصصة في هذا الجانب، إذ توسع الباحثون

في دراستها، وانتهوا - بقدر طاقتهم البشرية - إلى أن هذه الظاهرة لا تُعد تكراراً في الحقيقة، ولكنها صوراً للمواقف والمشاهد المختلفة، ولو جُمعت القصة الواحدة كلها في موطن واحد لفات الكثير والكثير من مواطن العبرة والعظة، ولضاعت معالم الإعجاز البياني ومناحيه المختلفة، ووجوهه التي لا تتألق إلا في ظل هذا التكرار، ولأشبهت القصة القرآنية القصة التاريخية، التي لا تعنى إلا بإبراز الشخصيات والحوادث من غير نظر إلى الاعتاض والاعتبار والتوجيه، ولما وجدت الأحكام القرآنية والمناهج التربوية ما يبرزها في صور تجسد المعاني وتحضر لها في الأذهان مكاناً<sup>(٣٠)</sup>.

وهناك الكثير من الخصائص التي لا يسع المجال ذكرها كونها ليست الغاية الأساسية من البحث.

**المطلب الثاني: القيم التربوية في القصة القرآنية:**

توطئة:

(٣٠) إسماعيل محمد بكر: قصص القرآن من آدم ﷺ إلى أصحاب الفيل ١١.

(٢٨) عفيف عبد الفتاح طبارة: مع الأنبياء في

القران الكريم ٢٦.

(٢٩) التصوير الفني ١٤١.

تعد القيم التربوية في القصة القرآنية ركيزة أساسية من الركائز التي تؤكد على الأخلاق الإنسانية العالية في مقابل التركيز على الأحاسيس والانفعالات في شخصية الإنسان والتربية على الاهتمام بالغرائر. لأن المسيرة والحركة التكاملية للإنسان -سواء على مستوى الفرد والجماعة- إنما تقوم على أساس الأخلاق بعد العقيدة بالله تعالى والرسالات واليوم الآخر، بل إن الاتصاف بالأخلاق العالية هو الذي يمثل عنصر التكامل الحقيقي في حركة الإنسان الفردية والجماعية، ولذا كانت قاعدة المجتمع الإنساني في نظر الإسلام قاعدة أخلاقية، والسلوك الراقي للإنسان هو السلوك الأخلاقي. وقد ورد عن رسول الله ﷺ قوله: ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)) (٣١).

المقصد الأول: التأصيل العلمي لمفهوم القيم التربوية في اللغة والاصطلاح:

القيم في اللغة: تعددت معاني كلمة (٣١) البيهقي: السنن الكبرى ١٠ / ١٩٢.

القيم في معاجم اللغة العربية وكانت في معظمها تدور حول مفهوم الاعتدال والاستقامة وتقدير الثمن والعدل والثبات.

قال ابن منظور: تعني القيم الاستقامة، الاستقامة واعتدال الشيء واستواؤه (٣٢).

وجاء في المصباح المنير «قام المتاع لكذا أي تعدلت قيمته به والقيمة الثمن الذي يقام به المتاع أي يقوم مقامه (٣٣).

أما الراغب الأصفهاني فالقيم لديه تعني: ديناً قيماً مقوماً لأمر معاشهم ومعادهم (٣٤).

والبحث يخلص أن معنى القيم في اللغة تدور حول معاني عدة منها:

أنها تأتي بمعنى الثبات على أمر نقول فلان ماله قيمة أي ماله ثبات على الأمر، وتأتي بمعنى الاستقامة والاعتدال يقول تعالى ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ

أَقْوَمُ ﴾ [سورة الاسراء: ٩].

معنى القيم اصطلاحاً: نظراً

(٣٢) لسان العرب ٥ / ٣٧٨٢.

(٣٣) الفيومي ١ / ٢٦٨.

(٣٤) مفردات غريب القرآن ١ / ٦٩١.



## توظيف الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) للقصص القرآني..... (المصباح)

وأهدافها ومثلها العليا»<sup>(٣٧)</sup>.  
٤. وعرفها علماء الاجتماع: بأنها الاعتقاد بأنها شيء ذو شيئاً ما ذا قدرة على إشباع رغبة إنسانية وهي صفة للشيء تجعله ذا أهمية للفرد أو للجماعة وهي تكمن في العقل البشري وليست في الشيء الخارجي نفسه<sup>(٣٨)</sup>.

٥. أو هي «المثاليات التي تسود في الأفراد وتتغلغل في نفوسهم ويتوارثها الأجيال ويدافعون عنها قدر الإمكان»<sup>(٣٩)</sup>.

من خلال ذلك يتضح لدينا ان القيم هي عبارة عن مجموعة من المعتقدات والتصورات الذهنية والنفسية والاجتماعية والجسمية شبه الثابتة والمستقرة لدى الإنسان والتي يفضلها على غيرها من التصورات حول الأشياء

(٣٧) احمد، بركات: في فلسفة التربية، الرياض:

دار المريخ للنشر ٧٥.

(٣٨) طهطاوي، سيد أحمد: «القيم التربوية في القصص القرآني» رسالة ماجستير، مصر:

دار الفكر العربي ٤٧.

(٣٩) عبد الفتاح إسماعيل: القيم السياسية في الإسلام القاهرة: الدار الثقافية للنشر ٣٤.

لأن مصطلح القيم يدخل في كثير من المجالات فقد تنوعت المعاني الاصطلاحية له بحسب المجال الذي يدرسه وبحسب النظرة إليه وقد عرف الباحثون القيم اصطلاحاً على النحو التالي:

١. «مقياس أو مستوى أو معيار نستهدفه في سلوكنا، وينظر إليه على أنه مرغوب فيه أو مرغوب عنه»<sup>(٣٥)</sup>.  
٢. «عبارة عن تنظيمات لأحكام عقلية انفعالية موجهة نحو الأشخاص والأشياء وأوجه النشاط»<sup>(٣٦)</sup>.

٣. كما عرفت بأنها «مجموعة من القوانين والمقاييس تنشأ في جماعة ما ويتخذون منها معايير للحكم على الأعمال والأفعال المادية والمعنوية وتكون لها من القوة والتأثير على الجماعة بحيث يصبح خروجاً عن مبادئ الجماعة

(٣٥) محمد ابراهيم كاظم: «التطور القيمي وتنمية المجتمعات الريفية»، المجلة الاجتماعية القومية، العدد الثالث، القاهرة: المركز القومي للبحوث الاجتماعية.

(٣٦) زهران حامد: علم النفس الاجتماعي، القاهرة: مكتبة عالم الكتب ١٠١.



وبمارسها باقتناع في حياته المعتادة.

التربية في اللغة والاصطلاح:

أورد الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢

هـ): الرب في الأصل التربية وهو إنشاء

الشيء حالاً فحالاً إلى حد، ولا يقال

الرب مطلقاً إلا الله تعالى المتكفل بمصلحة

الموجودات نحو قوله ﴿بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ

عَفُورٌ﴾ [سورة سبأ: ١٥]. والمتولى

لمصالح العباد وبالإضافة يقال له والغيره

نحو قوله ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾

ويقال رب الدار ورب الفرس لصاحبها

وعلى ذلك قول الله تعالى: ﴿أَذْكُرُنِي

عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ

رَبِّهِ﴾ [سورة يوسف: ٤٢] (٤٠).

جاء في لسان العرب: ربا الشيء أي

زادونها واربيتها أي نميته (٤١).

وفي المعجم الوسيط: تربي بمعنى

نشأ وتغذى وثقف، وفي نفس المعجم

ربّاه أي نمى قواه العقلية والجسدية

والخلقية (٤٢).

اما اصطلاحاً فقد تبين معنى

التربية ومفهومها تبعاً لتباين واختلاف

طبيعة الدراسات النفسية والاجتماعية

في نظرتها للفرد وللمجتمع ذلك لان

العمل التربوي ينصب على تنشئة

الانسان وتكوينه، كما ان الذي يتولى هذا

العمل هو الانسان نفسه، والانسان في

تغير وتطور مستمرين في نظرتة الى نفسه

والى العالم من حوله، وهذا العالم بدوره

في تبدل دائم والمقصود بذلك ان عاملي

الزمان والمكان يحددان نظرة الانسان

وتعريفه للتربية، فمعنى التربية لا يتأثر

بمرور السنين فحسب بل باختلاف

المكان وبناء على ما تقدم نجد ان التربية

تعني عملية التفاعل المستمر التي تتضمن

مختلف انواع النشاط المؤثرة سلبيًا وإيجاباً

في الفرد والتي تعمل على توجيهه في

الحياة الطبيعية.

لذا جاءت القصة في القرآن الكريم

ذات طابع أخلاقي، وللتربية على الإيمان

بالله والأخلاق مثل الإيمان بالغيب، أو

على التسليم والخضوع لله تعالى وللحكمة

الإلهية، أو على الأخلاق الإنسانية

(٤٠) ظ: المفردات في غريب القرآن ١ / ٢٤٢.

(٤١) ابن منظور ٣ / ١٥٧٢.

(٤٢) إبراهيم مصطفى وآخرون ١ / ٣٢٦.



## توظيف الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) للقصص القرآني..... (التصنيف)

على بابي اليوم سائل إلا أعطيتموه، فان اليوم الجمعة فقالت: ليس كل من يسأل محق جعلت فداك؟. فقال: أخاف أن يكون بعض من يسألنا محقا فلا نطعمه ونرده، فينزل بنا أهل البيت ما نزل يعقوب وآله، أطعموهم ثم قال عليه السلام: إن يعقوب كان كل يوم يذبح كبشا يتصدق منه ويأكل هو وعياله، وان سائلاً مؤمناً صواماً قواماً له عند الله منزلة مجتازا غريبا اعتر\* باب يعقوب عشية جمعة عند أو ان إفطاره، فهتف ببابه: أطعموا السائل المجتاز الغريب الجائع من فضل طعامكم، يهتف بذلك على بابه مرارا وهم يسمعون جهلوا حقه ولم يصدقوا قوله، فلما أيس منهم أن يطعم وتغشاه الليل استرجع واستعبر\* وشكا جوعه إلى الله وبات طاوياً وأصبح صائماً جائعاً صابراً حامداً لله، وبات يعقوب وآله شباعاً بطاناً وأصبحوا وعندهم فضلة من طعامهم.

قال عليه السلام: فأوحى الله إلى يعقوب في صبيحة تلك الليلة: لقد أذلت عبدي ذلة استجرت بها غضبي، واستوجبت

العالية كالصبر والإخلاص والحب لله تعالى والتضحية في سبيله والشجاعة والاستقامة في العمل والقدوة الحسنة.

المطلب الأول: الإمام علي بن الحسين عليه السلام وقصص الأنبياء عليهم السلام.  
اكتفى البحث بأنموذجين:

١. قصة يعقوب عليه السلام.

٢. قصة موسى عليه السلام وغيبته.

إنّ في قصص القرآن الكريم ذكراً لسيرة الأنبياء والصالحين، عبرة للناس وتنوياً بفضل أولئك الأنبياء والصالحين، ورفعهم أسوة حسنة، والإمام علي بن الحسين عليه السلام هو من الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، في طليعة فئة الأنبياء والرسل والصالحين، ولذلك فهو أسوة حسنة، وسيرته مثلاً يحتذى، فلنقف نتأمل ما جاء عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام:

١. قصة يعقوب عليه السلام.

عن أبي حمزة الثمالي قال: ((صليت مع علي بن الحسين (صلوات الله عليه) الفجر بالمدينة في يوم الجمعة، فدعا مولاة له يقال، لها وشيكة وقال لها: لا يقفن



بها أدبي ونزول عقوبتي وبلوأي عليك وعلى ولدك يا يعقوب، أما علمت أن أحب أنبيائي إلى وأكرمهم على من رحم مساكين عبادي، وقرهم إليه وأطعمهم وكان لهم مأوى وملجئاً، يا يعقوب أما رحمت دميال عبيد المجتهد في عبادي، القانع باليسير من ظاهر الدنيا عشاء أمس لما اعتر باباك عند أوان إفطاره، يهتف بكم: اطعموا السائل الغريب المجتاز فلم تطعموه شيئاً، واسترجع واستعبر وشكا ما به إليّ، وبات طاويا حامدا صابرا وأصبح لي صائماً، وبت يا يعقوب وولدك ليلكم شباعاً وأصبحتم وعندكم فضلة من طعامكم، وما علمت يا يعقوب أنى بالعقوبة والبلوى إلى أوليائي أسرع منى بها إلى أعدائي، وذلك منى حسن نظر لاوليائي، واستدرج منى لاعدائي، أما وعزتي لأنزلن بك بلوأي ولاجعلنك وولدك غرضاً لمصايي ولاؤدبنك بعقوبتي، فاستعدوا لبلائي وارضوا بقضائي واصبروا للمصائب.

قال أبو حمزة: فقلت لعلي بن الحسين: متى رأى يوسف الرؤيا؟ فقال:

في تلك الليلة التي بات فيها يعقوب وولده شباعاً، وبات فيها دميال جائعاً رآها فأصبح فقصها على يعقوب من الغد فاغتم يعقوب لما سمع من يوسف الرؤيا مع ما أوحى الله إليه أن استعد للبلاء، فقال ليوسف: لا تقصص رؤياك هذه على أخوتك فأنى أخاف أن يكيدوك، فلم يكتم يوسف رؤياه وقصها على أخوته.

فقال على بن الحسين (عليه السلام): فكان أول بلوى نزلت بيعقوب وآله الحسد ليوسف لما سمعوا منه الرؤيا التي رآها، قال: واشتد رقة يعقوب على يوسف وخاف أن يكون ما أوحى الله إليه من الاستعداد للبلاء إنما ذلك في يوسف فاشتدت رفته عليه، وخاف أن ينزل به البلاء في يوسف من بين ولده فلما أن رأى أخوة يوسف ما يصنع يعقوب بيوسف من إكرامه وإيثاره إياه عليهم اشتد ذلك عليهم، وابتدئ البلاء فيهم، فتأمروا فيما بينهم... (٤٣).

وتنتهي هذه القصة التي جاءت في

(٤٣) العياشي: تفسير العياشي ٢ / ١٧٥، الطباطبائي: الميزان ١١ / ٦١.



## توظيف الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) للقصص القرآني..... (التصنيف)

على بن الحسين عن أبيه سيد الشهداء الحسين بن علي عن أبيه سيد -الوصيين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله، لما حضرت يوسف عليه السلام الوفاة جمع شيعته وأهل بيته فحمد الله وأثنى عليه ثم حدثهم بشدة تنالهم تقتل فيها الرجال، وتشق فيها بطون الحبالى، وتذبح الأطفال، حتى يظهر الله الحق في القائم من ولد لاوى بن يعقوب، وهو رجل أسمر طوال، ووصفه ونعته لهم بنعته، فتمسكوا بذلك ووقعت الغيبة والشدة بيني إسرائيل وهم ينتظرون قيام القائم أربعمائة سنة، حتى إذا بشروا بولادته ورأوا علامات ظهوره اشتدت البلوى عليهم، وحمل عليهم بالحجارة والخشب، وطلب الفقيه الذي كانوا يستريحون إلى أحاديثه، فاستتر فراسلوه فقالوا: كنا مع الشدة نستريح إلى حديثك فخرج بهم إلى بعض الصحارى، وجلس يحدثهم حديث القائم ونعته وقرب الأمر، وكانت ليلة قمرء -فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم موسى عليه السلام وكان في ذلك الوقت حديث السن وقد خرج

القرآن العظيم وما أعتبر به الإمام عليه السلام منها بسؤال ابي حمزة: علي بن الحسين عليه السلام ابن كم كان يوسف يوم ألقوه في الحب؟. فقال عليه السلام: ابن تسع سنين فقلت: كم كان بين منزل يعقوب يومئذ و بين مصر فقال عليه السلام: مسيرة اثني عشر يوماً.

من هنا نجد أن الإمام علي بن الحسين عليه السلام قد أبان ما في هذا السرد القصصي القرآني، من أسرار وعظات، تلمسنا منها الاعتبار بالحث على إطعام المساكين، وعدم رد المستضعفين، كما نلاحظ أن الإمام عليه السلام قد ربط القصة بواقعها الزمني، وأبرز أسماء شخوصها، وإمامه الكامل بكل تفاصيلها. كما أفادت القصة ضمناً بأن الصيام كان مفروضاً على الأمم السابقة، إذ أن السائل كان صائماً وجاء وقت الإفطار، الأمر الذي يصدقه القرآن بقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٨٣].

٢. قصة موسى عليه السلام وغيبته:

عن سعيد بن جبير عن سيد العابدين





من دار فرعون يظهر النزهة، فعدل عن موكبه وأقبل إليهم وتحتة بغلة، وعليه طيلسان خز فلما رآه الفقيه عرفه بالنعته، فقام إليه وانكب على قدميه فقبلهما، ثم قال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراينك فلما رأى الشيعة ذلك علموا انه صاحبهم، فانكبوا على الأرض شكرا لله (عز وجل)، فلم يزداهم إلا أن قال: أرجو أن يعجل الله فرجكم ثم غاب بعد ذلك وخرج إلى مدينة مدين، فأقام عند شعيب النبي ما أقام، فكانت الغيبة الثانية اشد عليهم من الأولى، وكانت نيفا وخمسين سنة، واشتدت البلوى عليهم، واستتر الفقيه فبعثوا إليه انه لا صبر لنا على استتارك عنا، فخرج إلى بعض الصحارى واستدعاهم وطيب نفوسهم، وأعلمهم أن الله (عز وجل) أوحى إليه انه مفرج عنهم بعد أربعين سنة، فقالوا باجمعهم: الحمد لله فأوحى الله (عز وجل) إليه قل لهم قد جعلتها ثلاثين سنة لقولهم الحمد لله فقالوا: كل نعمة فمن الله فأوحى الله إليه قل لهم: قد جعلتها عشرين سنة، فقالوا: لا يأتي بالخير إلا الله فأوحى الله

إليه قل لهم: قد جعلتها عشرا، فقالوا: لا يصرف السوء إلا الله، فأوحى الله إليه قل لهم: لا تبرحوا فقد أذنت لكم في فرجكم، فبيناهم كذلك، إذ طلع موسى ﷺ راكبا حمارا فأراد الفقيه أن يعرف الشيعة ما يستبصرون به فيه، وجاء موسى ﷺ حتى وقف عليهم فسلم عليهم فقال له الفقيه: ما اسمك؟ قال: موسى قال: ابن من؟ قال ابن عمران قال: ابن من؟ قال، ابن قاهب بن لاوى بن يعقوب، قال: بماذا جئت؟ قال جئت بالرسالة من عند الله (عز وجل)، فقام إليه فقبل يده ثم جلس بينهم فطيب نفوسهم وأمرهم أمره ثم فرقهم فكان بين ذلك الوقت وبين فرجهم بغرق فرعون أربعين سنة (٤٤).

فالمأمل في القصة يجد أن الإمام ﷺ قد حدد الفترة الزمنية التي كانت بين موسى ويوسف ﷺ بـ (٤٠٠) سنة، كما أن الغيبة كانت من السنن الآلية، فلا غضاضة أن الله (عز وجل) يجريها على غير موسى من الأنبياء والأوصياء ﷺ، (٤٤) ظ: الصدوق: كما الدين وإتمام النعمة ٨٦، الحويزي: نور الثقلين ١ / ٨٦.



بَسَطَتْ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْنَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِي  
 إِلَيْكَ لِأَقْتُلُكَ إِلَيَّ أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ  
 ﴿٢٨﴾ إِلَيَّ أُرِيدُ أَنْ تَبْشُرَ بِإِيْمِي وَإِيْمِكَ فَتَكُونَ  
 مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ  
 ﴿٢٩﴾ فَطَوَعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ  
**فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴿ [سورة المائدة:  
 ٢٧ - ٣٠] فلم يدر كيف يقتله حتى  
 جاء إبليس فعلمه فقال: ضع رأسه بين  
 حجرين ثم اشدخه، فلما قتله لم يدر ما  
 يصنع به فجاء غرابان فأقبلا يتضاربان  
 حتى اقتتلا فقتل أحدهما صاحبه ثم  
 حفر الذي بقى الأرض بمخالبه ودفن  
 فيه صاحبه قال قاييل: ﴿ **أَنْ أَكُونَ مِثْلَ  
 هَذَا الْغُرَابِ فَأُوْرِي سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ  
 النَّادِمِينَ** ﴾ فحفر له حفيرة ودفنه فيها  
 فصارت سنة يدفنون الموتى فرجع قاييل  
 إلى أبيه فلم ير معه هايبيل: فقال له آدم.  
 أين تركت ابني؟ قال له قاييل أرسلتني  
 عليه راعيا؟.

فقال آدم. انطلق معي إلى مكان  
 القربان وأوجس قلب آدم بالذي فعل  
 قاييل فلما بلغ مكان القربان استبان  
 قتله فلعن آدم الأرض التي قبلت دم

كغيبية الإمام المهدي (عجل الله تعالى  
 فرجه الشريف) وأن الإيمان بذلك  
 والصبر وانتظار الفرج هو من أسمى  
 العبادات، أضف إلى ذلك أن من  
 السنن أن يبشر الرسول أو النبي السابق  
 باللاحق ويوصي بإتباعه وتصديقه، وإن  
 كانت المسافة الزمنية بينهما بعيدة كم هو  
 الحال في يوسف وموسى (عليهما السلام) وكذلك  
 الحال ببشارة عيسى بالنبي (صلى الله عليه وآله) وهو ما  
 أشار إليه قوله تعالى ﴿ **وَمُبَشِّرًا رِسُولًا يَأْتِي مِنْ  
 بَعْدِي أَسْمُهُ أَحْمَدُ** ﴾ [سورة الصف: ٦].

المطلب الثاني: الإمام علي بن  
 الحسين (عليهما السلام) وقصص الماضين من غيرهم.  
 - قصة هايبيل وقاييل:

عن أبي حمزة الثمالي عن ثوير بن أبي  
 فاختة قال: سمعت علي بن الحسين (عليهما السلام)  
 يحدث رجلا من قريش قال: لما قَرَّبَ  
 ابنا آدم القربان قرب أحدهما أسمن  
 كبش في ضأنه، وقرب الآخر ضعفا من  
 سنبل فتقبل من صاحب الكبش وهو  
 هايبيل ولم يتقبل من الآخر فغضب قاييل  
 فقال لهايبيل والله لاقتلنك فقال هايبيل،  
 ﴿ **إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ** ﴾ ﴿٢٧﴾ **لَيْنَ**



هايبيل، وأمر آدم أن يلعن قابيل ونودي قابيل من السماء. لعنت كما قتلت أخاك. ولذلك لا تشرب الأرض الدم فانصرف آدم فبكى على هايبل أربعين يوماً وليلة، فلما جزع عليه شكى ذلك إلى الله تعالى فأوحى الله إليه أنى واهب لك ذكرا يكون خلفا من هايبل، فولدت حوا غلاما زكيا مباركا، فلما كان يوم السابع أوحى الله إليه: يا آدم إن هذا الغلام هبة منى لك فسمه هبة الله فسماه آدم هبة الله (٤٥).

من خلال هذا السرد القصصي القرآني نلاحظ أن الإمام علي بن الحسين عليهما السلام قد بين أن الحسد من الصفات الذميمة ونتائجها الفتاكة سواء على صعيد الفرد والمجتمع، وهو من قاد قابيل إلى قتل أخيه هايبل، فضلاً عن الانقياد التام إلى الشيطان. كما أشارت القصة الى سنة من سنن الكون وهي دفن الأموات من بني البشر.

- قصة أصحاب السبت:

(٤٥) القمي: تفسير القمي ١/ ١٦٥، الصدوق: الأمالي ٣٢٨، الطباطبائي: الميزان ٥/ ٣٤٥.

روي علي بن الحسين عليهما السلام أنه قص ما كان من قصة أصحاب السبت الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [سورة البقرة: ٦٥].

كان هؤلاء قوما يسكنون على شاطئ بحر نهاهم الله و أنبيأؤه عن اصطيد السمك في يوم السبت، فتوسلوا إلى حيلة ليحلوا بها لأنفسهم ما حرم الله، فخذوا أخاديد\*، وعملوا طرقا تؤدي إلى حياض، يتهياً للحيتان الدخول فيها من تلك الطرق ولا يتهياً لها الخروج إذا همت بالرجوع، فجاءت الحيتان يوم السبت جارية على أمان الله لها فدخلت في الأخاديد وحصلت في الحياض والغدران، فلما كانت عشية اليوم همت بالرجوع منها إلى اللجج لتأمن صائدها فرامت الرجوع فلم تقدر، فبقيت ليلتها في مكان يتهياً أخذها بلا اصطيد لاسترسالها فيه وعجزها عن الامتناع لمنع المكان لها، فكانوا يأخذونها يوم الأحد، ويقولون: ما اصطدنا في السبت، وإنما اصطدنا في الأحد، وكذب أعداء الله



توظيف الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) للقصص القرآني ..... **التصنيف**

عن المنكر ليعلم ربنا مخالفتنا لهم وكرهتنا فعلهم، قالوا: ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٦٤] ونعظهم أيضا لعلهم تنجع فيهم المواعظ فيتقوا هذه الموبقة ويحذروا عقوبتها، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا﴾ [سورة الأعراف: ١٦٦] حادوا وأعرضوا وتكبروا عن قبولهم الزجر ﴿عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قَلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [سورة الأعراف: ١٦٦] مبعدين عن الخير مقصين، فلما نظر العشرة آلاف ونيف أن السبعين ألفا لا يقبلون مواعظهم، ولا يحفلون بتخويفهم إياهم وتحذيرهم لهم اعتزلوهم إلى قرية أخرى قريبة من قريتهم وقالوا: إنا نكره أن ينزل بهم عذاب الله ونحن في خلاهم، فأمسوا ليلة فمسخهم الله كلهم قردة، وبقي باب المدينة مغلقا لا يخرج منهم أحد، ولا يدخل عليهم أحد، وتسامع بذلك أهل القرى فقصدهم وتسمنوا حيطان البلد، فأطلعوا عليهم فإذا كلهم رجالهم ونسأؤهم قردة يموج بعضهم في بعض يعرف هؤلاء الناظرون معارفهم وقراباتهم وخلطاءهم، يقول المطلع

بل كانوا آخذين لها بأخاديدهم التي عملوها يوم السبت حتى كثر من ذلك ما لهم وثراؤهم وتنعموا بالنساء وغيرهن لاتساع أيديهم به، فكانوا في المدينة نيفا وثمانين ألفا، فعل هذا منهم سبعون ألفا، وأنكر عليهم الباقون، كما نص الله تعالى: ﴿وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٦٣]، وذلك أن طائفة منهم وعظوهم وزجروهم عذاب الله وخوفوهم من انتقامه وشديد بأسه وحذروهم فأجابوهم عن وعظهم: ﴿تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ [سورة الأعراف: ١٦٤] بذنوبهم هلاك الاصطلام ﴿أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [سورة الأعراف: ١٦٤] فأجابوا القائلين هذا لهم: ﴿مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ [سورة الأعراف: ١٦٤] هذا القول منا لهم معذرة إلى ربكم إذ كلفنا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، فنحن ننهي



لبعضهم: أنت فلان؟. أنت فلان؟. فتدمع عينه ويؤمي برأسه أن نعم، فما زالوا كذلك ثلاثة أيام، ثم بعث الله عليهم مطرا وريحا فجرفتهم إلى البحر، وما بقي مسخ بعد ثلاثة أيام، وأما الذين ترون من هذه المصورات بصورها فإنها هي أشباهها، لاهي بأعيانها ولا من نسلها.

في المسخ رأيان:

الأول: الذي عليه الإمام علي بن الحسين عليه السلام هو مسخ حقيقي، ويؤيده قول ابن عباس (ت ٦٨هـ): فمسخهم الله عقوبة لهم، وكانوا يتعاونون وبقوا ثلاثة أيام لم يأكلوا ولم يشربوا ولم يتناسلوا، ثم أهلكهم الله تعالى وجاءت ريح فهبت بهم فألقتهم في الماء (٤٦).

الثاني: إنه مسخ غير حقيقي، فلم يمسخوا قردة، وإنما هو مثل ضربه الله (عز وجل)، والظاهر أن قد يحمل على المجاز، لان الأمثال لها ظاهر في الواقع.

قالوا: ومسخ قلوبهم، فجعلها كقلوب القردة، لا تقبل وعظاً، ولا تتقي

(٤٦): ظ: المجلسي: بحار الأنوار ١٤ / ٥٩.

زجراً (٤٧).

وهذا خلاف الظاهر، لان الذي عليه جل المفسرين - من غير ضرورة تدعو إليه. خصوصاً إذا وقفنا على قوله تعالى: **﴿كُونُوا﴾** عرفنا ان قوله للشيء إذا أَرَادَهُ: كن فيكن على الحقيقة، وربما يجز القول الثاني إلى قتح باب تحمل معه قصص القرآن جميعاً إلى التسلية والأمثال الخيالية لا الواقعية، وهو أمر غير مقبول.

خاتمة البحث:

١. القرآن الكريم لم يتخذ لنفسه طريقة خاصة لإفهام مقاصده غير ما هو مفهوم من لغة العرب وأصول محاوراتهم بلسان عربي مبين، ليدبروا آياته ويفهموا معانيه، وكان من جملة ما جاء به القصص القرآني.

٢. أشارت القصة القرآنية في طيها إلى جملة من الأحكام التي يمكن أن يستنبط منها الفقهاء الكثير من الأحكام الشرعية، وكذلك نجد في القصة القرآنية الكثير من الدروس

(٤٧) الرأي الثاني نسبة الطبرسي إلى مجاهد. (ظ:

مجمع البيان ١ / ٢٤٨).



## توظيف الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) للقصص القرآني..... (التصنيف)

عن شيء إلا وكان للنهي عنه حكمة  
جُليلة.

٦. تُعد القيم التربوية في القصة القرآنية

ركيزة أساسية من الركائز التي

تؤكد على الأخلاق الإنسانية العالية

في مقابل التركيز على الأحاسيس

والانفعالات في شخصية الإنسان

والتربية على الاهتمام بالغرائز.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

### المصادر والمراجع:

خير ما نبدأ به القرآن العظيم.

١. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن

علي، السنن الكبرى، الناشر: مجلس

دائرة المعارف النظامية الكائنة في

الهند ببلدة حيدر آباد، الطبعة: الأولى

١٣٤٤ هـ.

٢. الحر العاملي، مُحَمَّد بن الحسن الحر

(ت ١١٠٤ هـ)، وسائل الشيعة،

تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت

لإحياء التراث، الطبعة: الأولى،

جمادى الثانية ١٤٠٩ هـ.

٣. الحويزي، عبد علي بن جمعة العروسي

(ت ١١١٢ هـ)، تفسير نور الثقلين،

والعبر لما انمازت به من واقعية

وأبأنتنا عن الأحداث التي جرت

على الأمم السابقة.

٣. القصة في القرآن الكريم ليست عملاً

فنياً مستقلاً في موضوعه وطريقة

عرضه وإدارة حوادثه - كما هو

الشأن في القصة الغنية الحرّة، التي

ترمي إلى أداء غرض فني طليق - إنما

هي وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة

إلى أغراضه الدينية.

٤. كان للإمام عليه السلام دور عظيم في عملية

استنطاق النصوص القرآنية التي

حوت في مضانها تلك القصص،

فنجده عليه السلام يروي تفاصيل القصص

دون أن يحدث عن أحد، ولم يسند

روايته لأحد، وإنما يمارس دوره

الحقيقي.

٥. القصص القرآني تعبير صادق، قائم

على الواقعية، فهو يتفق مع الإنسان

في حقيقته. وواقعه التسامي في

الهدف، حيث لا يدعى في القصص

القرآني إلى شيء إلا و يقصد من

ورائه هدف نبيل في غايته، ولا ينهي



الناشر مؤسسة اسماعيليان، الطبعة الرابعة ١٤١٢ هـ.

٤. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (ت ٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ.

٥. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت ١٢٥٠هـ)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الناشر دار الفكر.

٦. الشيرازي، ناصر مكارم الدين، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ٢٠٠٢ م.

٧. الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين ابن موسى بن بابويه، (ت ٣٨١هـ). كمال الدين وتمام النعمة، الناشر: مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة - ١٤٠٥ هـ.

٨. عبد الفتاح إسماعيل: القيم السياسية

في الاسلام القاهرة: الدار الثقافية للنشر.

٩. عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالخطيب الإسكافي (ت ١٤٢٠هـ)، دُرَّةُ التَّنْزِيلِ وَغُرَّةُ التَّأْوِيلِ فِي بَيَانِ آيَاتِ الْمُتَشَابِهَاتِ فِي كِتَابِ اللَّهِ الْعَزِيزِ، دار الأفاق الجديدة ١٩٧٣ م.

١٠. العياشي: محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي (ت ٣٢٠هـ)، تفسير العياشي هاشم الرسولي المحلّاتي، منشورات المكتبة العلمية الإسلامية. طهران.

١١. أبو العينين، علي خليل: القيم الاسلامية والتربية، المدينة المنورة: مكتبة إبراهيم حليبي.

١٢. فضل حسن عباس، القصص القرآنيّ إيجازاً ونفحاته، دار الفرقان، عمّان - الأردن، الطبعة الاولى.

١٣. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ (ت ٧٧٠هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. منشورات المطبعة الخيرية. مصر ١٣١٠ هـ.

١٤. التصوير الفني في القرآن الكريم،



توظيف الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) للقصص القرآني ..... (المصباح)

في القرآن الكريم، تحقيق: خليل عبد  
الكريم، الناشر: مؤسسة الانتشار  
العربي، الطبعة الأولى ١٩٩٩م.

٢١. محمد قطب، القصة في القرآن، دار  
قباة للطباعة و النشر و التوزيع،  
٢٠٠٢.

٢٢. مريم عبد القادر السباعي، القصة  
في القرآن الكريم، مكتبة مكة/ مكة  
المكرمة.

٢٣. محمد محمد صادق الصدر  
(ت ١٤٢١هـ)، ما وراء الفقه،  
المطبعة: قلم، ١٤٢٧ - ٢٠٠٧م.

٢٤. النوري، الميرزا حسين النوري  
الطبرسي (ت ١٣٢٠هـ). مستدرك  
الوسائل. تحقيق مؤسسة اهل  
البيت (ع) لاحياء التراث، الناشر:  
مؤسسة اهل البيت (ع) لاحياء  
التراث، الطبعة الاولى ١٤٠٨هـ.

الناشر: دار الشروق الطبعة: السادسة  
عشر.

١٥. القمي: ابي الحسن علي بن ابراهيم  
(ت ٣٢٩ هـ)، تفسير القمي.  
المصحح: طيب الموسوي الجزائري،  
المطبعة مؤسسة دار الكتاب/ قم،  
الطبعة الثالثة ١٤٠٤ هـ.

١٦. لطفي بركات أحمد، في فلسفة التربية،  
الناشر: دار المريخ ١٩٨٩م.

١٧. مناع القطان، مباحث في علوم  
القرآن، دار النشر: مكتبة وهبة،  
القاهرة، الطبعة: السابعة.

١٨. المجلسي، محمد باقر (ت ١١١١هـ)،  
بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار  
الأئمة الأطهار.

١٩. منشورات مؤسسة الوفاء الطبعة  
الثانية المصححة بيروت/ لبنان  
١٤٠٣ هـ.

٢٠. محمد احمد خلف الله، الفن القصصي





# الفصل المفرد بين المصحف والمُسند عَرَضٌ وَتَحْلِيلٌ لِمُدَوَّنَةِ الْفَاطِمِيَّةِ الشَّرِيفَةِ

أحمد حسين خشان

ديوان الوقف الشيعي - العراق

## المقدمة:

المدونة بوصفها حادثة تاريخية مهمة في التاريخ الإسلامي، وتصحيح التصورات الواهمة التي تُؤسس على الشبهات ومحاولة إصاقتها بالمعتقدات الإسلامية - تقدست ساحتها - والتمثيل لقيم الحق بمنظور موضوعي قويم.

وتبدو أهمية هذه الدراسة في التوصل إلى الفصل في المفاهيم، والبت في توحيد المصطلحات بغية سد باب الذريعة أمام الناكثين والقاسطين من ذوي الشبهات والافتراءات الذين يحاولون على الدوام الإساءة إلى عقيدة أتباع أهل البيت عليهم السلام، وكذلك فتح السبيل للتصحيح والرجوع

اختلفت الروايات في الاصطلاح على ما ورد عن السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام من مدونة اشتملت على أحاديث عن الأخلاق والآداب، وجملة مما يكون من حادث، وأسماء كل من يملك إلى أن تقوم الساعة، وفريق أطلق على هذه المدونة اسم (مصحف)، وفريق آخر وسمها بـ (مسند)، وكلُّ له حجته في ما ذهب إليه، غير أن المدلول اللغوي والموضوعي يختلف كثيراً بين المصحف والمسند، لذا تعنى هذه الدراسة المقتضبة بتصنيف المصطلحين وفق منهج علمي دقيق يفرز الأثر المتحصّل في طبيعة هذه

عن الغفلة.

وتهدف الدراسة -أيضاً- إلى بيان الحادثة التاريخية في سياق الدليل المحكم، بأثر من القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، وأحاديث الأئمة الأطهار عليهم السلام المسندة.

تتناول الدراسة الفصل بين المصطلحين والكشف عنهما في اللغة والاصطلاح، ومعرفة أيهما أقرب في الدلالة إلى المدونة من خلال هذا التصنيف، بالإضافة إلى استقراء ما ورد فيها وتحديد التوافقات الموضوعية في جملة المصاديق على عنوان هذه المدونة الشريفة.

منهج الدراسة وصفي يعتمد الحقائق الموثقة في كتب التاريخ، والحديث، وتلمس المعاجم اللغوية في بيان المبنى والمعنى، وكذلك الدراسات الإسلامية التي تناولت الموضوع بالبحث والتحليل. تشمل الدراسة على مبحثين؛

الأول: محاولة للتصنيف، بمعنى تصنيف المصطلحين في المناهج اللغوية والاصطلاحية، وما يوافق المدونة في

المدلول، والمبحث الثاني: عرض وتحليل للحادثة، في مقارنة تاريخية خالصة، والله ولي التوفيق.

### المبحث الأول: محاولة للتصنيف:

المصحف في اللغة: المصحف -مثلة الميم من أصحف بالضم- أي جعلت فيه الصحف<sup>(١)</sup>، وسمي المصحف مصحفاً لأنه أصحف أي جعل للمصحف المكتوبة بين الدفتين.

الصَحْفَةُ كالتصعة، والجمع صحافٌ. والصَحِيفَةُ: الكتابُ، والجمع صُحُفٌ وصَحَائِفٌ. والمُصْحَفُ والمِصْحَفُ. قال الفراء: وقد استثقلت العربُ الصَّمَّةَ في حروفٍ فكسروا ميمها وأصلها الضَّمُّ، من ذلك مِصْحَفٌ، ومِخْدَعٌ، ومِطْرَفٌ، ومِغْزَلٌ، ومِجْسَدٌ: لأنَّها في المعنى مأخوذة من أَصْحَفَ أن جمعت فيه الصحفُ، وأُطْرِفَ أي جُعِلَ في طرفيه عَلَمَانِ، وأُجْسِدَ أُلْصِقَ بالجسد. والتَّصْحِيفُ: الخطأ في الصحيفة<sup>(٢)</sup>.

(١) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٢٤هـ، مادة (صحف).

(٢) الصحاح في اللغة، الجوهري، تحقيق: أحمد



صحيفة وصحف وصحائف وهي قطعة من جلد أو قرطاس يكتب فيه، وهو صحفي وصحاف. وهو لحانة مصحف. وصحف الكلمة. ووجهه كورقة المصحف... وتقول: صحائف الكتب، خير من صحاف الذهب. والصحفة: القصعة المسلنطة. ومن المجاز: صن صحيفة وجهك وهي بشرته<sup>(٣)</sup>.

أما لفظ المصحف فقد ورد في كتاب لسان العرب: المصحف والمصحف الجامع للمصحف المكتوبة بين الدفتين كأنه أصحف والكسر والفتح فيه لغة<sup>(٤)</sup>، وفي المصباح المنير: والصحيفة قطعة من جلد أو قرطاس كتب فيه... والجمع صحف بضمين وصحائف... والمصحف بضم الميم أشهر من كسرها.

### المصحف في الاصطلاح: المصحف

عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨٧م، مادة (صحف).  
(٣) أساس البلاغة، الزخشري، تحقيق: عبد الرحيم محمود، مطبعة أولاد أرفاند، القاهرة، ١٩٥٣م، مادة (صحف).  
(٤) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦م، مادة (صحف).

اسم مفعول... وحققتها مجمع الصحف أو ما جمع منها بين دفتي الكتاب المشدود.. وفيه لغتان أخريات وهما المصحف والمصحف جمع مصاحف<sup>(٥)</sup>. وبناءً عليه، فالمصحف ليس اسماً مختصاً بالقرآن الكريم، والمصحف كل كتاب أصحف وجمع بين دفتين، لكن كثرة استعماله في القرآن الكريم أوجبت انصراف الأذهان إليه.

ويورد السيوطي في الإتقان رواية- أجدها ضعيفة وغير ناهضة - عن كلمة مصحف فيقول: حكى المظفري في تاريخه، قال: لما جمع أبو بكر القرآن قال: سمّوه، فقال بعضهم: سمّوه انجيلاً، فكرهوه، وقال بعضهم: سمّوه السفر، فكرهوه من يهود، فقال ابن مسعود: رأيت بالخبشة كتاباً يدعوه المصحف فسمّوه به<sup>(٦)</sup>، ويأتي

(٥) المصباح المنير، الفيومي، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٧م، مادة (صحف).  
(٦) الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: سعيد المنذوب، دار الفكر، لبنان، ط١، ١٩٩٦م، ١ / ٦٤، والقرآن المجيد، محمود الشرقاوي، دار الشعب، القاهرة، ١٩٧١م، ١٥.



للكثرة. وتَسَانَدْتُ إليه: استندت. وخرج القوم مُتْسَانِدِينَ، أي على رايَاتٍ شتى ولم يكونوا تحت راية أمير واحد. والمُسْنَدُ: الدهرُ. والمُسْنَدُ: الدَعْيُ. والمُسْنَدُ: خَطُّ لِحْمِيرٍ مَخَالَفٌ لِحَطَّنَا هذا. والسِنَادُ: الناقة الشديدة الحَلَقِ. والسِنَادُ في الشعر: اختلاف الرِدْفَيْنِ.

وسَانَدْتُ الرجل مُسَانِدَةً، إذا عاضدته وكانفته<sup>(١٠)</sup>. ويقول الزمخشري في أساس البلاغة: تساند إلى الحائط. وسوند المريض، وقال: ساندوني. ونزلنا في سند الجبل والوادي وهو مرتفع من الأرض في قبله، والجمع أسناد. وناقة سناد: طويلة القوائم. وساند الشاعر سناداً. ولا أفعله آخر المسند وهو الدهر. ورأيت مكتوباً بالمسند كذا وهو خط حمير.

ومن المجاز: أسندت إليه أمري، وأقبل عليه الذئبان متساندين: متعاضدين. يقال: غزا فلان وفلان متساندين، وخرجوا متساندين على رايات شتى كل على حاله. وهو سندي ومستندي، وسيد سند.. وكان فلان في مشربة فأسندت إليه

(١٠) الصالح في اللغة، الجوهري، مادة (سند).

ضعف هذه الرواية من أن تسمية القرآن الكريم (بالقرآن) جاءت نصاً غير قابل للتفاوت، فقد جاء لفظ (القرآن) في نحو من سبعين آية، وكان في كلها صريحاً في اسميته ومدلوله الخاص، من أجل ذلك كتبت لهذا اللفظ الغلبة على غيره، وكان هذا الاسم الغالب لكتاب الله الذي جاء به محمد ﷺ وحفظه عنه المسلمون<sup>(٧)</sup>، ويقول الدكتور محمد دراز: ((روعي في تسميته قرآناً كونه متلوّاً باللسن))<sup>(٨)</sup>.

المسند في اللغة: يقول صاحب الصحاح في اللغة:

السَّنَدُ: ما قابلك من الجبلِ وعلا عن السفح. وفلان سَنَدٌ، أي معتمدٌ. وسَنَدْتُ إلى الشيء أسنُدُ سُنوداً، وأسَنَدْتُ بمعنى. وأسَنَدْتُ غيري. والإسنادُ في الحديث<sup>(٩)</sup>: رفعه إلى قائله. وحُشِبُ مُسْنَدَةٌ، شدد

(٧) ينظر: تاريخ القرآن، إبراهيم الأبياري، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٥م، ٨٤.

(٨) النبأ العظيم، محمد عبد الله دراز، دار الثقافة، الدوحة، ١٩٨٥م، ٧.

(٩) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي و محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٧٩م، مادة (سند).



أي صعّدت. وناقاة مساندة القرا: قويته كأنها سوند بعضه إلى بعض.

وأحسن إليه فهو يسانده: يكافئه<sup>(١١)</sup>.

**المسند في الاصطلاح:** حديث مسند، والأسانيد قوائم الحديث، وهو حديث قويّ السند. وفي علم الحديث: المسند في اللغة أعم من ذلك، فإن اللغة تدل على أن المسند هو الذي أُسند إلى راويه، سواء كان مرفوعاً، أم غير مرفوع، أو كان متصلّاً، أو منقطعاً، لكن الذي عليه أكثر المحدثين في علم الحديث أن المسند هو الذي اتصل إسناده إلى رسول الله ﷺ، وبين المسند لغةً، وبين المسند اصطلاحاً فرق، والنسبة بينهما العموم والخصوص، فالمسند في اللغة هو: ما أُسند إلى قائله، سواء كان مرفوعاً، أو موقوفاً أو مقطوعاً. فإذا قلت: قال فلان كذا، فهذا

مسند، حتى ولو أضفته إلى واحد موجود تخاطبه الآن، فلو قلت: قال فلان كذا، فهذا مسند؛ لأنني أسندت الحديث إلى قائله، لكن في الاصطلاح: المسند هو المرفوع المتصل السند، فالمسند (١١) أساس البلاغة، الزمخشري، مادة (سند).

اصطلاحاً، أخصّ من المسند لغة، فكل مسند اصطلاحاً، فهو مسند لغة، ولا عكس، فبينهما العموم والخصوص.

ويبدو أن الكثير من الناس كانوا ولا زالوا يتصوّرون أن المصحف يشتمل على الآيات القرآنية الشريفة، أو أن هناك قرآناً آخر عند الشيعة، كما يزعم بعض الجهّال من العامّة.

ولكنّ الواقع هو خلاف ذلك، فإنّ المصحف لا يشتمل حتى على آية واحدة من آيات القرآن الكريم، كما هو المستفاد من الأحاديث الكثيرة، كما أنه ليس من قبيل القرآن ولا يشبهه من ناحية المحتوى أصلاً، فهو من مقولة أخرى، فالأحاديث صريحة في ذلك فقد ورد في حديث عن علي بن سعيد عن أبي عبد الله عليه السلام: ((... ما فيه آية من القرآن))<sup>(١٢)</sup>.

وعلى هذا الأساس كان مصحف فاطمة عليها السلام، هذا المصحف الذي أثاروا عليه الأقاويل الباطلة التي ليس لها أي

(١٢) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م، ٤٢ / ٢٦، الباب الأول، رواية ٧٤.





حقيقة وأي برهان سوى أنهم اعتبروا إطلاق هذا المصحف على أنه قرآن غير القرآن الموجودة حالياً وأنه عند الشيعة يخفونه تقيّة<sup>(١٣)</sup>، وأمثال هذه الدعاوى الباطلة والتي لا تمت إلى الدين بصلة وكل دليلهم الذي اعتمدوه هو أن لفظ المصحف يطلق على القرآن لذلك قالوا بأن مصحف فاطمة قرآن غير هذا القرآن الكريم المتداول الآن.

أما ما روي عن (مسند فاطمة الزهراء<sup>(١٤)</sup>)، فقد كانت الزهراء<sup>(١٤)</sup> ربيبة (١٣) ينظر: مستدرک سفينة البحار، علي النازي الشاهرودي، تحقيق: حسن بن علي النازي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٩هـ، ٦ / ٢٠٤، و موسوعة أحاديث أهل البيت<sup>(١٤)</sup>، هادي النجفي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٢م، ١ / ٧٢.

(١٤) ينظر: دلائل الإمامة، محمد بن جرير الطبري، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، قم، ط ١، ١٤١٣هـ، ٣٩، و مناقب علي بن أبي طالب<sup>(١٤)</sup> وما نزل من القرآن في علي<sup>(١٤)</sup>، ابن مردويه الأصفهاني، تحقيق: عبد الرزاق محمد حسين حرز الدين، دار الحديث، قم، ط ٢، ١٤٢٤هـ، ٤١٦، و لسان الميزان، ابن حجر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ٢، ١٩٧١م، ٣ /

العلم والتقى، وكان حظها منها وثيراً، ويدلنا على شيء من ذلك بعض ما أُرث عنها من الأحاديث التي روتها عن رسول الله<sup>(صلى الله عليه وآله)</sup> بالمباشرة في الأحكام والآداب والأخلاق وفضائل أهل البيت<sup>(عليهم السلام)</sup>، وقد جُمع في ما سُمّي بـ (مسند فاطمة الزهراء) لعدة مؤلفين؛ في طليعتهم جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، والثاني للسيد حسين التويسركاني، وقد جمع فيه (٢٦٠) حديثاً مما نُقل عن الزهراء<sup>(عليها السلام)</sup> عن رسول الله<sup>(صلى الله عليه وآله)</sup>، والثالث الشيخ عزيز الله العطاردي، والرابع الشيخ أحمد الرحماني الهمداني حيث جمع في كتابه (فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى) ما يقارب (٨٤) حديثاً مما نُقل عنها في كتب الخاصة والعامة.

ومهما يكن من أمر فإن كلا المصطلحين (المصحف / المسند) لا يدلان على القرآن الكريم لا من بعيد ولا من قريب، فلو قلنا: مصحف

٢٨، وأعيان الشيعة، محسن الأمين، تحقيق: حسن الأمين، دار التعارف، بيروت، (د. ت)، ٢ / ٥٤.

فاطمة الزهراء عليها السلام فالمراد منه مسند فاطمة الزهراء عليها السلام، والعكس صحيح أيضاً، لا فرق بينهما في الدلالة على ما خلفته السيدة الزهراء عليها السلام من صحف فيها ما يكون من حادث، وروايات عن الأخلاق والآداب والأحكام الشرعية القويمية، وجملة من الأخبار الغيبية.

إذن يظهر من هذه المعاني التي وردت في صحاح اللغة أن (المصحف والمسند) لهما دلالة واحدة تنصرف إلى ما جُمعت فيه الصحف وليس كما يدعى الناكثون، ويزعم الجاحدون أنها قرآن غير هذا القرآن الموجود بين المسلمين، وهناك شواهد أخرى تثبت هذه الحقيقة حيث ورد في حديث عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام أنه قال <sup>(١٥)</sup>: وأن عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام، وما يدريهم ما مصحف فاطمة؟. قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد، إنها

(١٥) ينظر: بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار، تحقيق: حسن كوجه ياغي، منشورات الأعلمي، طهران، ١٤٠٤هـ، ١٧٢ وما بعدها، وبحار الأنوار، المجلسي، ٢٦ / ٢٦، ٤٣، ٤٧، ٢٧١.

هو شئ أملاها الله وأوحى إليها. قال: قلت: هذا والله العلم.

ولأجل تأكيد صحة العقائد الإمامية في قضية عدم وقوع التحريف في القرآن الكريم، وعدم وجود قرآن آخر والعياذ بالله، فقد راق هذا الحديث كثيراً من أعداء الإسلام فاغتنموا الفرصة عند حدوث مثل هذا التساؤل ووسَّعوا الحديث في ذلك وأطالوا الوقوف لا التحقيق، بل لفت نظر أكبر عدد من الناس إلى وجود هذا الاحتمال والحاجة في نفوسهم، وقد استغلوا جهل وعصية بعض المسلمين فحركوا أقلامهم ودفعوها إلى الجموح في معارك على مختلف أبعاد العقيدة، ومنها هذا البعد؛ لذا صار لزاماً أن تُساق البراهين القاطعة والأدلة الأكيدة بوجه مزاعمهم وبهتانهم لإحقاق الحق وإنارة السبيل أمام الرأي العام المنصف، بما يلي: ((إن من المتسلم عليه عند الشيعة، والذي عليه جمهور مجتهديهم هو عدم وقوع التحريف بالقرآن، وأن القرآن الموجود بأيدي المسلمين فعلاً هو جميع القرآن الذي نزل به جبريل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقد



والشيخ البهائي والقاضي نور الدين، هؤلاء كلهم عكسوا لنا رأي الإمامية في عدم وقوع التحريف بالقرآن واستدلوا على ذلك بأدلتهم المذكورة في مواطنها<sup>(١٦)</sup>.

### المبحث الثاني:

#### (المدونة الفاطمية) عرض وتحليل

القرآن الكريم وحي يوحى وتنزيل يتنزل لم يكن بدعاً من حديث السماء الذي أوحى به الله على أنبيائه ورسله المصطفين الأخيار ((إن المواقف الدينية التي عبّر عنها القرآن ونقلها إلى الناس تشمل بناءً دينياً جديداً متميزاً))<sup>(١٧)</sup>، وقد حفظ الله هذا القرآن بكتابه في السطور ونقشه في ألواح الصدور فلم يُحط كتاب سواه بمثل العناية التي أحيط بها ولم يصل

(١٦) القرآن نظرة عصرية جديدة، (ادعاء وقوع التحريف في القرآن وموقف الشيعة منه، أحمد الوائلي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ١، ١٩٧٢م، ١٤١-١٤٢.

(١٧) دراسات في حضارة الإسلام، هاملتون جب، ترجمة: إحسان عباس وآخرين، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٢، ١٩٧٤م، ٢٥٥.

صرح بذلك فطاحل علماء الإمامية ومنهم من ذكرهم السيد الخوئي في كتابه البيان وهم:-

١. الشيخ الصدوق محمد بن بابويه القمي الذي اعتبر عدم التحريف من معتقدات الشيعة.

٢. الشيخ الطوسي في تفسيره التبيان وقد ذهب إلى عدم التحريف وذكر أن ذلك هو رأي أستاذه السيد الشريف المرتضى الذي بالغ في الدفاع عن هذا الرأي.

٣. شيخ الفقهاء - كما يسمونه - الشيخ جعفر كاشف الغطاء الذي ذهب إلى أن الشيعة إجماعهم على عدم التحريف مؤكّد.

٤. الطبرسي في تفسير مجمع البيان، فقد ذهب إلى عدم التحريف ودلل عليه.

٥. الشهنهاني في كتابه العروة الوثقى، والملا محسن الفيض في علم اليقين، والشيخ جواد البلاغي في آلاء

الرحمن، حشدوا البراهين على عدم وقوع التحريف بالقرآن.

٦. ونقل أن ذلك رأي الشيخ المفيد





كتاب كما وصل إلينا بتواتر سورة وآياته وألفاظه وحروفه فهو كتاب الله المجيد الذي: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [سورة فصلت: ٤٢]، وهو الذكر الذي لم ينطق إلا بالحق ولم يعلم إلا الهدى وقد تعهده الله سبحانه بالحفظ من عبث السنين وتحريف العابثين فقال عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [سورة الحجر: ٩]، كيف نفهم هذه الآية المباركة في ضوء بعض الروايات المدونة في كتب المسلمين والتي يستفاد منها وقوع الزيادة والنقصان في القرآن؟ ((مع أن القرآن يمكن اعتباره وسيلة وأداة أعطيت لمحمد ﷺ للمعاونة على نجاح رسالته، إلا أن حكمة الله اقتضت أن يكون القرآن كياناً متكاملًا ومستقلاً... وأن القرآن احتشدت فيه كل وسائل الدعوة الكاملة وأساليبها))<sup>(١٨)</sup>، وماذا عن المدونة التي وُسِّمت بمصحف فاطمة الزهراء (عليها السلام)؟

(١٨) أسلوب المحاوراة في القرآن الكريم، عبد الحلیم حنفی، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٥م، ٢٦.

وغيره من المصاحف الأخرى التي يظن بعض العامة من الناس أنها قرآن غير هذا القرآن؟. ثم أو ليس التأويل الذي لا يستند إلى علم أو حديث صحيح هو لون من ألوان التحريف الذي يחדش بحقيقة حفظ القرآن؟.

نعم قال تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ ٦ ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ٧ ﴿مَا نُنزِّلُ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنظَرِينَ﴾ ٨ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ٩ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ﴾ ١٠ ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ١١ ﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ ١٢ ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ ١٣ ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنْ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ ١٤ ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾ ١٥ ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّظِيرِينَ﴾ ١٦ ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾ ١٧ ﴿إِلَّا مِنْ أَسْرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ﴾ ١٨ ﴿شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾ ١٩ ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْرُوثٍ﴾



فيما اقترحوه فإن الله لا يحدث أي أمر خارق للعادة، كنزول الملائكة إلا بالحق الفاصل الحاسم الذي يستتبع نزول العذاب عليهم في حال إنكارهم له فلا ينظرهم الله بعد ذلك ولا يؤخر عذابهم إلى يوم القيامة وتلك هي سنة الله في عباده عندما يستجيب لهم فيما يقترحونه من معجزات فلا يمهلهم بعد ذلك إذا استمروا على التمرد ولعل هذا التفسير لكلمة الحق هو أقرب الوجوه لأجواء الآية والله أعلم، ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ﴾ الذي تواجهون آياته بأساليب السخرية من دون وعي أو مسؤولية لأنكم لا تركزون في موقفكم من الرسالة من موقع التأمل والتدبر لتعرفوا عمق الإعجاز في ذلك كله وتلفتوا إلى أن الله هو الذي أنزل آياته لتكون نوراً وهدى للناس وأن البشر لا يمكن أن يأتوا بسورة من مثله لأن خصائص الإبداع في الشكل والمضمون فوق قدرتهم ﴿ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ من الضياع ومن التحريف ليبقى وثيقة إلهية معصومة ثابتة ليرجع الناس إليها في كل جيل

﴿ ١٩ ﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمُ فِيهَا مَعِيشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرِزْقِينَ ﴾ [سورة الحجر: ٦-٢٠].

﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ

الذِّكْرُ ﴾ قالوها على سبيل السخرية

والاستهزاء فقد نادوه بهذا النداء في الوقت الذي كانوا ينكرون عليه نزول الوحي من قبل الله وربما كان الإتيان بالفعل المبني للمجهول للإيجاء بالجهل بالجهة التي كانت مصدر هذا الذكر لديه مما يبعث على عدم الوثوق به إنك لمجنون لأنك تدعي أمراً لا يدعيه ذو عقل ممن يزن الأمور ميزان العقل وكيف يمكن لبشر أن يدعي نزول الوحي عليه من السماء وهو أمر لا يمكن حدوثه للبشر لأن للنبوة علامات لا نجدها عندك لو ما تأتينا بالملائكة معك ليشهدوا لك بما تدعيه فذلك هو السبيل الوحيد للدلالة على أن هناك علاقة بينك وبين العالم العلوي الذي يمثل الملائكة جزءاً منه إن كنت من الصادقين فيما يفرضه الصدق من دلائل وعلامات.

﴿ مَا نُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا

كَانُوا إِذَا مُنظَرِينَ ﴾ وهذا جواب الله لهم



عندما تشتهب الأمور وتضطرب الأفكار وتختلط المفاهيم وتحرك التيارات المضادة أو التحريفية وتكثر الأكاذيب على صاحب الرسالة فإن القرآن هو الذي يبقى المرجع المعصوم الذي يمثل الحقيقة الإلهية في كل آياته والميزان الصادق الذي يمكن للناس من خلاله أن يزنوا به الحديث الصادق من الكاذب عندما يعرضون التركة الكبيرة المثقلة من الأحاديث المنسوبة إلى رسول الله ﷺ لأن ما خالف كتاب الله فهو زخرف على ما جاء به الحديث عن أئمة أهل البيت وذلك من خلال الإشراق الداخلي في آياته بالمستوى الذي لا يمكن أن يشتهب فيه الأمر على أحد بحيث يستطيع العارف بخصائص الأسلوب القرآني أن يكتشف سر الزيف في كل كلمة تضاف إلى القرآن فيما يضعه الواضعون أو يحرفه المحرفون فلا تقترب الكلمة من الآية لا لتبتعد عنها فلا تؤثر على سلامة النص القرآني في وعي المسلمين.. وهذا هو ما نلاحظه في إجماع المسلمين إلا شاذاً منهم على أن النص القرآني الموجود بين

الناس فيما بين الدفتين هو كل ما أنزله الله على رسوله من دون زيادة أو نقصان وإن الباطل لا يأتيه من بين يديه ولا من خلفه.

أما القول الصحيح في هذا المقام فبعد معرفة أن فاطمة ؑ كانت محدثة دون أن تكون نبية وحسب ما ورد من الاستدلال على هذه المسألة، فإن حديث الملائكة لها كان يكتب من قبل الإمام علي ؑ أو من قبل فاطمة نفسها سلام الله عليها وهذا ما يظهر من الأحاديث الآتية، أما مضمون هذا المصحف وماهيته وكيف نعطي القول الفصل فيه فهذا ما سيتبين من خلال بيان معنى لفظ المصحف، وماهية مضمون هذا المصحف وما فيه من العلم والأحداث والأمور الغيبية.

### مصحف فاطمة ؑ

لقد أثار مصحف فاطمة ؑ حفيظة العديد من الكتّاب، واتخذوا منه وسيلة للظعن والتشنيع على أتباع أهل البيت ؑ، تارة باستغلال اسمه -باعتبار أنه يطلق عليه اسم مصحف- وجعله باباً لاتهمهم



قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد(٢٢).

٥. عن سليمان بن خالد قال أبو عبد الله عليه السلام: (وليخرجوا مصحف فاطمة فإن فيه وصية فاطمة)(٢٣).

تبين من خلال هذه الروايات أن مصحف فاطمة عليها السلام ليس قرآناً، بل هو كتاب حديث متضمناً لبعض المعارف التي تلقتها عن أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله. وكذلك تذكر الروايات على شمول مصحف فاطمة عليها السلام على وصيتها.. وربما يتحدث بعض الناس عن شيء اسمه مصحف الزهراء انطلاقاً من بعض الأحاديث المأثورة عن أهل البيت عليهم السلام التي قد توحي بأنه يمثل قرآناً آخر أو شيئاً من القرآن فيما يتحدث به بعض تلك الكلمات: (إنه ثلاثة أمثال قرآنكم) (وما فيه حرف من القرآن) ولكن النظرة

(٢٢) الكافي، الكليني، تحقيق: علي أكبر الغفاري: دار الكتب الإسلامية، طهران، ط ٥، ١٣٦٣ ش، ١ / ٢٣٩ وما بعدها.  
(٢٣) بصائر الدرجات، الصفار، ١٧٦، وبحار الأنوار، المجلسي، ٢٦ / ٢٧٦.

بأنهم لا يعترفون بالقرآن الموجود بين الدفتين والمتداول بين المسلمين قاطبة، فيوقعون الناس في وهم بأن مصحف فاطمة المذكور هو القرآن الذي يعتقده الشيعة.

### مصحف فاطمة في أخبار

#### أهل البيت عليهم السلام:

١. عن أبي حمزة أن أبا عبد الله عليه السلام قال: (مصحف فاطمة ما فيه شيء من كتاب الله)(١٩).

٢. عن عنبة بن مصعب عن أبي عبد الله عليه السلام: (... ومصحف فاطمة أما والله ما أزعم أنه قرآن)(٢٠).

٣. عن علي بن أبي حمزة عن الكاظم عليه السلام قال: (عندي مصحف فاطمة ليس فيه شيء من القرآن)(٢١).

٤. عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: (وإن عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام، وما يدرهم ما مصحف فاطمة عليها السلام؟ قال: قلت: وما مصحف فاطمة عليها السلام؟)

(١٩) بصائر الدرجات، الصفار، ١٧٢، وبحار الأنوار، المجلسي، ٢٦ / ٣٨، ٤٧، ٢٧١.  
(٢٠) المصدر نفسه.  
(٢١) المصدر نفسه.



الناقذة لهذه الأحاديث تدل على نفي كونه قرآناً وفي بعضها فيما ورد عن الإمام جعفر الصادق (عندي الجفر الأبيض... ومصحف فاطمة... أما والله ما فيه حرف من القرآن ولكنه إملاء رسول الله وخط علي) مما يوحي بأنه ليس مصحفاً كبقية المصاحف فيما توحي به كلمة المصحف ولكن كتاب حديث يشتمل على أحكام الشرع مما أملاه رسول الله على علي (عليه السلام) وفي بعض الأحاديث إن فيه وصية فاطمة (عليها السلام) ولعل الملاحظ في مثل هذا الموضوع الذي يثير مثل هذه الضجة لدى الكثير من الكتاب أنه يتحرك ضمن خطة إعلامية تستهدف تسجيل نقطة سلبية ضد بعض المذاهب الإسلامية من دون نقد أو تمحيص ولكننا نحسب أن نثير القضية من جهة أخرى وهي أن أي مسلم مخلص يستطيع أن يعرف كذب مثل هذه الإثارة من خلال ملاحظة حاسمة وهي إنه لو فتش في شرق الأرض وغربها على نسخة واحدة من مصحف فاطمة لم يجدها لأنها لا وجود لها أساساً في كل الأوساط حتى بطريقة خفيه وليس هناك

من يعتقد بشيء من هذه القبيل من قريب أو من بعيد وهذا ما نحسب أن نؤكده خدمة للحقيقة القرآنية...

المهم هو الإشارة إلى أن مصحف فاطمة كبقية الصحف والكتب لم تنتقل إلى غيرهم (عليه السلام)، ولتصل إلى شيعتهم، وليس هناك أي واقع لما يدّعيه افتراءً بعض الكتاب من كون هذا المصحف متداولاً في بعض مناطق الشيعة، لا في بلاد الحجاز ولا في غيرها، والمؤسف أن أصحاب هذه الأقلام يطلقون العنان لأقلامهم دون تدبر ولا تثبت، ويأخذون معلوماتهم من العوام، ويصدقون كل مقولة للطعن والتشنيع، فيثبتونها في كتبهم لتصبح بعد ذلك مصادر يعتمد عليها الماجورون والساعون وراء تفريق المسلمين وزرع الفتن بينهم.

ويبقى أمامنا في حديث حفظ القرآن من قبل الله ما يجب أن نثيره من التركة المثقلة من الأحاديث التي تتدخل في تفسير القرآن لمصلحة هذا الفريق أو ذاك بالمستوى الذي يسيء إلى الفهم القرآني المتفتح عندما يحصره التأويل والتفصيل



عن تأويل القرآن وتتصرف بطريقة أو بأخرى من دون أية محاكمة دقيقة فنبعد بذلك عن صفاء الوحي الإلهي لنفرض عليه فكراً من فكرنا ونخضعه لخلافتنا فلا يصلح بعد ذلك لأن يكون حكماً فيما نختلف فيه لابتعادنا عن صفاء مدلوله وإشراق معانيه.

ونحب أن نعود في نهاية المطاف إلى مسألة حفظ القرآن لنؤكد أن استمرار القرآن لدى جميع المسلمين في صيغة واحدة فيما يلتزمونه كمصدر للتشريع وفيما يقرأونه في الصلاة وفي غيرها وفيما يثرونه في حياتهم من خلاله من مفاهيم وعقائد هو الدليل على ذلك فليس هناك في العالم الإسلامي كله ولا في غيره صيغة أخرى أو نسخة أخرى يختلف فيها القرآن لدى مذهب عن القرآن لدى مذهب آخر بالرغم من وجود كلمات شاذة هنا أو هناك فإن مثل هذه الكلمات لم تستطع أن تنفذ إلى مستوى العقيدة العامة.

وإذا كان بعض هؤلاء الذين ذهبوا إلى التحريف يملكون موقفاً متقدماً

من كل جانب.. مما يجعل النص القرآني أدباً رمزياً لا تعبر فيه الكلمة عن المعنى إلا بطريقة بعيدة جداً مما يبعدة عن الأسلوب البلاغي الأمر الذي نلاحظ فيه أن هؤلاء الناس قد يهتمهم حماية مذهبهم وأفكارهم الخاصة أكثر مما يهتمهم حماية كتاب الله إذ لا يكفي وجود حديث واحد من شخص ثقة بحسب الموازين الفنية في علم الحديث لنرفع اليد عن الإشراق التعبيري للقرآن فيما يتضمنه من معنى أو يدل عليه من ظاهر لأن القرآن يمثل الكتاب المعصوم الذي نقطع بصحة كلماته المنسجمة مع أروع الأساليب الفنية في اللغة العربية فلا بد في تأويله والخروج عن ظاهره من وثيقة حديثة بالقوة التي تناسب مع قوته أو تكون قريبة منه مع ضرورة دراسة طبيعتها المضمونية ومدى ملاءمتها للأجواء العامة للقرآن روحاً ومنهجاً وفكراً وتطبيقاً.

إننا نضع هذه الملاحظة أمام الدارسين ليدرسوها حتى لا نضيع في متاهات الأحاديث الكثيرة التي تتحدث



من حيث العلم والوثاقة لدى أهل مذهبهم فإنهم لم يتمكنوا من النفاذ إلى الواقع العقيدي العملي في داخلهم كما إنهم لا يملكون الوعي الفكري القرآني الذي يستطيعون من خلاله إدراك خطورة السلبية الكبيرة في هذا الاتجاه على مستوى العقيدة الإسلامية عندما يتسرب الخلل إلى النص القرآني..

هذا إلى جانب أن هؤلاء لا يملكون الذوق الفني الذي يعينهم على فهم أسرار اللغة العربية ليقارنوا بين هذه الكلمات التحريفية وبين طبيعة الأسلوب القرآني المعجز.

إننا لا نريد لهذا اللغو أن ينفذ إلى أجواء القرآن كما لا نريد لهذا الجدل العقيم الذي اتخذ أسلوب الحرب الكلامية التي لا يعتمد أصحابها على قاعدة ثابتة للحوار بل كل ما هناك أن هذا الفريق يريد أن يسجل نقطة ضد الفريق الآخر لحسابات مذهبية أو سياسية.

### الخاتمة:

وبعد انتهاء الدراسة حسبنا أن نعلم

بأن القرآن الكريم الذي بين أيدينا اليوم ونستوحي حوارنا من هديه ونوره قد جمع في عصر النبي ﷺ وفي حياته وكانت المصاحف تكتب من ذلك الذي جمع في زمانه ﷺ لا من صدور الصحابة وشهادة الشهود فحسب وقد رافقت فاطمة رضي الله عنها أباه النبي وزوجها الوصي وهما يوجهان الأمة إلى كتابة القرآن وحفظه وجمعه وتعليمه والعمل به ولذلك نلاحظ من خلال دراستنا لخطب الزهراء رضي الله عنها وفاة أبيها ﷺ كيف صاغ القرآن حجتها الدامغة أمام خصومها من منكري حقها في فدك وكيف وضع القرآن بين يديها الميزان كله لتفصل بين الحق والباطل في مفهوم الخلافة والولاية ولم يستكثر المسلمون عليها ذلك فهي ابنة القرآن وربيبته وقد لفتت بمنهجيتها تلك إلى أهمية مرجعية القرآن الكريم لفضّ خلافات المسلمين ونزاعاتهم فليس بعد كلام القرآن كلام وليس بعد كلام، وأرى-من وجهة نظر علمية-توحيد المنهج، وأدعو إلى وضع وحدة دلالية لجميع المفاهيم المتعلقة بالعقيدة الإسلامية بله الشيعة منها؛

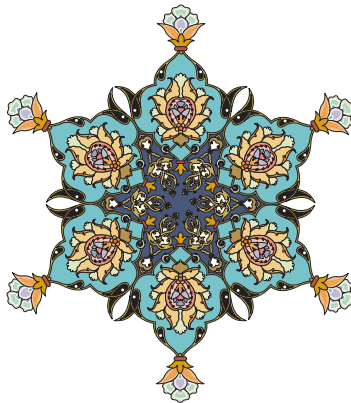


موضوعي لشدة تعلق الأمر بالحادثة الشريفة؛ وعليه يتقدم المصحف عندي على المسند، ولكن المفارقة تكمن في اقتراحي الذي يفيد بوسم المدونة الشريفة بالمسند، لقطع دابر الفتنة والافتراء المحموم، وسد باب الذريعة بوجه الدس والتدليس والتشكيك وإلقام أفواه أهل السوء بالحجج القامعة والبراهين الساطعة، وتفويت الفرصة عليهم في إيقاع الناس في الفتنة، اللهم أصلح.

وحسبي الله عز وجل وقصدي سبيله إلى الهدى والرشاد، والحمد لله رب العالمين.

لكي تعرض منهجها بالدلالة الموثقة المستوحاة من فكر أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، وإسكات كل الأصوات التي من شأنها بلبلة الفكر وتشويه صورة الحق بآليات قدرة وأساليب متدنية غرضها صرف الناس عن وجهة الحق والعدل التي تتجه صوب منظومة الأئمة الأطهار (عليهم السلام).

وما تقدم أرى صحة إطلاق تسمية (المصحف) أو (المسند) على ما جاء في مدونة السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)، مع ترجيحي لمصطلح (المصحف) على (المسند) لسببين: أحدهما لغوي يرتبط بالدلالة المتعلقة لكل منهما، والثاني





# مَرْجِعِيَّةُ أَهْلِ الْبَيْتِ فِي الْكَشْفِ عَنْ الْبُعْدِ الْغَيْبِيِّ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

أ.م.د. حيدر مصطفى هجر  
كلية الآداب - جامعة ذي قار

ساجد صباح ميس العسكري  
كلية العلوم الإسلامية - جامعة كربلاء

## المقدمة:

فيه العصمة التامة فتكون أخباره ليست  
ظنوناً ولا احتمالات، وإنما حقيقة  
واقعة لا خلاف في تحققها، وقد قسم  
الباحث الأبعاد الغيبية التي كشف عنها  
المعصوم عليه السلام في ضوء الروايات الواردة  
عنهم سلام الله عليهم الى قسمين:

### القسم الأول: البعد المعنوي:

وتحت هذا القسم عناوين فرعية  
كثيرة منها:

الكشف عن البعد المعرفي للقرآن  
الكريم، القرآن شافع ومشفع، الكشف  
عن خصوصيات حملة القرآن، الكشف

الحمد لله رب العالمين وصل الله على  
محمد وآله الطيبين الطاهرين وبعد، لقد  
أولى المسلمون إهتماماً وعناية خاصة  
بالقرآن الكريم وتفسيره منذ بداية نزول  
آياته ولا يخفى على كل باحث علاقة  
أهل البيت عليهم السلام بالقرآن الكريم فهم عدل  
القرآن بدلالة حديث الثقلين، وللأئمة  
المعصومين جهود كبيرة في مجال علوم  
القرآن وتفسيره، وكان لهم الريادة في  
هذا العلم، ونحن عندما نلتجئ الى  
المعصوم عليه السلام في الكشف عن الجانب  
الغيبى في القرآن الكريم لأننا نفترض

## مرجعية أهل البيت في الكشف عن البعد الغيبي للقرآن ..... (المصباح)

وعالم الملك<sup>(٢)</sup>، وعالم الملكوت<sup>(٣)</sup>،  
وعالم الجبروت<sup>(٤)</sup>، وعالم اللاهوت<sup>(٥)</sup>  
إلى غيرها من تلك العوالم التي أحاط  
بها الله الذي أحاط بكل شيء، فالقرآن  
له مراتب متعددة وله حقيقة وجودية  
واحدة ولكن لها مستويات وتجليات  
وفي كل مرتبة تجلٍ خاص ينسجم مع  
ذلك العالم الذي وجد فيه<sup>(٦)</sup>، ففي علم  
المادة لا بد ان يكون القرآن منسجماً مع  
عالم المادة، فيأتي بصورة ألفاظ وكلمات  
تكتب وتقرأ وتنطق وتفهم، وفي عالم

(٢) عالم الملك: هو الكرسي أعني الأجسام  
والجسمانيات وهو من عوالم الغيب  
(الفردوس الأعلى، محمد حسين كاشف  
الغطاء: ٤٩).

(٣) عالم الملكوت: هو عالم الذر الثالث وهو  
عالم النفوس الكلي.

(٤) عالم الجبروت: هو عالم الذر الثاني و عالم  
العقول النورية.

(٥) عالم اللاهوت: هو عالم الذر الأول  
ومرتبة الأسماء والصفات الملزمة  
للأعيان الثابتة.

(الهامش ٤، ٣، ٢ ينظر: شرح الأسماء للملا  
هادي السبزواري: ٦١).

(٦) بتوضيح أكثر: الضوء له حقيقة واحدة  
ولكن له مستويات مختلفة فضاء الشمس  
يختلف عن ضوء المصباح.

عن تجلي القرآن الكريم يوم القيامة،  
الكشف عن الثواب المترتب على قراءة  
القرآن.

### القسم الثاني: البعد المادي:

وردت روايات كثيرة في هذا القسم  
وأن كانت بعض الروايات تدخل تحت  
أكثر من عنوان ولكن من أجل بيان تلك  
العناوين قسمت على:

القرآن جلاء للبصر، القرآن جالب  
للرزق، القرآن يدفع البلاء، دفع الضرر،  
الأستشفاء بالقرآن الكريم.

### العلاقة بين مراتب القرآن والحجب

التي تحيط به:

القرآن الكريم كالوجود بشكل عام  
له مراتب وجودية متعددة والذي بين  
أيدينا هو مجموعة الألفاظ (الوجود  
الكتبي واللفظي) وحقيقة القرآن  
غير منحصرة بهذا الوجود، وإن وراء  
الألفاظ معاني، وإن وراء المعاني حقائق،  
ووراء الحقائق حقائق أخرى إلى ان  
تصل إلى مراتبها العليا عند الله متجاوزة  
لمجموعة من العوالم: كعالم المادة<sup>(١)</sup>،

(١) عالمنا المشهود.



التجريد<sup>(٧)</sup> نصل إلى حقائق تتجاوز حدود اللفظ والمعنى إلى مستويات أعلى من الوجود الكتبي، فالقرآن في ذلك العالم أكثر تجريداً وله وجود خاص ولهذا الوجود حفظة ومهتمون به من ملائكة وأولياء وفوق هذه المرتبة مرتبة أخرى إلى ان نصل للحقائق القرآنية التي عند الله سبحانه فالقرآن الكريم في تلك النشأة والوجود في عالم الغيب وفي تلك العوالم أعظم مما في أيدينا بكثير، وقد أشار البعض كالزركشي إلى ان الحرف من القرآن الكريم في أم الكتاب يعدل جبل قاف قال الزركشي: (ذكر بعضهم أن أحرف القرآن في اللوح المحفوظ كل حرف منها بقدر جبل قاف وأن تحت كل حرف منها معان لا يحيط بها إلا الله)<sup>(٨)</sup>، وهذا من باب المقاربة ولعل الوجود أعظم مما يذكر هؤلاء الأعلام.

ومع أن القرآن الكريم له مستويات

(٧) عالم التجريد: هو العالم الذي يتجرد به عن المادة كعالم المثال والبرزخ (ينظر: نهاية الحكمة، محمد حسين الطباطبائي: ٣٠٣).

(٨) البرهان للزركشي: ١ / ٢٢٩.

وتجليات في كل عالم تتناسب معه إلا أن له حقيقة وجودية واحدة<sup>(٩)</sup>، ولقد أشار القرآن الكريم بصورة إجمالية إلى وجود مراتب له، ففي مرتبة يكون بلسان عربي مبين، وفي مرتبة علي حكيم قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [سورة الزخرف: ٣].

ففي هذه الآية يشير إلى المراتب الوجودية التي بين أيدينا، وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿وَأَنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ﴾ [سورة الزخرف: ٤] ففي هذه الآية يشير تعالى إلى المراتب العالية للقرآن الكريم فيصفه بالعلي الحكيم وقال تعالى ﴿كَتَبْنَا الْحِكْمَةَ آيَاتِهِ ثُمَّ فَضَّلْنَا﴾ [سورة هود: ١].

فالإحكام في المراتب الوجودية العالية والتفصيل في هذه المرتبة (مرتبة الوجود اللفظي والكتبي) ففصلت آياته وجاء بلسان عربي مبين لتدركه وتفهمه عقول البشر أما في تلك المراتب فهو عليّ وحكيم عن أن تدركه العقول ،

(٩) مرتبة وجودية واحدة ولكن لها مراتب متعددة.





ولما تنزل القرآن الكريم من عالم الغيب إلى عالم الشهادة أحتجب بحجب كثيرة يرى (ملا صدرا الشيرازي) أنه أحتجب بألف حجاب حتى وصل إلينا<sup>(١٠)</sup> وسبب وجود تلك الحجب لإختلاف العوالم التي نزل بها القرآن الكريم، لذا قال الرسول ﷺ: (إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم)<sup>(١١)</sup>.

### الإحاطة بمراتب القرآن كلها:

الوصول إلى أعلى مراتب القرآن لا تتم ولا يمكن الإحاطة بجميع تلك المراتب إلا لمن كان له ارتباط وجودي مع القرآن وقد تزامن وجوده مع القرآن الكريم، فكان مساره في نزوله مساراً متزامناً مع القرآن الكريم في كل مرتبة من مراتبه الوجودية فعرف من القرآن ما لم يحيط به غيره، وهذا ما يشير إليه قول النبي ﷺ في حديث الثقلين (لن يفترقا)<sup>(١٢)</sup> فهو

(١٠) مفاتيح الغيب، ملا صدرا الشيرازي: ٢٢.

(١١) الكافي للكليني: ١ / ٢٣.

(١٢) حديث الثقلين من الأحاديث المتواترة والتي نقلتها كتب الفريقين، ينظر:

يشير إلى ارتباطها في العالم المادي وفي تلك العوالم الغيبية الأخرى، وللكلام الإلهي مراتب متعددة: مرتبة تتمثل في الكلام الوجودي الذي يمثل الأعيان ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ [سورة النساء: ١٧١] فعيسى عليه السلام من الكلام الوجودي، ومرتبة تتمثل بالأوامر الإلهية ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [سورة الأعراف: ١٣٧] فالكلام هنا بمعنى الأمر، ومرتبة تتمثل في الكلام اللفظي والذي يطلق ويراد منه اللفظ في مستوى من مستوياته.

ولا يمكن لأي شخص أن يحيط بالكلام الوجودي والكلام اللفظي إلا مَنْ كانت له إحاطة كاملة بالقرآن الكريم، لذا قال الإمام علي عليه السلام أنا النقطة تحت الباء؛ لما تحدث عن كون كل ما في الكتب في القرآن وكل ما في القرآن في

حديث الثقلين للسيد علي الحسيني الميلاني: ٢٠.

الفاتحة وكل ما في الفاتحة في البسملة وكل ما في البسملة في الباء، فقد روي عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: (إعلم أن جميع أسرار الكتب السماوية في القرآن، وجميع ما في القرآن في الفاتحة، وجميع ما في البسملة في البسملة، وجميع ما في البسملة في باء البسملة، وجميع ما في باء البسملة في النقطة التي هي تحت الباء. قال الإمام علي (كرم الله وجهه): أنا النقطة التي تحت الباء)<sup>(١٣)</sup>.

وهذا بحث عميق لان الكلام الإلهي يختلف عن الكلام الإنساني فكلام الله فيه لون من ألوان التكثيف<sup>(١٤)</sup> التي تتجاوز مستوى إدراكنا، ففي الرواية عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خطب رسول الله ﷺ الناس ثم رفع يده اليمنى قابضا على كفه ثم قال: أتدرون أيها الناس ما في كفي؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، فقال: فيها أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم إلى يوم القيامة، ثم رفع

يده الشمال فقال: أيها الناس أتدرون ما في كفي؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، فقال: أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم إلى يوم القيامة، ثم قال: حكم الله وعدل، حكم الله وعدل، فريق في الجنة وفريق في السعير)<sup>(١٥)</sup>، فهذه القابلية التي تشير إليها الرواية تؤكد ان هناك اختلافاً جوهرياً بين كلام الله وكلام البشر، وهذا يدل على ان وراء الكلام الإلهي حقيقة غيبية تتجاوز اللفظ ولا يحيط بتلك الحقيقة إلا المعصوم، والصحيفة التي تشير إليها الرواية المتقدمة لو قرأها غير المعصوم لما وجد فيها ما وجده المعصوم، فهناك انسجام ما بين الكتاب التدويني<sup>(١٦)</sup> والكتاب التكويني<sup>(١٧)</sup> وما في الكتاب التدويني من تكثيف وإيجاز ويمثل الإجمال، أما التفصيل فلا يدركه إلا من عاصر القرآن في كل مراتبه الوجودية. ومن الأمثلة التي توضح ان المعصوم

(١٣) ينابيع المودة: ١ / ١٩٠.

(١٤) التكثيف: هو تراكم الشيء بعضه فوق بعض. (ينظر تحليل الخطاب الشعري لمحمد العمري: ٦٤).

(١٥) الكافي للكليبي: ١ / ٤٤٤.

(١٦) الكتاب الذي بين أيدينا.

(١٧) الكتاب في العوالم الغيبية.



مرجعية أهل البيت في الكشف عن البعد الغيبي للقرآن ..... (المصباح)

لك من صلاتك ما أقبلت عليه منها فإن أوهمها كلها أو غفل عن أدائها لُفَّتْ فضرب بها وجه صاحبها<sup>(٢٠)</sup>.

ووجودها في تلك المراتب لا يلغي وجودها في هذه المرتبة، ونحن مخاطبون ومكلفون بمرتبة من مراتبها ولعل هناك مستوى معيناً يخاطب بمرتبة أعلى وهناك مستوى يخاطب بمرتبة أعلى من الثانية... الخ، فالمعصوم الذي نفترض فيه العصمة التامة إنما بلغ ما بلغ لكرامته عند الله بعد ان اشترطوا على أنفسهم كما في دعاء الندبة<sup>(٢١)</sup>، ووصلوا إلى مرتبة عدل القرآن الكريم وعلموا كل مراتب القرآن الوجودية ولم ينفكوا عنه في مرتبة من مراتبه، فحين نلتجئ إليهم لإخبارهم إيانا عن حقيقة القرآن لأنهم يريدون أن يوجدوا فينا هذا التعامل مع القرآن فلا نتعامل معه على انه ألفاظ ومعانٍ وإنما وراء تلك المعاني حقائق وإلا لما افترض أن

(٢٠) الكافي للكليني: ٣ / ٣٦٣.

(٢١) إقبال الأعمال، ابن طاووس: ٥٠٤.

له معرفة بحقائق العوالم الأخرى مارواه أحمد بن عبد الله، قال: بينما أمير المؤمنين عليه السلام مار بفناء بيت الله الحرام إذ نظر إلى رجل يصلي فاستحسن صلاته، فقال: يا هذا الرجل تعرف تأويل صلاتك؟ قال الرجل: يا بن عم خير خلق الله وهل للصلاة تأويل غير التعبد، قال علي عليه السلام: اعلم يا هذا الرجل ان الله تبارك وتعالى ما بعث نبيه صلى الله عليه وآله بأمر من الأمور إلا وله متشابه وتأويل وتنزيل وكل ذلك على التعبد فمن لم يعرف تأويل صلاته، فصلاته كلها خداع ناقصة غير تامة<sup>(١٨)</sup>.

فالمصلي يرى ان الصلاة مركب اعتباري يبدأ بتكبيرة الاحرام وينتهي بالتسليم، ولكن الإمام يريد ان يبحث عن الجانب الغيبي للصلاة.

فالصلاة لها حقيقة أخرى قد تصل إلى مستوى معراج للمؤمن<sup>(١٩)</sup> وقد تُلْفُ وَيُضْرَبُ بها وجه صاحبها، فعن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام أنها قالوا: (إنما

(١٨) علل الشرائع: ٢ / ٥٩٨.

(١٩) مستدرک سفينة النجاة: ١ / ٦.



لا يمسّه إلا المطهرون<sup>(٢٢)</sup>، وهذا المس يأخذ مجاله المادي والمعنوي<sup>(٢٣)</sup>.

### الأبعاد الغيبية للقرآن التي

#### كشف عنها المعصوم:

تقدم الكلام في أن القرآن الكريم ليس ألفاظاً وكلمات وإنما هناك حقائق أخرى وراء اللفظ والمعنى، فعندما نتحدث عن الآثار التكوينية لبعض آيات القرآن الكريم فبعضها شفاء وبعضها لها آثار نفسية، فهذا الأمر ليس عجبياً لأن هذه الآثار تعود إلى حقيقة القرآن الذي مر بعوالم حتى وصل إلينا فعندما تكون لها آثار وضعية فلم يكن هذا الأمر اعتباطاً وإنما لكونها نبتت من جانبها الغيبي وامتألت وجوداً حتى أصبح هذا المقدار من الآية شافياً أو كافياً أو دافعا... الخ، وهذا يعطينا معنى تقديس القرآن، فالقرآن ليس فقط كلمات ومعاني وقد انعكس هذا حتى

(٢٢) إشارة إلى الآية القرآنية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [سورة الأحزاب: ٣٣].

(٢٣) يقصد بالمس المعنوي: أنه لا يدرك حقائق القرآن إلا المطهرون.

على مستوى الوجود اللفظي للقرآن إذ لا يجوز لغير الطاهر مس القرآن<sup>(٢٤)</sup> ولا يجوز تصغير لفظ القرآن، عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: (لا تقولوا: رمضان، إلى أن قال: ولا يسمّى المصحف مصيحف)<sup>(٢٥)</sup> ويجب أن نقف أمامه بكل إجلال واحترام لان في القرآن حقيقة وجودية عالية.

### ومن الأبعاد الغيبية التي كشف عنها

#### أهل البيت عليهم السلام:

أولاً: البعد المعنوي:

وتحت هذا العنوان عناوين فرعية كثيرة منها:

١. الكشف عن البعد المعرفي للقرآن الكريم:

هناك روايات كثيرة في هذا المجال أشارت إلى أن القرآن الكريم حقيقة إلهية نزلت من كذا ولها كذا، ومن تلك الروايات، الرواية التي تقول إن البسملة من كنوز العرش وان البسملة

(٢٤) إجماع المذاهب الفقهية على عدم جواز مس المصحف إلا بطهور (ينظر: الفقه على المذاهب الخمسة، محمد جواد مغنية: ٣٧.

(٢٥) مسند الإمام علي عليه السلام: ١ / ٢٦٥.



أمر غيبي وليس مجرد شعور عاطفي لأنهم يعلمون ما لهذه السورة من أثر وما هي حقيقتها الغيبية.

## ٢. القرآن شافع ومشفع:

في رواية عن أبي عبد الله عن آبائه عن رسول الله ﷺ انه قال: (فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فإنه شافع مشفع وماحل مصدق)<sup>(٢٨)</sup>، والشفاعة منها ما هو في الدنيا ومنها ما هو في الآخرة فالرواية قد تشير إلى الشفاعة الأخروية ولكن هناك شفاعة دنيوية وهي دفع البلاء وقد ذكرت في روايات أخرى، وعن الصادق عليه السلام: (من قرأ القرآن في المصحف مُتَع ببصره وخفف عن والديه وإن كانا كافرين)<sup>(٢٩)</sup>، ففي هذه الرواية بعدان: بعد مادي وهو التمتع بالبصر وبعد معنوي وهو التخفيف عن والذي قاري القرآن في المصحف.

## ٣. الكشف عن خصوصيات حَمَلَة

### القرآن:

(٢٨) الكافي للكليني: ٢ / ٣٣١.

(٢٩) الكافي: ٢ / ٣٣٩ ح ٣٥٢١.

من خصوصيات النبي محمد ﷺ والنبي سليمان عليه السلام وإنما خصهما الله بها لأنها من نفائس العرش، روي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله قال لي يا محمد ﷺ **وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ** فأفرد الامتتان علي بفاتحة الكتاب وجعلها بإزاء القرآن، وان فاتحة الكتاب أشرف ما في كنوز العرش وان الله خص محمداً وشرفه بها ولم يشرك فيها أحداً من أنبيائه ما خلا سليمان فأعطاه منها (بسم الله الرحمن الرحيم)... الى آخر الرواية<sup>(٢٦)</sup>.

ومن الروايات في هذا المجال أيضاً الرواية التي تتحدث عن كيفية تعامل الملائكة مع سورة الإخلاص، فعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: (لما نزلت قل هو الله أحد خلق الله لها أربعة آلاف جناح، فما كانت تمر بملاً من الملائكة إلا خشعوا لها، وقالوا هذه نسبة الرب تبارك وتعالى)<sup>(٢٧)</sup>، وهذا الحديث عن

(٢٦) تفسير مجمع البيان: ١ / ٥١، تفسير نور الثقلين: ١ / ٥، بحار الأنوار: ١٩ / ٢٢٧.

(٢٧) الخرائج والجرائح: ٢ / ١٩٥.





لحملة القرآن الكريم على مستوى الحفظ الظاهري للقرآن خصوصيات وهذه الخصوصيات لا يمكن ان يخبر عنها إلا من أطلع عليها، ففي رواية عن النبي محمد ﷺ: (من قرأ القرآن حتى يستظهره ويحفظه أدخله الله الجنة وشفعه في عشرة من أهله كلهم قد وجبت لهم النار)<sup>(٣٠)</sup>.

ففي هذه الرواية ان الشفاعة ليست للقرآن فقط وإنما لمن حمّله على المستوى الظاهري فيرتب على ذلك اثنان هما: الدخول للجنة، و شفاعة حامل القرآن في غيره.

٤. الكشف عن تجلي القرآن الكريم يوم القيامة:

يأتي القرآن يوم القيامة بصور مختلفة فقد يأتي بصورة رجل حسن المظهر، يكلم الله سبحانه، ويشفع لصاحبه، ويخاطب الناس، ويعاتب من نسيه.

عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: تعلموا القرآن فإنه يأتي يوم

(٣٠) مجمع البيان: ١ / ٤٥، وسائل الشيعة: ٦ /

القيامة صاحبه في صورة شاب جميل شاحب اللون فيقول له القرآن: أنا الذي كنت أسهرت ليلك وأظمأت هواجرك وأجففت ريقك وأسلت دمعك أوول معك حيثما الت وكل تاجر من وراء تجارته وأنا اليوم لك من وراء تجارة كل تاجر وسيأتيك كرامة [من] الله عز وجل فأبشر، فيؤتى بتاج فيوضع على رأسه ويعطى الأمان بيمينه والخلد في الجنان بيساره ويكسى حلتين ثم يقال لله: اقرأ وارقه فكلما قرأ آية صعد درجة ويكسى أبواه حلتين إن كانا مؤمنين ثم يقال لهما: هذا لما علمتماه القرآن<sup>(٣١)</sup>، وفي رواية يأتي القرآن يتكلم ويخاطب رب العزة ثم يخاطب حامله، فعن أبي جعفر عليه السلام قال: مجيء القرآن يوم القيامة في أحسن منظور إليه صورة فيمر بالمسلمين فيقولون: هذا الرجل منا فيجاوزهم إلى النبيين فيقولون: هو منا فيجاوزهم إلى الملائكة المقربين فيقولون: هو منا حتى ينتهي إلى رب العزة عز وجل فيقول: يا رب فلان بن فلان أظمأت هواجره

(٣١) الكافي للكليني: ٢ / ٣٣٤ ح ٣٤٩١.



ليلة الجمعة كانت كفارة له من الجمعة إلى الجمعة روي عن ابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهم أن من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة، أو يوم الجمعة، أعطي نورا من حيث يقرأها إلى مكة، وغفر له إلى يوم الجمعة الأخرى، وفضل ثلاثة أيام، وصلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح. وعوفي من الداء، والذبيلة، وذات الجنب، والبرص والجذام، وفتنة الدجال<sup>(٣٤)</sup> فمن الذي يستطيع ان يخبر عن هذا الأمر ولماذا سورة الكهف من دون غيرها ولماذا في هذا الوقت دون غيره فلا يستطيع أي شخص غير المعصوم عليه السلام أن يخبر عن ذلك الأثر،

وهناك أثر لقراءة سورة الكهف ليلة الجمعة غير هذا الأثر، روى العياشي عن الحسن بن علي بن حمزة (عن أبي عبد الله عليه السلام) قال: من قرأ سورة الكهف في كل ليلة جمعة لم يمتهن الا شهيدا ويبعثه الله مع الشهداء وأوقف يوم القيمة مع الشهداء<sup>(٣٥)</sup>، فمن يعلم بتلك الحقيقة

(٣٤) إعانة الطالبين للديمياطي: ٢ / ١٠٣.

(٣٥) تفسير العياشي: ٢ / ٣٢١.

(وأسهرت ليله في دار الدنيا وفلان بن فلان لم أظميء هواجره ولم أسهرليله، فيقول تبارك وتعالى: أدخلهم الجنة على منازلهم فيقوم فيتبعونه، فيقول للمؤمن: اقرأ وارقه قال: فيقرأ ويرقى حتى يبلغ كل رجل منهم منزلته التي هي له فينزلها)<sup>(٣٢)</sup>، وفي بعض الروايات أن السورة تخاطب الناس وتعاتب من نسيها فعن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: من نسي سورة من القرآن مثلت له في صورة حسنة ودرجة رفيعة في الجنة فإذا رآها قال: ما أنت ما أحسنك ليتك لي؟ فيقول: أما تعرفني؟ أنا سورة كذا وكذا ولو لم تنسني رفعتك إلى هذا)<sup>(٣٣)</sup>.

٥. الكشف عن الثواب المترتب على قراءة القرآن:

لقراءة القرآن ثواب كبير عند الله سبحانه وهناك ثواب مادي وثواب معنوي ومن ذلك:

أ. تكفير الذنوب:

في الرواية من قرأ سورة الكهف في

(٣٢) الكافي للكليني: ٢ / ٥٩٦.

(٣٣) الكافي للكليني: ٢ / ٦٠٧.



وأثارها إلا من أخبر بذلك.

ب. الفوز بالجنة:

من قرأ سورة العنكبوت والروم ليلة الثالث والعشرين من شهر رمضان دخل الجنة في الرواية:

عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من قرأ سورة العنكبوت والروم في شهر رمضان ليلة ثلاثة وعشرين فهو والله يا أبا محمد من أهل الجنة لا أستثني فيه أبداً ولا أخاف أن يكتب الله علي في يميني إثماً وان لهاتين السورتين من الله مكاناً <sup>(٣٦)</sup>، فالإمام يقسم وهو الصادق ليؤكد أنه مطلع على حقيقة هذا الأثر.

ج. مضاعفة الأعمال:

في الرواية عن الإمام الجواد عليه السلام: من قرأ إنا أنزلناه في ليلة القدر بعد العصر عشر مرات مدت له مثل أعمال الخلائق <sup>(٣٧)</sup>.

ثانياً: البعد المادي:

وردت روايات كثيرة في هذا القسم وإن كانت بعض الروايات تدخل تحت

(٣٦) ثواب الأعمال للصدوق: ١٠٩.

(٣٧) وسائل الشيعة: ٦ / ٤٨٢.

أكثر من عنوان ولكن من أجل بيان تلك

العناوين قسمت على:

١. القرآن جلاء للبصر:

في الكافي عن... (من قرأ القرآن في المصحف مُتَع بصره) <sup>(٣٨)</sup>، وعن علي بن الحسين عليه السلام قال: من قرأ سورة الممتحنة في فرائضه ونوافله امتحن الله قلبه للايمان، ونور له بصره، ولا يصيبه فقر أبداً، ولا جنون في بدنه ولا في ولده <sup>(٣٩)</sup>.

ففي هذه الرواية أكثر من بعد مادي وهو التمتع بالبصر والرزق ودفع الجنون بمجرد القراءة.

٢. القرآن جالب للرزق:

جاء في فضل سورة القيامة عن النبي صلى الله عليه وآله (وإدمان قراءتها يجلب الرزق والصيانة ويجب إلى الناس) <sup>(٤٠)</sup> فبالإضافة للرزق هناك أثر مادي آخر وهو التحبب إلى الناس.

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (ان لكل شيء قلباً، وقلب القرآن

(٣٨) الكافي للكلييني: ٢ / ٦١٣.

(٣٩) تفسير أبي حمزة الثمالي: ٣٣١، مجمع البيان: ٩ / ٤٤٣.

(٤٠) تفسير البرهان: ٤ / ١١٦.





ياسين ومن قرأها قبل ان ينام أو في نهاره قبل ان يمشي كان في نهاره من المحفوظين والمرزوقين حتى يمسي<sup>(٤١)</sup>، فبينت هذه الرواية أثرتين ماديين لقراءة سورة يس قبل النوم وهما الحفظ والرزق.

عن الإمام الرضا انه قال: قال رسول الله ﷺ: (أجعلوا لبيوتكم نصيباً من القرآن فان البيت إذا قريء فيه تيسر على أهله، وكثر خيريه، وكان سكانه في زيادة، وإذا لم يقرأ فيه القرآن ضيق على أهله وقل خيريه وكان سكانه في نقصان)<sup>(٤٢)</sup> فبمجرد قراءة أي شيء من القرآن فهو سبب لكثرة الخير.

وعن الإمام السجاد ﷺ: (من قرأ سورة المتحنة في فرائضه ونوافله امتحن الله قلبه ونور له بصره ولا يصبه فقر أبداً ولا جنون في بدنه ولا ولده)<sup>(٤٣)</sup>، فيترب على قراءة سورة المتحنة آثار معنوية ومادية.

٣. القرآن يدفع البلاء:

في رواية عن الاصمغ بن نباته قال، قال أمير المؤمنين ﷺ: (إن الله ليهم بعذاب أهل الأرض جميعاً لا يحاشي منهم أحداً إذا عملوا بالمعاصي واجترحوا السيئات فإذا نظر إلى الشيب ناقلين أقدامهم إلى الصلاة والولدان يتعلمون القرآن رحمهم فأخر ذلك عنهم)<sup>(٤٤)</sup>، فيدفع بهؤلاء الذين يتعلمون القرآن صنوفاً من العذاب وفي هذه الرواية وغيرها دلالة على صحة عقيدة البداء الذي تؤمن بها الشيعة الإمامية.

عن الباقر ﷺ: (من قرأ سورة النحل في كل شهر كفى الله عنه سبعين نوعاً من البلاء اهونها الجنون والجذام والبرص وكان مسكنه في جنات عدن وهي وسط الجنان)<sup>(٤٥)</sup>، ففي هذه الرواية بيان لأثر مادي يترتب على قراءة سورة النحل وهو دفع البلاء وأثر معنوي وهو الدخول الى جنات عدن.

وعن الصادق ﷺ: (من قرأ

(٤١) ثواب الأعمال للصدوق: ١٣٨.

(٤٢) وسائل الشيعة: ٦/ ٤٨٢.

(٤٣) ثواب الأعمال: ١١٨.

(٤٤) المصدر السابق: ٢٨.

(٤٥) مجمع البيان: ٩/ ٩٥.

الصفات في كل جمعة لم يزل محفوظاً عن كل آفة مدفوعاً عن كل بلية في الحياة الدنيا مرزوقاً في الدنيا أوسع ما يكون من الرزق ولم يصبه الله في ماله وولده ولا بدنه بسوء من شيطان رجيم ولا جبار عنيد<sup>(٤٦)</sup>، وفي هذه الرواية بيان لأكثر من أثر مادي يترتب على قراءة سورة الصفات في يوم الجمعة أهمها: الحفظ، ودفع البلاء، والرزق.

٤. دفع الضرر:

لدفع خطر السباع، جاء عن الرسول ﷺ: (يا علي من خاف من السباع فليقرأ ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [سورة التوبة ١٢٨]<sup>(٤٧)</sup>.

ولدفع السحر والشياطين (يا علي من خاف ساحراً أو شيطاناً فليقرأ ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [سورة الأعراف ٥٤]<sup>(٤٨)</sup>.

ولدفع السارق: (يا علي: أمان لأمتي

من السارق: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [سورة الإسراء ١١٠]<sup>(٤٩)</sup>.

ولدفع شر الجن، روي عن الإمام السجاد عليه السلام: (من قرأ سورة الممتحنة في فرائضه ونوافله امتحن الله قلبه ونور له بصره ولا يصبه فقراً أبداً ولا جنوناً في بدنه ولا ولده)<sup>(٥٠)</sup>.

٥. الاستشفاء بالقرآن:

روي ان رجلاً شكى إلى النبي ﷺ ووجع حلقه قال: عليك بقراءة القرآن<sup>(٥١)</sup>. وعن النبي ﷺ أنه قال: (من لم يشفه الحمد فلا شفاه الله)<sup>(٥٢)</sup>، وعن الصادق عليه السلام عن رسول الله ﷺ: (إذا كل أو أصابته عين أو صداع بسط يديه فقراً فاتحة الكتاب والمعوذتين ثم يمسح بهما وجهه فيذهب عنه ما كان فيه)<sup>(٥٣)</sup>، وعن الرضا عليه السلام: (من قرأ آية الكرسي عند

(٤٩) المصدر السابق: ٩٦٧.

(٥٠) تفسير أبي حمزة الثمالي: ٣٣١، مجمع البيان: ٩ / ٤٤٣.

(٥١) الدر المنثور للسيوطي: ٣ / ٣٠٨.

(٥٢) بحار الأنوار: ٦٢ / ٧٤.

(٥٣) المصدر السابق: ٩٢ / ٣٦٤.

(٤٦) ثواب الأعمال: ١١٢.

(٤٧) من لا يحضره الفقيه: ٤ / ٩٦٨.

(٤٨) المصدر السابق.



مرتبته العليا يصف نفسه علي حكيماً  
وفي مرتبة الوجود اللفظي يصف  
نفسه بلسان عربي مبين لتدركه  
العقول.

٤. الآثار الغيبية للقرآن الكريم تنقسم  
على بعدين: بعد معنوي، و بعد  
مادي، وتحتها أقسام فرعية.

٥. أن من أهم أسباب تقديس القرآن  
الكريم تعود الى ما يحتوي عليه  
هذا الكتاب من حقائق كشف عنها  
المعصوم فهي ليست مجرد ألفاظ  
ومعان.

٦. الروايات الواردة عن المعصومين  
في بيان الآثار الغيبية لسور وآيات  
القرآن الكريم كثيرة ومتداخلة لذا  
تجد الرواية الواحدة تحتوي على أكثر  
من بعد مادي ومعنوي فتكررت  
بعض الروايات لدخولها في أكثر من  
قسم.

منامه لم يحف الفالج-الشلل النصفي-  
ومن قرأها دبر كل صلاة لم يضره ذو  
حمّة(٥٤).

فما تقدم يتبين أن لآيات القرآن  
الكريم آثاراً كثيرة منها ما هو مادي  
ومنها ما هو معنوي والكشف الغيبي  
لآثار تلك الآيات لا يمكن ان يعرفها  
إلا من لديه عصمة تامة وإحاطة تامة  
بتلك العوامل.

#### الخاتمة:

في ختام البحث نستخلص عدة  
نتائج هي:

١. أن من له الحق في الحديث عن  
القرآن الكريم وتوجيه الأمة  
وإرشادها، من أحاط بالقرآن  
الكريم في كل مراتبه.

٢. للقرآن الكريم حقيقة غيبية ما  
وراء اللفظ ولا يمكن أن تدرك إلا  
لمن طهرهم الله سبحانه وجعلهم  
عدل الكتاب.

٣. للقرآن الكريم مراتب متعددة ففي



المصادر:

(١) إقبال الأعمال، رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاووس، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، ط١، ١٤١٤هـ، مكتب الإعلام الإسلامي.

(٢) إعانة الطالبين، للعلامة أبي بكر المشهور بالسيد البكري ابن السيد السيد محمد شطا الدمياطي (ت ١٣١٠هـ)، ط١، ١٩٩٧، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان.

(٣) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ)، ط٢، ١٩٨٣، مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان.

(٤) البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم الحسيني البحراني (ت ١١٠٧هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية / مؤسسة البعثة - قم.

(٥) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين

محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، ط١، ١٩٥٧م، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

(٦) تحليل الخطاب الشعري، محمد العمري، الدار العالمية للكتاب، ط١، الدار البيضاء، ١٩٩٠م.

(٧) تفسير أبي حمزة الثمالي، أبو حمزة الثمالي (ت ١٤٨هـ)، عاد جمعه وتأليفه: عبد الرزاق محمد حسين حرز الدين / مراجعة وتقديم:

الشيخ محمد هادي معرفة، ط١، ١٤٢٠هـ، الناشر: دفتر نشر الهادي

(٨) تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي (ت ٣٢٠هـ)، تحقيق:

الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي الناشر: المكتبة العلمية الإسلامية - طهران.

(٩) تفسير مجمع البيان، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت



بإشراف السيد محمد باقر الموحد  
الأبطحي، ط ١، مؤسسة الإمام  
المهدي - قم المقدسة.

(١٤) الدر المنثور في التفسير بالمأثور،  
جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)،  
دار المعرفة للطباعة والنشر -  
بيروت - لبنان.

(١٥) شرح الأسماء، الملا هادي  
السبزواري، منشورات مكتبة  
بصيرتي - قم - إيران.

(١٦) علل الشرائع، الشيخ الصدوق أبي  
جعفر محمد بن علي بن الحسين بن  
موسى بن بابويه القمي (ت ٣٨١  
هـ)، تقديم: السيد محمد صادق  
بحر العلوم، نشرات المكتبة  
الحيدرية ومطبعتها - النجف  
الأشرف، ١٩٦٦م.

(١٧) الفردوس الأعلى، محمد حسين  
كاشف الغطاء، تعليق: السيد محمد  
علي القاضي الطباطبائي، ط ٣،  
١٤٠٢، مكتبة فيروز آبادي - قم.

(١٨) الفقه على المذاهب الخمسة، محمد  
جواد مغنية، ط ١، ٢٠٠٩م، دار

٥٤٨هـ)، ط ١، ١٤١٥هـ، تحقيق  
وتعليق: لجنة من العلماء والمحققين  
الأخصائيين، الناشر: مؤسسة  
الأعلمي للمطبوعات - بيروت -  
لبنان.

(١٠) تفسير نور الثقلين، الشيخ عبد  
علي بن جمعة العروسي الحويزي  
(ت ١١١٢هـ)، ط ٤، ١٤١٢هـ،  
الناشر: مؤسسة إسماعيليان  
للطباعة والنشر والتوزيع - قم.

(١١) ثواب الأعمال، الشيخ الصدوق  
أبي جعفر محمد بن علي ابن الحسين  
بن موسى بن بابويه القمي ثُمَّ  
(ت ٣٨١ هـ)، تحقيق: تقديم:  
السيد محمد مهدي السيد حسن  
الخرسان، ط ٣، ١٣٦٨ ش،  
منشورات الشريف الرضي - قم.

(١٢) حديث الثقلين، السيد علي  
الحسيني الميلاني، ط ١، ١٤٣١،  
مركز الحقائق الإسلامية.

(١٣) الخرائج والجرائح، قطب الدين  
الراوندي (ت ٥٧٣ هـ)، تحقيق:  
مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام







محمد بن علي بن الحسين بن بابويه  
القمي (٣٨١هـ)، دار المرتضى،  
بيروت.

(٢٤) نهاية الحكمة، محمد حسين  
الطباطبائي، صحيح وتعليق:  
الشيخ عباس علي الزارعي  
السبزواري، ط ٤، ١٤١٧هـ،  
مؤسسة النشر الإسلامي التابعة  
لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

(٢٥) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ٢٧/  
١٩٠، تحقيق: مؤسسة آل البيت  
لإحياء التراث، ط ٢، ١٤١٤هـ،  
مؤسسة آل البيت لإحياء التراث  
بقم المشرفة.

(٢٦) ينابيع المودة لذوي القربى، سليمان  
بن إبراهيم القندوزي الحنفي (ت  
١٢٩٤هـ)، تحقيق: سيد علي جمال  
أشرف الحسيني، ط ١، ١٤١٦هـ،  
دار الأسوة للطباعة والنشر.

الغدير للطباعة والنشر.

(١٩) الكافي، محمد بن يعقوب  
الكليني (ت ٣٢٩هـ)، تصحيح  
وتعليق: علي أكبر الغفاري، ط ٥،  
١٣٦٣ش، دار الكتب الإسلامية-  
طهران.

(٢٠) مستدرك سفينة البحار، الشيخ  
علي النمازي الشاهرودي، تحقيق  
وتصحيح: الشيخ حسن بن علي  
النمازي، ١٤١٨هـ، مؤسسة  
النشر الإسلامي التابعة لجماعة  
المدرسين بقم المشرفة.

(٢١) مسند الإمام علي عليه السلام، حسن  
القبانجي، التحقيق: الشيخ  
طاهر السلامي، ط ١، ٢٠٠٠م،  
منشورات مؤسسة الأعلمي  
للمطبوعات بيروت-لبنان.

(٢٢) مفاتيح الغيب، صدر الدين  
الشيرازي، مع تعليق للمولى  
النوري صححه محمد خوجواي،  
مؤسسة تحقيقات فرنكي،  
١٣٦٣ش.

(٢٣) من لا يحضره الفقيه، أبو جعفر



# مِن النَّجَاحِ الْفِكْرِيِّ لِلْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام

## (تفسير القرآن الكريم أنموذجاً)

أ.م.د. صادق فوزي العبادي

كلية التربية الاساسية - جامعة الكوفة

بسم الله الرحمن الرحيم

التمهيد:

ووضعوا لهم سبيل النجاة من خلال نماذج سلوكية ومواقف جهادية وفكرية تثير الطريق أمام شيعتهم، وهم يعانون الولايات على أيدي الحكام والملوك وأصحاب السلطان والجبروت<sup>(١)</sup>.

ولا تحتكر الشيعة طرق الاتصال بتأريخ الأئمة الطاهرين، ولا تدعي اختصاص الأخذ عن تراث وأحكام أهل البيت بأحد، بل يرون أنهم رجال الإسلام وأعلام الهدى الذين تتجه رسالتهم إلى كل الطوائف من المسلمين،

من الأمور التي ثبتت واستقرت على أسسها، واحتفظت بملاحمها الأصلية، وقاومت موجات العداة هي سيرة الأئمة الطاهرين من أهل البيت عليهم السلام، فظلت شخصياتهم الفذة مصادر إلهام تستمد منها الأمة الإسلامية العبر والدروس؛ وتتأسى بمواقفها وتجربتها.

وبقي الشيعة الامامية يتلقون أمور دينهم من هؤلاء الرجال الذين تعرضوا لمختلف أنواع المحن وضروب التجارب القاسية، فرسم الأئمة عليهم السلام لمحبيهم وأتباعهم في كل مرحلة طريق العمل،

(١) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ٤ / ٩١.

فلا غرو أن تكون سيرته مصدر الهام  
ومعين علم.

فقد عاش الإمام (عليه السلام) في عصر جهد  
فيه الحكام الأمويون في محاربة الإسلام  
وشل الحركة الفكرية وإشاعة الجهل  
والتخلف بين الناس، فقام الإمام (عليه السلام)  
بتأسيس مدرسة الفقه والحديث التي  
كانت تضم كثيرا من الموالى والتابعين،  
فكانوا ينهلون من نير علومه ومعارفه  
وأخلاقه. ويتغذون من هديه فتخرج  
على يديه كبار الفقهاء والعلماء أمثال  
سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير  
وغيرهم؛ ولعل من أهم مساهماته في  
بناء الحركة العلمية هي ادعيته المباركة  
التي عرفت بالصحيفة السجادية  
وتفسيره للقران الكريم والذي استمد  
زيد الشهيد منه اغلب تفسيره للآيات  
القرآنية؛ فقد انبرى الإمام (عليه السلام) إلى  
إنارة الفكر العربي الإسلامي بشتى  
أنواع العلوم والمعارف وقد دعا ناشئة  
المسلمين إلى الإقبال على طلب العلم،  
وحثهم عليه، ولعل ذلك عائد إلى ما  
توفرت للإمام زين العابدين (عليه السلام) جميع

وتسع تعاليمهم جميع المسلمين.  
فالأئمة (عليهم السلام) هم الأوصياء وورثة الأنبياء  
الذين خصهم الله بالكمالات والعصمة،  
فقال الإمام الصادق (عليه السلام): أمر الله كل  
واحد من الأئمة أن يسلم الأمر إلى  
من بعده. وعلى أي حال فان الإمام  
علي بن الحسين (عليه السلام) قد تزعم الحركة  
الدينية والفكرية في زمنه، وقاد أنصاره  
واستطاع ان يواجه مشكلة الحكم بما  
يخفف عن أتباعه أعباء التضحيات  
وسفك الدماء. وكانت شخصيته قد  
اجتمعت فيها مؤهلات كبرى وصفات  
عالية، جعلته يحتل تلك المكانة السامية  
والمنزلة الرفيعة والمرموقة في المجتمع،  
واحتل موقع القيادة والاعلمية،  
فاتجهت إليه الأنظار، وقصدته الوفود  
من كل الأمصار.

وقد شهد في حياته التحولات  
السياسية واستطاع الإمام زين  
العابدين (عليه السلام) أن يقف في زحمة الأحداث  
ووسط تلك المعتركات على اختلاف  
صورها، ويترك آثاره فيكل جانب من  
حياة المجتمع ويؤثر في كل ناحية فكرية



المكونات التربوية الرفيعة التي لم يظفر بها احد سواه، وقد عملت على تكوينه وبناء شخصيته بصورة متميزة جعلته في الرعيل الأول من أئمة المسلمين، الذين منحهم الرسول ﷺ ثقته وجعلهم قادة لامته وأمناء على أداء رسالته (٢).

والشيء المؤكد الذي لا خفاء فيه ان النبي ﷺ قد رتب الخلافة والإمامة من بعده، ولم يترك الأمة من بعده فوضى تتعرض للأخطار والأزمات فقد نص على خلفائه الأئمة الاثني عشر من أهل بيته وقد ذكر الإمام زين العابدين (عليه السلام) ذلك بقوله: (إن الله خلق محمدا وعليا واحد عشر من ولده من نور عظمتهم فاقامهم أشباحا في ضياء نوره يعبدونه قبل خلق الخلق يسبحون الله ويقدمونه وهم الأئمة من ولد رسول الله ﷺ) (٣).

وقد اتفق المسلمون على تعظيم الإمام السجاد (عليه السلام) - ولم يقتصر الأمر على أصحابه بل شمل جميع من لم يقف إلى جانبه برغم اختلاف الأهواء

(٢) ظ: حياة الإمام زين العابدين ١ / ٥٣.

(٣) أصول الكافي ١ / ٥٣٠ الحديث ٦.

والميول - واجمعوا على الاعتراف له بالفضل وانه نسخة فريدة في هذه الدنيا لا يدانيه احد في فضائله وعلومه وتقواه وكان من مظاهر تبجيلهم له أنهم كانوا يتبركون بتقبيل يده ووضعها على عيونهم (٤).

وإذا ما ذهبنا إلى رحاب القرآن الكريم وكيف فسر الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) آياته؛ فالقران نزل على النبي محمد ﷺ والهدف منه هداية الناس إلى الإيثار بالله عز وجل والسير على الطريق الصحيح ليصلوا إلى النجاة في الدارين ومن ابرز معالم هذه الهداية هم الخلفاء بعد رسول الله ﷺ الذين نص عليهم القرآن في أكثر من مناسبة وأكد ذلك رسول الله ﷺ في مواقف متعددة بان الخلفاء من بعده اثنا عشر كلهم من ذرية فاطمة (عليها السلام).

لهذا كان النبي ﷺ هو المفسر الأول لنصوص وآيات القرآن الكريم ثم أهل بيته (عليهم السلام) ولما كانت تفاسير أهل البيت تفاسير أنموذجية على حد تعبير

(٤) العقد الفريد ٢ / ٢٥١.



القران كيف لا وهم آل البيت وقد نزل الوحي في بيوتهم وهم حملة علمه ولم يثبت أو يروى عن واحد منهم تناقضا في تفسير أو توجيه لآية قرآنية واحدة بل يكمل بعضهم بعضا ويضيف الأخر على السابق.

١. ما فسره الإمام زين العابدين عليه السلام بنفسه:

لقد نقلت لنا كتب السير وكتب التفسير بعض الآراء التفسيرية للإمام علي بن الحسين عليه السلام مما يدل على عظمة الدور الريادي والفكري الذي قدمه الإمام عليه السلام إلى الأمة الإسلامية بشكل عام والى أتباعه من الشيعة بشكل خاص ولا بد لنا من معرفة مصادر ثقافة الإمام التفسيرية في فهم القران ونصوصه وإيضاح معانيه فهو امتداد طبيعي للرسول الأعظم عليه السلام أثرى مصدر وأغنى مستودع من المعرفة فهو مدينة العلم وأحفاده وأهل بيته خزائن تلك المدينة فقد عاشوا مع القران العظيم منذ نزوله فهم لا يفسرون النص بإيضاح كلماته ومفرداته اعتمادا على الظاهر فحسب

الأستاذ محمد هادي معرفة<sup>(٥)</sup>. لما فيها من انعكاس تربوي وتعليمي من جانب واثربلاغي فني معجز من جانب آخر لذا أثرنا ان نلتمس في هذا البحث بعض جوانب التفسير العائدة للإمام زين العابدين عليه السلام فكان في تمام معرفته وإحاطته بالقرآن مضمونا وفكرا يجسد الامتداد الحقيقي والمعرفي لرسول الله عليه السلام؛ ونجد أن ما وصل إلينا عنه من تفسيرات لما ظهر من آيات القران وتأويلات لما بطن منها وتبين لأسباب النزول وما المقصود من النص القرآني وقد وردت في هذا المجال روايات قيمة ومرويات نادرة لو جمعت كاملة لكانت أساسا مهما من أسس تفسير القران العظيم.

فقد عاش الإمام عليه السلام مع القران الكريم فكرا وسلوكا وكانت له ذاكرة واعية متدبرة لمضامين كتاب الله سبحانه وتعالى والاستنتاج منه وقد تميز الإمام عليه السلام بمثل ما تميز به آباؤه عليهم السلام بخاصية التفسير المتميز والرائع لأي

(٥) التفسير والمفسرون / ١ / ٤٦٩.



بل تتعدى الدلالة القرآنية لديهم أبعادا تأويلية أوسع من المفردة لوحدها فالدلالة عند الأئمة ليست سطحية من خلال ما تحققه المفردة في الكتاب العزيز من دلالة لغوية أو سياقية فقط بل إنها تحتل عدة معان وأفاقا متعددة وربما يعضدها السياق الأصلي ويسنده الحديث النبوي الشريف وأسباب النزول.

لذا كان الرسول وآبؤه الكرام هم مصدر التفسير لدى الإمام علي بن الحسين عليه السلام والمتبع في كتب التفاسير يجد والكثير من أرائه وأقواله ماثورة في متنها.

أ. اثر عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام انه فسر قوله تعالى: ﴿وَرَبِّلِ الْقُرْآنِ تَرْتِيلاً﴾ [سورة المزمل: ٤]، بقوله: (بينه في تلاوته تيينا، ولا تنشره نشر البقل، ولا تهذه هذي الشعر، قفوا عند عجائبه لتحركوا به القلوب، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة)<sup>(١)</sup>. والترتيل الذي عنى

به الإمام عليه السلام هو ترتيب الحروف على حقها في تلاوتها بتثبيت فيها وقد تعددت المعاني للترتيل منها: أي بينه بيانا وقرأه على هيتك ثلاث آيات وأربعا وخمسا عن ابن عباس؛ وقال الزجاج والبيان لا يتم بان تعجل في القران إنما يتم بان تبين جميع الحروف وتوفي حقها من الإشباع؛ قال أبو حمزة قلت لابن عباس إني رجل في قراءتي وفي كلامي عجلة فقال ابن عباس لان أقرأ البقرة أرتلها أحب إلي من أن أقرأ القران كله.

وقيل معناه ترسل فيه ترسلا عن مجاهد؛ وقيل معناه تثبت فيه تثبتا عن قتادة، وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام في معناه انه قال: بينه بيانا ولا تهذه هذي الشعر ولا تنشره نشر الرمل ولكن اقرع به القلوب القاسية ولا يكونن هم أحدكم آخر السورة؛ وقيل الترتيل هو ان تقرا على نظمه وتواليه ولا تغير لفظا ولا تقدم مؤخرا وهو مأخوذ من ترتل الأسنان إذا



من التاج الفكري للإمام علي بن الحسين (عليه السلام) ..... (الْبَصِيحَاتُ) •

والاستلام وذكر أبو عبيدة أن السلم والسلام واحد فبعد أن بين الله الفرق الثلاث المؤمنين والمخلصين والمنافقين دعاهم إلى الطاعة والانقياد بالدخول إلى الإسلام.

وقد ذكر الطبرسي عدة تفسيرات لمفردة السلم منها الإسلام أي دوموا فيما دخلتم فيه عن ابن عباس والسدي والضحاك ومجاهد وقيل معناه ادخلوا في السلم في الطاعة عن الربيع وهو اختيار البلخي والكلام محتمل للأمرين وحملها على الطاعة اعم ويدخل فيه ما رواه أصحابنا من أن المراد به الدخول في الولاية<sup>(١١)</sup>.

وعن الأصفهاني من عدة طرق إلى علي<sup>(عليه السلام)</sup> انه قال في تفسير هذه الآية: (ولايتنا أهل البيت)<sup>(١٢)</sup>. يعني إن السلم الذي أمر الله تعالى الذين امنوا بالدخول فيه هو ولاية علي بن أبي طالب<sup>(عليه السلام)</sup> وولاية أهل بيته الطاهرين<sup>(عليهم السلام)</sup>. وقد نقل الطبرسي عن علي<sup>(عليه السلام)</sup> ضمن خطبة خطبها

(١١) مجمع البيان المجلد ١ / ٣٠٢.

(١٢) ظ: مناقب آل أبي طالب ٣١٤.

استوت وحسن انتظامها؛ وقيل الرتل معناه ضعف والرتل اللين عن قطرب؛ قال والمراد بهذا تخزين القرآن أي أقراه بصوت حزين<sup>(٧)</sup>. والظاهر أن الإمام السجاد<sup>(عليه السلام)</sup> استند الى تفسير جده أمير المؤمنين في هذه الآية.

وعليه فان القرآن لا يقرأ هذرمة ولكن يرتل ترتيلاً<sup>(٨)</sup>. فالإمام يشير هنا إلى ضرورة التمعن في كلمات الله والتدبر فيها وتذكر بان القرآن هو خطاب الله تعالى للإنسان<sup>(٩)</sup>.

ب. فسر الإمام زين العابدين<sup>(عليه السلام)</sup> قوله تعالى: ﴿ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [سورة البقرة: ٢٠٨]،

بقوله: (السلم هو ولاية الإمام أمير المؤمنين<sup>(عليه السلام)</sup>)<sup>(١٠)</sup>. والسلم بكسر السين هو الصلح والمسالمة

(٧) ظ: مجمع البيان في تفسير القرآن المجلد ٥ / ٣٧٦-٣٧٨.

(٨) تفسير نور الثقلين ٥ / ٤٤٧.

(٩) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ١٩ / ٨٠.

(١٠) تفسير البرهان ١ / ١٢٩ وظ: حياة الإمام زين العابدين ١ / ٣٥٠.





انه قال: (إن مثلنا فيكم كمثل الكهف لأصحاب الكهف وكباب حطة وهو باب السلم فادخلوا في السلم كافة) (١٣).  
والسلم والسلام في اللغة بمعنى الصلح والهدوء والسكينة وعليه تدعو هذه الآية الكريمة جميع المؤمنين والطوائف الأخرى إلى التسليم بأمر الله تعالى والدخول في ولاية أمير المؤمنين عليه السلام ولا شك في أن ولاية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام باب مدينة العلم - علم النبي صلى الله عليه وآله - هي السلم الحقيقي التي ينعم الناس في ظلها بالأمن والرخاء والاستقرار ولو أن المسلمين دانوا بها بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله لما داهمتهم أية أزمات في حياتهم السياسية والاجتماعية (١٤).

ج. فسر الإمام زين العابدين عليه السلام قوله تعالى: ﴿وَشَرَّوهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ [سورة يوسف: ٢٠]، بقوله: (بان الثمن البخس الذي اشتروه به يوسف كان عشرين

درهما) (١٥). والبخس معناه تقليل قيمة الشيء ظلماً؛ ولذلك قال الله في محكم كتابه العزيز ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ [سورة هود: ٨٥]، أي أنهم باعوه بثمان قليل عن عكرمة والشعبي، وقيل حرام لان ثمن الحر حرام عن الضحاك ومقاتل والسدي وسمي الحرام بخساً لأنه لا بركة فيه فهو منقوص البركة، وقد ذكر الثمن البخس عشرين درهما عن ابن عباس وابن مسعود والسدي وهو المروي عن علي بن الحسين عليه السلام قال: وكانوا عشرة فاقسموها درهمن درهمن وقيل اثنين وعشرين درهما عن مجاهد وقيل كانت أربعين درهما عن عكرمة وقيل ثمانية عشر درهما عن أبي عبد الله عليه السلام ومهما كان الثمن فهو قليل بالنسبة إلى عدد الباعة البالغ عددهم عشرين فيتضح من خلال ذلك كم هو ثمن زهيد لأنهم بالأصل لم يرغبوا في هذه المعاملة ولم

(١٣) المسترشد ٧٦ وظ: الغيبة ١٨.

(١٤) حياة الإمام زين العابدين ١ / ٣٥٠.

(١٥) مجمع البيان المجلد ٣ / ٢٢٠.



هو وجه كل شيء كوجه الصورة؛  
والصفح كذلك الجانب ومن الجبل  
مضطجعه ومنك جنبك<sup>(١٨)</sup>. ولهذا  
فقد جاءت كلمة (فاصفح) بمعنى  
ادر وجهك وغض النظر عنهم وبما  
أن إدارة الوجه وصرفه عن الشيء  
قد تعطي معنى عدم الاهتمام والنفرة  
وما شابه ذلك بالإضافة لمعنى العفو  
والصفح فهو صفح من غير ملامة  
لذلك ذكرت الآية كلمة الجميل  
بعد الصفح لكي تحدد المعنى الثاني  
وليس الأول<sup>(١٩)</sup>. وفي رواية عن  
الإمام الرضا<sup>(عليه السلام)</sup> انه فسر هذه الآية بما  
فسرها الإمام زين العابدين<sup>(عليه السلام)</sup><sup>(٢٠)</sup>.  
وقد وجدت أن هذا التفسير يعود  
إلى أمير المؤمنين<sup>(عليه السلام)</sup> حيث يحكى  
عنه في تفسير هذه الآية إن الصفح  
الجميل هو العفو من غير عتاب<sup>(٢١)</sup>.  
وعليه يتضح إن تفسير الإمام<sup>(عليه السلام)</sup>

يعتتوا بها وإنما أردوا التخلص منه  
بأية طريقة.  
وهذا البيع البخس إما لان أهل  
القافلة اشترى يوسف<sup>(عليه السلام)</sup> بثمن بخس  
والإنسان إذا اشترى شيئاً رخيصاً باعه  
رخيصاً عادة أو أنهم كانوا يخافون  
أن يفتضح سرهم ويجدون من يدعيه  
لأنهم لم يجدوا فيه أثراً للغلام الذي يباع  
ويشترى ومن هنا فلا البائعون كانوا  
راغبين ببيعه ولا المشترون كانوا راغبين  
بشراؤه<sup>(١٦)</sup>. وهذا التفسير إنما يدل على  
معرفة الإمام<sup>(عليه السلام)</sup> بالقصة الكاملة لان  
القران لم يحدد الثمن بل الإمام حدده من  
خلال ما توارثه من علوم جده رسول  
الله<sup>(صلى الله عليه وآله)</sup> عن رب العزة.

د. فسر الإمام زين العابدين<sup>(عليه السلام)</sup> قوله  
تعالى: ﴿فَاصْفَحَ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾  
[سورة الحجر: ٨٥]، بقوله: (بأنه  
العفو من غير عتاب)<sup>(١٧)</sup>. والصفح

(١٦) ظ: الأمثل ٧ / ١١١.

(١٧) وسائل الشيعة ١٢ / ١٧٠ وظ:

معاني الأخبار ٣٧٤ وحياة الإمام زين

العابدين ١ / ٣٥٥ وتفسير نور الثقلين

٣ / ٢٧.

(١٨) القاموس المحيط ١ / ٢٤٢.

(١٩) ظ: الأمثل ٨ / ٧٠.

(٢٠) ظ: تفسير نور الثقلين ٣ / ٢٧.

(٢١) ظ: مجمع البيان المجلد ٣ / ٣٣٤.



لهذه المفردة اصح من باقي التفسيرات فقد فسرت على النحو التالي: فاعرض يا محمد عن مجازاة المشركين وعن مجاوبتهم واعف عنهم عفوا جميلا؛ وقيل إن الله أمره بالصفح عنهم في موضع الصفح لقوله فاعرض عنهم وعظهم عن الحسن، قال القاضي والصفح ممدوح في سائر الحالات وهو كالخلم والتواضع وقد يلزما الصفح الجميل مع لزوم التشدد في أمر الجهاد؛ وقيل هو العفو بغير تعنيف وتوبيخ (٢٢).

٢. ما نقله لنا الأئمة الهداة عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام:

لقد حفلت كتب التفاسير والسير ببعض ما رواه الأئمة الأطهار عليهم السلام في تفسير القرآن الكريم وآياته نقلا عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام؛ فهم يكاد يكون تفسيرهم واحداً لا خلاف فيه مع تعدد أدوارهم ومراحلهم فالنص القرآني ثابت لا خلاف فيه وأراء الأئمة واحدة ومكملة للأخرى فهم يأخذون من نبع واحد وعلم ثري إلا وهو جدهم

(٢٢) المصدر السابق

رسول الله صلى الله عليه وآله وابوهم أمير المؤمنين عليه السلام.  
أ- روى الإمام محمد الباقر عليه السلام عن أبيه علي بن الحسين عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢٢]،

فقوله: (الذي جعل لكم الأرض فراشا؛ انه سبحانه وتعالى جعل الأرض ملائمة لطباعكم، موافقة لأجسادكم، ولم يجعلها شديدة الحما والحرارة فتحرقكم، ولا شديدة البرودة فتجمدكم، ولا شديدة طيب الريح فتصدع هاماتكم، ولا شديدة التتن فتعطبكم، ولا شديدة اللين كالماء فتغرقكم، ولا شديدة الصلابة فتمتنع عليكم في دوركم وأبنيتكم، وقبور موتاكم، ولكنه عز وجل جعل فيها من المتانة ما تنتفعون به وتتماسكون وتتماسك عليها أبدانكم، وجعل فيها ما تنقاد به لدوركم وقبوركم وكثير



في تفسير الإمام عليه السلام انه استدل من خلال هذه الآية المباركة على توحيد الله عز وجل بأدلة متعددة من خلال خلق الأرض وخلق السماء وانزل الماء من السماء على الأرض وإخراج الأرزاق وهو ما لم يستطع أي اله آخر بزعم الملحدين فعل ذلك؛ والجعل هو الخلق والإنشاء والصنع والفعل<sup>(٢٤)</sup>. ويأتي لمعان متعددة منها الخلق والإيجاد<sup>(٢٥)</sup>. فالملاحظ في هذه اللفظة (جعل) في الآيات التي استدل بها الإمام عليه السلام وفسرها على قدرة الله سبحانه وتعالى على الصنع والإنشاء وفي هذا إباحة انتفاع عموماً لبني البشر بما خلقه الله لهم من مخلوقات تعينهم وتحافظ على استمرار حياتهم؛ ثم لننظر إلى هذه الأرض المكان الذي يعيش فيه الناس ولا يستطيع احد أن يدعي انه خلق الأرض أو أوجدها لأنها

من منافعكم فلذلك جعل الأرض فراشا لكم؛ ثم قال عز وجل والسماء بناء؛ أي سقفا من فوقكم محفوظا يدير فيها شمسها وقمرها ونجومها لمنافعكم ثم قال عز وجل وانزل من السماء ماء؛ يعني المطر ينزله من علي ليبلغ قلل جبالكم وتلالكم وهضابكم واوهادكم ثم فرقه رذاذا ووابلا وهطلا لتنشقه أرضوكم ولم يجعل ذلك المطر نازلا عليكم قطعة واحدة فيفسد أرضكم وأشجاركم وزروعكم وثماركم ثم قال عز وجل فاخرج به من الثمرات رزقا لكم؛ يعني مما يخرج من الأرض رزقا لكم؛ فلا تجعلوا لله أندادا؛ أي أشباها وأمثالا من الأصنام التي لا تعقل ولا تسمع ولا تبصر ولا تقدر على شيء؛ وانتم تعلمون؛ إنها لا تقدر على شيء من هذه النعم الجليلة التي أنعمها عليكم ربكم تبارك وتعالى<sup>(٢٣)</sup>. فالملاحظ

(٢٤) ظ: المعجم الوسيط مادة (جعل).

(٢٥) معجم ألفاظ القرآن الكريم / ١

(٢٣) عيون إخبار الرضا عليه السلام / ١ / ١٣٧ -



بديهيات محسوسة لله سبحانه.  
 كيف كانت فراشا، أي أن الله اعد  
 الأرض إعدادا مريحا للبشر لكي يجلسوا  
 فيها ويناموا عليها وبذلك جعل الله  
 الأرض مطيعة للإنسان تعطيه كل ما  
 يحتاجه من نعم وتوفر له الراحة، والبناء  
 في الآية يفيد المتانة والتماسك أي أن  
 السماء التي خلقها الله عز وجل وهي  
 فوقنا لا نرى شيئا يحملها بل سقف  
 متماسك متين وبهذا فالأرض فراش  
 والسماء سقف؛ ثم لاحظ لفظ (نزل)  
 فمعنى النزول ما يهبأ للنزول واستنزل  
 فلان أي حط عن مرتبته<sup>(٢٦)</sup>. فقوله  
 تعالى ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾ أي المطر فالله  
 سبحانه وتعالى يبين إن إنزال المطر من  
 نعمه على عباده على أن إنزال المطر الذي  
 يشرب منه الناس فيه حياة للأرض  
 والإنسان على حد سواء فهو إذن مباح  
 وفي تناول الناس لان المطر وصف في  
 أكثر من موضع في القران بكونه أرزاقا  
 ونعما وجميعها وردت في بيان انعم الله  
 وقدرته؛ فالله وضع الأرض ومسائل

استبقاء الحياة فلم يترك الإنسان دون  
 ان يوفر له وسائل حياته فالمطر ينزل من  
 السماء والسماء هي كل ما علاك فأظلك  
 فينبت الزرع والثمر وهذا رزق لنا ثم  
 ربط نزول المطر بخروج الزرع.

فلفظ (اخرج) نقيض الدخول<sup>(٢٧)</sup>.  
 فقوله اخرج فيه إشارة إلى ان الثمرات  
 والأرزاق المستخرجة من الأرض هي  
 بفعل الله أولا وبفضله فلو أراد عدم  
 الخروج لما استطاع الإنسان ان يفعل  
 أي شيء لذلك، وبهذا فان تفسير  
 الإمام عليه السلام اصدق صورة لوحداية الله  
 عز وجل ثم لننظر إلى الظواهر الكونية  
 التي أشار إليها الإمام عليه السلام في تفسيره  
 والتي لم تكشف إلا في العصور الحديثة  
 من خلال ما وجد في السماء من أقمار  
 ونجوم وشمس، فأشعة الشمس لها  
 الأثر البالغ في تكوين حياة النبات  
 ومن ثم حياة الإنسان وكذلك فان  
 لأشعة القمر الأثر البارز على البحار  
 في مداها وجزرها وغير ذلك من الأدلة  
 العلمية ولعل تساقط الأمطار بالكيفية

(٢٧) لسان العرب ٣/ ٧٣-٧٩.

(٢٦) ظ: مختار الصحاح ٦٥٥.



يأخذ الصدقات ظاهرا ولكن لما كانت يد النبي ﷺ والنواب الحقيقيين يد الله سبحانه - لأنهم خلفاء الله ووكلاؤه - قالت الآية ان الله يأخذ الصدقات وهذا الأخذ على وجه التشبيه والمجاز من حيث كان بأمره، وقد ورد الخبر عن النبي ﷺ انه قال: إن الصدقة تقع في يد الله قبل ان تصل إلى يد السائل والمراد بذلك أنها تنزل هذا التنزيل ترغيبا للعباد في فعلها وذاك يرجع إلى تضمن الجزاء عليها<sup>(٢٩)</sup>. بل إن الرواية حرصت بان كل أعمال ابن ادم تتلقاها الملائكة إلا الصدقة فأنها تصل مباشرة إلى يد الله سبحانه<sup>(٣٠)</sup>. وهذا المضمون قد ورد في أكثر من رواية عن أهل البيت ﷺ بعبارات مختلفة ونقل أيضا عن النبي ﷺ في صحيح مسلم والبخاري (ما تصدق أحدكم بصدقة من كسب حلال طيب - ولا يقبل الله إلا الطيب - إلا أخذها الرحمن بيمينه وان كانت تمرة فتربو

---

(٢٩) ظ: الأمثل ٦ / ١٢٦ و مجمع البيان المجلد ٣ / ٦٨ .  
 (٣٠) ظ: تفسير العياشي ١ / ٢٥٠ .

التي شرحها الإمام ﷺ هي عبقرية لا تضاهيها علوم فالتساقط بصورة رتيبة في أوقات معينة لإحياء الأرض وإخراج النعم ولو نزل المطر دفعة واحدة لأهلك الحرث والنسل وانتهت الحياة.  
 ب. روى الإمام الصادق عن جده الإمام زين العابدين ﷺ تفسير هذه الآية الكريمة ﴿يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾ [سورة التوبة: ١٠٤]، بقوله: ﴿وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾ إني ضامن على ربي أن الصدقة لا تقع في يد العبد حتى تقع في يد الرب تعالى. وكان يقول: ليس من شيء إلا وكل به ملك إلا الصدقة فإنها تقع في يد الله تعالى<sup>(٢٨)</sup>. والأخذ هنا معناه التقبل.  
 ولا شك في أن الذي يأخذ الصدقات (الزكاة) هو الرسول ﷺ أو الإمام المعصوم ﷺ أو المستحقون لها وفي كل الأحوال فان الله عز وجل لا

---

(٢٨) ظ: تفسير البرهان ١ / ٤١ و تفسير الصافي ٢ / ٣٧٢ .



في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل) (٣١).

٣. ما فسره الإمام زين العابدين عليه السلام ردا على من سأله من أصحابه:

وهذا من أكثر المواطن التي عاجلها الإمام السجاد عليه السلام في تفسيره لآيات القرآن الكريم من خلال ما يوجه له من أتباعه من أسئلة واستفسارات أو من المخالفين حول القرآن الكريم.

أ. سأل ثوير بن أبي فاختة الإمام زين العابدين عليه السلام عن تفسير قوله

تعالى: ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجَاءَتِ الْبَلَيَاتُ بِأَلْسِنَةٍ وَالشُّهَدَاءُ ﴾ [سورة الزمر: ٦٩]،

فأجابه الإمام عليه السلام بقوله: (إذا كان يوم القيامة بعث الله الناس من حفرهم غرلا جردا مردا في صعيد واحد يسوقهم النور وتجمعهم الظلمة حتى يقفوا على عتبة المحشر فيزدحمون دونها ويمنعون من المضي فتشتد أنفاسهم ويكثر

(٣١) تفسير المنار المجلد ١١ / ٣٣ وظ: بحار الأنوار المجلد ٩٦ / ١٣٤.

عرقهم وتضيق بهم أمورهم ويشتد ضجيجهم وترتفع أصواتهم وهو أول هول من أهوال القيامة فعندها يشرف الجبار تبارك وتعالى من فوق العرش ويقول: يا معشر الخلائق أنصتوا واسمعوا منادي الجبار فيسمع آخرهم كما يسمع أولهم فتخشع قلوبهم وتضطرب فرائصهم ويرفعون رؤوسهم إلى ناحية الصوت ﴿ **مُهِطِينَ إِلَى النَّارِ** **يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ** ﴾ [سورة القمر: ٨]، فيأتي النداء من قبل الجبار أنا الله لا اله إلا أنا أنا الحكم الذي لا يجور احكم اليوم بينكم بعدي وقسطي لا يظلم اليوم عندي احد اخذ للضعيف من القوي ولصاحب المظلمة بالقصاص من الحسنات والسيئات وأثيب على الهبات ولا يجوز هذه العقبة ظالم ولا احد عنده مظلمة يهبها لصاحبها ألا وأثيبه عليها واخذ له بها عند الحساب واطلبوا مظالمكم عند من ظلمكم بها في الدنيا وأنا



أهل البيت عليهم السلام تفسرها على أنها تعود إلى ظهور الإمام الحجة ابن الحسن (عجل الله فرجه الشريف) فعند ظهوره تصبح الدنيا نموذجاً حياً من مشاهد يوم القيامة إذ يملا الإمام الحجة عليه السلام الأرض بالعدل وبالقسط ولعل تكملة الآية تؤكد ذلك فمجيء الأنبياء والشهداء ليسألوا عن أدائهم لمهام الرسالة ويحضر شهداء الأعمال ليدلوا بشهاداتهم على أن الله مطلع على كل الأمور وإنما زيادة في العدالة الإلهية وأفضل الشهداء هم الأئمة الأطهار من بيت آل محمد عليهم السلام؛ وبهذا التفسير يعطي الإمام زين العابدين عليه السلام صورة متميزة عن أهوال يوم القيامة وما فيها من مصائب تمر على بني البشر.

ب. سأل ثوير بن أبي فاختة الإمام زين العابدين عليه السلام عن قوله تعالى:

﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ [سورة المائدة:

٢٧]، فأجابه الإمام بقوله: (إن هابيل تقرب إلى الله تعالى باسمي كبش كان في حيازته وتقرب قابيل

شاهدكم وكفى بي شهيداً) (٣٢). وقد اختلف المفسرون في معنى إشراق الأرض بنور ربها إذ قال بعضهم ان المراد من نور الرب هما الحق والعدالة الذي ينير بهما الله الأرض في ذلك اليوم حيث يذكر المجلسي في كتابه (أي اضات الأرض بعدل ربها يوم القيامة لان نور الأرض العدل) (٣٣). وذكر بعضهم إن النور يختلف عن نور الشمس والقمر ويخلقه الله لذلك اليوم خاصة (٣٤). وذكر السيد الطباطبائي أن المراد بالنور هو ما يخص يوم القيامة من انكشاف الغطاء وظهور الأشياء بحقائقها وبدوا الأعمال من خير أو طاعة أو معصية أو حق أو باطل للناظرين (٣٥). وبهذا يطابق تفسير السيد الطباطبائي تفسير الإمام زين العابدين عليه السلام ومن دون شك فان هذه الآية تتعلق بأهوال يوم القيامة وقد وجدنا بعض الروايات عن

(٣٢) تفسير البرهان ٢ / ٩٥.

(٣٣) بحار الأنوار المجلد ٥٢ / ٣٣٦.

(٣٤) ظ: الأمثل ١٥ / ١٠٥ و مجمع البيان المجلد ٤ / ٥٠٩.

(٣٥) تفسير الميزان ١٧ / ٢٣٠.





بضغت من سنبل فقبل الله تعالى من هابيل ولم يقبل من قابيل فوسوس إبليس لقابيل بان أولاد هابيل سيفخرون على أولادك ويقولون بأنهم أبناء من قبل الله قربانه وتحكم فيه هذا الخيال حتى حسد قابيل أخاه هابيل وعزم على قتله لثلا يكون منه نسل، ولم يدر كيف يصنع فعلمه إبليس ان يضع رأسه بين حجرين ويقتله ففعل ذلك ولم يدر كيف يواريه حتى جاء غرابان واقتلا ثم حفر احدهما للآخر وواراه وهو ينظر فقام وحفر لهابيل ودفنه وأصبح من النادمين وصار هذا سنة في دفن الموتى.

ولما سأله ادم عن أخيه هابيل قال له: أجعلتني راعيا له؟. ثم جاء به إلى مكان القربان فاستبان له انه قتله فلعن قابيل وأمر بلعنه وبكى على ولده أربعين سنة حتى أوحى الله إليه إني واهب لك ذكرا يكون خلفا عن هابيل فولدت له حواء غلاما زكيا مباركا وفي اليوم السابع أوحى الله إليه

أن سمه هبة الله فسماه بذلك) (٣٦). وقد وجدت رواية عن الإمام الباقر عليه السلام مشابهة لرواية أبيه في تفسير هذه الآية (٣٧).

ولعلنا نجد في مقولة الإمام زين العابدين عليه السلام ما يشفي النفس في إيضاح سبب الصراع بينهما لا كما روى بعض المفسرين عن أن سبب الصراع كان تغaira على أختها فلا يستحي ان يروى هكذا عن أبناء ادم عليه السلام؛ وقد ذكر الإمام الصادق عليه السلام إن سبب الصراع بينهما كان بسبب الوصية وان الله تبارك وتعالى أوحى إلى ادم أن يدفع الوصية واسم الله الأعظم إلى هابيل وكان قابيل اكبر فبلغ ذلك قابيل فغضب فقال: إنا أولى بالكرامة والوصية فأمرهما أن يقربا قربانا بوحى من الله إليه ففعلا فتقبل الله قربان هابيل فحسده قابيل فقتله (٣٨).

(٣٦) تفسير البرهان ١ / ٢٨٠.

(٣٧) ظ: مجمع البيان المجلد ٢ / ١٨٣.

(٣٨) ظ: تفسير الصافي ٢ / ٢٨، وتفسير العياشي ١ / ٢١٢، وتفسير نور الثقلين ١ / ١٦٠.



عن أبي جعفر الصادق عليه السلام وأبي عبد الله عليه السلام وصح عن الحسن بن علي عليه السلام انه خطب في الناس فقال في خطبته أنا من أهل البيت الذين افترض الله مودتهم على كل مسلم فقال: قل لا اسالكم عليه أجرا إلا المودة في القربى. وروى إسماعيل بن عبد الخالق عن أبي عبد الله عليه السلام انه قال: إنها نزلت فينا أهل البيت (أصحاب الكساء) <sup>(٤٣)</sup>. ولعل اصدق تمثيل لهذه الآية عندما استدل بها الإمام زين العابدين عليه السلام في الشام عندما كان أسيرا للشيخ الذي افتخر عليه فسأله الإمام عليه السلام يا شيخ هل قرأت القران قال: نعم. قال عليه السلام: اقرات قوله تعالى **﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾** وقوله تعالى **﴿ وَآتَى ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ ﴾** [سورة الإسراء: ٢٦]، وقوله تعالى **﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ حُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى ﴾** [سورة الأنفال: ٤١]، فقال: نعم <sup>(٤٣)</sup> ظ: مجمع البيان المجلد ٥ / ٢٩.

ج. سأل سعيد بن جبير الإمام زين العابدين عليه السلام عن القربى في قوله تعالى: **﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾** [سورة الشورى: ٢٣]، فأجابه بقوله: (هي قرابتنا أهل البيت) <sup>(٣٩)</sup>. وقد روى إبراهيم بن معقل النسفي الحنفي في تفسيره عن سعيد بن جبير قال: لما نزل قول الله تعالى **﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾** قالوا: يا رسول الله من قرابتك الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال: علي وفاطمة وابناهما <sup>(٤٠)</sup>. وروى ابن كثير في تفسيره عن أبي إسحاق السبيعي قال: سألت عمرو بن شعيب عن قوله تعالى -الآية المباركة- فقال: قربي النبي <sup>(٤١)</sup>. وقد نقل سيد قطب في تفسير هذه الآية إن القربى هم آل محمد <sup>(٤٢)</sup>. وهو المروي كذلك

(٣٩) أحكام القران/ الجصاص ٣ / ٤٧٥.

(٤٠) تفسير النسفي ٤ / ٩٤.

(٤١) ظ: تفسير القران العظيم الجزء ٣.

(٤٢) في ظلال القران ٢٥، سورة الشورى.



قرأت ذلك فقال له الإمام عليه السلام نحن والله القربى يا شيخ <sup>(٤٤)</sup>.  
وقد اختلف المفسرون في تحديد القربى بأربع تفاسير وقد أوضح الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ذلك <sup>(٤٥)</sup>.

١- المقصود من ذوي القربى هم أقرباء الرسول صلى الله عليه وآله وهم الأئمة الأطهار عليهم السلام وهو الأصح ما بين التفاسير كما يتضح لنا.  
٢- المقصود هو إن جزاء الرسالة وأجرها هو حب أمور معينة تقربكم من الله؛ وهذا لا يتلائم مع ظاهر الآية.

٣- المقصود حب أقربائكم بعنوان اجر الرسالة أي صلة الرحم وهذا لا يشير إلى قرابة الرسول صلى الله عليه وآله بل إلى قرابة الناس فكيف يمكن عده اجرا لرسالة النبي صلى الله عليه وآله.

٤- المقصود أن اجري هو أن تحفظوا قرابتي منكم ولا تؤذوني لأنني ارتبط

(٤٤) ظ: الصواعق المحرقة ١٧٠ و حياة الإمام زين العابدين ١ / ١٩٣.  
(٤٥) ظ: الأمثل ١٥ / ٣٣٠ - ٣٣١.

برابطة القرابة مع أكثر قبائلكم فالرسول يرتبط بقريش نسبياً وبالقبائل الأخرى سببياً عن طريق الزواج والرضاعة وبني النجار؛ وهذا لا يتلائم أيضاً مع الأجر الذي أراده الرسول صلى الله عليه وآله فأولئك كانوا يحترمون الرسول صلى الله عليه وآله لأنه نبي مرسل ولا توجد حاجة لاحترامه بسبب قرابته؛ ثم إن الدليل على أن التفسير الأول هو الأصح هم كثرة الروايات في مصادر الفريقين والمنقولة عن رسول الله صلى الله عليه وآله حيث أوضح أن القربى هم أهل البيت عليهم السلام <sup>(٤٦)</sup>.

٥. سال رجل الإمام زين العابدين عليه السلام عن الحق المعلوم الذي ورد في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ <sup>(٢٤)</sup> لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ [سورة المعارج: ٢٤-٢٥]، فقال عليه السلام:

(٤٦) ظ: إحقاق الحق المجلد ٣ / ٢ ومستدرک الصحيحين المجلد ٣ / ١٧٢ وتفسير القرطبي المجلد ٨ / ٥٨٤٣ والصواعق المحرقة ١٠١ والذخائر الطبري ١٣٧ وتفسير الطبري المجلد ٢٥ / ١٦-١٧.



المعين، وموارد صرف ذلك المقدار هو السائل والمحروم؛ فالسائل يسأل والمحروم الفقير الذي يتعفف ولا يسأل وجاء في حديث عن الإمام الصادق عليه السلام: (المحروم من يجد المشقة في كسبه وعمله وهو محارف) <sup>(٤٩)</sup> إلا إن هذا التفسير غير صحيح وقدره الشيخ ناصر الشيرازي بقوله: ان هذه السورة مكية وحكم الزكاة لم يكن قد نزل في مكة، ولو فرض نزوله لم يكن هناك تعين للمقدار، ولذا يعتقد البعض إن المراد من حق المعلوم هو شيء غير الزكاة والذي يجب على الإنسان منحه للمحتاجين <sup>(٥٠)</sup>. واستدل على هذا الرأي بما نقله من الإمام الصادق عليه السلام عندما سئل عن تفسير هذه الآية وهل هذا شيء غير الزكاة فقال عليه السلام: هو الرجل يؤتيه الله الثروة من المال فيخرج منه الألف والألفين والثلاثة آلاف والأقل والأكثر فيصل به رحمه ويحمل به الكل عن قومه <sup>(٥١)</sup>.

(٤٩) نور الثقلين ٥ / ٤١٧.

(٥٠) الأمثل ١٩ / ١٦.

(٥١) نور الثقلين ٥ / ٤٠٧.

(الحق المعلوم الشيء الذي يخرج منه ماله ليس من الزكاة والصدقة المفروضتين) فقال له الرجل: فما يصنع به؟ فقال عليه السلام: يصل به رحما ويقوي به ضعيفا ويحمل له كله أو يصل أخاه له في الله أو لئابة تنوبه وبهر الرجل من علم الإمام وراح يقول له: الله اعلم حيث يجعل رسالته في من يشاء <sup>(٤٧)</sup>.

وعن أبي عبد الله عليه السلام انه قال: الحق المعلوم ليس من الزكاة وهو الشيء الذي تخرجه من مالك إن شئت كل جمعة وان شئت كل يوم ولكل ذي فضل فضله؛ وروي عنه أيضا انه قال: هو أن تصل القرابة وتعطي من حرمك وتصدق على من عاداك <sup>(٤٨)</sup>. وبذلك يكون تفسير الإمام زين العابدين عليه السلام مطابقا لما فسره والده عليه السلام. واعتقد بعض المفسرين ان المراد هنا من الحق المعلوم هو الزكاة المفروضة التي فيها المقدار

(٤٧) لالى الاخبار ٣ / ٣ وظ: وسائل الشيعة

٦ / ٦٩.

(٤٨) ظ: مجمع البيان المجلد ٥ / ٣٥٦.



أهم المصادر والمراجع:



- القران الكريم.
١. أحكام القران: الجصاص، احمد بن علي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
  ٢. إحقاق الحق: برهان الدين بن احمد البقاعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٩٥٨م.
  ٣. الإمام زين العابدين: احمد فهمي، دار النهضة للكتب والطباعة، القاهرة.
  ٤. الإمام الصادق والمذاهب الأربعة: أسد حيدر، دار الكتاب العربي بيروت.
  ٥. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، دار الأميرة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ٢/ ٢٠٠٩م.
  ٦. تفسير القران العظيم (تفسير ابن كثير): ابن كثير، ابو الفداء إسماعيل بن عمر، دار الفكر، بيروت ١٤٠١هـ.
  ٧. تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القران): محمد بن احمد بن أبي بكر، تح: احمد عبد العليم البردوني، مطبعة دار الشعب، القاهرة، ط ٢/ ١٣٧٢هـ.
  ٨. تفسير فرات الكوفي: أبو القاسم فرات بن إبراهيم، تح: محمد كاظم، وزارة الثقافة والإرشاد، مؤسسة الطباعة، طهران، ط ٢/ ١٩٩٥م.
  ٩. تفسير المنار: محمد رشيد رضا، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
  ١٠. تفسير النسفي: النسفي، إبراهيم بن معقل، طبعة مصر الأميرية، بولاق ١٩٣٦م.
  ١١. تفسير نور الثقلين: الحويزي، الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي، تح: هاشم الرسولي، دار الرائد

- العربي، بيروت، لبنان. ١٨. علي في القرآن: صادق الحسيني، الشيرازي، دار العلوم للنشر والتوزيع، مؤسسة الباقر، ط١/ ٢٠١٠م.
١٢. التفسير والمفسرون: محمد حسين الذهبي، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٥م.
١٣. التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب: الشيخ محمد هادي معرفة، مؤسسة الطبع والنشر في الاستانة الرضوية المقدسة، ط١/ ١٩٩٧م.
١٤. حياة الإمام زين العابدين: الشيخ باقر شريف القرشي، مطبعة شريعت، إيران، قم، ط١/ ٢٠٠٨هـ.
١٥. ذخائر العقبي في مناقب ذوي القربى: محب الدين الطبري، نشر مكتبة القدوس، القاهرة ١٣٠٦هـ.
١٦. الصواعق المحرقة: ابن حجر الهيثمي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله، بيروت، لبنان ١٩٧٤م.
١٧. العقد الفريد: ابن عبد ربه، أبو بكر احمد بن محمد، تح: عبد المجيد الترحيني، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣/ ١٩٨٧م.
١٩. عيون أخبار الرضا (عليه السلام): الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي، مطبعة شريعت، المكتبة الحيدرية، قم، ط١/ ١٤٢٥هـ.
٢٠. غاية المرام في حجة الخصام: هاشم البحراني، مطبعة شريعت، إيران ١٣٤١هـ.
٢١. الغيبة: الطوسي، ابو جعفر محمد بن الحسن، تح: عباد الله الطهراني وعلي احمد ناصح، مطبعة مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، ط١/ ١٤١١هـ.
٢٢. المستدرک علی الصحیحین: الحاكم النيسابوري، مطبعة النصر الحديثة، الرياض.



# منهج تفسير القرآن بالقرآن

## في روايات أهل البيت عليهم السلام

السيد زيد البطاط

جامعة المصطفى العالمية

كلية الفقه والمعارف الإسلامية

إيران الإسلامية-قم

١. تمهيد:

في بيان كلامه، فهو أسلوب عقلائي في الفهم يستعمله العقلاء في محاوراتهم، فإنهم إذا ما أشكل عليهم فهم كلام ما يرجعون إلى المتكلم نفسه، أو المؤلف فيلاحظون مجمل ما ذكره حول هذا الموضوع، ليتشكل لهم الفهم النهائي وفق مجموع كلامه.

تفسير القرآن بالقرآن - وكما هو ظاهر من لفظه - يعني أن نلجأ في تفسير الآيات القرآنية والكشف عن معانيها إلى القرآن الكريم نفسه، فنراجع الآيات التي ترتبط بشكل وآخر بما يراد تفسيره من القرآن، ونستعين ببعض القرآن في تفسير بعضه الآخر.

وإذا ما كان هذا ديدن العقلاء في

ويعد هذا المنهج من أهم الطرق

ج ١، ص ٨. و: الزركشي، محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، ج ٢، ص ٣١٥. و: الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج ١، ص ١١. و: جواد آملی، تسنیم، ج ١، ص ٦١.

وأفضلها في التفسير، بل قد عدّه بعض المفسرين أفضل المناهج التفسيرية على الإطلاق<sup>(١)</sup>؛ لأنه يعتمد على المتكلم نفسه (١) لاحظ: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم،

أئمة أهل البيت عليهم السلام على هذا المنهج أيضاً، كما سيتضح.

إن دراسة الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام تبرز بوضوح مدى استعمالهم لهذا المنهج التفسيري، وتؤكد أهميته في عملية التفسير، وهذا ما نحاول أن نسلط عليه الضوء في بحثنا المختصر هذا، حيث نتناول الروايات التفسيرية المروية عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام التي تضمنت تفسير القرآن بالقرآن، وفق دراسة استقرائية في المجامع الحديثية والتفاسير الروائية.

ونشير إلى أن محور بحثنا هو الروايات المنقولة عن أهل البيت عليهم السلام في الكتب الروائية والتفسيرية، وعليه نرى أننا في غنى عن البحث السندي في تلك الروايات؛ إذ ليس الهدف هو إثبات نسبة التفسير إلى أهل البيت عليهم السلام، بل الوقوف على استعمال هذا المنهج التفسيري في الروايات التفسيرية المتداولة في الكتب المعتمدة.

محاوراتهم وفهمهم للمتون والمؤلفات التي صاغتها يد البشر المعرض للخطأ والنسيان والزلل، فمن الطبيعي أن يصح ذلك في فهم كتاب الله الكريم الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [سورة فصلت: ٤٢]، والمصون من الاختلاف والتنافي بين مضامينه، ومن هذا المنطلق اعتمد مفسرو المسلمين في وقت مبكر من العصر الإسلامي على تفسير القرآن بالقرآن، بل إننا نلاحظ جذور ذلك في أحاديث النبي صلى الله عليه وآله، كما نقل عنه من تفسير العديد من الآيات المباركة كما في تفسيره لمعنى الظلم في قوله تعالى ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَنَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [سورة الأنعام: ٨٢]، فقد روي انه لما نزلت هذه الآية شق ذلك على أصحاب النبي صلى الله عليه وآله؛ حيث فهموا من الظلم المعنى العام الشامل لمطلق الذنوب، فبين لهم النبي صلى الله عليه وآله أنه الشرك؛ استناداً إلى قوله تعالى في سورة لقمان: ﴿لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>، وقد سار

و: البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ج ٨، ص ٥٣.

(٢) لاحظ: الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٤، ص ٥٠٦.





٢. مفهوم منهج تفسير القرآن بالقرآن: أيًا كان التعريف للتفسير في اللغة والاصطلاح، فانه يشمل كل محاولة لاستيضاح معاني الآيات القرآنية، فكل محاولة تؤدي إلى الكشف عن معاني القرآن الكريم تعد (في الاصطلاح) تفسيراً، بما في ذلك المحاولات الخاطئة، والمذمومة كالتفسير بالرأي، وغير ذلك. وبهذا فان (تفسير القرآن بالقرآن) يصدق على كل محاولة تفسيرية تستعين بالقرآن الكريم، سواء كانت لتوضيح المعاني التصورية للمفردات القرآنية أو لبيان المداليل التصديقية للجمل والآيات، ولا فرق في ذلك بين كون المعنى المراد تفسيره مما تدل عليه الآية بالدلالة اللفظية، المطابقيه منها أو التضمنية أو الإلزامية، أو بالإشارة، بل حتى لو لم يكن مؤدى تفسير القرآن بالقرآن بياناً لمعنى الآية، بل لما يتعلق بالآية ويساعد في تفسيرها، كبيان مكيّة السورة أو مدنيّتها، أو سبب نزول الآية، أو جوّ نزولها.

ومن هنا فإن تفسير القرآن بالقرآن

لا يتوقف على وجود الترابط اللفظي بين الآيات، بل يشمل كل نحو من الارتباط بين أجزاء القرآن الكريم، فقد يكون هذا الارتباط في بعض منها واضحاً وجلياً، وفي بعض آخر دقيقاً وخفياً لا يكتشفه إلا الأوحدي ممن تأمل في القرآن الكريم، وخاض غماره<sup>(٣)</sup>.

٣. بيان أهل البيت عليهم السلام لمنهج تفسير القرآن بالقرآن:

عُرف المنهج لغة بأنه: الطريق الواضح<sup>(٤)</sup>، وقد قيل في تعريفه الاصطلاحى الكثير<sup>(٥)</sup>، ولكن يبدو أن التعريف الأفضل له هو: الطريقة التي يتخذها الباحث وينظم بها خطواته من خلال ما يحمله من عقائد وأفكار للوصول إلى المعلومة.

وإذا كانت المنهجية تعني الطريقة

(٣) لاحظ: جوادى آملي، نفسه، ص ١١٠.

وقد ذكر عشرة صور لتفسير القرآن

بالقرآن. لاحظ: نفسه، ص ١١١-١٢٧.

(٤) لاحظ: ابن منظور، لسان العرب، ج ٢، ص ٣٨٣.

(٥) لاحظ: بابائي، علي أكبر، مكاتب تفسيري،

ص ١٦، و: الفضلي، عبد الهادي، أصول

البحث العلمى، ص ٥١.



كَاتِمًا أَنْظُرُ إِلَى كَفِّي إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: فِيهِ تَبَيَانٌ كُلُّ شَيْءٍ<sup>(٦)</sup>. وقد أفرد الشيخ الصفار في بصائر الدرجات باباً أورد فيه الروايات الدالة على ذلك، سمّاه: ((باب أن الأئمة عليهم السلام أعطوا تفسير القرآن والتأويل))<sup>(٧)</sup>.

وبناء على ذلك فلا يتصور أن استعمال أهل البيت عليهم السلام لهذا المنهج في التفسير لغرض الاستنباط وتوصلهم إلى المعاني الصحيحة للآيات، فإن ذلك حاصل لهم بعلم الله الذي أفاضه عليهم.

وبذلك يكون استعمالهم عليهم السلام لمنهج تفسير القرآن بالقرآن هادفاً لأحد أمرين:

الأول: تقوية الموقف والاستشهاد به، سواء أكان للاحتجاج على الخصوم، أو للتأييد فقط، فيكون استدلال الإمام عليه السلام على المعنى الذي يذكره للآيات وفق منهج يُقرّ به الطرف المقابل ويعتبره

(٦) الصفار، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات في فضائل آل محمد عليهم السلام، ج ١، ص ١٩٧.

(٧) لاحظ: نفسه، ص ١٩٤-١٩٧.

التي يتخذها الإنسان للوصول إلى المعلومة، فهو يدل على أن من يستخدم المنهج قد سبق علمه جهل، وهو في صدد رفع ذلك الجهل، فيستخدم المنهج لتحصيل المعرفة أو (التعلم)، والمنهج بهذا المعنى لا تصح إضافته إلى أهل البيت عليهم السلام، بان يقال: إنطريقهم لتحصيل العلم كان هو (تفسير القرآن بالقرآن) أو (بالروايات) أو غير ذلك، لا لقصور في هذا المنهج، بل لاختلاف العلم الذي يتسم به أهل البيت عليهم السلام وطريق اكتسابه عن غيرهم، فقد قد دلّ الكثير من الأدلة على امتيازهم (سلام الله عليهم) بنوعية العلم الذي يتحلون به، وأنه من العلم اللدني الذي لا يتوقف على المقدمات المتعارفة لاكتساب العلوم، كما هو مفاد العديد من الروايات، كما يروى عن الإمام الصادق عليه السلام بسند معتبر انه قال: ((قَدْ وَلَدَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أَعْلَمُ كِتَابَ اللَّهِ، وَفِيهِ بَدْءُ الْخَلْقِ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَفِيهِ خَبْرُ السَّمَاءِ وَخَبْرُ الْأَرْضِ، وَخَبْرُ الْجَنَّةِ وَخَبْرُ النَّارِ، وَخَبْرُ مَا كَانَ وَخَبْرُ مَا هُوَ كَائِنٌ، أَعْلَمُ ذَلِكَ



صحيحاً ومُنتجاً.

الثاني: تعليم المنهج التفسيري

الصحيح، وليس بالضرورة أن يكون بيان المنهج من خلال البيان التفصيلي، إذ لم يردنا عنهم ما يبين بشكل تفصيلي أسس التفسير ومنهجه وقواعده<sup>(١٠)</sup>، بل يمكن أن يستفاد ذلك ويقتنص من رواياتهم التفسيرية، ومن خلال الخطوات التي اتبعوها في بيانهم لمعاني القرآن الكريم.

كما في تفسير الإمام الصادق عليه السلام للكتاب المكنون فيما يرويه القمي في تفسيره بسنده عن عبد الرحمن القصير، قال: ((... فَهُوَ الْكِتَابُ الْمَكْنُونُ الَّذِي مِنْهُ النَّسْخُ كُلُّهَا، أَوْ لَسْتُمْ عَرَبَاءَ؟ فَكَيْفَ لَا تَعْرِفُونَ مَعْنَى الْكَلَامِ، وَأَحَدُكُمْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ: انْسخْ ذَلِكَ الْكِتَابَ؟ أَوْ لَيْسَ إِنَّمَا يُنسخُ مِنْ كِتَابٍ أُخِذَ مِنَ الْأَصْلِ؟ وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة الجاثية: ٢٩])<sup>(١١)</sup>.

فقد استعان الإمام عليه السلام في بيان معنى (النسخ) في الآية بالمعنى اللغوي

ومثال ذلك: ما روي من استدلال الإمام الجواد عليه السلام على قطع يد السارق، فقد حدد الإمام عليه السلام إن القطع يكون للأصابع فقط، وقال أن الدليل على ذلك: ((قول رسول الله ﷺ: السجود على سبعة أعضاء: الوجه، واليدين، والركبتين، والرجلين، فإذا قطعت يده من الكر سوع أو المرفق لم يبق له يد يسجد عليها. وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ﴾ يعني هذه الأعضاء السبعة التي يسجد عليها ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [سورة الجن: ١٨])<sup>(٨)</sup>.

فقد استدلل الإمام عليه السلام بالآية في مقام حاججة الخصوم، وإن كان استخلاص هذا المعنى من الآية المباركة لا يتسنى لكل احد، بل قد يكون من خواصهم عليهم أفضل الصلاة والسلام، ويمكن أن نلاحظ استدلالهم عليه السلام بالقرآن الكريم في مناظراتهم مع الخصوم في روايات عدة<sup>(٩)</sup>.

(٨) العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي، ج ١، ص ٣٢٠.  
(٩) لاحظ مثلاً: الصدوق، محمد بن علي، التوحيد، ٤٥١.

(١٠) لاحظ: بابائي، علي أكبر، مكاتب تفسيري، ج ١، ص ١٠٢.  
(١١) القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي، ج ٢، ص ٣٧٩.





للمفردة، بل نبه المخاطب إلى هذا المعنى بطريقة تشجع على الرجوع إلى اللغة في فهم القرآن الكريم، ما يدل بوضوح على أن ذلك احد طرق تفسير القرآن، فيمكن أن يقال إن الروايات المشابهة لهذه الحالة تبين لنا طريقة تفسير القرآن الكريم.

وقد يشكل في المقام: كيف يمكن تشخيص كونهم عليهم السلام بصدد تعليم المنهج، فقد يكون ذلك للاحتجاج على الخصوم أو لتأييد آرائهم فقط، دون أن يكونوا عليهم السلام بصدد بيان المنهج التفسيري وتعليمه.

ويمكن أن يكون منشأ هذا الإشكال أحد أمرين:

الأول: الاعتقاد بما ذهب إليه الإخباريون من أن تفسير القرآن مقصور على الأئمة عليهم السلام، ولا يمكن لغيرهم أن يفهم من ظواهر القرآن شيئاً، إلا بعد تفسيرهم لها، وقد استدلوا على ذلك بأدلة مذكورة في محلها، فتكون تلك الأدلة بمثابة القرينة المعيّنة لحمل الروايات المبينة لمنهجهم في التفسير على غير التعليم، فيكون منحصرًا في الاحتجاج على الخصوم أو الاستشهاد.

الثاني: ويمكن أن يطرح هذا الإشكال ممن لا يمنع من إمكان تعليمهم عليهم السلام للمنهج، إلا انه يرى أن الروايات المذكورة في هذا المجال لا تكفي لتشخيص كونهم في مقام (التعليم)، وبعد أن نفينا في ما سبق كونهم في مقام (التعلم)، ينحصر الهدف في (الاحتجاج).

أما الجواب عن الوجه الأول للإشكال، فهو واضح، من خلال ما أجيب به عن الإشكال المعروف للإخباريين، كآيات القرآنية الحاتّة على التدبّر في القرآن، وكونه (نوراً)، و (بيانا) و (مُبيناً)، والروايات المُلجّئة إلى القرآن عند اشتداد الفتن، وروايات العرض على الكتاب وغيرها، مما يدل على إمكان فهم ظواهر القرآن وحجية تلك الظواهر، كما فصّل في محله (١٢).

وأما الوجه الثاني للإشكال، فيمكن أن يُجاب عنه بعدة أجوبة:

الوجه الأول: إن تعليم القرآن الكريم احد الوظائف التي ذكرها القرآن (١٢) لاحظ: الخوئي، البيان، ص ٢٦١-٢٧٢.

الكريم للنبي ﷺ في العديد من الآيات المباركة، كقوله عز وجل: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ لَيْ سَلَائِلٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة آل عمران: ١٦٤]. وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ لَيْ سَلَائِلٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة الجمعة: ٢].

ومن المعلوم أن التعليم تارة يكون بالبيان المباشر، بان يقوم النبي ﷺ بتفسير الآيات، وبيان مرادها، وأخرى يكون ببيان منهج تفسير الآيات المباركة، بما يتسنى لمن تتوفر لديه الشروط اللازمة في عملية التفسير الإطلاع على ما لم يختص بأهل البيت ﷺ من العلوم والمعارف القرآنية، ولا دليل في الآية على اختصاص التعليم بالنحو الأول، بعد إبطال ما ذهب إليه الإخباريون، فيمكن القول: إنإبداء الطريق للوصول إلى تفسير الآيات من خلال بيان المنهج واحدة من وظائف النبي ﷺ. ولا تنحصر هذه

الوظيفة بالنبي ﷺ، بل تسرى على كل الأئمة ﷺ بعده، وفق ما هو ثابت في العقيدة الإمامية.

وقد تجلّى ذلك في الكثير من الروايات الواردة عن المعصومين ﷺ التي يمكن أن يقتنص منها الكثير من أصول التفسير وقواعده (١٣). فعليه إذا ما رأينا في موضع من المواضع أن أهل البيت ﷺ اثبتوا معنًا من المعاني لبعض الآيات وفق منهج معين، فلنا أن نفهم أنهم في مقام تعليم ذلك المنهج، فهو من صلب وظائفهم التي حددها القرآن الكريم.

بل يمكن أن يدعى: أن الأصل فيما يذكره الأئمة ﷺ في بياناتهم التفسيرية أن يكون للتعليم بكلا شقّيه؛ المباشر وغير المباشر، إلا إذا دلّ دليل على غير ذلك كالتقية أو الاحتجاج.

الوجه الثاني: ولو تنزلنا عما سبق،

(١٣) تعرّض لذلك العديد من الباحثين. لاحظ-مثلاً: نصيري، علي، رابطه متقابل كتاب وسنت، ص ٣٥١-٥٧٣. وبابائي، علي أكبر، مكاتب تفسيري، ج ١، ص ١٠٢-١٣٣.



## • منهج تفسير القرآن بالقرآن في روايات أهل البيت (عليهم السلام) ..... (التصنيف)

السندي حول الروايات؛ كون البحث مُنصباً حول الروايات المروية عن أهل البيت (عليهم السلام)، دون نسبة مضمون تلك الروايات إليهم (عليهم السلام)، إلا أننا حاولنا قدر الإمكان الاستناد إلى أهم الكتب الروائية المعتمدة.

ويمكن تصنيف الروايات الواردة في تفسير القرآن بالقرآن ضمن العناوين التالية:

### ٤ / ١. بيان معاني المفردات:

قد تكون بعض الألفاظ خفية أو غير واضحة، فتزد الرواية في توضيح تلك المفردة وبيان معناها بالاعتماد على استعمالها في موضع آخر من القرآن أو ورود عبارة أخرى تحمل نفس المعنى، فيساهم ذلك في كشف معنى المفردة وتوضيحه، كما نلاحظ ذلك في تفسير الإمام الرضا (عليه السلام) للختم على القلوب بـ (الطبع) عليها، فقد روي عن إبراهيم بن أبي محمود، قال: ((وَسَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ ﴾ [سورة البقرة: ٧]، قَالَ: الْخَتْمُ هُوَ الطَّبْعُ عَلَى قُلُوبِ الْكُفَّارِ

فإن العديد من المناهج المطروحة للبحث كمنهج تفسير (القرآن بالقرآن، والقرآن) بـ (الروايات)، و(العقل) و(اللغة العربية)، مما يدل عليه العقل قبل الروايات، إذ أن هذه المناهج في إطارها العام مناهج عقلانية يسلكها العقلاء في الاستنتاج والاستنباط، فلا نحتاج في إمضائها سوى إثبات عدم الردع الشرعي عنها، وهو لم يثبت بعد إبطال قول الإخباريين.

### ٤. تطبيقات المنهج في روايات أهل البيت (عليهم السلام):

نلاحظ في الروايات التفسيرية عن أهل البيت (عليهم السلام) تنوعاً في استعمال منهج تفسير القرآن بالقرآن، فتارة يستعملونه في توضيح وتفسير الآيات المباركة، وأخرى في بيان المراد الجدي منها، وتارة في بيان المعاني الباطنة للآيات، واستعراض كل تلك الروايات ودراستها تتطلب تفصيلاً لا يفني به المقام، إلا أننا نتعرض إلى بعض النماذج من الروايات الواردة في هذا الصدد.

ونذكر -مجدداً- بأننا تجاوزنا البحث



عُقُوبَةً عَلَىٰ كُفْرِهِمْ، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة النساء: ١٥٥] (١٤).

ونلاحظ أن الإمام عليه السلام فسر (الختم) بلفظ آخر يحمل نفس معناه اللغوي (١٥) قد ورد في آية أخرى.

ومن هذا القبيل تفسير الإمام الحسين عليه السلام لمعنى (الصَّمَد)، حيث قال في جواب رسالة أهل البصرة: ((وإن الله سبحانه فسر الصمد، فقال: ﴿اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [سورة الإخلاص: ١ - ٢]، ثم فسره، فقال: ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ [سورة الإخلاص: ٣]، ثم فسره، فقال: ﴿لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص: ٣-٤] (١٦).

وتفسير الإمام الباقر عليه السلام لليد بالقوة في قوله تعالى: ﴿يَتَابَلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي﴾ [سورة

(١٤) الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام؛ ج ١، ص ١٢٣.

(١٥) لاحظ: ابن منظور، محمد بن المكرم، لسان العرب، ج ١٢، ص ١٦٢. والمصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج ٣، ص ٢٠.

(١٦) الصدوق، محمد بن علي، التوحيد، ص ٩١.

ص: ٧٥]، حيث قال عليه السلام: ((اليد في كلام العرب القوة والنعمة، قال الله: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ﴾ [سورة ص: ١٧]، وقال: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ [سورة الذاريات: ٤٧]، أي: بقوة، وقال: ﴿وَأَيْدَهُمْ يَرْجِحُ مِنْهُ﴾ [سورة المجادلة: ٢٢] أي قواهم...)) (١٧).

ومنه أيضا تفسير الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لمعنى كلمة (الله) (١٨)، و لـ(الأمر)، و(أولي الأمر) (١٩)، وتفسير الإمام الصادق عليه السلام: لـ(يوم الدين) (٢٠)، ومعنى (الأمة) (٢١)، و(الإحسان) (٢٢)، و(الأجل المسمى) (٢٣)، و(الفيء) (٢٤)،

(١٧) الصدوق، نفسه، ص ١٥٣.

(١٨) لاحظ: الصدوق، نفسه، ص ٢٣١.

(١٩) لاحظ: الطبرسي، احمد بن علي، الإحتجاج على أهل اللجاج، ج ١، ص ٢٥٢.

(٢٠) لاحظ: القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي، ج ١، ص ٢٨.

(٢١) لاحظ: العروسي الحويزي، عبد علي بن جمعة، تفسير نور الثقلين، ج ١، ص ٣٨٠.

(٢٢) لاحظ: نفسه، ص ٣٦٣.

(٢٣) لاحظ: نفسه، ج ٢، ص ٢٧.

(٢٤) لاحظ: نفسه، ج ٣، ص ٥٠٣.



منهج تفسير القرآن بالقرآن في روايات اهل البيت (عليهم السلام) ..... (التصنيف)

والقيح الذي يسيل من الجسد<sup>(٢٧)</sup> أو جلود أهل النار<sup>(٢٨)</sup>، وقد تكفلت الآية الأخرى بيانه.

كما يمكن أن نلاحظ هذا التوسع في شرح الآية في تفسير الإمام علي عليه السلام لمدة الحمل من خلال الجمع بين قوله تعالى: ﴿وَحَمَلُهُ وَفَصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [سورة الأحقاف: ١٥]، وقوله: ﴿وَفَصْلُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ [سورة لقمان: ١٤]. حيث شرح الإمام عليه السلام الآية الأولى بالثانية، وعين مدة الحمل التي لم تذكر في الآية من خلال إنقاص مدة الرضاعة المحددة في الآية الثانية من الثلاثين شهراً<sup>(٢٩)</sup>.

ولا يخفى أن هاتين الروايتين - إضافة إلى دلالتها على تفسير القرآن بالقرآن - فإنها تحملان تفسيراً موضوعياً،

(٢٧) لاحظ: ابن منظور، نفسه، ج ٣، ص ٢٤٦. و: الطبرسي، نفسه. و: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٢، ص ٣٦.  
(٢٨) لاحظ: الزمخشري، محمود، الكشاف عن حقائق التنزيل، ج ٢، ص ٥٤٦.  
(٢٩) لاحظ: ابن قدامة، عبد الله، المغني، ج ٩، ص ١١٥. و: المجلسي، بحار الأنوار، ج ٣٠، ص ٦٩٨.

و(الحَيِّ)<sup>(٢٥)</sup> في قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ [سورة الروم: ١٩].

٢ / ٤. شرح الآيات وبسط معانيها: نلاحظ في بعض الروايات التفسيرية أن المفسر المعصوم عليه السلام يجمع بين بعض الآيات ليخرج بمعنى جديد من مجموع الآيتين، فيتكامل المعنى، وتتضح الصورة، كما روي عن النبي عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيُسْقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾ [سورة إبراهيم: ١٦]، حيث قال عليه السلام: ((يقرب إليه فيكرهه، فإذا أدنى منه شوى وجهه، ووقع فروة رأسه، فإذا شرب قطع أمعائه حتى يخرج من دبره، يقول الله عز وجل: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [سورة محمد: ١٥])<sup>(٢٦)</sup>.

ونرى في هذه الرواية أن النبي عليه السلام قد خرج بمعنى جديد لا تدل عليه الآية الأولى لوحدها، إذ أنها تخبر عن سقي أهل النار ماءً صديداً، والصدید هو: الدم  
(٢٥) لاحظ: العروسي الحوزي، نفسه، ج ١، ص ٧٦٤.  
(٢٦) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان، ج ٦، ص ٤٧٤.





موضوعه (شراب أهل النار) و(مدة الحمل).

وقد يكون ظاهر الآية دالاً على معنى، ولكن الإمام عليه السلام يحمله على معنى آخر بقريئة آية أخرى، كما نلاحظ ذلك في رواية زرارة ومحمد بن مسلم، حيث قالوا: ((قُلْنَا لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام مَا تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ فِي السَّفَرِ كَيْفَ هِيَ، وَكَمْ هِيَ؟

فَقَالَ عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ [سورة النساء: ١٠١]،

فَصَارَ التَّقْصِيرُ فِي السَّفَرِ وَاجِباً كَوَجُوبِ التَّامِّ فِي الْحَضَرِ. قَالَا: قُلْنَا: إِنَّمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾، وَلَمْ يَقُلْ: افْعَلُوا، فَكَيْفَ أَوْجَبَ ذَلِكَ كَمَا أَوْجَبَ التَّامُّ فِي الْحَضَرِ؟ فَقَالَ عليه السلام: أَوْ لَيْسَ قَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الصَّفَا وَالْمُرْوَةِ:

﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [سورة البقرة:

١٥٨]، أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ الطَّوْفَ بِهِمَا وَاجِبٌ مَفْرُوضٌ؛ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ذَكَرَهُ فِي كِتَابِهِ، وَصَنَعَهُ نَبِيَّهُ عليه السلام، وَكَذَلِكَ التَّقْصِيرُ فِي السَّفَرِ شَيْءٌ صَنَعَهُ النَّبِيُّ عليه السلام، وَذَكَرَهُ اللَّهُ

تَعَالَى ذِكْرَهُ فِي كِتَابِهِ)) (٣٠).

فقد فسر الإمام عليه السلام آية القصر في السفر، بأنها بصدد بيان مجرد جواز التقصير، أما الوجوب فيستفاد من سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، كما هو الحال في آية الطواف بين الصفا والمروة، وهو بخلاف ما يتبادر في أول وهلة، وهو استفادة الإباحة بالمعنى الأخص المقابلة للوجوب.

كما نلاحظ التوسع في بيان معنى الآيات واستفادة معانٍ جديدة من مجموعها في بيان الإمام الباقر عليه السلام لقوله تعالى حكاية عن نوح: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُرُ الْبَاقِينَ﴾ [سورة الصافات: ٧٧]،

حيث يمكن أن يثار حول هذه الآية عدة أسئلة، منها: ما معنى البقاء في هذه الآية؟ وهل أن الباقيين في الأرض بعد الطوفان هم ذرية نوح فقط؟. وهنا يجيب الإمام عليه السلام عن ذلك ببيان أن مراد الآية أن ((الحق والنبوة والكتاب والإيمان في عقبه، وليس كل من في الأرض

(٣٠) الصدوق، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه، ج ١، ص ٤٣٤.



لا تجوز شهادته في الدنيا على صاع من تمر يطلب الله شهادته يوم القيامة، وتقبلها منه بحضرة جميع الأمم الماضية؟! . كلا لم يعن الله مثل هذا من خلقه، يعنى الأمة التي وجبت لها دعوة إبراهيم عليه السلام: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [سورة آل عمران: ١١٠]، وهم الأمة الوسطى، وهم خير امة أخرجت للناس)) (٣٣).

فقد استعان الإمام عليه السلام بأية أخرى في بيان أن المخاطب في الآية الأولى ليس جميع الموحدين، بل فئة خاصة منهم، ويظهر من الرواية أنها في مقام حصر الخطاب بفئة معينة وكونه خاصا بهم، لا يشمل غيرهم، فلا يكون من باب تخصيص العام، بل من باب رفع الإجمال عن العنوان المجمل.

ومن باب رفع الإجمال عن العنوان أيضا ما روي عن محمد بن أبي عمير في سؤاله الإمام الكاظم عليه السلام عن شمول الشفاعة لأهل الكبائر، قال فيه: ((يا ابن رسول الله كيف يكون الشفاعة لأهل الكبائر والله تعالى يقول: ﴿ وَلَا

(٣٣) العياشي، نفسه، ج ١، ص ٦٣.

من بنى آدم من ولد نوح، قال الله في كتابه: ﴿ أَحْمَلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [سورة هود: ٤٠]، وقال أيضا: ﴿ ذُرِّيَّةً مِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ﴾ [سورة الإسراء: ٣] ((٣١). فقد بين عليه السلام معنى البقاء، كما بين استنادا إلى الآيتين أن ليس كل الباقي هم من ذرية نوح (٣٢).

وقد تبيّن الآية بتحديد المخاطب بها، كما لو ورد الخطاب موجها إلى فئة ما، دون تعيين تلك الفئة، فيرد تحديده من قبل أهل البيت عليه السلام بالاستعانة بآيات أخر، كما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [سورة البقرة: ١٤٣]، حيث

روي عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: ((فان ظننت أن الله عنى بهذه الآية جميع أهل القبلة من الموحدين، أفترى أن من

(٣١) القمي، نفسه، ج ٢، ص ٢٢٣.

(٣٢) لاحظ نموذجا آخرًا لذلك في: العروسي

الحويزي، نفسه، ج ٣، ص ٢١٩.



**يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى** [سورة الأنبياء: ٢٨]، ومن يرتكب الكبيرة لا يكون مرتضى؟. فقال عليه السلام: يا أبا محمد ما من مؤمن يرتكب ذنبا لإساءه ذلك وندم عليه، وقال النبي صلى الله عليه وآله: كفى بالندم توبة، وقال عليه السلام: من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن، فمن لم يندم على ذنب يرتكبه فليس بمؤمن، ولم تجب له الشفاعة، وكان ظالماً والله تعالى ذكره يقول: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [سورة غافر: ١٨...]. (٣٤).

ونلاحظ أن الإمام عليه السلام رفع إجمال العنوان الوارد في الآية الأولى: (من ارتضى)، بعدم كونه من الظالمين. وتوجد العديد من النماذج التي بين فيها أهل البيت عليهم السلام معاني الآيات بالاستعانة بالقران الكريم، اعرضنا عن إيرادها خشية الإطالة (٣٥).

٤ / ٣. بيان المصداق للآية:

(٣٤) الصدوق، محمد بن علي، التوحيد، ص ٤٠٨.

(٣٥) لاحظ: نفسه، ج ١، ص ١٣٥، و ٤٨٢، و ص ٤٠٣، و: ج ٢، ص ٥٣، و ١٣٦، و: ج ٣، ص ٣٣٧.

تدل بعض الآيات على معانٍ عامة يمكن أن تنطبق على عدة مصاديق، وفي هذه الحالة يكون تشخيص بعض المصاديق وبيانها كشفاً وتوضيحاً لهذا الآية، ولا يعني ذلك حصر معنى الآية بتلك المصاديق، بل يمكن أن يبقى معناها على عمومها، إلا في بعض الآيات التي تدل على حصر المصداق (٣٦).

ويمكن أن نعدّ من هذا الباب ما ورد في بيان (المغضوب عليهم) و(الضالين)، كما يروى عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال: ((أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عِبَادَهُ أَنْ يَسْأَلُوهُ طَرِيقَ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِمْ، وَهُمْ: النَّبِيُّونَ وَالصُّدِّيْقُونَ وَالشُّهَدَاءُ وَالصَّالِحُونَ، وَأَنْ يَسْتَعِيدُوا [بِهِ] مِنْ طَرِيقِ الْمُغْضُوبِ عَلَيْهِمْ، وَهُمْ الْيَهُودُ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَعَظِبَ عَلَيْهِ﴾ [سورة المائدة: ٦٠]، وَأَنْ يَسْتَعِيدُوا بِهِ مِنْ طَرِيقِ الضَّالِّينَ،

(٣٦) كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾.



منهج تفسير القرآن بالقرآن في روايات اهل البيت (عليهم السلام) ..... (التصحيح)

المحترمة، وقذف المحصنات و... (٣٨).

وما روي عن الإمام الكاظم (عليه السلام)، في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [سورة الأعراف: ٣٣]، حيث بين أن احد مصاديق الإثم هو الخمر والميسر، استنادا إلى قوله عز وجل: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ [سورة البقرة: ٢١٩] (٣٩).

ومن بيان المصداق ما ذكره الإمام الحسن (عليه السلام) من تفسير قوله تعالى: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ [سورة البروج: ٣]، حيث فسّر الشاهد بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، والمشهود يوم القيامة (٤٠)، استنادا إلى قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [سورة الاحزاب: ٤٥]،

(٣٨) لاحظ: الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٢٨٥، باب الكبائر، حديث: ٢٤.

(٣٩) لاحظ: الكليني، نفسه، ج ١، ص ٤٠٦، باب تحريم الخمر من الكتاب، الحديث: ١.

(٤٠) لاحظ: الإربلي، علي بن عيسى، كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج ١، ص ٥٤٣.

وَهُمُ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [سورة المائدة: ٧٧]، وَهُمْ النَّصَارَى. ثُمَّ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام): كُلُّ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ فَهُوَ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِ، وَضَالٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (٣٧).

والرواية صريحة بعدم حصر العنوان بما ذكره من مصاديق، بل هي تحمل تفسيراً لمعنى (المغضوب عليهم) و(الضالين) إضافة إلى بيان مصاديقها.

ومن هذا القبيل ما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) في كبائر الذنوب، في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ﴾ [سورة النجم: ٣٢]، حيث ذكر الإمام (عليه السلام) استنادا إلى الآيات القرآنية مصاديق (كبائر الإثم)، من الشرك، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس (٣٧) التفسير المنسوب للإمام العسكري (عليه السلام)، ص ٥٠.



وقوله: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ تَجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [سورة هود: ١٠٣]. فقد

بين الإمام (عليه السلام) باعتاده على آية أخرى مصداق الشاهد والمشهود، سواء فهمنا منها حصر المصداق أو لم نفهم ذلك.

وقد ورد بيان المصداق بالاعتماد على الآيات القرآنية في مواضع أخر<sup>(٤١)</sup>.

٤ / ٤. تعيين القراءة الصحيحة:

ذكرت بعض الروايات ترجيح بعض القراءات على بعض استنادا إلى القران الكريم نفسه، كما رواه القمي في تفسيره مرسلأ عن الإمام الصادق (عليه السلام):

((قرأ رجل على أمير المؤمنين (عليه السلام): ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يُعَصَّرُونَ﴾ [سورة يوسف: ٤٩]، قال: ويحك، أي شيء يعصرون؟. أيعصرون الخمر؟. قال الرجل: يا أمير المؤمنين، كيف أقرؤها؟. قال: إنما نزلت «عام فيه يغاث الناس وفيه يُعَصَّرُونَ»، أي يُمَطَّرُونَ بعد سنين المجاعة، والدليل

على ذلك قوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً نَجَّاجًا﴾ [سورة النبأ: ١٤]].

ولم تذكر هذه القراءة ضمن القراءات الأربعة عشر، بل أن ما ذكر فيها إما القراءة للمخاطب (تَعَصَّرُونَ)، وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف، أو للغائب {يُعَصَّرُونَ}، وهي قراءة غيرهم<sup>(٤٢)</sup>. وبناءا على عدم حصر القراءات بعدد معين وعدم تواترها تكون هذه القراءة المروية عن أمير المؤمنين (عليه السلام) من أحد وجوهها لو تمت النسبة، ولكنها مرسله.

٤ / ٥. بيان المراد الجدي للآيات:

يتضح المراد الجدي لكل كلام بعد مراجعة كافة القرائن المتصلة والمنفصلة والتي من شأنها أن تقيّد أو تخصّص أو تنسخ أو توسّع مدلول ذلك الكلام، ونلاحظ في روايات تفسير القرآن بالقرآن تطبيقاً لذلك، وبطرق مختلفة يمكن بيانها بما يلي:

(٤٢) لاحظ: ابن الجزري، محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر، ج ٢، ص ٢٩٥. و: الدميّطي، احمد بن محمد، إتخاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ص ٣٣٢.

(٤١) لاحظ: القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي، ج ١، ص ٣٢. و: الحويزي، نور الثقلين، ج ١، ٣١، و ٧٦٥.



٤ / ٥ / ١. تخصيص العام:

في الروايات ويراد منه التخصيص (٤٥).

ومن موارد التخصيص تخصيص الظلم في بعض الآيات بالشرك، فقد روي انه لما نزل قوله تعالى ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَنَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [سورة الأنعام: ٨٢]، ((شق ذلك على أصحاب النبي ﷺ وقالوا: أينما لم يظلم نفسه؟. فقال رسول الله ﷺ: ليس كما تظنون، إنما هو كما قال لقمان لابنه: ﴿يَبْنَى لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾)) (٤٦).

فقد ورد (الظلم) في الآية الأولى نكرة في سياق النفي، فيكون عاما وشاملا لكل أنواع الظلم بما فيها ظلم النفس، إلا أن النبي ﷺ خصصه بخصوص الشرك بمعونة الآية الثانية.

٤ / ٥ / ٢. تقييد الإطلاق:

نلاحظ ذلك في بيان الإمام الصادق عليه السلام لسر عدم استجابة الدعاء، فقد روي أن رجلاً قال له: ((جعلت

(٤٥) لاحظ: النجفي، محمد حسن، جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، ج ٢٨، ص ٢٦٣.

(٤٦) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ج ٨، ص ٥٣.

نلاحظ في روايات تفسير القرآن بالقرآن تخصيصاً لبعض العمومات القرآنية بآيات أخرى، كما في تخصيص قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۗ﴾ (٧١) ثم نتجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثثاً [سورة مريم: ٧١-٧٢]، حيث تدل على أن جميع المخاطبين بهذه الآية سوف يردون النار، بما في ذلك المؤمنين، وقد ورد في رواية عن أهل البيت عليه السلام تخصيصها بآية أخرى، حيث روى القمي في تفسيره: ((أنها منسوخة بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [سورة الأنبياء: ١٠١]) (٤٣). فقد أخرجت هذه الآية المباركة قسماً من الناس عن مدلول الآية الأولى، فيكون ذلك تخصيصاً، وان عبّر عنه بالنسخ؛ إذ النسخ الاصطلاحي لا ينطبق عليه (٤٤)، كما أن النسخ قد يطلق

(٤٣) لاحظ: القمي، نفسه، ج ٢، ص ٥٢.

(٤٤) عرّف النسخ بأنه: ((رفع أمر ثابت في الشريعة المقدسة بارتفاع أمده وزمانه)).

الخوئي، أبو القاسم، البيان في تفسير القرآن، ص ٢٧٦.



فذاك إن الله يقول: ﴿أَدْعُوْنِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [سورة غافر: ٦٠]، وإنا ندعو فلا يستجاب لنا؟. قال ﷺ: لأنكم لا تفون بعهد، وإن الله يقول: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾، والله لو وفيتم الله لو في الله لكم﴾ (٤٧).

فقد أضاف الإمام ﷺ قيذا للآية الأولى، ووضح أنها ليست خاصة بكل الداعين، بل تختص بمن يفي بعهد الله تبارك وتعالى، كما تدل الآية الثانية على أن وفاء الله عز اسمه بعهوده لعباده (ومنها عهده باستجابة الدعاء) مشروط بوفائهم بعهودهم تجاهه سبحانه من الإيثار والطاعة، فيكون مؤدى هذه الرواية تقييد الآية الأولى وعدم إطلاقها أفراداً وأحوالاً.

ومن هذا القبيل ما روي عن الإمام الصادق ﷺ في تقييد حرمة الجلوس في مجالس الإثم، بعدم النسيان، فقد روي انه ﷺ قال في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ﴾ (٤٧) القمي، نفسه، ج ١، ص ٤٦.

حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [سورة النساء: ١٤٠]: ((ثم استثنى عز وجل موضع النسيان، فقال: ﴿وَأَمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة الأنعام: ٦٨]) (٤٨).

وكذلك الحال في تقييد قبول الاستغفار بالتوبة والعمل الصالح، فيما روي عن الإمام الصادق ﷺ: ((رحم الله عبدا لم يرض من نفسه أن يكون إبليس نظيراً له في دينه، وفي كتاب الله نجاة من الردى، وبصيرة من العمى، ودليل إلى الهدى وشفا لما في الصدور فيما أمركم الله به من الاستغفار مع التوبة، قال الله:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا الذُّنُوبَ وَمِنْهُمْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٣٥]، وقال: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ

(٤٨) لاحظ: العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي، ج ١، ص ٢٨٢. والكليني، نفسه، ج ٢، ص ٣٥، باب أن الإيمان مبثوث لجوارح البدن كلها، حديث: ١.



منهج تفسير القرآن بالقرآن في روايات أهل البيت (عليهم السلام) ..... (المصباح)

الناسخ والمنسوخ، فإذا ما ثبت نسخ آية من الآيات - بالنسخ المصطلح - يثبت تأخر الآية الناسخة نزولاً.

وتحتوي روايات تفسير القرآن بالقرآن على عدة نماذج بين فيها أئمة أهل البيت (عليهم السلام) والآيات الناسخة والمنسوخة، من ذلك ما روي عن الإمام

الباقر (عليه السلام) في قوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [سورة المائدة: ٥]، حيث قال: ((قال نسختها: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُوفِرِ﴾ [سورة الممتحنة: ١٠]) ((١٠)).<sup>(٥١)</sup>

وكذلك في قوله تعالى: ﴿كُفُوا أَيَّدِيكُمْ﴾ [سورة النساء: ٧٧]، فقد روي أنها منسوخة بقوله عز وجل: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ [سورة البقرة: ١٩٠]. وقوله: ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذُنَهُمْ﴾ [سورة الأحزاب: ٤٨]، منسوخة بقوله:

يَجِدِ اللَّهُ عَفْوَراً رَجِيماً﴾ [سورة النساء: ١١٠]. فهذا ما أمر الله به من الاستغفار واشترط معه بالتوبة والإقلاع عما حرم الله، فانه يقول: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [سورة فاطر: ١٠]، فهذه الآية تدل على أن الاستغفار لا يرفعه إلى الله إلا العمل الصالح والتوبة))<sup>(٤٩)</sup>.

٤ / ٥ / ٣. بيان النسخ في الآيات:

عُرِفَ النسخ بأنه: ((رفع أمرٍ ثابت في الشريعة المقدسة بارتفاع أمده وزمانه))<sup>(٥٠)</sup>. ولمعرفة النسخ والمنسوخ دور كبير في تحديد المراد الجدي من الآيات المباركة؛ إذ الإطلاع عليه يعرف المفسر بعدم إرادة المعنى المنسوخ بصورة مطلقة ودائمة، بل هو مختص بزمن من الأزمان، وكون ما تثبته الآية الناسخة هو المؤدى النهائي للحكم على الموضوع، وبذلك يكون النسخ كاشفاً - أيضاً - عن تسلسل الآيات والترتب الزمني بين

(٥١) العياشي، نفسه، ج ١، ص ٢٩٦.  
والكليني، نفسه، ج ٥، ص ٣٥٨، باب نكاح الذمية، حديث: ٨.

(٤٩) العياشي، نفسه، ج ١، ص ١٩٨.  
(٥٠) الخوئي، أبو القاسم، البيان في تفسير القرآن، ص ٢٧٦.





﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَفْتَنُوهُمْ﴾ [سورة البقرة: ١٩١] (٥٢) ..

٤ / ٦. التفسير الباطني للآيات:

تحتوي الآيات القرآنية على معان باطنية مقصودة بالموازاة مع المعاني الظاهرية، ومن منطلق الإعجاز القرآني فلا يوجد بين المعاني الباطنية أي نحو من التنافي والتناقض والاختلاف، بحسب ما تدل عليه الآيات النافية للباطل والاختلاف في القرآن الكريم، فكما تكون المعاني الظاهرة متناسقة ومنسجمة، كذلك الحال في المعاني الباطنة، وكما يمكن أن يُستعان بالآيات على تفسير بعضها، كذلك يمكن أن يستعان بها في تأويل المعاني الباطنية لها، ولكن لمن له صلاحية التأويل حصراً (٥٣).

ومن هذا المنطلق نلمس في روايات تفسير القرآن بالقران الواردة عن عدل

(٥٢) لاحظ: العروسي الحويزي، نفسه، ج١، ص١٧٨.

(٥٣) لاحظ: جوادي آملي، نفسه، ج١، ص١٢٨.

القران الكريم استعانةً واضحةً ببعض الآيات لبيان المعاني الباطنة لآيات آخر، كما نلاحظ ذلك في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ فَالِقُ تُوَفِّكُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٩٥]، حيث روي عن الإمام عليه السلام الصادق: ((الحب المؤمن، وذلك قوله: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ [سورة طه: ٣٩]، والنوى: الكافر الذي نأى عن الحق فلم يقبله)) (٥٤).

وبما أن الظاهر من معنى (الحب) هو: ((ما يقال في الخنطة والشعير ونحوهما من الطعومات)) (٥٥)، والنوى معروف، وهو نواة التمر وأمثاله (٥٦)، فيمكن أن نعتبر ما بينه الإمام عليه السلام من المعاني الباطنة للآية المباركة، وان كان في بعض الروايات ما يبين كيفية الفلق (وهو الشق)، بين طينية المؤمن

(٥٤) العياشي، نفسه، ج١، ص٣٧٠.

(٥٥) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن، ص٢١٤.

(٥٦) لاحظ: الفراهيدي، الخليل بن احمد، كتاب العين، ج٨، ص٣٩٤.





وَلَشَهَدَ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٩﴾ [سورة النور: ١ - ٢] (٥٩).

٤ / ٨. حلّ التعارض بين الآيات:

قد يقع التعارض بين مدلولي بعض الخطابات الصادرة من متكلم واحد، أو ما يكون بحكم المتكلم الواحد، سواء كان بين المدلولين المطابقين أو التضمنيين أو الإلزاميين، أو بين احد هذه الأصناف مع الصنف الآخر، ويختلف التعارض بشكل عام بين كونه مستقراً، أو غير مستقر، ويعني الأول أن التعارض لا يمكن حله بالأساليب العرفية التي يعتمد عليها العقلاء في محاوراتهم من تقييد أو تخصيص أو ورود أو حكومة، أو غير ذلك، فيستقر التعارض ولا يمكن رفعه، وهذا النوع من التعارض منفي عن القرآن بشكل قطعي؛ لكونه ابرز وجوه الباطل والاختلاف المنفيين عن القرآن الكريم. أما القسم الآخر، وهو التعارض غير المستقر الذي يبدو في أو لا لأمر، وينحل وفق وسائل الجمع العرفي المتقدمة،

(٥٩) الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٣٢.

فيمكن أن يقع في القرآن الكريم، كونه لا يشكل نقصاً ولا اختلافاً، فهو مما يتقبله العرف، ويتماشى مع طبيعة الكلام والظروف المختلفة التي يصدر فيها.

ومن هنا فان عملية التخصيص والتقييد أو الحكومة والورود والنسخ وغيرها يصاحبها دائماً نوع من التعارض البدوي الغير مستقر، فيمكن أن نعد ما ذكرناه من نماذج تحت عنوان (بيان المراد الجدي للآيات) نماذج لرفع التعارض أيضاً، إلا أننا فردنا هذا العنوان لذكر بعض الروايات التي يكون التعارض فيها أوضح وأقوى من غيره، بحيث يُطرح من قبل البعض إشكالا على انسجام الآيات وتناسقها.

ويمكن أن نذكر من هذا القبيل ما روي من جواب أمير المؤمنين عليه السلام لبعض الزنادقة الذي ادعى وجود التناقض في القرآن الكريم في نسبة التوفي إلى الله تارة وإلى الملائكة ثانية وإلى ملك الموت ثالثة، فقال عليه السلام في جوابه: ((فأما قول الله عز وجل:

﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾



منهج تفسير القرآن بالقرآن في روايات اهل البيت (عليهم السلام) ..... (المصباح)

من يشاء، وان فعل أمنائه فعله كما قال:  
﴿ وَمَا نَشَاءُ وَلَا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [سورة  
الإنسان: ٣٠]]<sup>(٦٠)</sup>.

فقد أجاب الإمام عليه السلام عن التعارض  
المزعوم بين هذه الآيات بالاعتقاد  
على قرينة أو بيان آخر في آيات آخر  
صحح نسبة التوفي إلى ملك الموت  
والملائكة<sup>(٦١)</sup>.

**أهم مصادر البحث:**

١. ابن الجزري، شمس الدين، النشر  
في القراءات العشر، دار الكتب  
العلمية، بيروت - لبنان، بدون  
تاريخ.
٢. الإربلي، علي بن عيسى، كشف الغمة  
في معرفة الأئمة، نشر بني هاشمي،  
تبريز - إيران، ١٤٢٣ هـ ق، ط ١.
٣. بابائي، علي اكبر، مكاتب تفسيري،  
پژوهشگاه حوزة ودانشگاه، طهران

(٦٠) الطبرسي، احمد بن علي، الاحتجاج،  
ج ١، ص ٢٤٧.

(٦١) وقد روي مضمون هذه الرواية في بيان  
للإمام الصادق عليه السلام. لاحظ: الصدوق،  
محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه، ج ١،  
ص ١٣٦.

[سورة الزمر: ٤٢]، وقوله: ﴿ يَتُوفَّيْكُمْ

مَلَكَ الْمَوْتِ ﴾ [سورة السجدة: ١١]،

و ﴿ تَوَفَّيْتَهُمْ رَسُولَنَا ﴾ [سورة الأنعام: ٦١]،

و ﴿ نُتَوَفَّيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ ﴾ [سورة

النحل: ٣٢]، و ﴿ الَّذِينَ تَوَفَّيْتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ

ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ ﴾ [سورة النساء: ٩٧]،

فهو تبارك وتعالى أجل وأعظم من

أن يتولى ذلك بنفسه، وفعل رسله

وملائكته فعله، لأنهم بأمره يعملون،

فاصطفى جل ذكره من الملائكة رسلاً

وسفرة بينه وبين خلقه، وهم الذين

قال الله فيهم: ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ

الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ﴾ [سورة

الحج: ٧٥]، فمن كان من أهل الطاعة

تولت قبض روحه ملائكة الرحمة، ومن

كان من أهل المعصية تولت قبض روحه

ملائكة النعمة، وملك الموت أعوان من

ملائكة الرحمة والنعمة، يصدرون عن

أمره، وفعلهم وفعله وكل ما يأتونه

منسوب إليه وإذا كان فعلهم فعل ملك

الموت، وفعل ملك الموت فعل الله؛

لأنه يتوفى الأنفس على يد من يشاء،

ويعطى ويمنع، ويشيب ويعاقب على يد

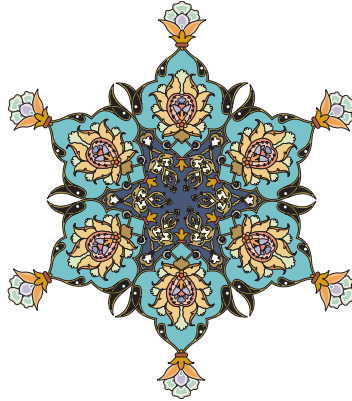




- إيران، ١٣٨٩ هـ ش، ط ٢.
٤. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٩٨١ م، بدون عنوان.
٥. التفسير المنسوب للإمام العسكري (عليه السلام)، مدرسة الإمام المهدي، قم - إيران، ١٤٠٩ هـ ق، ط ١.
٦. جواد آملی، عبد الله، تسنيم، نشر اسراء، قم - إيران، ١٣٧٨ هـ ش، ط ١.
٧. الخوئي، أبو القاسم، البيان في تفسير القرآن، مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي، قم - إيران، بدون تاريخ، بدون عنوان.
٨. الدمياطي، احمد بن محمد، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ٢٠٠١ م، بدون عنوان.
٩. الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٧ م، ط ١.
١٠. الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ١٩٨٠ م، ط ٥.
١١. الزرخشري، محمود، الكشف عن غوامض حقائق التأويل، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ١٤٠٧ هـ ق، ط ٣.
١٢. الصدوق، محمد بن علي، التوحيد، جماعة المدرسين، قم - إيران، ١٣٩٨ هـ ق، ط ١.
١٣. الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، نشر جهان، طهران، إيران، ١٤٢٠ هـ ق، ط ١.
١٤. الصدوق، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم - إيران، بدون تاريخ، ط ٢.
١٥. الصفار، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات في فضائل آل محمد (عليهم السلام)، مكتبة آية الله المرعشي، قم - إيران، ١٤٠٤ هـ ق، ط ٢.
١٦. الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، جامعة المدرسين، قم - إيران، ١٤١٧ هـ، ط ٥.

• منهج تفسير القرآن بالقرآن في روايات اهل البيت (عليهم السلام) ..... (المصباح)

١٧. الطبرسي، احمد بن علي، الاحتجاج  
على أهل اللجاج، نشر مرتضى،  
مشهد-إيران، ١٤٠٣هـ ق، ط ١.
١٨. الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع  
البيان في تفسير القرآن، مؤسسة  
الأعلمي للمطبوعات، بيروت -  
لبنان، ١٩٩٥م، ط ١.
١٩. العروسي الحويزي، عبد علي بن  
جمعة، تفسير نور الثقلين، انتشارات  
إسماعيليان، قم -إيران، ١٤١٥هـ  
ق، ط ١.
٢٠. العياشي، محمد بن مسعود، تفسير  
العياشي، تحقيق: محلاتي، هاشم،  
جابخانه علميه، طهران -إيران،
- ١٣٨٠هـ ش، ط ٤.
٢١. القمي، علي بن إبراهيم، تفسير  
القمي، تحقيق: الموسوي الجزائري،  
سيد طيب، دار الكتاب، قم - إيران،  
١٤٠٤هـ ق، ط ٤.
٢٢. المصطفوي، حسن، التحقيق في  
كلمات القرآن الكريم، مركز الكتاب  
للتريجة والنشر، طهران -إيران،  
١٤٠٢هـ ق، ط ١.
٢٣. النجفي، محمد حسن، جواهر  
الكلام في شرح شرائع الإسلام، دار  
الكتب الإسلامية، طهران -إيران،  
١٣٦٧هـ ش، ط ٣.



# أَهْلُ بَيْتِ النَّبِوةِ مَفْهُومٌ وَمِصْدَاقٌ قُرْآنِيٌّ

م.م. محمد جبار جاسم  
كلية القانون - جامعة ميسان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تمهيد:

اختلفت الأمة في تحديد مفهوم ومصداق (أهل البيت) سعةً وضيقةً، فمنهم من يقول إن مفهوم (أهل البيت) شامل لأولاد الأنبياء عليهم السلام وزوجاتهم، ومنهم من يقول إنهم خصوص المطهرين من الرجس وهم أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله من السلالة الذين اصطفاهم الله تعالى من أولادهم عليهم السلام وهم خصوص آل محمد عليهم السلام. فلنسأل القرآن الكريم الثقل الأكبر عن ذلك، ونقول كما قال الله تعالى في كتابه على لسان موسى عليه السلام: ﴿إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ

أَمْكُوثًا إِنِّي ءَأَنْتُمْ نَارًا لَعَلِّي ءَأَنْتُمْ مِنْهَا يَقْبَسُونَ  
أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ [سورة طه: ١٠].  
وقبل سؤال القرآن واستنطاقه لا بد لنا من الوقوف على معنى (الأهل) عند اللغويين.

أ. الأهل لغة:

١. قال الخليل: ((أهل الرجل: زوجته، وأخص الناس به... وأهل البيت: سكانه))<sup>(١)</sup>.

٢. قال الجوهري: ((الأهل: أهل

(١) الفراهيدي، الخليل ابن أحمد، العين، ج ٤، ص ٨٩.

وهم أشياعه وأتباعه وأهل ملته. ثم  
كثرت استعمال الأهل والآل حتى سمي  
بهما أهل بيت الرجل لأنهم أكثر من  
يتبعه. وأهل كل نبي: أمته. قيل ومنه  
قوله تعالى ﴿ **وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ** ﴾،  
وقد مر في (أمر): أنهم أهل بيته  
خاصة. وفلان أهل لكذا أو يستأهل  
لكذا أي حقيق به. وأهل البيت:  
سكانه))<sup>(٥)</sup>.

#### الخلاصة:

يظهر مما تقدم أن مفهوم الأهل  
عند اللغويين مفهوم عام يدخل فيه  
أهل الرجل وخاصته كالزوجة والابن  
والبنت والذين في عياله وكل من دخل  
في نفقته وذوو قرباه بل حتى العشيرة  
تدخل فيه.

ب. الأهل في الاصطلاح القرآني:

الأهل حسب المفهوم القرآني اما  
ان يكون له معنى عام او اخص بمعنى

الرجال، وأهل الدار، وكذلك  
الأهله))<sup>(٢)</sup>.

٣. قال أبو هلال: ((إن الأهل يكون من  
جهة النسب والاختصاص فمن جهة  
النسب قولك أهل الرجل لقربته  
الأدنين، ومن جهة الاختصاص  
قولك أهل البصرة وأهل العلم))<sup>(٣)</sup>.

٤. قال الراغب الاصفهاني: ((أهل:  
أهل الرجل من يجمعه وإياهم نسب  
أو دين أو ما يجري مجراهما من صناعة  
وبيت وبلد، فأهل الرجل في الأصل  
من يجمعه وإياهم مسكن واحد ثم  
تجوز به فليل أهل بيت الرجل لمن  
يجمعه وإياهم نسب، وتعرف في  
أسرة النبي عليه الصلاة والسلام  
مطلقا إذا قيل أهل البيت لقوله  
عز وجل: ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ  
عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ** ﴾ وعبر  
بأهل الرجل عن امرأته))<sup>(٤)</sup>.

٥. قال الطريحي: ((أهل الرجل: آله.

(٢) الجوهري، الصحاح، ج ٤، ص ١٦٢٩.  
(٣) العسكري، أبو هلال، معجم الفروق  
اللغوية، ص ٨٤.

(٤) الراغب الاصفهاني، الحسين ابن محمد،

المفردات في غريب القرآن، ص ٢٩-  
٩٦.

(٥) الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، ج ٥،  
ص ٣١٤.





(أخص الناس به) وهذا ما نريد الوقوف عليه هنا.

فمن وجهة نظر القرآن أن المراد من (الأهل) هو المعنى الخاص وذلك ما أشارت إليه عدة آيات قرآنية التي منها:

١. قال تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ، فَقَالَ

رَبِّ إِنِّي أَنبِيٌّ مِنْ آهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ [سورة هود:

٤٥]، فالصريح من هذه الآية أن

نبي الله نوح عليه السلام كان يعتقد أن ابنه

من أهله؛ وسبب هذا الاعتقاد اما

ان يكون ناشئاً من جهة النسب وهو

ابنه من صلبه والآية ترفضه؛ لأنها

نفت ان يكون من الأهل ولم تنف

انه ليس بابن، أو اعتماداً على المعنى

اللغوي والعرفي وهو بعيد عنه عليه السلام؛

لأنه سيد العارفين باللغة والعرف

في ذلك الزمان او ان الله تعالى وعد

نوحاً عليه السلام بأهل بيته خيراً. وعلى هذا

الاساس كان عنده عليه السلام غموض في

ذلك الجانب أي انه يعلم معنى

الأهل (المفهوم التشريعي) ولكنه عليه السلام

لا يعلم مصداقه. والدليل على ذلك

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَنْحُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ

أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا

لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ

الْجَاهِلِينَ﴾ [سورة هود: ٤٦] فهذه

الآية تبين انه -أي ولد نوح عليه السلام -

ليس من أهله؛ لان الآية صريحة في

نفي العلم عنه عليه السلام بالمصداق وهو

ابن نوح عليه السلام بل تثبت تحديد المصداق

لله سبحانه وتعالى. وبناءً على ذلك

فان إخراج الولد من الأهل يكشف

لنا أن مفهوم (الأهل) ومصداقه له

معنى آخر لا يعلمه إلا الله سبحانه

وتعالى وحده.

نستنتج من الآية السابقة أن تحديد

مصداق أهل النبي قضية إلهية ولا يمكن

لأحد أن يحددها. وعلى هذا الأساس

تكون سنة منحصرة بيد الله تعالى وإنها

سنة الإلهية، لا عرفية، ولا لغوية، ولا

صلبية. والدليل عليه التوكيد الصريح

بالموعظة في قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ

تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾. فلو كانت المسألة

عرفية أو لغوية أو نسبية، لكان نوح عليه السلام

اعرف أهل زمانه بها ولما كانت هناك



سورة **سَكِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** ﴿ [سورة  
يونس: ٨٩] بخلاف ابن نوح عليه السلام  
الذي أخرجه الله تعالى من مفهوم  
الأهل ونهى نوحاً أن يسأله عن  
ذلك.

ومن هنا يبدو أن موسى عليه السلام اعلم  
بالمصداق الحقيقي للأهل من نبي الله  
نوح عليه السلام. فإدخال الاخ في مفهوم الاهل  
من خلال طلب موسى عليه السلام **وَأَجْعَلْ**  
**لِي وَزِيْرًا مِّنْ أَهْلِي** ﴿ يكشف لنا أن مفهوم  
(الأهل) سنة إلهية منحصره بيد الله تعالى.  
ويكشف لنا أيضاً أن خلافة الله لا بد أن  
تكون من اهل بيت النبي وهو صريح  
من قول موسى عليه السلام: {مَنْ أَهْلِي} ويظهر  
مما تقدم أن مفهوم أهل النبي سنة إلهية  
مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالخلافة الإلهية.

٣. قال تعالى: **﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا**  
**لُوطًا سِوَاءَ يَوْمِهِمْ فَذَرَعًا**  
**وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُونَكَ**  
**وَأَهْلَكَ إِلَّا أُمَّرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ**  
**الْغَابِرِينَ** ﴿ [سورة العنكبوت:

٣٣]. تين هذه الآية الكريمة  
نقطتين اساسيتين:

حاجة أصلاً للوعظ في هذه الآية. مما يدل  
على أن هناك مقياساً وضابطة إلهية لأهل  
الأنبياء عليهم السلام في القرآن.

٢. قال الله تعالى في كتابه العزيز على لسان  
موسى عليه السلام: **﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِّنْ أَهْلِي**

**﴿٢٩﴾ هٰذٰرُونَ اٰخِي** ﴿ [سورة طه: ٢٩-

٣٠]. ففي هاتين الآيتين تصريح

بإدخال الأخ في مفهوم الأهل وهذا  
يكشف عن مفهوم خاص لمعنى

الأهل، إذ كان موسى عليه السلام يعلم ان

هارون عليه السلام من المصاديق الخاصة

للأهل وهو مرتبط بمسألة الخلافة

عند الله تبارك وتعالى <sup>(٦)</sup> والآيتان

**﴿أَشَدُّ دِيْرًا أَزْرِي وَأَشْرَكُهُ فِيْ أَمْرِي** ﴿

[سورة طه: ٣١ - ٣٢] تشيران

إلى ذلك. فحينما طلب موسى عليه السلام

الوزارة لأخيه هارون -الذي هو

من أهله -لم يُرفض، بل استجاب

الله تعالى له فقال: **﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت**

**دَعْوَتُكُمْ فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ**

(٦) ينظر: محمد جبار جاسم، سنة الخلافة  
والإمامة في القرآن الكريم، مجلة المصباح،  
العدد ١٦، ص ٢٩٩.



الأولى: تصرح بأن الزوجة استثيت من الأهل بسبب عملها المخالف للعقيدة الإلهية كما استثيت من النجاة أيضاً، فلا استثناء الذي ورد في الآية قد أخرج زوجة النبي لوط عليه السلام من مفهوم الأهل.

الثانية: وتدل أيضاً على دخول البنت في مفهوم الأهل؛ لأن المراد من (اهلك) في قوله تعالى: ﴿إِنَّا مُنَجِّوْكَ وَأَهْلَكَ﴾ [سورة العنكبوت: ٣٣] هما ابنتا لوط عليه السلام (٧)، وهذه الآية. ﴿قَالَ يَقَوْمُ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ [سورة هود: ٧٨] تشير الى ذلك.

وكذا القول في قوله تعالى ﴿قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْنَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَانِكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ

(٧) ينظر: ابن ابي شيبة الكوفي، المصنف، ج٧، ص٤٥. تفسير أبي الشالي، ص٢٠٢. الطبرسي، مجمع البيان، ج٩، ص٢٦٣، وغيرها من التفاسير.

بِقَرِيبٍ﴾ [سورة هود: ٨١]. وكذا القول في قوله تعالى ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَاتَهُ كَانَتْ مِنَ الْعَجِرِينَ﴾ [سورة العنكبوت: ٣٢]. وقوله تعالى: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَاتَهُ قَدَرْنَا مِمَّنَّ الْعَجِرِينَ﴾ [سورة النمل: ٥٧].

وكذلك اخرج امرأة نوح عليه السلام من الأهل لوحدة المصير بينها وبين زوجة لوط عليه السلام في هذه الآية حيث قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِّنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَاتَمَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ [سورة التحريم: ١٠]

وقد صرحت الآية بان السبب الحقيقي للإخراج من الاهل هو الخيانة. وهنا قد تُثار شبهة وهي: ما نوع الخيانة الواردة في هذه الآية؟. وفي الجواب عن هذه الشبهة يُجتمل للخيانة وجهان:

الأول: إن المراد من الخيانة في الآية هي الخيانة العقائدية.  
الثاني: إن المراد من الخيانة في الآية



المباركة البغاء.

وفيما يلي مناقشة لهذين الاحتمالين واختيار ما يصح منهما:

مناقشة الاحتمال الأول:

إن التصريح بضرب المثل من الله تعالى في الآية يدل على معنيين:

أ. الإشارة الى القانون او السنة التي يريد الله بيانها.

ب. الإشارة إلى نوع هذا المثل. وهو

التخصص بالكفر والإيمان الذي يتناسب مع الخيانة العقائدية فقط، وهذا ما دلت عليه قرينة المقابلة بين

الكفر، في قوله تعالى ﴿ **ضَرَبَ**

**اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَمْرَاتَ نُوحٍ**

**وَأَمْرَاتَ لُوطٍ** ﴾ [سورة التحريم:

١٠]، والإيمان في قوله تعالى:

﴿ **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا**

**أَمْرَاتَ فِرْعَوْنَ** ﴾ [سورة التحريم:

١١]. وهذا تصريح بان الخيانة

الواردة في الآية موضع البحث هي

خيانة عقائدية، ومن هنا يتضح أن

السبب في خروج ابن نبي الله نوح عليه السلام

من الاهل هو لأجل الأمر الاعتقادي

المجانب للحق. وعليه إن الميزان

الحقيقي للدخول في مفهوم الأهل هو

الاعتقاد الصحيح.

مناقشة الاحتمال الثاني:

مسألة بغاء زوجات الأنبياء عليهم السلام تتنافى

مع مضمون القرآن الكريم فلو اعتمدنا

منهج تفسير القرآن بالقرآن، واخذنا

الآية من قوله تعالى ﴿ **ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا**

**لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَمْرَاتَ نُوحٍ وَأَمْرَاتَ لُوطٍ**

**كَأَنَّا نَحْتَمِلُ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ**

**فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِنَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ**

**شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ** ﴾

[سورة التحريم: ١٠] وضمنا اليها

اية الافك قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا**

**بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا نَحْسَبُهُمْ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ**

**هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ**

**مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ**

**عَظِيمٌ** ﴾ [سورة النور: ١١] لأنحصر

معنى (الخيانة) في الاحتمال الأول دون

الثاني؛ لأن آية الإفك تبرئ نساء النبي

محمد صلى الله عليه وآله وسلم من البغاء، وسبب نزول آية

الإفك يؤكد هذه الحقيقة. فقد برأ

القرآن الكريم زوجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم عائشة



فقد ذكر الطوسي بسنده عن الزهري في سبب النزول، وقال: ((وكان سبب الافك ان عائشة ضاع عقدها في غزوة بني المصطلق، وكانت تباعدت لقضاء الحاجة، فرجعت تطلبه، وحمل هودجها على بعيرها ظنا منهم بها أنها فيه، فلما صارت إلى الموضع وجدتهم قد رحلوا عنه، وكان صفوان ابن معطل السلمي الذكواني من وراء الجيش فمر بها، فلما عرفها أناخ بعيره حتى ركبته، وهو يسوقه حتى أتى الجيش بعد ما نزلوا في قائم الظهيرة))<sup>(٨)</sup>.

### الخلاصة:

يتضح مما تقدم عدة امور:

١. ان مفهوم اهل الانبياء عليهم السلام وخاصتهم سنة إلهية تحديد مصداقها منحصر

(٨) الطوسي، محمد ابن الحسن، التبيان، ج ٧، ص ٤١٥، ينظر، الطبرسي، مجمع البيان، ج ٧، ص ٢٢٨، الطبري، جامع البيان، ج ١٨، ص ١١٣، الطباطبائي، الميزان، ج ١٥، ص ٨٩، وغيرها من المصادر. اجمع عامة علماء الاسلام ان عرض النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسائر الأنبياء عليهم السلام مصان من البغاء.

بيدا الله تعالى وهي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالخلافة الإلهية. وهي ليست من العموم الذي يمكن أن يخصص بل هي سنة الهية لا تقبل العموم حتى يرد فيها الخاص.

٢. ان مسألة الخيانة من وجهة نظر القرآن التي تجوز على نساء الأنبياء عليهم السلام هي الخيانة في الاعتقاد حصراً دون غيرها.

٣. ان مسألة البغاء لا تجوز على نساء الانبياء عليهم السلام، بل تعد طعناً بهم عليهم السلام، فكل رواية تثبت عكس ذلك وتتهم عرض الانبياء عليهم السلام فهي موضوعة حتماً؛ لأنها تخالف القرآن الكريم.

والسنة الشريفة تعضد ذلك روى ابن عساكر عن ابن إسحاق عن سفيان الثوري عن أشرس الخراساني يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((ما بغت امرأة نبي قط))<sup>(٩)</sup> وان كان مرفوعاً لكنه يشير الى موافقته لكتاب الله تعالى والحديث نفسه يرويه أيضاً

(٩) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٥٠، ص ٣١٨.





- الصنعاني بسنده عن ابن عباس<sup>(١٠)</sup>.  
 اما كلمة (قط) التي تفيد النفي في الحديث فإنها تدل على وجود سنة تنافي العموم والخصوص.
٤. إن مسألة تحديد مصداق السنة الالهية للدخول في مفهوم الاهل وان كانت من مخصصاته سبحانه لكنها تتوقف على اهم اركانها وهو الاعتقاد الصحيح والثبات على دين الله تعالى.
٥. يستفاد من الاصل القرآني في مفهوم الاهل رفض كل رواية وحديث لا ينسجم معه.
- أهل بيت النبي الخاتم ﷺ وخاصته:**  
 خاتمة الرسل تحققت بأشرف وافضل رسل الله تعالى وهو النبي محمد ﷺ فمن المؤكد أن يكون اهل بيته افضل واشرف من اهل بيت كل نبي.  
 وعلى هذا الاساس يتبادر إلى الذهن السؤال الآتي وهو: مَنْ هم أهل بيت سيد المرسلين ﷺ وخاصته؟ وهل أشار
- القرآن إلى هذا الأمر؟  
 وفي صدد الإجابة عن هذا السؤال نذكر عدة آراء<sup>(١١)</sup> في بيان المقصود من أهل بيت النبي ﷺ:
١. إن المراد بأهل البيت في آية التطهير خصوص نساء النبي ﷺ وهو قول عكرمة.
٢. ان المراد من أهل بيت النبي ﷺ أصحاب الكساء وهم (علي، وفاطمة، والحسن والحسين ﷺ) فضلا عن زوجات النبي. وهو رأي مردود بالحجة نفسها كما في الرأي الأول.
٣. إن المراد من أهل بيت النبي ﷺ هم خصوص (علي، وفاطمة، والحسن والحسين). فكل من الرأي الأول والرأي الثاني ينافي الأصل القرآني الذي اسسناه في ما تقدم من البحث المتمثل بان أهل النبي ﷺ سنة إلهية خارجة عن نطاق التحديد البشري. ولم يبقَ لنا إلا الرأي الثالث الذي
- (١٠) الصنعاني، عبد الرزاق، تفسير القرآن، ج٢، ص٣١١.  
 (١١) ينظر: العاملي، جعفر مرتضى، أهل البيت في آية التطهير، ص ٢١-٢٢.

سنقيم عليه الدليل عند تتبع مفردة (أهل البيت) في القرآن أولاً، ومن ثمّ في الحديث ثانياً.

أولاً: مفردة اهل البيت في القرآن الكريم:

وردت مفردة أهل البيت ثلاث مرات في القرآن الكريم:

الأولى: في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا أَنْعَجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ، عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴾ [سورة هود: ٧٣]، وفي هذه الآية تحديد لمصداق أهل بيت النبي إبراهيم عليه السلام إذ عبر القرآن الكريم بأهل البيت بعد أن جاءت الملائكة بالبشرى لإبراهيم عليه السلام وزوجته سارة حامل بإسحاق عليه السلام وهذا واضح من السياق القرآني في هذه الآية مما يدل على أن الزوجة تدخل في مفهوم الاهل فكانت سارة زوجة إبراهيم عليه السلام داخلة فيه كما دخل إبراهيم وإسحاق عليه السلام.

الثانية: قوله تعالى: ﴿ وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْأَمْْرَاضَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴾

[سورة القصص: ١٢]. والمراد من هذه الآية ان لنبي الله موسى عليه السلام أهل بيت يحسنون تربيته وهم خاصته كأمه وأخيه هارون وأخته عليه السلام. وهذا واضح من قوله تعالى: ﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ آئِهِ كَمَا نَقَرْنَا عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ مِنْ الْكَاذِبِينَ ﴾

[سورة القصص: ١٣]. حيث حرم الله على موسى عليه السلام المراضع دون امه، قال الطباطبائي: ((التحريم في الآية تكويني لا تشريعي ومعناه جعله بحيث لا يقبل ثدي مرضع ويمتنع من ارتضاعها))<sup>(١٢)</sup>. وهذا صريح من قوله تعالى: ﴿ وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْأَمْْرَاضَ مِنْ قَبْلُ ﴾ [سورة القصص: ١٢]. وتحريم المراضع دليل على أن المراد من (أهل بيته) هم خاصته. وقال أيضاً: ((إن السياق يدل على أن هناك حذفاً كأنه قيل: وحرمتنا عليه المراضع غير أمه من قبل أن تجيء أخته فكلما أتوا له بمرضع لترضعه لم يقبل ثديها فلما جاءت أخته

ترضعه لم يقبل ثديها فلما جاءت أخته

(١٢) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان، ج ١٦، ص ١٣.



ورأت الحال قالت عند ذلك لفرعون: هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لنفعكم وهم له ناصحون؟)) (١٣).

الثالثة: قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [سورة الأحزاب:

٣٣]. ذكرت هذه الآية المباركة مفردة اخرى لأهل البيت، وفي هذه المرة خاصة بالنبي محمد ﷺ، ولكنها بخصوصية زائدة وهي التطهير من الرجس وهي اعلى مراتب التطهير التي تدل على العصمة، ولو ضمنا إليها الآيات من

قوله تعالى ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾

[سورة الواقعة: ٧٧ - ٧٩]. لتبين أن المراد من الطهارة في هذه الآية المادية والمعنوية ولا تعارض بينهما؛ لأن الطهارة المادية تؤثر على الطهارة المعنوية لفهم حقائق القرآن الكريم، وتعد طهارة النبي ﷺ وأهل البيت ﷺ الأعلى على الاطلاق بين البشر، وفي هذا السياق قال صاحب الأمثل: ((وما لا

شك فيه أن شخص الرسول ﷺ والأئمة المعصومين ﷺ والملائكة المقربين هم أوضح مصداق للمقربين الذين أدركوا حقائق القرآن الكريم بصورة متميزة عن الجميع)) (١٤).

كما تقدم نعلم أن إدراك معاني القرآن وفهمها بشكلها الأكمل التام منحصر بالنبي ﷺ وأهل بيته ﷺ، وإذا ضمنا إليها الأصل القرآني المتقدم والمتمثل بأن أهل الأنبياء ﷺ في مفهومه ومصداقه سنة إلهية وحقيقة قرآنية تبين لنا معنى محدد ومعين لأهل البيت.

وعلى هذا الأساس فأهل البيت مجموعة محددة وخاصة من أهل بيت النبي ﷺ والأداة {إِنَّمَا} تفيد حصر التطهير بأهل بيت النبي ﷺ بشكل خاص كما أن تحديد هذا المفهوم وتعيين مصداقه بيد الله تعالى.

### المصداق القرآني لأهل البيت:

فهل بين لنا القرآن من هم أهل

(١٤) الشيرازي، ناصر مكارم، الامثل، ج ١٧، ص ٥٠٢.

(١٣) المصدر نفسه.





بيت النبي ﷺ؟.

في ضوء المنهج الأثري واقصد تفسير القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بالسنة نستبين الإجابة عن السؤال السابق فأية المباهلة شاهدة على هذه الحقيقة، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [سورة آل عمران: 61]، وإذا ضمنا إليها آية التطهير قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [سورة الأحزاب: 33] يظهر المصداق الحقيقي لأهل البيت وهم خاصة النبي ﷺ المطهرون من الرجس.

وقصة نزول هذه الآية هي: أن النبي ﷺ خرج لمباهلة نصارى نجران لإثبات دعوته الحقّة واخرج معه خاصته من أهل بيته دون غيرهم من سائر نسائه وهذا يبين لنا أن الأمر من الله تعالى بإخراج هؤلاء الخاصة الذين تتوقف عليهم دعوة صدق النبوة

بالمباهلة، وهم المصداق الحقيقي لأهل بيت النبي ﷺ، وهم (علي، وفاطمة، والحسن والحسين ﷺ). قال الترمذي في تفسير آية المباهلة: ((دعا رسول الله ﷺ عليا وفاطمة وحسنا وحسينا، فقال: اللهم هؤلاء أهلي))<sup>(١٥)</sup>، وقال آخر: ((ويروي أصحاب التفسير بالمأثور. إن رؤساء النصارى قالوا لبعضهم بعد أن اتفقوا على موعد المباهلة: إن باهلنا بقومه باهلناه. فإنه ليس نبياً. وإن باهلنا بأهل بيته خاصة لم نباهله. فإنه لا يقدم إلى أهل بيته إلا وهو صادق))<sup>(١٦)</sup>.

وهذا المعنى متواتر في الاخبار، فقد قال الحاكم: ((وقد تواترت الاخبار في التفاسير عن عبد الله بن عباس وغيره أن رسول الله ﷺ أخذ يوم المباهلة بيد علي وحسن وحسين وجعلوا فاطمة وراءهم ثم قال هؤلاء أبناؤنا وأنفسنا ونساؤنا فهلّموا أنفسكم وأبناءكم

(١٥) الترمذي، سنن الترمذي، ج٤، ص٢٩٣-٢٩٤، ج٥، ص٣٠٢.

(١٦) سعيد أيوب، معالم الفتن، ج١، ص١٠١.



عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا  
مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ  
الدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ [سورة التحريم: ١٠].

ثانياً: المصداق الروائي لمعنى أهل  
البيت:

والسنة موافقة للأصل القرآني، إذ  
قال الطحاوي بسنده عن فهد، حدثنا  
أبو غسان، حدثنا فضيل بن مرزوق،  
عن عطية، عن أبي سعيد، عن أم سلمة:  
(قالت: نزلت هذه الآية في بيتي:  
﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ  
أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، فقلت:  
يا رسول الله، ألسنتُ من أهل البيت؟  
فقال: أنت على خير إنك من أزواج  
النبي ﷺ وفي البيت علي، وفاطمة،  
والحسن، والحسين)) (١٨). فالصريح من  
الرواية أن أم سلمة زوجة النبي ﷺ  
ليست من أهل البيت ﷺ.

وقال الطبراني بسنده عن شهر بن

(١٨) الطحاوي، أحمد ابن محمد ابن سلامة،  
مشكل الآثار، ج ٢، ص ٢٦٥. مصدر  
الكتاب: موقع جامع الحديث//  
<http://www.alsunnah.com> [الكتاب  
مرقم آليا غير موافق للمطبوع].

ونساءكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على  
الكاذبين)) (١٧). وعليه فهذه الآيات  
تكشف لنا المصداق الحقيقي للأهل  
في القرآن الكريم. فتخصيص الأهل  
وأهل البيت سنة منحصرة بيده تعالى،  
وهو حق ثابت له سبحانه وتعالى  
من دون خلقه كما بينا سابقاً. وليس  
للأنبياء ﷺ حق في تحديد ذلك المصداق  
وإدخال من يريدون من ذريتهم. فقول  
إبراهيم ﷺ يدل على ذلك: ﴿قَالَ وَمِنْ  
ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾  
[سورة البقرة: ١٢٤]. وعليه فإذا كان  
ابن نوح ﷺ لا يعد ولا يدخل في الأهل  
بحسب التعبير القرآني وهو ينتسب إلى  
سلالة الأنبياء ﷺ فعدم دخول غيره  
من النساء والرجال الذين لا ينتمون  
إلى النسب يكون من باب الأولى.  
فهذه بعض نساء الأنبياء لم يدخلها  
القرآن في الأهل كما في قوله تعالى:

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ  
نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ

(١٧) الحاكم النيسابوري، معرفة علوم  
الحديث، ص ٥٠.



حوشب قال: ((سمعت أم سلمة تقول: جاءت فاطمة عدية بثريد لها تحملها في طبق لها حتى وضعتها بين يديه فقال لها: وأين ابن عمك؟. قالت: هو في البيت قال: اذهبي فادعيه وأتيني بابني فجاءت تقود ابنيها كل واحد منهم في يد وعلي يمشي في أثرهما حتى دخلوا على رسول الله ﷺ فأجلسهما في حجره وجلس علي عن يمينه وجلست فاطمة رضي الله عنها في يساره قالت أم سلمة: فأخذت من تحتي كساء كان بساطنا على المنامة في البيت ببرمة فيها خزيرة فقال لها النبي: ادعي لي بعلك وابنيك الحسن و الحسين فدعتهم فجلسوا جميعا يأكلون من تلك البرمة قالت: وأنا أصلي في تلك الحجرة فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [سورة الأحزاب: ٣٣]. فأخذ فضل الكساء فغشاهم ثم أخرج يده اليمنى من الكساء وألوى بها إلى السماء ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالت أم

سلمة: فأدخلت رأسي البيت فقلت: يا رسول الله وأنا معكم؟. قال: أنت على خير مرتين)) (١٩).  
وروى الصدوق بسنده عن أبي بصير عن الصادق عليه السلام: ((قال: قلت لأبي عبد الله: من آل محمد؟. قال عليه السلام: ذريته. فقلت: من أهل بيته؟. قال عليه السلام: الأئمة الأوصياء. قلت: من عترته. قال عليه السلام: أصحاب العباء. فقلت: من أمته؟. قال عليه السلام: المؤمنون الذين صدقوا بما جاء به من عند الله عز وجل المتمسكون بالثقيلين اللذين أمروا بالتمسك بهما: كتاب الله وعترته أهل بيته، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وهما الخليفتان على الأمة بعد رسول الله ﷺ)) (٢٠).

وإتماماً للفائدة نذكر هنا المناظرة التي جرت بين الإمام الرضا عليه السلام من جهة والمأمون وعلماؤه من جهة أخرى.

(١٩) الطبراني، سليمان ابن احمد، المعجم الكبير، ج٣، ص٥٣-٥٤.  
(٢٠) الصدوق، محمد ابن علي ابن الحسين، معاني الاخبار، ص٩٤.



فقال المأمون: من العترة؟. فقال الرضا عليه السلام: الذين وصفهم الله في كتابه، فقال عز وجل ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** ﴾ [سورة الأحزاب: ٣٣]، وهم الذين قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إني مخلف فيكم الثقلين، كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، وإنما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيها، أيها الناس لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم. قالت العلماء: أخبرنا -يا أبا الحسن - عن العترة، أهم الآل، أو غير الآل؟. فقال الرضا عليه السلام: هم الآل. فقال العلماء: فهذا رسول الله صلى الله عليه وآله يؤثر عنه أنه قال: أمتي آلي. وهؤلاء أصحابه يقولون بالخبر المستفاض الذي لا يمكن دفعه: آل محمد أمته. فقال أبو الحسن عليه السلام: أخبروني هل تحرم الصدقة على الآل؟. قالوا: نعم. قال: فتحرم على الأمة؟. قالوا: لا. قال: هذا فرق ما بين الآل والأمة، ويحكم أين يذهب بكم، أضربتم عن الذكر صفحا، أم أنتم قوم مسرفون!. أما علمتم أنه

قال الصدوق في أماليه بسنده عن الريان ابن الصلت انه قال: ((حضر الرضا عليه السلام مجلس المأمون بمرور، وقد اجتمع في مجلسه جماعة من علماء أهل العراق وخراسان، فقال المأمون: أخبروني عن معنى هذه الآية ﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا** ﴾ [سورة فاطر: ٣٢]. فقالت العلماء: أراد الله عز وجل بذلك الأمة كلها. فقال المأمون: ما تقول، يا أبا الحسن؟. فقال الرضا عليه السلام: لا أقول كما قالوا، ولكني أقول: أراد الله العترة الطاهرة. فقال المأمون: وكيف عنى العترة من دون الأمة؟. فقال له الرضا عليه السلام: إنه لو أراد الأمة لكانت بأجمعها في الجنة، لقول الله تبارك وتعالى: ﴿ **فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ. وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ** ﴾ [سورة فاطر: ٣٢]. ثم جمعهم كلهم في الجنة فقال: ﴿ **جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ** ﴾ [سورة فاطر: ٣٣]. فصارت الوراثة للعترة الطاهرة لا لغيرهم.



وقعت الوراثة والطهارة على المصطفين المهتدين دون سائرهم؟. قالوا: ومن أين يا أبا الحسن؟. قال: من قول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [سورة الحديد: ٢٦]. فصارت وارثة النبوة والكتاب للمهتدين دون الفاسقين...)) (٢١).

#### الخاتمة:

يتضح مما تقدم عدة امور:

١. ان اختيار المصدق الحقيقي لأهل بيت النبي ﷺ، أمر مرجعه إلى الله تعالى حصراً دون غيره، وعلى هذا الاساس يقطع القرآن الكريم النزاع والاختلاف في ذلك ولا يجوز لأحد حتى النبي ﷺ نفسه أن يدخل من يشاء في مفهوم أهله.
٢. إن أهل بيت النبي ﷺ هم خاصته واقرب الناس به وهم: (علي، وفاطمة والحسن والحسين ﷺ) دون غيرهم.

(٢١) الصدوق، محمد ابن علي ابن الحسين، الامالي، ص ٦١٥-٦١٦.

واما العترة فهم آله وهم الذين اورثهم الله الكتاب وحديث الثقلين يشهد بذلك.

٣. كل رواية او حديث يتطابق مع الأصل القرآني في مفهوم أهل البيت ﷺ ومصادقه فهو صحيح وان كان ضعيف السند؛ لأن القرآن حاكم على السنة.

٤. زوجات النبي ﷺ غير داخلات في مفهوم أهل البيت ﷺ ومصادقه بحسب المفهوم القرآني.

والحمد لله رب العالمين.

#### المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم
١. ابن أبي شيبة الكوفي، عبد الله بن محمد، المصنف، تحقيق وتعليق: سعيد اللحام، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: جماد الآخرة ١٤٠٩ - ١٩٨٩ م.
  ٢. سسابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: علي شيري، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع -



- بيروت - لبنان، المطبعة: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٥.
٣. ابن فارس، احمد ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، (د. ط)، سنة الطبع: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٤. الترمذي، للإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة، سنن الترمذي، تحقيق وتصحيح عبد الرحمن محمد عثمان، الناشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان، سنة الطبع ١٤٠٣ - ١٩٨٣م، الطبعة الثانية.
٥. الجوهري، محمد، الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، الناشر: دار الملايين - بيروت لبنان، الطبعة: الرابعة، سنة الطبع: ١٤٠٧ - ١٩٨٧م.
٦. الحاكم النيسابوري، محمد ابن عبد الله، معرفة علوم الحديث، تحقيق:
- لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديد، الناشر: منشورات دار الآفاق الحديث - بيروت، سنة الطبع: ١٤٠٠ - ١٩٨٠م، الطبعة: الرابعة.
٧. الحلواني، الحسين بن محمد بن الحسن، نزهة الناظر وتنبية الخاطر، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، الناشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام - قم المقدسة، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٠٨.
٨. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، الناشر: دفتر نشر الكتاب، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤٠٤.
٩. سعيد أيوب، معالم الفتن، الناشر: مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، المطبعة: سِهر الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٦.
١٠. الشيرازي، ناصر مكارم، تفسير الأمثل.
١١. الصدوق، محمد ابن علي ابن الحسين ابن بابويه القمي، الامالي، تحقيق:



قسم الدراسات الإسلامية -  
مؤسسة البعثة - قم، الناشر:  
مركز الطباعة والنشر في مؤسسة  
البعثة، الطبعة: الأولى، سنة الطبع:  
١٤١٧.

١٢. الصدوق، محمد بن علي بن الحسين  
بن بابويه القمي، معاني الأخبار،  
تحقيق: تصحيح وتعليق: علي أكبر  
الغفاري، الناشر: مؤسسة النشر  
الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين  
بقم المشرفة، سنة الطبع: ١٣٧٩ -  
١٣٣٨ ش.

١٣. الصنعاني، عبد الرزاق، تفسير  
القرآن، تحقيق: الدكتور مصطفى  
مسلم محمد، الناشر: مكتبة الرشد  
للنشر والتوزيع الرياض - المملكة  
العربية السعودية، الطبعة: الأولى،  
سنة الطبع: ١٤١٠ - ١٩٨٩ م.

١٤. الطباطبائي، محمد حسين، تفسير  
الميزان، الناشر: منشورات جماعة  
المدرسين في الحوزة العلمية - قم  
المقدسة.

١٥. الطبراني، المعجم الكبير، سليمان

ابن أحمد، تحقيق: تحقيق وتخريج:  
حمدي عبد المجيد السلفي، الناشر:  
دار إحياء التراث العربي، الطبعة:  
الثانية، مزيدة ومنقحة، سنة الطبع:  
١٤٠٦ - ١٩٨٥ م.

١٦. الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان  
في تفسير القرآن، تحقيق: تحقيق  
وتصحيح: أحمد حبيب قصير  
العاملي، الناشر: مكتب الإعلام  
الإسلامي، المطبعة: مطبعة مكتب  
الإعلام الإسلامي، الطبعة:  
الأولى، سنة الطبع: رمضان المبارك  
١٤٠٩.

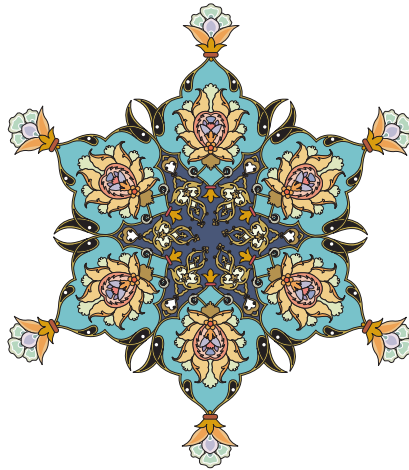
١٧. العاملي، جعفر مرتضى، أهل  
البيت في آية التطهير، المركز  
الإسلامي للدراسات - بيروت  
- لبنان، المطبعة: المركز الإسلامي  
للدراسات، الطبعة: الثانية مزيدة  
و منقحة، سنة الطبع: ١٤٢٣ -  
٢٠٠٣ م.

١٨. العسكري، أبي هلال، معجم  
الفروق اللغوية، تحقيق: مؤسسة  
النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة



أهل بيت النبوة مفهوم ومصداق قرآني ..... المصباح

النشر الإسلامي التابعة لجماعة  
المدرسين بقم المشرفة، الطبعة:  
الأولى، سنة الطبع: شوال المكرم  
١٤١٢ ابن فارس، احمد ابن فارس،  
معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد  
السلام محمد هارون، الناشر:  
دار الفكر، (د. ط)، سنة الطبع:  
١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.  
١٩. محمد جبار جاسم، سنة الخلافة  
والإمامة في القرآن الكريم، الناشر:  
مجلة المصباح الصادرة عن العتبة  
الحسينية، العدد ١٦، سنة الطبع:  
٢٠١٤م.





سورة التوبة

فَاللَّيْلِ إِذَا يَأْتِي وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ

وَاللَّيْلِ إِذَا يَأْتِي وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ  
وَاللَّيْلِ إِذَا يَأْتِي وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ  
وَاللَّيْلِ إِذَا يَأْتِي وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ

# باطن القرآن الكريم جدلية الإثبات والمعنى والمنشأ

د. علي الحواني

جامعة المصطفى العالمية

قم - جمهورية ايران الاسلامية

## فحوى البحث

تعد مسألة (بطون القرآن) من المسائل المثيرة للجدل في مباحث التفسير والتأويل. فهناك من ينكر وجود أدلة صحيحة على ثبوتها، وهناك من يغالي في ثبوتها على حساب الظاهر، وهناك من يؤكد على ضرورة الوقوف على بواطن القرآن مع الاختلاف في معانيها. تطرق الباحث الى اتجاهات فكرة وجود بطون للقرآن، والادلة التي أقيمت على هذا الوجود مع بيان معانيها. وقد عرض السيد الباحث اتجاهين في بيان منشأ ذلك هما:

- الاتجاه المعرفي .

- الاتجاه الوجودي .

وبين ان كل اتجاه تنبثق منه تكييفات مختلفة لحقيقة البطون ومناشئها.

## تمهيد:

ويتمثل هذا الاتجاه في رعييل من المفسرين والفقهاء والأصوليين والمتكلمين.

وقد استدلل كثير من العلماء على أهمية الوقوف على المعنى الباطن لآيات القرآن- وخاصةً في الآيات المتشابهة- واعتبره البعض مقدماً على المعنى الحرفي، فهذا أبو إسحاق الشاطبي، الذي انتقد الظاهريين في كتابه (الموافقات)، يرى أنّ المعنى الباطن في كثير من الآيات المتشابهة، هو الذي يتخذ العقيدة من التناقض، ثم يقدم المعنى الباطن على المعنى الحرفي؛ يقول في هذا الصدد: ((وعلى الجملة، فكلّ من زاع ومال عن الصراط المستقيم، فبمقدار ما فاته من باطن القرآن فهماً وعلماً، وكلّ من أصاب الحق وصادف الصواب، فعلى مقدار ما حصل له من فهم باطنه))<sup>(١)</sup>.

إنّ الجدلية القائمة بين الظاهر والباطن وموقعها المركزي في ظاهرة التأويل، تدعونا للبحث عن مناشئ البطون في القرآن الكريم، ودراسة

(١) الشاطبي، أبو إسحاق، الموافقات في أصول الشريعة ص ٦٥١.

شغلت مسألة الظاهر والباطن حيزاً كبيراً في الفكر الديني عامّة، وفي مباحث التفسير والتأويل خاصّة، والذي نلاحظه في تراثنا الإسلامي تباين المواقف إزاء نقد فكرة المعنى (الباطن) إلى ثلاثة اتجاهات: الاتجاه الأول: الاتجاه الذي يسرف في الحطّ من منزلة الظاهر وإنكارها، ويُعلي من شأن الباطن على حساب الظاهر، وهو اتجاه الفرق الباطنية والغلاة وبعض المتصوفة.

الاتجاه الثاني: الاتجاه الذي جمد أصحابه على الظاهر، ورفضوا كلّ ضروب التأويل ومقولات البطون، ويمثّل هذا الاتجاه المذهب الظاهري وبعض السلفيين.

الاتجاه الثالث: اتجاه معتدل، حاول أن يسلك مسلكاً وسطاً في التعامل مع فهم النصّ، مؤكّداً على عدم التفريط بالظاهر على حساب الباطن، أو بالباطن على حساب الظاهر، ومشدّداً على أن يكون للظاهر أحكامه وللباطن أحكامه، ومؤكّداً على علاقة الباطن بالظاهر،



النظريات المطروحة في هذا المجال، وقبل كل هذا أرى من الضرورة أن نستجلي حقيقة البطون ومعانيها؛ لأنني أرى اختلافاً واسعاً واضطراباً مستمراً في تحديد معاني بطون القرآن الكريم، بل هناك تشكيكا في أدلتها، وصعوبة التفريق - عند البعض - بينها وبين التفسير الباطني.

### أدلة بطون القرآن:

إن وجود بطون للقرآن الكريم أمر ممكن من الناحية الثبوتية، ولا يلزم منه أيّ محذورٍ عقلي أو عقلائي، كذلك من الناحية الإثباتية توجد أدلة متعدّدة على ذلك:

١. مقايسة أهداف النصّ مع محدودية الألفاظ:

إنّ الهدف الذي ينشده القرآن هو هداية الناس وتأمين سعادتهم في الحياة الدنيا والآخرة، وهذا الهدف لا يتحقق إذا لم تتوفر الشريعة على نصوص جامعة، لكلّ ما يحتاجه الفرد والمجتمع من إرشادات وتعاليم، تحدّد مسارات الحياة الإنسانية على مرّ العصور واختلاف

الأحوال، وإلاّ فلازم نفي شمولية الشريعة عدم إيفاء القرآن بالهدف المرسوم له، وهذا يعني أنّ هناك قصوراً في النصّ، أو تقصيراً في إبلاغ الوحي من قِبل النبيّ، وكلاهما محال عقلاً.

في نهج البلاغة نجد إشارة إلى هذا الاستدلال في قول أمير المؤمنين عليه السلام:

((أم أنزل الله ديناً ناقصاً فاستعان بهم على إتمامه، أم كانوا شركاء له، فلهم أن يقولوا وعليه أن يرضى، أم أنزل ديناً تاماً فقصر عن تبليغه وأدائه، والله سبحانه يقول: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [سورة الانعام: ٣٨]، وفيه تبيان لكل شيء؟!))<sup>(٢)</sup>.

كما نلاحظ من جهة أخرى أنّ ظاهر القرآن لم ينطق ببيان جميع الفروع وجزئيات الأحكام؛ لأنّ بيان المعارف التي تتعلق بهذا الهدف الكبير على مستوى ظاهر العبارة في قالب لفظي محدود أمر غير ممكن.

إذاً، لا بدّ من أن نفترض أنّ جزءاً

(٢) نهج البلاغة، شرح محمد عبدة، ج ١، ص ٥٥، الخطبة ١٨.



الضرورية لسعادة البشر في قالب ألفاظ القرآن المحدودة أمر غير ميسر، فإنّ قسماً مهماً من هذه المعارف بيّنت في قالب معاني الباطن، وبما أنّ هذه المعاني الباطنية لم تكن قابلة للفهم على أساس القواعد العقلانية للمحاورة بالنسبة لجميع الأفراد، فلا طريق لتحصيلها إلاّ بالاستفادة من بيانات النبي ﷺ والأئمة المعصومين (عليهم السلام) (٤).

## ٢. طلاقة النصّ وعموم التشريع:

يمتاز النصّ القرآني بعموميته وإطلاقه، بمعنى أنّ الحقائق والمعارف القرآنية لم تشرّع لزمانٍ دون زمان ولا لحالٍ دون حال، وأحكامه لا تتقيّد بفردٍ دون فرد، بل هي كالأمثال تسري في كلّ مورد مشابه، ولا تختصّ بموردها، وإنّما تتعداه إلى ما يناسبها أو يماثلها، وتجري في كلّ ما تتحدّ معه (ملاكاً أو مفهوماً).

## ٣. الأدلة القرآنية:

استند بعض العلماء من الفريقين إلى إطلاق أو عموم بعض الآيات القرآنية؛

(٤) بابائي، علي أكبر، وآخرون، روش شناسی تفسیر قرآن (فارسي)، ص ٢٥٣.

هاماً من هذه التفاصيل يُبيّن في قالب البطون التي ينطوي عليها النصّ، وهذه المعاني الخفية، تكون في أغلب الأحيان غير قابلة للاستنباط، ولا تناولها الأفهام بالاستفادة من قواعد المحاوراة العقلانية، ولهذا السبب سمّيت بالبطون، وليس هناك طريق إلى بيانها إلاّ عن العالمين ببطون القرآن وتأويله، وهم أهل الذكر، قال علي (عليه السلام): ((ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق لكم، أخبركم عنه، إنّ فيه علم ما مضى، وعلم ما يأتي إلى يوم القيامة، وحكم ما بينكم، وبيان ما أصبحتم فيه تختلفون، لو سألتموني عنه لعلمتكم)) (٣).

يكتب جماعة من الدارسين في هذا المجال: ((إنّ القرآن في عين كونه كتاب هداية للإنسان وتحدّث مع الناس بلسانهم، إلاّ أنّه من جانب آخر بيان لجميع المعارف المؤثرة في حياة الإنسان، وبما أنّ بيان جميع المعارف والشروط

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ١، ص ٦٠، ح ٧؛ نهج البلاغة، ج ٢، ص ٥٤ (باختلاف يسير).



لإثبات وجود البطون في القرآن، من جملتها تعبير، ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [سورة الانعام: ٣٨] و ﴿ وَزَلَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيِّدًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [سورة النحل: ٨٩] وقوله: ﴿ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [سورة يوسف: ١١١]؛ بملاحظة أنّ كلمتي (تبيان) و(تفصيل) اضيفتا إلى (كل شيء) وفي ذلك دلالة على الشمول والإطلاق على النحو الذي يستوعب كل الأشياء بما يتناسب مع أهداف الدين وله صلة بهداية الانسان، ومن المعلوم أنّ الاستناد إلى الفهم الذي يمارسه الأفراد طبقاً لأصول المحاوره العرفية وقواعد اللغة، لا يمكنهم من استنباط كل شيء من ظواهر القرآن، فعلى هذا لا بدّ أن يكون جزء عظيم من هذه المعارف يستبطنها النصّ القرآني ويفهمها ولو (أفراد خاصون).

يعتقد الألوسي أنّ هذه الآيات تلزمنا بالاعتراف باشتغال القرآن على معانٍ باطنة محتجبه خلف الألفاظ، إذ يقول: ((ولا ينبغي لمن له أدنى مسكة من عقل، بل أدنى ذرة من إيمان، أن

ينكر اشتغال القرآن على بواطن فيفيضها المبدأ الفيّاض على بواطن من شاء من عباده، ويا ليت شعري!. ماذا يصنع المنكر بقوله تعالى: ﴿ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [سورة يوسف: ١١١]، وقوله: ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [سورة الانعام: ٣٨]، ويا لله تعالى العجب! كيف يقول باحتمال ديوان المتنبّي وأبياته المعاني الكثيرة ولا يقول باشتغال قرآن النبي ﷺ وآياته - وهو كلام رب العالمين المنزل على خاتم المرسلين - على ما شاء الله تعالى من المعاني المحتجبه وراء سرادقات تلك المباني ﴿ سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ ﴾ [سورة النور: ١٦]؟! (٥).

#### ٤. الأدلة الروائية:

هناك من يقول بأنّ روايات الظاهر والباطن كلّها إمّا موضوعة أو ضعيفة السند؛ لأنّها إمّا مرسله، أو مرفوعة، أو مقطوعة (٦)، لكن هذا غير صحيح؛ لأنّه

(٥) الألوسي، شهاب الدين، أبو الفضل محمود الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج ١، ص ٧-٨.  
(٦) ابن تيمية، التفسير الكبير، ج ٢، ص ٤١؛ وانظر أيضاً: ابن عاشور، التحرير



باطن عميق ليس له حدّ ومنتهى ينتهي إليه، ولا تدرك العقول نهايته.

فهناك في المصادر الشيعية روايات عديدة، بعضها صحيحة السند، دلّت بصراحة على أنّ لجميع القرآن ظاهر وباطن، مثلاً رواية الفضيل بن يسار، في سؤاله للإمام الباقر -والذي يستفاد منها أنّ الإمام عليه السلام أثبت أصل وجود البطن والظهر في كلّ آية، وفسّر الظهر والبطن -قال: سألت أبا جعفر، عن هذه الرواية: ((ما من آية إلاّ ولها ظهر وبطن))، فقال: ((ظهر القرآن تنزيله وبطنه تأويله، منه ما قد مضى، ومنه ما لم يكن، يجري كما تجري الشمس والقمر، كلما جاء فيه تأويل شيء منه يكون على الأموات كما يكون على الأحياء، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [سورة آل عمران: ٧] نحن نعلمه))<sup>(٧)</sup>.

وحديث جابر بن يزيد الجعفي، عن

(٧) الصفار، محمد بن الحسن بن فروخ، بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد، ص ٢١٦؛ ورواها العياشي في تفسيره ج ١، ص ٤٩.

على أقلّ التقادير توجد لدينا مجموعة روايات منها بسندٍ صحيح أو معتبر أو موثّق، وروايات في المصادر السنيّة وصفوها بالصحة أو الحسن، ومنها ما يدلّ صراحة على وجود بواطن للقرآن، ومنها ما يدلّ التزاماً على ذلك، ونذكر - هنا - بعض من هذه الروايات القابلة للاعتقاد:

أ. روايات صريحة في (البطون):

يستند بعض العلماء في إثبات المعنى الباطن في القرآن إلى الروايات الغفيرة المنقولة عن طريق الفريقين، والتي فيها دلالة صريحة على وجود ظاهر وباطن للقرآن، ومعنى عميق بعيد المنال، كما يفهم من بعضها أيضاً، إنّ ما يميّز القرآن عن غيره من الكلام هو ليس كونه له ظاهر وباطن فحسب، وإنّما له ظاهر محكم ووثيق يصل إلى حدّ الإعجاز، وله

والتنوير، ج ١ ص ٣٤ حيث ينكر وجود روايات صحيحة السند؛ وانظر: ابن حزم، الاحكام في اصول الاحكام، ج ٣، ص ١٧١، حيث يتردد في وجود بطون للآيات ويعتبر الروايات الدالة على وجود البطون مرسلة.





الإمام الباقر عليه السلام الذي يقول فيه: ((يا جابر، إنَّ للقرآن بطناً، وللبطن بطن، وله ظهر، وللظهر ظهر..))<sup>(٨)</sup>.

في كتاب (من لا يحضره الفقيه) رواها الصدوق، عن عبد الله بن سنان، قال: أتيت أبا عبد الله فقلت له: جعلني الله فداك ما معنى قول الله عز وجل: ﴿ثُمَّ لَيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾؟ قال:

((أخذ الشارب، وقصّ الأظفار، وما أشبه ذلك)). قال: قلت: جعلت فداك، فإنّ ذريحاً المحاربي حدثني عنك أنّك قلت: ((ليقضوا تفثهم)): لقاء الإمام **﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾** (المناسك)).

قال عليه السلام: ((صدق ذريح وصدقت، إنّ للقرآن ظاهراً وباطناً، ومن يحتمل ما يحتمل ذريح))<sup>(٩)</sup>.

كذلك حسنة حمران بن أعين، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ((ظهر القرآن الذي

(٨) العياشي، أبو النظر محمد بن مسعود، تفسير العياشي، ج ١، ص ١٢.

(٩) الصدوق، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٤٨٥؛ الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٤، ص ٥٤٩. وسند الرواية مورد اتفاق.

نزل فيهم، وبطنه الذين عملوا بمثل أعمالهم))<sup>(١٠)</sup>.

وهناك روايات أخرى عن أهل السنّة، منقولة عن النبي صلى الله عليه وآله وبعض الصحابة، تدلّ بشكل صريح على وجود بطون للقرآن الكريم:

منها رواية أخرجها ابن حبان في صحيحه، عن ابن مسعود، عنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((نزل القرآن على سبعة أحرف، لكل آية منها ظهر وبطن)) وهذه الرواية صحّحها ابن حبان<sup>(١١)</sup> وثقها الهيثمي واعتبر رجالها ثقات<sup>(١٢)</sup>.

عن الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وآله: ((ما منه آية إلاّ ولها ظهر وبطن، وما فيه حرف إلاّ وله حدّ، ولكلّ حدّ مطلع))<sup>(١٣)</sup>.

أيضاً هناك حديث منقول بطرق

(١٠) العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي، ج ١، ص ١١.

(١١) ابن حبان، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، ج ١، ص ٢٧٦.

(١٢) الهيثمي، ابو بكر، مجمع الزوائد، ج ٧، ص ١٥٢.

(١٣) ابن حزم، علي بن احمد، الإحكام في أصول الأحكام، ج ١، ص ٢٨٧-٢٨٨؛ المتقي الهندي، كنز العمال، ج ١، ص ٥٥٠.



فقد كان علي عليه السلام يستند إلى جملة من النصوص في قتاله في حرب البصرة، وكان يتلو الآية: ﴿ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴾ [سورة التوبة: ١٢]. ثم يقول: ((والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، واصطفى محمداً بالنبوة، إثمهم لأصحاب هذه الآية، وما قوتلوا منذ نزلت))<sup>(١٥)</sup>، ولا شك إن هذه تطبيقات لفاهيم الكتاب على مسائل مستحدثة آلت إليها أحوال الأمة، وكان علي عليه السلام هو المعني بتطبيق أحكام القرآن، كما ينص الحديث المتقدم.

وعلى هذا الأساس، لا مجال لتوهم البعض، ك(ابن تيمية) حينما سئل عن حديث بطون القرآن فأجاب: أن أحاديث بطون القرآن مكذوبة<sup>(١٦)</sup>، مع

(١٥) الحميري، أبو العباس عبد الله، قرب الإسناد، ص ٩٧؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٨، ص ٤٠٣؛ وروى نحوه العياشي في تفسيره، ص ٧٧، ص ٢٣.

(١٦) ابن تيمية، أحمد، التفسير الكبير، ج ٢، ص ٤١.

متعددة في مصادر الشيعة وأهل السنة وبعضها صحيح، أن رسول الله ﷺ قال: ((إن منكم من يقاتل بعدي على التأويل، كما قاتلت على التنزيل))، فسئل: من هو؟ فقال عليه السلام: خاصف النعل، يعني أمير المؤمنين عليه السلام<sup>(١٤)</sup>.

والتأويل - هنا - هو أحد معاني البطون، كما ورد في بعض الروايات، وعليه فإن هذا الحديث يدل على وجود بواطن للقرآن الكريم؛ لكون الآيات التي يستند إليها صاحب التأويل في وجوب قتال أهل البغي ليست نصاً في خصوص طائفة منهم، وإنما تكون شاملة لهم بعمومها وإطلاقها بعد حذف الخصوصيات التي تكتنف النص، وتنقيح المناط، ثم تطبيقه على هؤلاء، أو أن ينظر إليهم على أنهم مصداقاً جديداً تجري فيه آيات الجهاد، حيث إن المصاديق المتحققة في الأجيال التي تلي عصر الوحي تُعد تأويلاً، في مقابل مصاديق عصر النزول التي تُعد تنزيلاً.

(١٤) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٥، ص ١٤.



توافر الروايات الصحيحة والصريحة،  
ومنتولة في مصادر الفريقين.

ب. روايات التأويل:

كما يمكن أن يستدلّ على وجود  
البطن، بمجموعة من الروايات  
التأويلية الواردة في مباحث التفسير  
المأثور عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، والتي لم  
تذكر البطن صراحة، لكن تدلّ بالالتزام  
على وجود معنى باطن في الآية. مثلاً:  
ورد في الحديث عن الإمام جعفر  
الصادق عليه السلام في ذيل الآية: ﴿فَسَاءَ أَهْلَ  
الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة النحل:  
٤٣]، قال: ((نحن أهل الذكر، ونحن  
المسؤولون))<sup>(١٧)</sup>.

وأمثال هذه الرواية كثير جداً ماثوث  
في مباحث التفسير، وهي جميعاً تشير إلى  
مصاديق أو دلالة خفية، أعمق وأوسع  
من المعنى التنزيلي الظاهر من لفظ الآية،  
ولازم ذلك ثبوت هذا المعنى الباطن في  
هذه الآيات.

وليس معنى هذا أنّ هذه الروايات

(١٧) العياشي، محمد بن مسعود، تفسير  
العياشي، ج ٢، ص ٢٦ حديث ٣٢.

تنفي المصداق أو المعنى الظاهر من  
الآية، بدليل أنّ بعضها - كما في رواية  
عبد الله بن سنان - ذكرت المصداق أو  
المعنى الظاهر، وفي نفس الوقت أشارت  
إلى المصداق أو المعنى الباطن فيها.

### معاني البطن:

حقيقة (المعنى الباطن) يمكن  
التماسها من النصوص الروائية؛ لأنّ  
المستند أو الدليل الذي يطمئن إليه في  
إثباتها هو الروايات نفسها، وقد أشارت  
بعضها إلى معنى (البطن) بشكل صريح،  
وأخرى ذكرت مصاديق بطون بعض  
الآيات معبرة عنه بـ(التأويل)، ومن  
خلال مراجعتنا للنصوص المتقدمة  
يمكن أن نسجّل نتيجة هي: أنّ مصطلح  
البطن قد استعمل بمعناه اللغوي، أيّ  
مطلق المعنى المستبطن في الآية، الخفيّ  
عن الأنظار في بدء الأمر، وهذه المعاني  
لها مصاديق عديدة ذكرتها الروايات  
المأثورة عن أهل البيت عليهم السلام، وطبقاً لهذه  
النصوص يمكن أن نسجّل هنا عدّة  
معاني لمفهوم (البطن):

١. البطن بمعنى (التأويل):



آخر صحيح، عن الإمام الكاظم عليه السلام:  
((إذا غاب إمامكم فمن يأتيكم بإمام  
من جديد)) (١٩).

وكذلك تطبيق قوله تعالى: ﴿وَرِيدٌ  
أَنْ تَمَنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا فِي الْأَرْضِ  
وَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَجَعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾  
[سورة القصص: ٥] على أهل البيت في  
عصر الظهور (٢٠).

## ٢. الرموز والمعاني البعيدة:

في روايات متعددة -ومن بينها  
ما هو معتبر -إشارة إلى معاني بعيدة  
عن الدلالة العرفية، وأحياناً يراد منها  
الرموز والحروف والكلمات أو التراكيب  
الخارجة عن اطار قواعد اللغة وأصول  
المحاورة العقلائية. كما هو في تفسير  
الآيات (١٩ - ٢٢) من سورة الرحمن  
﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ... يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ

(١٩) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي،  
ج ١، ص ٣٤٠؛ أنظر: الصدوق،  
محمد بن علي بن الحسين، كمال الدين،  
ص ٣٥١.

(٢٠) الحسكاني، عبد الله بن احمد، شواهد  
التنزيل، ج ١: ص ٥٥٦٥، ح ٥٩٠؛  
الطوسي، الغيبة، ص ١٨٤.

إن مفهوم (التأويل) وإن كان  
مغايراً لمفهوم (البطن)؛ إلا إنها قد  
يتحدان معا في بعض النصوص، فربما  
يطلق (التأويل) ويراد منه (البطن).  
وربما يكون العكس، بأن يطلق لفظ  
(البطن) ويراد منه وجوه التأويل.

ويقصد بالتأويل - هنا - التحقق  
العيني لمصاديق الآيات في الخارج؛  
أي أن للآية مورد نزول يكشف  
عن مدلولها الأولي ويعبر عنه بسبب  
النزول، ولها مصداق باطن تنطوي  
عليه الآية لم يتحقق حين النزول،  
والآية تشير بعمومها إلى ما سيؤول إليه  
هذا المصداق الباطن فيما بعد على مر  
الزمان، كما في بعض الآيات التي فسرت  
في المهدي عليه السلام، منها الآية الشريفة: ﴿قُلْ  
أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ  
مَعِينٍ﴾ [سورة الملك: ٣٠]، قال عليه السلام:  
(والله ما جاء تأويل هذه الآية ولا بد  
أن يجيء تأويلها)) (١٨).

والمراد من تأويلها كما في حديث

(١٨) المجلسي، بحار الانوار، ج ٥٢، ص ٥١،  
باب الآيات المؤولة بقيام القائم.



وَأَمْرَجَاتُ ﴿ [سورة الرحمن: ١٩ - ٢٢]

ينقل بعض المفسرين روايات عديدة: {مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ} علي وفاطمة عليهما السلام، {بَيْنَهُمَا} بَرْزَخٌ {مُحَمَّدٌ}، {يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ} وَالْمَرْجَانُ {الحسن والحسين} <sup>(٢١)</sup>.

٣. الجري والتطبيق:

عبّرت بعض الروايات (ببطن) الآية أو (تأويلها)، ويراد منها تطبيق وجري الآية على المصاديق الجديدة المتحققة في مرور الزمن بعد تجريد النص من خصوصيات النزول التي تنطبق عليها الآية ابتداءً، بناءً على تعميم المفهوم على الموارد المشابهة، هذا ما تشير إليه موثقة الفضيل بن يسار عن الإمام الباقر عليه السلام: ((ظهر القرآن تنزيله وبطنه تأويله)) <sup>(٢٢)</sup>.

وفي حديث آخر عن الفضيل عن الباقر عليه السلام: ((ظهره وبطنه تأويله، منه ما مضى ومنه ما لم يكن بعد، يجري كما

(٢١) العروسي، جمعة، نور الثقلين، ج ٥، ص ١٩٠ - ١٩١؛ الصدوق، الخصال، ج ١، ص ٦٥، ح ٩٦.

(٢٢) الصفار، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات، ص ٢١٦.

تجري الشمس والقمر)) <sup>(٢٣)</sup>.

وفي رواية حمران - والتي سندها حسن - عن الباقر عليه السلام: ((ظهر القرآن الذين نزل فيهم، وبطنه الذين عملوا بمثل أعمالهم)) <sup>(٢٤)</sup>.

وهذا المعنى أمر بدهي ومسلم وحقيقة مؤكدة، فالنص القرآني يتخطى الزمان والمكان، والسبب الذي يدعونا الى أن نتقبل هذه الفكرة هو أنّ القرآن خوطب به البشرية كلّها، وأنّ شمولية الرسالة وديموميتها وقابليتها لأن تكون نظاماً يمتد إلى كلّ أبعاد الحياة، ويواكب كلّ التطورات والمتغيّرات الطارئة في حياة البشر، يتطلب أن يكون النصّ المعد لها نصّاً فاعلاً ومؤثراً في الواقع في كلّ عصرٍ، وإلاّ فإنّ خنق الآية في إطار واقع معيّن بمثابة إبطال للآية وإلغاء لأثرها.

إنّ الجري يمثل حياة القرآن و((لو أنّ الآية إذا نزلت في قوم، ثمّ مات

(٢٣) العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي، ج ١، ص ١١.  
(٢٤) المصدر نفسه.



في أهل البيت عليهم السلام، أو في أعدائهم ومخالفهم، أنها من باب الجري والتطبيق، إذ قال عليه السلام: ((والروايات في تطبيق الآيات القرآنية عليهم عليهم السلام أو على أعدائهم أعني: روايات الجري، كثيرة في الأبواب المختلفة، وربما تبلغ المئين)) (٢٧).

في روايات أهل السنة أيضاً نسب هذا المعنى إلى ابن مسعود رضي الله عنه قوله: ((ما من آية عمل بها قوم، إلاّ ولها قوم سيعملون بها)) (٢٨).

#### ٤. المفهوم المنتزع من فحوى الآية:

لم تكن بطون القرآن مقصورة على جري الآية في مصاديقها الخارجية فحسب، كما مرّ في الجري والتطبيق، بل قد تكون عبارة عن انتزاع المفهوم والمدلول اللفظي الأوسع والأعمق من ظاهر الآية، وتطبيقه على الموارد المشابهة، بعد إلغاء الخصوصيات الحافة بالكلام، والأخذ بعموم الملاك إن كان

أولئك القوم ماتت الآية، لما بقي من القرآن شيء، ولكننا القرآن يجري أوله على آخره، مادامت السموات والأرض...)) (٢٥).

وقد أكد علماء المسلمين على إطلاق القرآن وعدم محدوديته بزمانٍ دون زمان أو مكانٍ دون مكان، حيث إنّ شأن نزول الآيات لا يختصها بمواردها، وقد أطلق العلامة الطباطبائي على هذا المنهج اسم (الجري والتطبيق)، منبهاً على اقتباسه من الروايات التفسيرية المأثورة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام: ((وفي هذا المعنى روايات أخرى، وهذه سليقة أئمة أهل البيت. فإنهم عليهم السلام يطبقون الآية من القرآن على ما يقبل أن ينطبق عليه من الموارد، وإن كان خارجاً عن مورد النزول...)) (٢٦).

وعلى هذا الأساس اعتبر العلامة عليه السلام الكثير من الروايات التي تربط شأن نزول مجموعة من الآيات

(٢٧) المصدر نفسه.

(٢٨) الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، ج ٢، ص ١٦٩.

(٢٥) المصدر نفسه، ص ٢١.

(٢٦) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٤٢.



الملاك واحداً، وتنقيح المناط، دون النظر إلى المصداق في الخارج.

مثلاً: روى الكليني بإسناده عن الفضيل بن يسار قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام قول الله عزَّ وجلَّ في كتابه: ﴿أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [سورة المائدة: ٣٢] قال: ((من حرق أو من غرق)). قلت: ومن أخرجها من ضلال إلى هدى؟ قال: ((ذلك تأويلها الأعظم)) (٢٩).

وكما في رواية عبد الله بن سنان المتقدمة، في مَنْ لا يحضره الفقيه، نقلها الصدوق عن عبد الله بن سنان قال: أتيت أبا عبد الله عليه السلام فقلت له: جعلني الله فداك ما معنى قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ قال: ((أخذ الشارب، وقصَّ الأظفار، وما أشبه ذلك)). قال: قلت: جعلت فداك فإن ذريحاً المحاربي حدثني عنك أنك قلت: {لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ}: لقاء الإمام {وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ}: المناسك. قال:

(٢٩) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٢، ص ٢١٠-٢١١.

((صدق ذريح وصدقت، إنَّ للقرآن ظاهراً وباطناً، ومن يحتمل ما يحتمل ذريح)) (٣٠).

ذكرت الرواية وجهين في الآية؛ ووجه الاشتراك والملاك الجامع بينهما وهو (التطهير)، إذ إنَّ هناك تطهير مادي للجسد هو إزالة الأوساخ وقصَّ الشارب ونتف الإبط وغيرها، وتطهير معنوي للروح أو القلب من القذارات المعنوية والخلقية الرذيلة، فإنَّ ما قاله عليه السلام لذريح هو تطهير الباطن، وما قاله لعبد الله بن سنان هو تطهير الظاهر، والأول هو التأويل والباطن، والثاني هو التفسير والظاهر. فالتفت هو الوسخ والشعر، و{لِيَقْضُوا} أي من الوسخ والشعر.

قال العلامة المجلسي رحمته الله: ((مقتضى الجمع بين الأخبار، حمل قضاء التفت على إزالة كلِّ ما يشين الإنسان في بدنه وقلبه وروحه؛ ليشمل إزالة

(٣٠) الصدوق، محمد بن علي بن الحسين، من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٤٨٥؛ الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٤، ص ٥٤٩.



من العبد بها))<sup>(٣٣)</sup>، وهذه الرواية فسّرت الظاهر بالتلاوة، والباطن بالفهم، ومن مناسبات الحكم والموضوع يفهم أن المراد من التلاوة: المعنى الابتدائي الذي يفهم حال التلاوة، وبقرينة المقابلة فإن عبارة (والباطن الفهم) تعني أن الباطن هو المعنى العميق الذي لا ينال إلا بتدبّر واعمال الفكر.

#### علاقة الظاهر بالباطن:

إن أكثر علماء الأئمة متفقون على أن المعاني الباطنة منها ما هو مقبول، إذا ما أمكن الجمع بينه وبين المعنى الظاهر ولم يتعارض مع مفاهيم الشريعة، ومنه ما هو مذموم وباطل، إذا ما شطّ عن ظاهره، أو تعارض معه، أو زاحمه، وإن اختلفوا في حدود استعمال البطون، ووضعوا شروطاً وضوابط لقبولها، ويصرّحون بضرورة العلاقة الوثيقة بين الظاهر والباطن.

فهذا (الشاطبي) بعد أن يؤكد على أهمية الوقوف على المعاني الباطنة،

(٣٣) الكاشاني، ملا محسن، الصافي في تفسير القرآن، ج ١، ص ٢٨-٢٩.

الأوساخ البدنية بقصّ الأظفار وأخذ الشارب وشفّ الإبط وغيرها، وإزالة وسخ الذنوب عن القلب بالكلام الطيب والكفارة ونحوهما، وإزالة دنس الجهل عن الروح بقاء الإمام عليه السلام، ففسّر في كلّ خبر ببعض معانيه، على وفق إفهام المخاطبين ومناسبة أحوالهم))<sup>(٣١)</sup>.

٥. العلم وعمق المعنى:

في رواية الإمام الصادق عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله التي وصفت (الظاهر) بالإحكام والجمال، و(البطن) بالعلم والعمق: ((له ظهر وبطن، فظاهره حكم وباطنه علم، ظاهره أنيق وباطنه عميق))<sup>(٣٢)</sup>.

#### ٦. الفهم:

روي عن علي عليه السلام قوله: ((ما من آية إلاّ ولها أربعة معان: ظاهر، وباطن، وحدّ، ومطلع، فالظاهر: التلاوة، والباطن: الفهم، والحدّ: هو أحكام الحلال والحرام، والمطلع: هو مراد الله

(٣١) المجلسي، محمد باقر، مرآة العقول، ج ١٨، ص ٢٤٨.

(٣٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٢، ص ٥٩٨.





يقيدها بشرطين:

الأول: أن يصحَّ على مقتضى الظاهر المقرّر في لسان العرب، ويجري على المقاصد العربية.

الثاني: أن يكون له شاهد نصّاً أو ظاهراً في محل آخر يشهد لصحته من غير معارض<sup>(٣٤)</sup>.

ويضع (العلامة الطباطبائي) شرطين لقبول المعنى الباطن:

الأول: أن يكون الكاشف عن المعنى الباطن ظواهر الآيات نفسها، فالظاهر عنوان الباطن وطريقه.

الثاني: ألا يكون الباطن مناقضاً لظاهر الكتاب والشريعة.

يقول: ((إنّ القول بأنّ تحت ظواهر الشريعة حقايق هي باطنها حقّ، والقول بأنّ للإنسان طريقاً إلى نيلها حقّ، ولكن الطريق إنّما هو استعمال الظواهر الدينية على ما ينبغي من الاستعمال لا غير، وحاشا أن يكون هناك باطن لا يؤدي إليه ظاهر، والظاهر عنوان

(٣٤) الشاطبي، أبو إسحاق، الموافقات في أصول الشريعة، ص ٦٥٣.

الباطن وطريقه.. وحاشا أن يكون في باطنٍ حقٍّ ولا يوافقه ظاهره))<sup>(٣٥)</sup>.

ولم يقتصر الأمر على هذه الأوساط، وإنّما يمتد إلى أصحاب المدرسة الوجودية التي تنكر وجود ارتباط دلالي عرفي بين الألفاظ والمعنى الباطن، ويعتبرون البطون رموزاً وإشارات تدلّ على المعاني التي تهبط عليهم من محلّ أعلى وأرقى من التحقيق والنظر. فمما يثير العجب أن يؤكد هؤلاء على رعاية الظاهر وضرورة العمل به، كالشيخ (محيي الدين بن عربي) الذي يصرّح بإيمانه بالظاهر، ويؤكد أنّ في القرآن معاني هي من حظ العامة وهي معاني الظاهر، وأنّ فيه معاني من حظّ الخاصّة والأولياء وهي معاني الباطن، والأولياء هم في مراتب في فهم هذه المعاني العميقة الباطنة.

والغزالي يشدّد على ضرورة إتقان الظاهر ويعتبره قنطرة لفهم المعاني الباطنة، ولا يعدّ الوقوف على

(٣٥) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج ٥، ص ١٢.



و((التفسير الباطني يقوم على أساس اصطناع نوع من المماثلة بين معنيين لاتربط بينهما أية علاقة حقيقية، لا علاقة لغوية ولا علاقة عقلية في إيجاد العلة الأصولية المشتركة المنضبطة، أو الاستدلال بالشاهد على الغائب، أو بالحدّ الأوسط الذي يجمع بين مقدمتي القضية المنطقية)) (٣٧).

إذاً، لاختلاف في وجود علاقة تربط بين الظاهر والباطن، ولا منكر لذلك، إلاّ ما عرف عن الباطنية المنحرفة، وأمّا البطون بالمعنى المتقدم والمتحصلة من النصوص الروائية المنقولة عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، فمنها بطون يمكن أن تنالها الأفهام في إطار المحاوراة العقلائية؛ ومن جملتها البطن بمعنى التأويل بعد تجريد الخصوصيات وتطبيق اللفظ على المورد المشابه، وهذا المعنى مقبول وقد تلقاه الفريقان بالقبول، وهذا البطن يقوم على أساس كشف مناط الحكم، فإذا تمّ كشف المناط بشكل قطعي،

(٣٧) أيازي، علي، المفسرون حياتهم ومنهجهم، ص ٢٠.

الباطن تفریطاً بظاهر اللفظ، وإثماً هو ((إستكمال له ووصول إلى لبابه عن ظاهره، فهذا ما نورده لفهم المعاني الباطنة لا ما يناقض الظاهر)) (٣٦).

لقد ذكر المفسرون ضوابط معيّنة لتفسير القرآن، على المفسّر أن يلتزم بها ولا يجيد عنها، وإحدى هذه الضوابط هي عدم جواز تحميل الآيات القرآنية ما لا تدلّ عليه من المفاهيم، بلا شاهد يوقع المفسّر في التفسير الباطل، فإذا كان المفسّر وحمل الآية نوعاً من التفسير الذي هو وفق ما تملّيه ظنون المفسّر الأولية أو تابعاً لهواه وميوله الشخصية، فهو يعدّ تفسيراً (بالرأي المذموم)، وأوضح مصاديق هذا النوع من التفسير هو تفسير الفرق الباطنية، التي تعتقد أنّ للقرآن ظاهراً وباطناً، ونسبة الظاهر إلى الباطن نسبة المخ إلى الجلد أو القشر إلى اللب، وأنّ المراد هو باطن القرآن وليس الظاهر، وأنّ الباطن منقطع عن ظاهره،

(٣٦) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، احياء علوم الدين، ج ١، ص ٢٩٣.



صحّ تطبيقه على الموارد الأخر. ومنها بطون دلالتها في أغلب الأحيان تكون بعيد عن الأذهان، وليس للمفسّر طريق لفهمها وتبيينها، إلاّ أقوال النبي ﷺ والأئمة المعصومين (عليهم السلام)، العالمين بظاهر القرآن وباطنه وتأويله. إنّ بعض المحققين من أهل السنّة ينظر الى تفسيرات المتصوفة بما فيها من شطحات وأوهام بأنها مواجيد يمكن الجمع بينها وبين الظاهر، أو هي من باب تداعي المعاني وذكر النظير بالنظير، ويصفون تفاسير أمثال تفسير روح المعاني لشهاب الدين محمود الألوسي (١٢٧٠هـ)، و(تفسير التستري) لسهل بن عبد الله التستري (٣٨٣هـ)، وتفسير (كشف الاسرار) للمبيدي بأنها أهم كتب التفسير الإشاري، فيما يتهمون التفسير الشيعي بالباطنية، ويعدّونه في تفاسير هذه الفرق (٣٨)، واتهامهم هذا إمّا نابع من

(٣٨) انظر أقوال ابن تيمية، تقي الدين احمد، التفسير الكبير، ج ١، ص ٤٦-٤٩؛ الغفاري، ناصر، أصول مذهب الشيعة، ج ١، ص ١٥١؛ الذهبي، محمد حسين،

تعصب، وإمّا عن عدم إدراك المعنى الصحيح لبطون القرآن عند الشيعة وخلط بين معنى البطون ودلالات الألفاظ (٣٩)، أو يصدر عن أحكامهم من خلال النظر في بعض التفاسير الروائية من دون الرجوع إلى أقوال المحققين لمعرفة أسلوب التفسير والتأويل في روايات أهل البيت (عليهم السلام) أو الى التفاسير الشيعة الاجتهادية المعتمدة لديهم (٤٠).

### منشأ بطون القرآن:

إذا كان وجود باطن في مقابل الظاهر مورد اتفاق الجميع، والكلّ يؤكد على ضرورة ارتباط البطن بالظهر، فما هو منشأ هذا الباطن؟ وما هو سرّ اختصاص القرآن بهذا العمق؟.

التفسير والمفسرون، ج ٢، ص ٢٧-٣٢ و ص ٤١.

(٣٩) انظر: الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، ج ٢، ص ٣٢. حيث اعتبر معاني البطون مدلولات لفظية، أو أنها معاني كنائية للآية.

(٤٠) الزرقاني، محمد عبد العظيم، أصدر حكمه على التفسير الشيعي من خلال نظره تفسير (مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار) للفتوني العاملي، مناهل العرفان، ص ٤٣٦.





ولنطرح السؤال بهذا الشكل: (هل هذا العمق من سنخ المعاني الذهنية والمفاهيم النظرية المستنبطة من اللفظ، أم هي حقائق وجودية لها استقلال سنخي عن الألفاظ)؟.

من خلال ملاحظة ما كتب في هذا المجال، يمكننا تصنيف أقوال الباحثين إلى اتجاهين يمثلان مدرستين عريقتين في مباحث التفسير، هما: المدرسة المعرفية، والمدرسة الوجودية.

ويتباين هذان الاتجاهان في بيان منشأ البطون، تبعاً للفلسفة المدرسية والرؤية التي يتبناها كل اتجاه حول حقيقة القرآن الكريم، فالمدرسة المعرفية: تعتبر القرآن حقيقة واحدة، ووجود واحد. فهو كلام الله النازل على النبي ﷺ المدوّن في المصحف والمقروء أو المتلو لا غير. ويتمثل هذا الاتجاه في جملة من المفسرين والفقهاء والأصوليين والمتكلمين.

والمدرسة الوجودية تؤسس مبادئها على أساس نظرتها إلى القرآن الكريم، على أنه حقيقة ذات مراتب وجودية

مختلفة، لها تحقق في ما وراء وجوده اللفظي والكتبي، والبطون حقيقة ترجع في نشأتها إلى تلك المراتب الوجودية.

وبتعبير آخر: اعتبرت المدرسة الوجودية حقيقة القرآن فيما وراء الظاهر داخله في الغيب المستور عنّا، فلا مجال لإدراك تلك الحقيقة بالمعاني المتداولة، ولا بالمجادلات الكلامية ولا بالقياسات الفلسفية والبراهين العقلية، وإنّها تتجلى المعاني الحقة بالمجاهدة والكشف والشهود.

إنّ المدرسة الوجودية تُرجع منشأ البطون إلى مدلول اللفظ وعمق المعنى، ويقف العرفاء والحكماء في مقدمة القائلين بهذه النظرية. وكلّ اتجاه تبثق منه تكييفات مختلفة لحقيقة البطون ومناشئها.

#### ١. الاتجاه المعرفي:

هذا الاتجاه يعتبر الباطن نوعاً من مقولة اللفظ، ويعيد البطون إلى اللفظ واستعماله وليس إلى باطن المعنى. وبتعبير آخر يرجع منشأ البطون القرآن إلى دلالة لفظه، ويعتبرها من سنخ المعاني

والمفاهيم الذهنية المنبثقة من مفردات اللفظ القرآني وتراكيبه.

فالأصوليون يقسمون دلالات الألفاظ إلى دلالة مطابقية، والتزامية، تضمينية. وحيث كان استعمال اللفظ في أكثر من معنى ممتعاً حسب العادة والعرف؛ حاول جماعة من المفسرين والأصوليين توجيه روايات البطون، وبيان ارتباط باطن اللفظ مع ظاهره بتكيفات مختلفة، فاعتبروا البطون مداليل مترتبة طولاً مع المدلول المطابقي، ولكن اختلفوا في تحديد نوع هذه الدلالة، وهنا يبرز تكيفان في تفسير منشأ البطون:

**التكيف الأول: البطون من نوع الدلالة المطابقية:**

التزم السيد الطباطبائي رحمته الله بهذا الرأي في تفسيره، فهو يرى وجود معنى باطن لأي القرآن تكشف عنه ظواهر الآيات نفسها؛ لأنّ المعنى الباطن في طول المعنى الظاهر، ولا يتناقض مع ظواهر الكتاب الكريم.

ويرى أنّ البطون من مقولة

المعاني والمفاهيم الذهنية، يدلّ عليها اللفظ بالمطابقة ومترتبة ترتيباً طولياً، يقول رحمته الله: ((إنّ للقرآن مراتب مختلفة من المعنى، مترتبة طولاً من غير أن يكون الجميع في عرض واحد، فيلزم استعمال اللفظ في أكثر من معنى واحد، أو مثل عموم المجاز، ولا هي من قبيل اللوازم المتعدّدة للزوم واحد، بل هي معان مطابقية يدلّ على كلّ واحدٍ منها اللفظ بالمطابقة بحسب مراتب الأفهام)) (٤١).

فالذي يظهر من كلامه رحمته الله: أنّ منشأ طولية المعاني الباطنية ليس طبيعة النصّ وإنّما هو مدى استيعاب السامع وذكائه وتدبّره. بتعبيرٍ آخر: إنّ الطولية في نطاق الذهن وليس في الخارج.

نلاحظ عبارة تقترب من هذا الرأي في تقارير الشيخ المتظري للبحث الاصولي لاستاذة السيد البروجردي يفهم من سياقها: أنّ البطون ليست لوازم المعنى، وإنّما ناشئة من دلالة الآية ومراتب الأفهام والكمالات النفسية:

(٤١) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج ٣، ص ٦٤.



(الصريح)، وأيضاً يعبر عنه بالمعنى الثانوي، فهذه دلالات لا يدلّ منطوق اللفظ عليها، ولكن تكون من ضرورة اللفظ الالتزامية، من باب الإيحاء والتنبيه، أو من باب الإشارة، أو المفهوم الموافق أو المخالف، وقد ذهب إلى هذا الرأي جماعة من الأصوليين والمفسرين، وقد ذكر المحقق الأصولي الكبير محمد كاظم الخراساني: ((أنّ البطون يمكن أن يراد بها أحد احتمالين: الاحتمال الأول: أنّ للمعنى الظاهر من القرآن لوازم متعدّدة قد دلّ اللفظ عليها بالدلالة الالتزامية، وإن لم يكن اللفظ مستعملاً، نظير كون ((مجيء زيد)) ملازماً عادةً لنزول البركات. والاحتمال الثاني: أنّ البطن مراد بالاستقلال على نحو العلامة من دون إرادة الاستعمال، أيّ إنّ تلك البطون لم تنبثق من اللفظ بنحو الاستعمال، بل بنحو كونه علامة عليها، فهي مقارنة لاستعمال اللفظ في معناه من دون دلالة ذلك اللفظ، كما هو لو قال القائل: (قدم الحاج)

((يمكن أن يقال: إنّ المراد بها عبارة عن المعاني المختلفة والمراتب المتفاوتة التي تستفاد من الآيات بحسب اختلاف مراتب الناس ودرجاتهم، فإنّ أرباب النفوس الكاملة يستفيدون من الآيات الشريفة ما لا يخطر ببال المتوسطين، فضلاً عن العوام وأرباب النفوس الناقصة، فالبطون السبعة أو السبعون إشارة إلى أصول المراتب الكمالية لنفوس البشر، التي باختلافها يختلف مراتب الاستفادة من الآيات القرآنية)) (٤٢).

التكليف الثاني: البطون من نوع الدلالة الالتزامية:

يبيني هذا التكليف على أنّ البطون هي من نوع الدلالة الالتزامية للفظ، فلم يكن المنطوق الصريح أو المعنى الحرفي هو الطريق الوحيد للدلالة على قصد المتكلم، بل هناك طريق آخر اعتبره المتكلمون والأصوليون وهو ما اصطلح عليه بـ(المنطوق غير

(٤٢) المنتظري، محمد حسين، نهاية الأصول - تقرير بحث البروجردى، ص ٥٦.



وأراد مقارناً لكلامه معانٍ أخرى من المعاني الاستقلالية، التي تراد مقارنة لإستعمال اللفظ في معناه من دون دلالة ذلك اللفظ ولو بالالتزام)) (٤٣).

ويذكر أحد شراح الكفاية أن مراد صاحب الكفاية هو الاحتمال الثاني (٤٤)، وقد اختاره السيد الخوئي أيضاً (٤٥).

يرى الشيخ (محمد هادي معرفة) أن هذه المداليل لوازم غير بيّنة: ولذا فهي معاني خفية مستبطنة: لا تفهم من ظاهر اللفظ وحده: ((إنّ المدلول بالتأويل المعبر عنه بالبطن من المداليل ا لالتزامية للكلام لزوماً غير بيّن، وعليه فالتأويل تبيين للمعنى الذي تستهدفه الآية بدلالة خفية بحاجة إلى تعمق نظر، دون الاقتصار على ظاهر اللفظ

(٤٣) انظر: المروج الجزائري، محمد جعفر، منتهى الدراية في توضيح الكفاية، ج ١، ص ١٩٣.

(٤٤) آل راضي، محمد طاهر، بداية الوصول في شرح كفاية الأصول، ج ١، ص ١٦٣.

(٤٥) الفياض، إسحاق، محاضرات في أصول الفقه - تقرير بحث الخوئي، ج ١، ص ٢١٤-٢١٥.

الذي هو قيد الملابس)) (٤٦).

التكليف الثالث: الدلالات العرفية والدلالات الرمزية:

ويرى بعض الأصوليين والمحقّقين في علوم القرآن، أنّ البطن مجموعة إشارات ورموز خارج إطار الأوضاع اللغوية والاستعمالات

العرفية في المحاورات العقلائية، وليس بينها وبين المعنى الظاهر مناسبة بيّنة، ولذا لا يعرفها إلاّ من خوطب بها، وهم النبيّ ﷺ، وآله الطاهرين ﷺ، يقول صاحب هداية المسترشدين: ((إذ كثير من البطون المذكورة في الروايات ليس بينها وبين المعنى الظهري مناسبة بيّنة يصحّ استعمال اللفظ فيها بحسب المتعارف في المحاورات، والظاهر أنّ

إرادة البطون مبنية على مراتب آخر عدا الأوضاع اللغوية شخصية كانت أو نوعية بمعناها الأخصّ أو الأعمّ، وإنّما هي مبنية على إشارات لا يعرفها

(٤٦) معرفة، محمد هادي، التأويل في مختلف المذاهب والآراء، ص ١٣٧.



إلا الراسخون في العلم)) (٤٧).

ويقسّم أحد الباحثين المعاصرين المعنى الباطن على نوعين:  
النوع الأول: قابل للفهم وفق اللغة وأصول المحاوراة العقلائية، وهو ما يصطلح عليه بجري الآية وتطبيقها على المصاديق المشابهة.

النوع الثاني: هو مجموع الدلالات المرموزة في صورة الحروف والكلمات أو الآيات، وهو خارج اطار اللغة والمحاورات العرفية، يقول في خصوص المعنى الثاني: ((وعلى أساس بعض الروايات التي بينت المعنى الباطن، نستطيع القول: إنّ باطن القرآن هو المعاني والمعارف المقصودة من الآية، ولكن دلالة الآيات على هذه المعاني لم تكن واضحة وفق المباني والقواعد الأدبية وأصول المحاوراة، حتى يكون فهمها ميسر للجميع، بل إنّ دلالة الآيات عليها دلالة رمزية خاصة، ولا يعلمها إلا الله والراسخون في العلم

(٤٧) الشيرازي، محمد تقى، هداية المسترشدين، ج ١، ص ٥٣٦.

(النبي ﷺ والأئمة المعصومون (عليه السلام)) (٤٨).

يستند هذا التكييف إلى خصوصية (عمق المعنى) في القرآن، حيث يلحظ- إلى جانب المعاني الظاهرة البينة والواضحة الدلالة - وجود روايات تتضمن بطون عميقة في القرآن الكريم، بعيدة عن الدلالات العرفية، وعسيرة الفهم، وحفظاً لهذين المستويين من المعاني لا بدّ أن يقال: أنّ القرآن تحدّث بلغتين:

اللغة الأولى: هي لغة التخاطب بين البشر، والتي تفهم من خلال الوضع والقواعد والأصول التي قرّرها العقلاء منهم.

واللغة الثانية: لغة رمزية خارج نطاق المحاوراة العقلائية المتداولة بين البشر، وهي خاصة بين الله تعالى والنبي ﷺ والأئمة المعصومين (عليه السلام). وعلى هذا الأساس يكون قرآن قد نزل بلسان

(٤٨) بابائي، علي أكبر، مكاتب تفسيري، ج ٢، ص ١٦ (فارسي)؛ علي أكبر بابائي وآخرون؛ بابائي، علي أكبر، وآخرون، روش تفسیر قرآن، ص ٢٥٥ (فارسي).





البشر وعرفهم العقلاني العام لينقل المعاني الظاهره لعموم الناس، وتضمن أساليب أخرى ينقل عبرها المعنى الاعمق<sup>(٤٩)</sup>.

## ٢. الاتجاه الوجودي:

ينظر هذا الاتجاه إلى القرآن على أنه حقيقة وجودية واحدة، ذات مراتب متعدّدة وراء حقيقة وجوده اللفظي والكتبي، وأن دلالته وإن كانت في ظاهرها خاضعة دوماً للمعنى الوضعي والاستعمالي، وتفهم من خلال الاستفادة من قواعد المحاوره الأدبية، وسياق

(٤٩) قد نجد شواهد تدل على أن من المتكلمين المتقدمين من يذهب إلى أن النظام اللغوي للقرآن الكريم لم يكن أرقى من كل كلام عربي فصيح فحسب، بل أنه يعتبر فوق أساليب الفصاحة المعروفة لدى العرب قد جاء بأساليب في الفصاحة والنظم لم تكن معهودة لدى فصحاءهم، منهم المتكلم الأشعري ابو بكر محمد بن طيب الباقلائي، في كتابه المشهور (اعجاز القرآن): (ولقد كان في نظم القرآن معجزاً لأن نظمه خارج عن جميع وجوه النظم المعتادة في كلامهم)، إعجاز القرآن، تحقيق أحمد صقر، ص ٧٥، ٣٠٠.

الكلام، وشأن النزول، والتبادر العرفي والقرائن الأخرى؛ لأنها نزلت بلسان البشر، إلا إنها تدلّ في باطنها على حقائق وجودية ذات مراتب متعدّدة لا يدركها إلاّ العارف والسالك إلى الله بسيره وسلوكه المعنوي، وهو وحده الذي يستطيع أن يفك شفرة الرمز، ليصل إلى المعنى الباطن ويحلّ مستوياته ومراتبه الوجودية.

وتنطلق هذه النظرية في تحليلها لمنشأ البطون من رؤية كونية تماثل بين ثلاث حقائق وجودية هي: الإنسان، والعالم، والقرآن، ومن ثنائية الظاهر والباطن التي تعمّ كل شيء في الوجود، فما من شيء إلاّ وله ظاهر وباطن وحدّ ومطلع<sup>(٥٠)</sup>، وكما أنّ الإنسان والعالم ينقسمان إلى ظاهر وباطن، كذلك القرآن له جانبان ظاهر وباطن ((كما أنّ للإنسان ظاهراً وباطناً، لباطنه باطن آخر إلى سبعة أبطن... فكذا قياس القرآن المساوق للإنسان

(٥٠) انظر: ابو زيد، نصر حامد، فلسفة التأويل، ص ٢٧٧.



والعلامة الطباطبائي، والإمام الخميني، وجواد آمل، وغيرهم من الحكماء وأهل العرفان امتداداً لمنهج الشيخ ابن عربي.

وقد ذكرت عدة تكيفيات لتصوير مناشئ البطون، وربما تتعدد عند الشخص الواحد، إلا أنّها جميعها تدور في فلك هذا الاتجاه الذي ينظر إلى حقيقة القرآن في ما وراء هذه الحقيقة النازلة للبشر، وهنا نورد بعض منها:

التكليف الأول: تجلي الله في القرآن: يؤمن بعض أقطاب المدرسة الوجودية بأنّ الله تعالى قد تجلّى في القرآن لخلقّه، وأنّ القرآن هو المرتبة النازلة من تجلي الحقّ جلّ وعلا، أو هو تجلي الاسم الأعظم الجامع لكلّ الحقائق.

لعلّ أول من طرح نظرية التجلي الالهي في القرآن هو أبو حامد الغزالي، مقتبساً هذا المفهوم من النصوص الدينية، حيث استدلّ بحديث الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): ((والله لقد تجلّى الله عزّ وجلّ لخلقّه في كلامه، ولكنهم لا

الكامل في الكمال والنقصان، والصعود والنزول))<sup>(٥١)</sup>.

وهذا التماثل يثبت أنّ للقرآن منازل ومراتب ودرجات كما هو للإنسان والعالم، ويكون ((القرآن تعبير لفظي عن الإنسان والعالم، ولما كان للوجود والإنسان مراتب متعدّدة ودرجات مختلفة، فإنّ له على صعيد المعنى مراتب ومستويات متعدّدة، لأنّ الوجودات الثلاثة هي تجليات ومظاهر لاسم الله الأعظم، وما يندرج تحته من الأسماء والصفات، فالإنسان جامع لحقائق الكون من جهة وحقائق القرآن من جهة أخرى، والقرآن يختزل بين دفتيه مراتب الإنسان وحقيقة وجوده، كما يُعدّ تعبيراً موازياً عن الوجود))<sup>(٥٢)</sup>.

يقف ابن عربي في مقدّمة المشيدين للنظرية الوجودية، ويُعتبر كلّ من الغزالي، وصدر الدين الشيرازي،

(٥١) الشيرازي، صدر الدين، تفسير القرآن الكريم، ج٦، ص٢٣.

(٥٢) كسار، جواد علي، فهم القرآن دراسة على ضوء المدرسة السلوكية، ص٤٤١.



ييصرون))<sup>(٥٣)</sup>. مستفيداً من النصّ أنّ هناك ملازمة بين المتجلى (الله) والمتجلّى به (القرآن) في العمق، مما يؤدي أن يكون المتجلّى ماثلاً للمتجلّى في عمقه، وهذا هو سر البطون في القرآن، واشتماله على معاني لا تنفذ مع الزمان؛ لأنّه صورة لتجلي مطلق لانهائي<sup>(٥٤)</sup>. ثمّ شهدت هذه النظرية تطوراً على يد صدر الدين الشيرازي، ثمّ السيّد محمد حسين الطباطبائي، والإمام الخميني، وجواد آمل<sup>(٥٥)</sup>.

ينظر الإمام الخميني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ للقرآن الكريم على أنّه صحيفة نورانية، هي صورة الاسم الأعظم هبطت على الإنسان الكامل أو الحقيقة المحمّدية: ((كما أن الكتاب المنزل إليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مرتبة الغيب بتجلي الاسم الأعظم،

(٥٣) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، احياء علوم الدين، ج ١، ص ٢٨٧.

(٥٤) الصدر، موسى، مجلة الحياة الطيبة ص ١٠٣، مقال: سرّ العمق القرآني: نظرية الدلالة والمدلولية.

(٥٥) أنظر: كسار، جواد علي، فهم القرآن دراسة على ضوء المدرسة السلوكية، ص ٢٦٦.

لهذا الكتاب الشريف أحدية الجمع والتفصيل، وكان من (جوامع الكلم))<sup>(٥٦)</sup>.

التكليف الثاني: أسماء القرآن مراتب غير محصورة:

يعتمد الشيرازي (أسامي القرآن) أساساً لإثبات مراتبه الغير متناهية، وينظر إلى الاستماع الصوتي للقرآن أو تلاوته ليس إلاّ استماعاً لكلمات الوجود، فمن يكن ذا سمع باطني في عالم العشق الإلهي يكون ممّن يسمع أسماء القرآن وتتكشف له بطونه وعوالمه أو مراتبه؛ لأنّ القرآن يتسم «في كلّ عالمٍ باسمٍ خاصٍ مناسبٍ لمقامه الخاص، ففي عالم يسمى بالمجيد؛ ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ﴾ [سورة البروج: ٢١]، وفي عالم آخر اسمه عليّ؛ ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [سورة الزخرف: ٤]، وفي نشأة أخرى اسمه، مبین؛ ﴿وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة النمل: ١]، وفي مقام

(٥٦) الموسوي الخميني، روح الله، آداب الصلاة، ص ٤٣٩.



اختلاف وتفاوت الآراء والمذهب في ذاته، ((وهكذا علّة اختلاف المشتغلين بعلم القرآن، وتفاوت مراتبهم في بطونه وظهوره ولبابه وقشوره؛ لأنّ كلام الله لمعة من لمعات ذاته، فكما وقع الاختلاف والتفاوت في مذاهب الخلق واعتقاداتهم، بين مجسم ومنزّه ومتفلسف ومعطلّ ومشرك وموحد، هكذا وقع الاختلاف والتفاوت بينهم في المفهوم، فهذا مما دل على كمال؛ القرآن لأنّه بحر عميق...)) (٥٨).

التكليف الرابع: التوحيد بين القرآن والصفات والأفعال الإلهية:

يحرص الغزالي على أن يجعل النصّ القرآني كتاب العلم الإلهي الجامع لعلوم الدين والدنيا، منطلقاً من التصور الأشعري للكلام الإلهي بوصفه صفة ذاتية قديمة، في مقابل النصّ المقروء والمسموع الذي ليس هو إلاّ محاكاة لصفة الكلام القديم الموجود في النفس، ليبنى عليه فكرة معقّدة حول مفهومي الباطن والظاهر، هي

(٥٨) المصدر نفسه، ج ١، ص ٣١.

آخر اسمه نور؛ ﴿وَالنُّورَ الَّذِي أُنزَلْنَا﴾ [سورة التغابن: ٨]، ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنْ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [سورة المائدة: ١٥]، وفي منزل اسمه عظيم؛ ﴿وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [سورة الحجر: ٨٧]، وفي مرتبة: عزيز؛ ﴿وَإِنَّهُ لَكِنْتُبٌ عَزِيزٌ﴾ [سورة فصلت: ٤١]، وفي مظهر كريم؛ ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ [سورة الواقعة: ٧٧]. وأساميه غير محصورة، ولو كنت ذا سمع باطني في عالم العشق الحقيقي والحكم الإلهية، لكنت ممن يسمع أسماؤه وتُستكشف له بطونه، إنّ للقرآن ظهراً وباطناً وحداً ومطلعاً، كما أنّ للإنسان ظاهراً وباطناً، ولباطنه باطن آخر إلى سبعة بطون (٥٧).

التكليف الثالث: القرآن كلام الله ولمعة من لمعات ذاته:

ينطلق الشيرازي هذه المرة من كلام الله الذي هو لمعة من ذاته المقدّسة؛ ليرجع اختلاف الأفهام في معاني القرآن الذي هو كلام الله إلى

(٥٧) الشيرازي، صدر الدين، المصدر نفسه،

ج ٦ ص ٢٣.



مزيج من الفكر الأشعري والصوفي كما يراه أبو زيد في دراسته لتجربة الغزالي. ويقسّم الغزالي علوم الدين إلى علوم (الصدف والقشر)، وهي علوم الظاهر التي يتجلى لنا من خلالها النصّ، وعلوم (اللباب) وهي الحقائق الوجودية التي يتضمنها النصّ (٥٩).

إنّ علوم الدين والدنيا برمتها تستبطنها الآيات الدالة على معرفة الله، وعلوم معرفة الله (علوم اللبّ) تنقسم إلى ثلاث دوائر متدرجة من السعة إلى الضيق هي: معرفة الأفعال (علوم الدنيا)، ومعرفة الصفات (علوم الدين) ومعرفة الذات. إنّ دائرة الأفعال هي الأوسع؛ لأنّ كلّ كلمة في الوجود هي صادرة عن فعله تعالى؛ ولذا يستحيل حصرها، ولا يمكن أن يحيط بها الكائن المحدود المحكوم بالنقص سواء أكان ملكاً أم إنساناً أم بهيمة، ((وإنّما الله سبحانه هو الذي لا يتناهى العلم في حقه... إنّ العلوم

(٥٩) انظر: أبو زيد، نصر حامد، مفهوم النصّ دراسة في علوم القرآن، ص ٢٤٨.

التي عدّناها وما لم نعدّها ليست أوائلها خارجة عن القرآن، فإنّ جميعها مغترفة من بحرٍ واحد من بحار معرفة الله تعالى وهو بحر الأفعال، وقد ذكرنا أنّه بحر لا ساحل له، لو كان البحر مداداً لكلمات الله تعالى لنفد البحر قبل أن تنفد)) (٦٠).

وهي أيضاً الدائرة الأدنى معرفياً؛ لأنّ معرفة الأفعال هي دائر علوم الدنيا، ومن ثمّ تكون دائرة معرفة الصفات أضيق مجالاً وأرقى معرفياً من دائرة الأفعال.

والإنسان العارف ينطلق في رحلته المعرفية من دائرة الأفعال إلى دائرة الصفات، حتى يصل إلى علم الذات.

هكذا تكون العلوم جميعها تغترف من بحر الصفات ومن بحر الأفعال الإلهية، وهكذا ((صارت الآيات الدالة على معرفة الله هي سرّ القرآن ولبابه الأصفى، وصار العلم الناتج عن هذه الآيات هو العلم الأول في علوم الطبقة

(٦٠) المصدر نفسه، ص ٢٥٥، نقله عن جواهر القرآن، ص ٢٦.



العليا من علوم اللباب))<sup>(٦١)</sup>.  
 إن التوحيد بين القرآن والصفات والأفعال جعل من النصّ القرآني بحراً زاخراً بالأسرار والعلوم الدينية والدنيوية التي لا حدّ لها، وهذا يعني أنّ سرّ عمق المعنى في القرآن يرجع إلى العلم الإلهي في تنزلاته في تلك العوالم، وآيات معرفة الله لها الحظ الأوفر من تلك العلوم والفيوضات، وبالتالي تكون البطون ناشئة من مظاهر العلم الإلهي المكنون، الذي لا يطلع على سرّه أحد، إلاّ من خصّهم الله بعنايته.

التكليف الخامس: المرتبة الوجودية للقرآن في (اللوح المحفوظ):

يقدم أبو حامد الغزالي في كتابه (جواهر القرآن) تفسيراً آخر لمنشأ البطون في القرآن، يقوم على أساس أن للقرآن الذي بين أيدينا وجوداً آخر في عالم الملكوت، وربما أهم مراتبه هي اللوح المحفوظ.

إنّ تركيبة حروف القرآن في ذلك العالم تأخذ قالباً مثالياً لتعبّر عن حقائق

وأرواح الألفاظ، وأمّا حروف القرآن المنقوشة التي هي المنزلة الأخيرة للكلام الإلهي، فهي تخضع للمواضعة والتواطئ وقوالب اللغة، وهي تدلّ على المعاني القشرية، أمّا روحها وسرّها فلا يدركه ولا يناله إلاّ السالكون إلى الله.

وعلى هذا الأساس يفرّق بين المعاني المباشرة التي تدرك من خلال الفهم اللغوي وإعمال الفكر، وهي معاني محدودة بحدود الظاهر وحدود المتلقي، وبين المعاني الكامنة وراء الظاهر (أي: الباطن)، فإنّ المعاني الحقيقية للقرآن تدخل في جملة الملكوت، ومصونة في اللوح المحفوظ، وهي هناك أعمق وأشمل، لها عمق لا قرار له ولا نهاية أو حدّ له، ((إنّ كلّ حرف من كلام الله عزّ وجلّ في اللوح المحفوظ أعظم من جبل قاف، وإنّ الملائكة عليهم السلام لو اجتمعت على الحرف الواحد أن يقلوه ما استطاعوا))<sup>(٦٢)</sup>.

على هذا الأساس يكون منشأ



العمق في القرآن هو: التركيبة الخاصة لحروف القرآن في اللوح المحفوظ.

التكليف السادس: لغة المثال في آيات الاعتبار:

يستعمل القرآن في كثير من آياته المثال في تبين مقاصده، ويصرح بذلك في جملة من الآيات، مثل قوله

تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [سورة الزمر: ٢٧].

وثمة فهان قد تكونا عند السلف حول طبيعة المثال في القرآن:

الفهم الأول: ينظر إلى الأمثال على أنها وسيلة من وسائل الإيضاح، وتقريب المعاني الذهنية البعيدة بمعاني حسية قريبة فحسب.

الفهم الثاني: يعطي الأمثال دوراً أبعد من كونها وسيلة إيضاح وتعبير لتفهم السامع، بل هي لغة رمزية إشارية ترتبط بما وراءها من حقائق وواقعات، والمقصود هو هذه الحقائق لاتلك الرموز.

ويكاد يطغى الفهم الثاني على

نصوص المدرسة الوجودية، ابتداءً من (ابن عربي) حينما شدّد على أنّ الرمز يرتبط بما وراءه من المعاني المؤثرة في نفس السامع: ((إنّ الرموز والألغاز ليس مرادة لأنفسها، وإنّما هي مرادة لما رمزت إليه ولما ألغز فيها، ومواقعها من القرآن آيات الاعتبار كلّها، والتنبيه على ذلك قوله تعالى:

﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ [سورة العنكبوت: ٤٣] فالأمثال ما جاءت مطلوبة لأنفسها، وإنّما جاءت ليعلم منها ما ضربت له وما يضرب (من أجله)) (٦٣).

والاعتبار هو الجواز من ظاهر ما يعطيه النص إلى باطنه المراد: ((إنّ الله قد ربط بكلّ صورة حسية روحاً معنوياً بتوجه إلهي عن حكم اسم رباني؛ لهذا اعتبرنا خطاب الشارع في الباطن على حكم ما هو في الظاهر قدماً بقدم؛ لأنّ الظاهر منه هو صورته الحسية، والروح الإلهي المعنوي في تلك الصورة هو

(٦٣) ابن عربي، محيي الدين، الفتوحات المكية، ج ١، ص ١٨٩.



ومع أن العلاقة بينهما ليست بنحو الدال والمدلول، لكن في الوقت نفسه له ارتباط من نوع آخر، يتمثل في علاقة الرمز ومرموزه، وإن بطون وأسرار القرآن سلسلة ذات مراتب، وإن كشف أي نوع مفهومي من هذه البطون من خصوصيات الله عز وجل والعلماء المطهرون من الدنس والصادقون بعلمهم وعملهم.

يكتب الإمام الخميني رضي الله عنه: ((اعلم إن الكتاب التدويني الإلهي سبعة بطون باعتبار وسبعين بطناً، بوجه لا يعلمها إلا الله والراسخون في العلم، ولا يمسه إلا المطهرون من الأحداث المعنوية والأخلاقية الرذيلة السيئة، والمتحلون بالفضائل العلمية والعملية...)) (٦٥).

إن هذا الذي يسوقه الإمام هو نص مفعم بالذوق العرفاني، ينسجم كثيراً مع نظرية ابن عربي في تنزيل الفهم، بعد تنزيل الأصل (الكتاب)

(٦٥) الموسوي الخميني، روح الله، شرح دعاء السحر، ص ٥٩.

الذي نسميه الاعتبار في الباطن، من (عبرت الوادي، إذا جزته) وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [سورة النور: ٤٤]، وقال: ﴿فَاعْتَبِرُوا﴾ [سورة الحشر: ٢]، أي جؤزوا ما رأيتموه في الصورة بأبصاركم إلى ما تعطيه تلك الصور من المعاني والأرواح في بواطنكم فتدركونها ببصائركم.

وأمر وحث على الاعتبار، وهذا باب أغفله العلماء، ولا سيما أهل الجمود على الظاهر، فليس عندهم من الاعتبار إلا التعجب، فلا فرق بين عقولهم وعقول الصبيان الصغار، فهؤلاء ما اعتبروا قط من تلك الصورة الظاهرة كما أمرهم الله)) (٦٤).

إن النظرية الوجودية بوجوهها أو تكييفاتها المختلفة تشترك في القول بأن مفهوم الباطن غير مفهوم الظاهر، وهو أيضاً ليس من مدلولات اللفظ،

(٦٤) ابن عربي، محيي الدين، ص ٥٥١؛ ابو زيد، نصر حامد، فلسفة التأويل، ص ٢٦٨.





في ذا القرآن)))))) (٦٦).

### النتيجة:

تعددت المواقف حول بطون القرآن الكريم، بين من يسرف في استعمالها ويقدمها على المعنى الظاهر، وبين من يحط من شأنها وينكر وجودها ويضعف أدلتها، وبين معتدل يُثبتها ويُخضعها لضوابط التفسير وشروطه، إلا أن وجود بطون في القرآن الكريم أمر دلت عليه الروايات المتكثرة من طرق الشيعة والسنة، والتي بلغت حد الاستفاضة إن لم نقل أنها قد وصلت الى مستوى التواتر، وهي من جهة السند فيها ما هو سنده صحيح، ومن جهة المضمون فيها ما يدل على وجود البطون صراحة، وفيها ما يدل عليه التزاماً، ومن خلال مراجعتنا لتلك النصوص سجلنا نتيجة مفادها: أنّ مصطلح البطن قد استعمل بمعناه اللغوي، الذي هو يقابل الظاهر، وهو مطلق المعنى المستبطن في الآية الخفيّ

فكما كان الأصل تنزيلاً من الله على أنبيائه، كان التأويل تنزيلاً على أهله العلماء. يقول ابن عربي: ((وكما كان أصل تنزيل الكتاب من الله على أنبيائه، كان تنزيل الفهم على قلوب بعض المؤمنين به، فالأنبياء ﷺ ما قالت على الله ما لم يقل لها، ولا أخرجت ذلك من نفوسها ولا من أفكارها، ولا تعلمت فنه، بل جاءت من عند الله، كما قال تعالى: ﴿ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾، وقال فيه: ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [سورة فصلت: ٤٢]، وإذا كان الأصل المتكلم فيه من عند الله لا من فكر الإنسان ورويته-وعلماء الرسوم يعلمون ذلك -فينبغي أن يكون أهل الله العاملون به أحق بشرحه وبيان ما أنزل الله فيه... من علماء الرسوم، فيكون شرحه أيضاً تنزيلاً من عند الله على قلوب أهل العلم كما كان الأصل، وكذا قال علي بن أبي طالب عليه السلام في هذا الباب: ((ما هو إلاّ فهم، يؤتبه الله من عباده

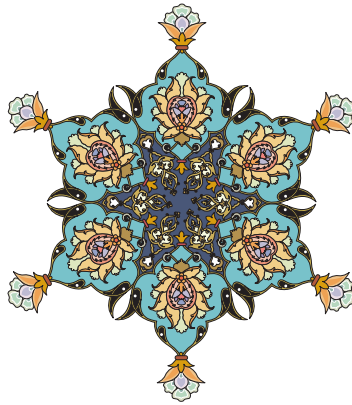
(٦٦) ابن عربي، محيي الدين، الفتوحات المكية، ج١، ص ٢٨٠.



## باطن القرآن جدلية الإثبات والمعنى والمنشأ..... البصائر

إذاً تعتبر حقيقة البطون من مقولة اللفظ وسنخ المعاني والمفاهيم الذهنية المنبثقة من مفردات اللفظ القرآني وتراكيبه وهي نوع من الدلالة سوء المطابقة أو الالتزامية، إلا أن التوصل إليها يختلف باختلاف الافهام فمنها ما يمكن أن يناله فهم المفسر كما في البطن الذي هو بمعنى تنقيح المناط والغاء الخصوصية، ومنها ما لا تناله الافهام لخفاء دلالاته ويتوقف بيانه على قول المعصوم، كما هو في البطن بمعنى بيان المصاديق الخفية في الخارج أو المصاديق التي لم تتحقق في عصر النزول أو لم يأتي تأويلها بعد، وهذا المعنى الجامع هو الاقرب الى مضمون روايات البطون.

عن الأنظار في بدء الأمر، وهو معنى جامع للمعاني المتعددة التي ذكرتها الروايات؛ فالمعنى الباطن قد يكون عبارة عن انطباق الآية على المصاديق غير الواضحة في الخارج، أو أنه بيان للمصداق الاكمل، أو بيان للمصاديق التي لم تكن متحققة حال نزول الآية أو التي لم تكن متحققة حال بيانها في روايات أهل البيت عليهم السلام، أو هو عبارة عن المعنى الالتزامي أو الاشاري للآية، أو هو تنقيح المناط بعد الغاء الخصوصية، وهذه المعاني لا تلغي ظاهر الآية وإنما هي في طوله؛ ولذا جمعت بعض الروايات بين المعنى الظاهر والباطن للآية في آن واحد.



# الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم بين التفسير والتأويل دلالات (الجهر والهمس أنموذجاً)

أ. د. عبد القادر سلامي  
كلية الآداب واللغات  
جامعة تلمسان - الجمهورية الجزائرية

## فحوى البحث

تسعى الدراسة الى الوقوف على دلالات (الجهر) و (الهمس) في اصل وضعها وما اعترها من اشارات دلالية هامشية على وفق سياقات ورودها في القرآن الكريم من جهتي التفسير والتأويل، وذلك بما يعكس الاعجاز اللغوي في القرآن الكريم بجلاء.

ويهدف البحث الى جلاء النقاط التالية:

- ان القرآن الكريم اتى العرب بفكر جديد اودعته الفاظاً يتداولونها بينهم.
- ان القرآن معجز بمعناه وبلفظه .
- ان السياق القرآني يضيف على المعنى المعجمي للمفردة بعداً دلالياً لم يكن قائماً في ما يفسر في ضوئه المعنى الشرعي او يُؤوّل. والبحث يخوض موضوعات أخرى، جردنا منه ما يخص القرآن الكريم أخذاً بسياق المجلة، فمعدرة للسيد الباحث.



## ١. التفسير و مصطلحاته:

ارتبط معنى التفسير بمعانٍ مشتركة هي الشرح والتأويل. والحق أن أغلب هذه المعاني معانٍ مشتركة، وإن كانت في الوقت نفسه تتفرّد بدلالات خاصة تميزها عن المعاني الأخرى، إلا أن الشرح ارتبط كثيرا بالتفسير، ولعل هذه المفردة هي التي تؤدي المعنى على أحسن وجه، فالمعاني الأخرى تحوي معنى الشرح و لكنها لا تشمله. فالشرح، وإن ارتبط بمعاني الكشف و التوضيح و البيان، و الفتح و التفسير و الحفظ<sup>(١)</sup> فإنه يجمع بين بيان وضع اللفظ و بين تفسير باطن اللفظ، أي "التفسير" و "التأويل"؛ أما "التفسير" فكشّف المراد عن اللفظ المُشكّل<sup>(٢)</sup> وبيان وضع اللفظ إمّا حقيقة أو مجازاً<sup>(٣)</sup>. أمّا "التأويل" فمن: أوّل الكلام وتأوّلّه: دبره وقدره وأوّلّه:

فسره<sup>(٤)</sup>، ويكون ذلك بردّ أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر<sup>(٥)</sup>، وبذلك خرجت دلالات هذه الألفاظ من معنى المشترك حين دخلت مجال الدراسة العلمية، فاختص التأويل و التفسير بالدراسة القرآنية<sup>(٦)</sup> و المعجمية، و الشرح بالشعر، إلا فيما ندر، وأصبح لكل منها اصطلاح خاص به. فالشرح هو التعليق على مصنف دُرس من و جهة علوم مختلفة و قد كتبت الشروح على معظم الرسائل المشهورة أو الأشعار العربية نحو شرح مقامات الحريري (ت ٥١٦هـ)<sup>(٧)</sup> و شرح مُشكل شعر المتنبي لابن سيده (ت ٤٥٨هـ). وعلى هذا فالشرح أيضا: "توضيح المعنى البعيد بمعان قريبة معروفة" ومن هنا اكتسب الشرح معناه

(٤) ينظر: ابن منظور: لسان العرب، ١١ / ٣٣، مادة (أول).

(٥) ينظر: وناس بن مصباح: ملاحظات أولية حول الشروح الأدبية: ٣٦.

(٦) ينظر: أمين الخولي: التفسير، معالم حياته، منهجه اليوم: ٦٨.

(٧) ينظر: فؤاد أفرام دائرة المعارف الإسلامية، ١٣ / ١٨٨.

(١) ينظر: ابن منظور: لسان العرب، ٢ / ٤٩٧ - ٤٩٨، مادة (شرح).

(٢) المرجع نفسه، ٥ / ٥٥، مادة (فسر).

(٣) ينظر: وناس بن مصباح: ملاحظات أولية حول الشروح الأدبية: ٣٦.

الخاص. وأما التفسير، فهو شرح، لكنه من نوع آخر، فهو "شرح لغوي أو مذهبي لنص من النصوص"<sup>(٨)</sup> ومن هنا نجد أن هذا الاختصاص لم يأت اعتباراً، فلكل مصطلح مجاله الذي يتقاطع فيه مع المجال الثاني، لكنه لا يتحد معه على الرغم من اتحادهما في الأصل اللغوي. وعلى هذا فإن الشرح لفظ عام، وهو مصطلح ذو شقين: التفسير والتأويل، وقد يتداخل الشقان أثناء عملية الشرح، فنضطر إلى التعامل مع التفسير على أنه مرادف للشرح.

## ٢. تعريف الإعجاز بين اللغة والاصطلاح:

الإعجاز في اللغة من الفعل عَجَزَ يعجزُ عَجْزاً فهو عاجزٌ، والمعجزة: هي الفؤت، عَجَزَ فلان فلاناً أي جعله عاجزاً، وأعجزه إذ لم يستطع أمراً، وأعجزني فلان، عجزت عن طلبه وإدراكه<sup>(٩)</sup>.

## والمعجزة اصطلاحاً: «أمرٌ

(٨) يوسف خياط: معجم المصطلحات العلمية والفنية، ص ٣٥١، ٥٠١.  
(٩) ينظر: ابن منظور: لسان العرب، ٥/ ٣٧٠، مادة (عجز).

خارق، مقرون بالتحدي، سالم من المعارضة<sup>(١٠)</sup>. أو هي «الأمر الخارق للعادة يظهر على يد مدعي النبوة عند التحدي، ويعجز عنه غيره شاهداً على صدق دعواه»<sup>(١١)</sup>.

ومصطلح «إعجاز القرآن» مركّب إضافي معناه «إثبات عجز الخلق عن الإتيان بما تحدّاهم به، فهو من إضافة المصدر الى فاعله، والمفعول وما تعلق بالفعل محذوف للعلم به، والتقدير: «إعجاز القرآن خلق الله عن الإتيان بما تحدّاهم به»<sup>(١٢)</sup>.

وقد ثبت عجز الخلق عن الإتيان بما تحدّاهم به النبي الأكرم ﷺ إذ تحدى العرب بالقرآن الكريم وعلى مراحل، وقد عجزوا عن ذلك مع فصاحتهم وبلاغتهم، قال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانُوا

(١٠) الباقلائي: إعجاز القرآن، ص ٢٤.

(١١) ينظر: المرجع نفسه، ص ٢٤ إبراهيم بن أحمد بن محمد الأبيحي: المواقف، ص ٩.

(١٢) الزرقاني: مناهل العرفان، في علوم القرآن، ٢/ ٢٢٧.



## الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم بين التفسير والتأويل ..... (المصباح)

محمد ﷺ قد بنيت على إعجاز القرآن، ومع إن الرسول الأكرم ﷺ قد أيده الله تعالى بمعجزات كثيرة غير القرآن، إلا أن معظم تلك المعجزات كانت من المعجزات الحسية، التي ظهرت في أوقات خاصة ولم يشاهدها إلا أفراد معينون وبعضها نقل إلينا عن طريق التواتر، وبعضها نقل إلينا عن طريق الآحاد، خلافاً للقرآن الكريم فهو معجزة عقلية عامة للناس جميعاً، ومن هنا تبدو أهمية علم الإعجاز لأنه يزيد المؤمنين إيماناً فوق إيمانهم ويقيم الحجة على المعاندين والمستكبرين ومن في قلبه مرضٌ ويلزم العقلاء بصدق هذا الكتاب وصدق النبي الأعظم ﷺ الذي جاء به ووجوب أتباعه (١٤).

٤. وجوهه، وموقع الإعجاز اللغوي منه.

هي الأمور التي اشتمل عليها القرآن الكريم وتدلّ على أنّه من عند الله تعالى،

(١٤) ينظر: الباقلاني: إعجاز القرآن، ص ٨ و حسن كاظم أسد: أثر الإعجاز التصويري التعبيري في تفسير القرآن الكريم، ص ٥٥٩.

بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهيراً ﴿ [سورة الإسراء:

٨٨]، وقال تعالى في مناسبة أخرى:

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَآتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ

وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ

صَادِقِينَ ﴾ [سورة يونس: ٣٨]، وقال

تعالى أيضاً: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا

نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا

شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾

[سورة البقرة: ٢٣]. فالله تعالى في كل

مناسبة يتحدى العرب، كما أنه يعلم

مسبقاً أنهم عاجزون ولكن الله سبحانه

وتعالى يستدرجهم الى أن يثبت رسالته

في نفوس هؤلاء بالحجة والبرهان، كما

أن الصور المتجسدة تلفت نظر المفسر

إلى كوامن المعاني وغوامض الأسرار (١٣).

٣. موضوعه وأهميته:

أما موضوع الإعجاز فهو القرآن

الكريم، من حيث توضيح وجوه

الإعجاز فيه، وأما أهميته فهو أهم

العلوم وأشرفها لأن نبوة سيدنا

(١٣) حسن كاظم أسد: أثر الإعجاز التصويري

التعبيري في تفسير القرآن الكريم، ٤/

٥٥٨



وليس من استطاعة أحد من الإنس والجن أن يأتي بمثله<sup>(١٥)</sup>.

وقد حاول بعض القدماء ومن تبعهم من المتأخرين حصر وجوه الأعجاز بعد محدود، أو في وجه واحد كبلاغة القرآن، ونظمه، أو إخباره بالمغيبات أو بالصرفة<sup>(\*)</sup>، وغير ذلك، فقد حصرها: أبو الحسن الرماني (ت ٣٨٦هـ) في (النكت في إعجاز القرآن) في سبع جهات، ومنها البلاغة وتحتها عشرة أقسام فصل الحديث عنها، والقرطبي (ت ٦٧١هـ) في (تفسيره الجامع لأحكام القرآن) في عشرة وجوه أكثرها بلاغية، والزركشي (ت ٧٩٤هـ) في (البرهان في علوم القرآن)

(١٥) برهان الدين إبراهيم الباجوري: شرح البيجوري على جوهرة التوحيد المسمى تحفة المريد على جوهرة التوحيد، ط ٤، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، سلسلة مركز الدراسات الفقهية، ١/ ١٢٦. (\*): الصرفة: «وهي صرف الهمم عن المعارضة، وإن كان مقدوراً عليها غير معجوز عنها»، ينظر: الرماني: النكت في إعجاز القرآن، ص ١٠١ والخطابي: بيان إعجاز القرآن، ص ٢٠.

في أحد عشر وجهاً، و مجد الدين بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ) في (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز) في اثني عشر وجهاً، وأبو الحسن الماوردي الشافعي (ت ٤٥٠هـ) في (أعلام النبوة) في عشرين وجهاً. وذكر السيوطي (ت ٩١١هـ) في الإتيان وجوهاً كثيرة للإعجاز وآراء العلماء فيه. ومن المعاصرين محمد الزرقاني، الذي ذكر في كتابه (مناهل العرفان) أربعة عشر وجهاً للإعجاز، ومحمد أبو زهرة الذي بلغت الوجوه عنده في كتابه (المعجزة الكبرى) المائة، وذكر مصطفى صادق الرافعي في كتابه (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية) وجوهاً أكثرها بلاغية، وكذلك عمر الملا حويش في كتابه (تطور دراسات إعجاز القرآن وأثرها في البلاغة)، و أجمل محمد عبد العزيز دراز في كتابه (النبأ العظيم) وجوه الإعجاز في ثلاثة: اللغوي، والعلمي، والإصلاحي الاجتماعي، وآخرهم الشيخ أحمد خلف الله الذي ذكر منه مئات الوجوه، جعلها في أقسام، وكان كتابه (القرآن يتحدّى)



أكثر شمولاً ودقة<sup>(١٦)</sup>.  
 حصرها أو تتبّعها في هذه العجالة.  
 ويرى كثيرٌ من العلماء أنّ الله عزّ  
 وجل تحدّى البشر ولا سيّما العرب بما  
 كانوا يحسنون ويتفوّقون به في عصر  
 نزول القرآن، وهو ما كان يشيع بينهم  
 كشيوع السّحر في عصر النّبي موسى عليه السلام،  
 وانتشار الطّبّ في عصر عيسى عليه السلام،  
 فجاءت معجزاتها توافق ما يشيع وينتشر  
 آنذاك<sup>(١٩)</sup>.

أمّا إعجاز القرآن المتعلّق بفصاحته  
 وبلاغته فلا يتعلّق بعنصره الذي هو  
 اللفظ والمعنى، فإنّ ألفاظه ألفاظهم،  
 قال تعالى: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [سورة  
 الزمر: ٢٨] ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ﴾ [سورة  
 الشعراء: ١٩٥] ولا بمعانيه، فإنّ كثيراً  
 منها موجود في الكتب المتقدّمة<sup>(٢٠)</sup>، قال  
 تعالى: ﴿وَلِئِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ [سورة  
 الشعراء: ١٩٦].

غير أنّ ما يهّمنا من أمر الإعجاز  
 في هذا المقام هو إعجاز القرآن اللغوي

(١٩) بن الماوردي: أعلام النبوة، ص ٥٤.  
 (٢٠) السيوطي: إعجاز القرآن ومعترك الأقران،  
 ٥ / ١.

ولئن أحصى السيوطي في معترك  
 الأقران للإعجاز خمسة وثلاثين وجهاً،  
 بسط فيها آراء العلماء في الإعجاز  
 ووجوهه وقد بلغ بها العلماء، وجعلها  
 كالأقلام لكلّ ما يتعلّق بها، إلاّ أنّه أدرك  
 بعد تقليب النّظر في القرآن الكريم بأنّ  
 وجوه الإعجاز لا تعدّ ولا تُحصى<sup>(١٧)</sup>،  
 وإنّ «أنهى بعضهم وجوه إعجازه إلى  
 ثمانين»، ومع ذلك فإنّه من الناحية  
 المنهجية يمكن حصر الإعجاز القرآني  
 في ثلاثة أقسام كبيرة، هي: الإعجاز  
 اللغوي و إعجاز المضمون و «وجوه  
 أخرى»، ويشمل القسم الأخير: الصّرفة،  
 والمتشابه، والإعجاز العددي وعلم  
 الحروف المعتمد لحساب الجُمَل، والمثلية  
 أو التماثل، والنّعم والإيقاع، فضلاً عن  
 وجوه كثيرة ذكرها العلماء<sup>(١٨)</sup> ممّا يصعب

(١٦) حسن منديل العكيلي: نظرات في إعجاز  
 القرآن، ٢ / ٣٠-٣١.  
 (١٧) ينظر: السيوطي: إعجاز القرآن و معترك  
 الأقران، ١ / ٥.  
 (١٨) ينظر: حسن منديل العكيلي: نظرات في  
 إعجاز القرآن، ٢ / ٣١-٣٦.





في مستواه الدلالي، دون المستويات الأخرى المختلفة: الصوتي والصرفي و التركيبي، والبياني والكتابي، «فقد أولى القدامى ذلك جلَّ عنايتهم فخلّفوا تراثاً كبيراً آخر لم يشهد له التاريخ مثيلاً في جميع الأمم، على الرّغم من أنّ هذا القسم من الإعجاز مخصّص بالتحدي، موجّه للعرب دون غيرهم، ممّا جعل المسلمين من غير العرب يبذلون جهوداً متواصلة لتعلّم لغة العرب ودراستها دراسة دقيقة شاملة، حتى نبغ بها كثيرٌ منهم»<sup>(٢١)</sup>.

ولئن «تهيب كثيرٌ من السلف تفسير القرآن، وتركوا القول فيه حذراً أن يزلوا فيذهبوا عن المراد، وإن كانوا علماء باللسان، فقهاء في الدين؛ فكان الأصمعي (ت ٢١٦هـ)، وهو إمام أهل اللغة، لا يُفسّر شيئاً من غريب القرآن.

(٢١) حسن منديل العكيلى: نظرات في إعجاز القرآن، مجلة مآب العدد ٢، ص ٣١.  
(\*) الكلف: الإيلاجُ بالشيء والتعلّق به. ويُقال: "لا يكون حُبك كلفاً، ولا بُغضك تَلَفاً". ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٥/ ١٣٦، مادة (كلف).

وحكي عنه أنّه سُئل عن قوله سبحانه ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ فسكت وقال: هذا في القرآن، الأمر الذي لم يمنعه من ذكر قولٍ لبعض العرب في جارية لقوم أرادوا بيعها: أتبيعونها وهي لكم شِغافٌ؟ ولم يزد على ذلك أو نحو هذا الكلام<sup>(٢٢)</sup>؛ إلاّ أنّه دلّ بذلك على أنّ العاطفة الإنسانية مُحبّة بالفطرة، كون الحبّ أرقّ من السراب، وأدبّ من الشراب، وهو من طينة عطرة عُجِنَتْ في إناء الجلالة، حُلُوّ المجتنى ما اقتصد، فإذا أفرط عاد خبلاً قاتلاً، وفساداً مُعضلاً، لا يُطمع في إصلاحه، له سحابة غزيرة تهمي على القلوب، فتُعشِبُ شِعفاً، وتثمر كلفاً، وصريعه دائم اللوعة، ضيق المتنفّس، مشارف الزمن، طويل الفكر، إذا أجنه الليل أرق، وإذا أوضحه النهار فلق، صومه البلوى، وإفطاره الشكوى<sup>(٢٣)</sup>، وأنّ «النفوسُ نُورية جَوْهرٍ بَسِيطٍ نَزَلَ من عُلُوِّ إلى هذه».

(٢٢) الخطابي: بيان إعجاز القرآن، ص ٣٤.

(٢٣) المسعودي: مروج الذهب، ص ٣/ ٣٥١.



## الجهر خلاف الهمس

والخفوت نقيضه:

أ. الجهر لغة:

قال الراغب في مادة جهر: «يقال

لظهور الشيء بإفراط حاسة البصر أو

حاسة السمع؛ أما البصر فنحو: رأيته

جهاراً، قال تعالى: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ

نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [سورة البقرة: 55]،

﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أُنزِلَ عَلَيْكَ فِي اللَّيْلِ السَّجُودَ

قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ [سورة النساء: 153].

ومنه جَهْرَ البئرِ واجْتَهَرَهَا إذا

أظهر ماءها، وقيل: ما في القوم أحد

يجهر عيني. والجَوْهَرُ فَوْعَلٌ منه وهو

ما إذا بَطَلَ بَطَلٌ محموله، وسمي بذلك

لظهوره للحاسة. وأما السمع فمنه

قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ

وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾ [سورة الرعد: 10]،

وقال عز وجل: ﴿وَإِنْ جَهَرَ بِالْقَوْلِ

فَإِنَّهُ يَعْلَمُ الْبُيُوتَ وَمَا تُعَلِّمُونَ

فَإِنَّهُ يَعْلَمُ الْبُيُوتَ وَمَا تُعَلِّمُونَ

تَكْتُمُونَ﴾ [سورة الأنبياء: 110]،

﴿وَأَسْرَأُوا قَوْلَهُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ

الصُّدُورِ﴾ [سورة الملك: 13]، ﴿وَلَا

جَهَرَ بِصَلَاتِكَ وَلَا خَافَتْ بِهَا﴾ [سورة

الإسراء: 110] وقال: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ،

بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ [سورة

الحجرات: 2]، وقيل: كلام جوهرِيّ

وجهر يقال لرفع الصوت ولمن يجهر

بُحْسَنَهُ» (٢٤).

١. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا

تَخَافَتْ بِهَا وَأَبْتَعُ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ في

الميزان:

قال أبو عبد الله القرطبي (ت

٦٧١هـ): قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُ

بِصَلَاتِكَ وَلَا تَخَافَتْ بِهَا وَأَبْتَعُ بَيْنَ ذَلِكَ

سَبِيلًا﴾ [سورة الإسراء: 110] فيه

مسألتان:

الأولى: اختلفوا في سبب نزولها على

خمسة أقوال:

الأول: ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما

في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ

وَلَا تَخَافَتْ بِهَا﴾ قال: نزلت ورسول

الله ﷺ متوارٍ بمكة، وكان إذا صلّى

بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فإذا سمع

ذلك المشركون سبوا القرآن ومن أنزله

(٢٤) الراغب الأصفهاني: مفردات غريب

القرآن، ص ١١٥، مادة: (جهر).



ومن جاء به؛ فقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾ فيسمع المشركون قراءتك ﴿وَلَا تُخَافُتْ﴾ عن أصحابك. أسمعهم القرآن ولا تجهر ذلك الجهر ﴿وَأَبْتَعْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ قال: يقول بين الجهر والمخافتة، أخرج البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم، واللفظ لمسلم. والمخافتة خفض الصوت والسكون؛ يقال للميت إذا برد خفت.

الثاني: ما رواه مسلم أيضا عن عائشة رضي الله عنها. قالت: أنزل هذا في الدعاء. الثالث: قال ابن سيرين كان الأعراب يجهرون بتشهدهم فنزلت الآية في ذلك. قلت: وعلى هذا تكون الآية متضمنة لإخفاء التشهد، وقد قال ابن مسعود: من السنة أن تخفي التشهد. ذكره ابن المنذر.

الرابع: ما روي عن ابن سيرين أيضا أن أبا بكر رضي الله عنه كان يسرّ في قراءته، وكان عمر يجهر بها، فقبل لهما في ذلك؛ فقال أبو بكر: إنما أنا جحي ربي، وهو يعلم حاجتي إليه. وقال عمر: أنا أطرده الشيطان وأوقظ الوسنان؛ فلما نزلت

هذه الآية قيل لأبي بكر: ارفع قليلا، وقيل لعمر اخفض أنت قليلا؛ ذكره الطبري وغيره.

الخامس: ما روي عن ابن عباس أيضا أن معناها ولا تجهر بصلاة النهار، ولا تخافت بصلاة الليل؛ ذكره يحيى بن سلام والزهراوي. فتضمنت أحكام الجهر والإسرار بالقراءة في النوافل والفرائض؛ فأما النوافل فالمصلي مخير في الجهر والسرّ في الليل والنهار، وكذلك روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يفعل الأمرين جميعاً. وأما الفرائض فحكمها في القراءة معلوم ليلا ونهاراً.

وقول سادس: قال الحسن: يقول الله لا ترائي بصلاتك تحسنها في العلانية و تسيئها في السرّ. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (لا تصلّ مراثيا للناس ولا تدعها مخافة الناس).

الثانية: عبّر تعالى بالصلاة هنا عن القراءة كما عبّر بالقراءة عن الصلاة في قوله: ﴿وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَتْ مَشْهُودًا﴾ [سورة الإسراء: 78] لأنّ كل واحد منها مرتبط بالآخر؛



## الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم بين التفسير والتأويل ..... (التصنيف)

ويتبادر لنا بالنسبة للفقرة الثانية<sup>(٢٧)</sup> أن النبي ﷺ صار يخفت في قراءته اتباعاً لنهاية آية سورة الأعراف هذه ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٢٠٥]، فشكى المسلمون من عدم سماعهم القرآن منه، فأمر فيها بالتوسط بين الجهر والإسرار<sup>(٢٨)</sup>. وقال الطاهر بن عاشور: والمقصود من الكلام النهي عن شدة الجهر... والجهر: قوة صوت الناطق بالكلام. والمخافتة مفاعلة: من خفت كلامه؛ إذا أسرَّ به. وصيغة المفاعلة مستعملة في معنى الشدة، أي لاتسرها<sup>(٢٩)</sup>.

٢. الهمس لغة:

قال الرَّاغِب في مادة همس: الهمسُ

(٢٧) ويقصد بها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَوْتِكَ وَلَا تُنَافِتُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [سورة الإسراء: ١١٠].

(٢٨) محمد عزت دروزة: التفسير الجديد، ٣/ ٢٧٥-٢٧٦.

(٢٩) محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ١٥/ ٢٣٨.

لأن الصلاة تشتمل على قراءة وركوع وسجود فهي من جملة أجزائها؛ فعبر بالجزء عن الجملة وبالجملة عن الجزء على عادة العرب في المجاز وهو كثير؛ ومنه الحديث الصحيح: "قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي" أي قراءة الفاتحة<sup>(٢٥)</sup>.

وأما محمد عزت دروزة صاحب التفسير الحديث فإن له رأياً خاصاً في هذه الآية؛ إذ قال بعد أن ذكر مجمل ما ذهب إليه المفسرون في ذكر سبب نزول هذه الآية بفقرتيها الأولى والثانية: «والرويات تقتضي أن تكون كل فقرة نزلت لحدتها أو أن الآية نزلت منفصلة عما سبقها ولحق بها، وبالإضافة إلى هذا فإن الروايات المروية في صدد الفقرة الأولى تكلفا بل إغراباً»<sup>(٢٦)</sup>.

(٢٥) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن: ١٠/ ٢٤٣-٢٤٤.

(٢٦) يقصد قوله تعالى: ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [سورة الإسراء: ١١٠] النور وما ذكر لها من أسباب نزول؛ كقولهم إن الكتائبين قالوا للنبي ﷺ: إنك تقلل من ذكر القرآن من أن هذا الاسم قد كثر وروده في التوراة.



الصوت الخفي، وهمس الأقدام أخفى ما يكون من صوتها<sup>(٣٠)</sup>؛ قال تعالى: ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [سورة طه: ١٠٨].

وقال أبو السَّعادات ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ): «(همس) فيه «فجعل بعضنا يهمس إلى بعض» الهمس: الكلام الخفي لا يكاد يفهم. ومنه الحديث «كان إذا صلى العصر همس»، وفيه «أنه كان يتعوذ من همز الشيطان وهمسه» هو ما يوسوس في الصدور. وفي حديث ابن عباس: وهنّ يمشين بنا هميسا هو صوت نقل أخفاف الإبل. وفي رجز مسيلمة «والذئب الهامس، والليل الدامس» الهامس: الشديد<sup>(٣١)</sup>.

٣. دلالة «الهمس»: في قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُٗ وَخَشَعَتِ الأصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [سورة طه: ١٠٨].

### في الميزان:

قد سبقت الإشارة إلى أنّ مادة

(٣٠) المرجع نفسه، ص ٥٤٠، مادة (همس).

(٣١) ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥/ ٢٧٣- ٢٧٤.

(همس) لم ترد في القرآن الكريم كلّه إلا مرة واحدة في قوله تعالى في سورة طه: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُٗ وَخَشَعَتِ الأصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾، لذا لن يكون الكلام حول الهمس بالقدر ذاته الذي كان في موضوعه الجهر.

جاء في كتاب التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ) في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُٗ وَخَشَعَتِ الأصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [سورة طه: ١٠٨]: «والخشوع: الخضوع، وفي كل شيء من الإنسان مظهر من الخشوع في الصوت: الإسرار به، فلذلك فرع عليه قوله: ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ والهمس الصوت الخفي». وإسناد الخشوع إلى الأصوات مجاز عقلي، فإن الخشوع لأصحاب الأصوات؛ أو استعير الخشوع لانخفاض الصوت وإسراره، وهذا الخشوع من هول المقام<sup>(٣٢)</sup>.

(٣٢) محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير

للشيخ، ١٦/ ٣٠٩- ٣١٠.



الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم بين التفسير والتأويل ..... (المصباح)

علم الإنس والجن بأن مالك لهم سواه فلا يُسمع لهم صوت يزيد على الهمس وهو أخفى الصوت ويكاد يكون كلاماً يفهم بتحريك الشفتين لضعفه. وحق لمن كان الله محاسبه أن يخشع طرفه ويضعف صوته ويختلط قوله ويطول غمّه. وثانيهما: قال ابن عباس والحسن وعكرمة وابن يزيد: الهمس وطء الأقدام، فالمعنى أنه لا تسمع إلا خفق الأقدام ونقلها إلى المحشر" (٣٤).

وجاء في كتاب زاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج ابن الجوزي (٥٩٧هـ) في تفسير وله تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [سورة طه: ١٠٨] ما نصه: «وفيه ثلاثة أقوال: أحدهما: وطء الأقدام؛ رواه العوفي عن ابن عباس وبه قال الحسن وسعيد بن جبیر وعكرمة ومجاهد في رواية، واختاره الفراء والزجاج. الثاني: تحريك الشفاه بغير نطق رواه سعيد بن جبیر عن ابن عباس. الثالث: الكلام الخفي روي

(٣٤) فخر الدين الرازي: التفسير الكبير، ٢٢ /

١٠٢ - ١٠٣.

وقال ابن كثير (ت ٧٧٤هـ): ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ قال سعيد بن جبیر عن ابن عباس: يعني وطء الأقدام. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ الصوت الخفي، وقال سعيد بن جبیر: الحديث وسرّه، ووطء الأقدام، فقد جمع سعيد كلا القولين، وهو محتمل، أما وطء الأقدام فالمراد سعي الناس إلى المحشر وهو مشيهم في سكون وخضوع، وأما الكلام الخفي فقد يكون في حال دون حال. فقد قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتُ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ (٣٣).

وجاء في التفسير الكبير للرازي (ت ٦٠٦هـ): «قوله: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [سورة طه: ١٠٨] وفي وجوه: أحدهما: خشعت الأصوات من شدة الفرع وخضعت وخفيت فلا تسمع إلا همسا وهو الذكر الخفي، قال أبو مسلم: وقد

(٣٣) محمد علي الصابوني: تفسير ابن كثير

اختصار وتحقيق، ٢ / ٤٩٤.



عن مجاهد، وقال أبو عبيدة: الصوت الخفي<sup>(٣٥)</sup>.

الراغب الأصفهاني، راداً بذلك على الزمخشري<sup>(٣٦)</sup>.

### خلاصة:

بعدما سيق من أقاويل المفسرين في تحديد دلالة الجهر في الآيات القرآنية خلصنا إلى الآتي:

- أن الجهر نوعان: جهر تدركه الأسماع؛ وهو الوارد في أغلب الآيات من مثل قوله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [سورة النساء: ١٤٨]، وقوله تعالى: ﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [سورة الملك: ١٣] وجهر تدركه الأبصار؛ وهو الوارد في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [سورة البقرة: ٥٥]، وفي قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا آرَأَيْتُمْ اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [سورة النساء: ١٥٣]. و كلا النوعين حقيقة على ما حققه الطاهر بن عاشور معوّلاً على ما ذهب إلى

- تأتي كلمة الجهر في القرآن بدلالات متنوعة -على غرار كلمة (أُمَّة)، وكلمة (وحي) - في القرآن كريم ولكن أغلبها متقاربة؛ فقد جاءت بمعنى: العلانية، والعيان، و الظهور الواضح، و ما يبلغ إلى أسمع الناس، و الدعاء على الظالم وذكره بسوء باقتصاد من المؤمن وبإطلاق مع غيره، و التشهير بمن أبى الاستضافة، القول بنوعيه (الظاهر والخفي)، النهار (ضد الليل)، الرفع في القول، ما نطقت به الألسنة، و تعميم الإنفاق، و الرياء، وقوة صوت الناطق بالكلام، و ضد المخافتة، و ضد السرّ وما هو أخفى من السرّ، أسلوب في دعوة الأنبياء، و ضد النسيان، فكان بذلك درجات ومقادير متفاوتة؛ فما كان موافقاً لمعتاد الكلام فهو جهر، وما

(٣٥) ابن الجوزي، أبو الفرج: زاد المسير في علم التفسير، ص ٢٢٣.

(٣٦) ينظر: الراغب الأصفهاني: مفردات غريب القرآن، ص ١١٥، مادة: (جهر).



والسكون الغامر: ﴿وَحَشَعَتْ

الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾

[سورة طه: ١٠٨]، ﴿وَعَنْتِ

الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ [سورة طه:

١١١]. وهكذا يخيم الجلال على

الموقف كله، وتغمر الساحة التي

لا يحدها البصر رهبةً وصمتٌ

وخشوعٌ. فالكلام همس. والسؤال

تحافت. والخشوع ضاف. والوجوه

عانية. وجلال الحي القيوم يغمر

النفوس بالجلال الرزين. ولا

شفاعة إلا لمن ارتضى الله قوله.

والعلم كله لله. وهم لا يحيطون

به علما. والظالمون يحملون الخيبة.

والذين آمنوا مطمئنون لا يخشون

ظلما في الحساب ولا هضما لما

عملوا من صالحات. إنه الجلال،

يغمر الجوّ كله ويغشاه، في حضرة

الرحمن» (٣٧).

وبناءً على ما تقدم، فإن الجهر هو

ارتفاع للصوت وهو ضد الخفوت

(٣٧) ينظر: سيد قطب: في ظلال القرآن، ١٢-

تجاوزه وزاد عنه فهو رفع للصوت؛

كما بين ذلك الطاهر بن عاشور في

بداية سورة الحجرات. والنبى ﷺ

كان يتكلم بجهر معتاد.

أن كلمة الهمس في القرآن تأتي

بدلالات متنوعة في القرآن الكريم-

على غرار كلمة (جهر)؛ فقد جاءت

بمعنى: الصوت الخفي، الكلام

الخفي، الذكر الخفي، الحديث وسره،

صوت خفي يكاد يفهم بتحريك

الشفتين لضعفه، تحريك الشفاه بغير

نطق، وطء الأقدام.

أن الآية الكريمة ﴿يَوْمَئِذٍ

يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ، وَخَشَعَتِ

الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾

[سورة طه: ١٠٨] جاءت لتصوّر

مشهداً من مشاهد يوم القيامة؛

وهو مشهد جليل يكتنفه الخشوع

والجلال من كل جهة؛ والهمس هو

إحدى صور هذا الخشوع، وهذا

الخشوع هو من هول المقام. يقول

سيد قطب ﷺ في تفسير الظلال:

«ثم يخيم الصوت الرهيب





الذي هو انتفاء الصّوت، وأنّ الهمس منزلة بين المنزلتين، وهو صوت مسموع مع ذلك لكنّه دون الجهر، ولذا أمكن العلماء أن يضعوه في مقابل الجهر لأنه خلافة، ووجبت الصّلاة بهما مع يترتب عن عجمة الظهر والعصر بالنسبة إلى صلاة الذكر من المسلمين وعجمة كلّ الصّلوات الخمس عند الإناث منهم. ولئن كان الخفوت انعدام للصّوت، فكيف يمكن أن نقف على مضمونه إذا انعدم وما قد ما يترتب عن ذلك من عدم القدرة على تصحيح التلاوة بوجه من الوجوه؟.

### خاتمة وتوصية:

عكفنا في دراستنا التدبّرية على استنطاق بعض المصطلحات القرآنية التي تلهجُ بها الألسنة آناء الليل وأطراف النّهار من دون إدراك منها لأوجه الصّواب فيها أو أن يقولوا على تحريجها، بما تمليه طبيعة المعجم اللغوي والسياق القرآني، للتدليل على أنّ القرآن لم يأتِ العرب بلغة جديدة وإنّما أتاهم بفكر جديد ضمّن ألفاظاً

يعرفونها ولا يقوون على مجاراتها، "فتحدّاهم بما كانوا لا يشكون أنّهم يقدرّون على أكثر منه، فلم يزل يقرعهم بعجزهم وينقصهم على نقصهم، حتّى تبيّن ذلك لضعفائهم وعوامهم كما تبيّن لأقويائهم وخواصهم" (٣٨). ولئن كان القرآن الكريم وما يزال مثار حركة علمية، شملت جميع نواحيه نحواً، وصرفاً، ولغةً، وبلاغةً، وإعجازاً، إلّا أنّه يجب الإقرار من باب «الصّواب أنّه لا نهاية لوجوه إعجازه» (٣٩)، والدلالة إحداها، وهو ما عمدنا إلى تحقيق غيض من فيضه، مع رجائنا أن يكون فاتحة لباب سيّلجّه آخرون. والحمد لله أولاً وأخيراً.

### المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

- أسد، حسن كاظم: أثر الإعجاز التصويري التعبيري في تفسير القرآن الكريم، سلسلة (أ) العلوم

(٣٨) الجاحظ: حجج النبوة، ضمن رسائل الجاحظ، ٢ / ٢٧٩.

(٣٩) السيوطي: إعجاز القرآن ومعترك الأقران، ١ / ٥.



- الإنسانية، مجلة جامعة بابل،  
العراق، المجلد ١٩، العدد ٤،  
كانون أول، ٢٠١١م.
- الباقلافي، أبو بكر محمد بن الطيب:  
إعجاز القرآن. تحقيق أحمد صقر.  
ط٣- دار المعارف - مصر.
- ابن الأثير، محيي الدين أبي  
السعادات، النهاية في غريب  
الحديث والأثر، تحقيق محمود محمد  
الطناحي وطاهر أحمد الزاوي،  
دار إحياء الكتب العربية، ط١،  
١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م.
- ابن الجوزي، أبو الفرج: زاد المسير  
في علم التفسير، تحقيق محمد بن عبد  
الرحمن عبد الله، وخرّج أحاديثه: أبو  
هاجر، دار الفكر، ط١، بيروت، لبنان  
١٤٠٧هـ - ١٩٨١م.
- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن:  
جمهرة اللغة، دار صادر، مطبعة  
مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر  
آباد الدكن، ط١، ١٣٤٥هـ.
- ابن الماوردي، أبو الحسن علي: أعلام  
النبوة، دار الكتب العلمية، ط١،
- بيروت، ١٩٨٦م.
- ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير  
والتنوير، دار سحنون، تونس،  
١٩٩٧م.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين  
محمد بن مكرم: لسان العرب، دار  
صادر، بيروت.
- الجاحظ، أبو عمرو عثمان بحر:  
حجج النبوة، ضمن رسائل  
الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد  
هارون، مكتبة الخانجي، ط٢،  
١٩٩٢م.
- الخطابي، أبو سليمان أحمد بن محمد،  
بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث  
رسائل في إعجاز القرآن الرّماني  
والخطّابي وعبد القاهر الجرجاني،  
تحقيق وتعليق محمد خلف الله  
محمد و محمود زغلول سلام، دار  
المعارف، مصر، ط٢، ١٣٨٧هـ -  
١٩٦٨م.
- الخليل بن أحمد، أبو عبد الرحمن،  
العين، تحقيق إبراهيم السامرائي  
ومهدي المخزومي، دار الرشيد

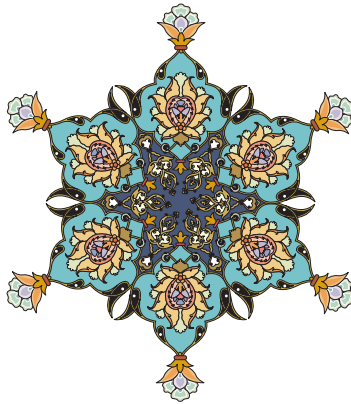


- للنشر، وزارة الثقافة والإعلام،  
الجمهورية العراقية، ١٩٨٠م.
- الخولي، أمين: ينظر التفسير، معالم  
حياته، منهجه اليوم، أخرجه في  
كتاب مستقل جماعة الكتاب،  
١٩٤٤م.
- خياط، يوسف: معجم المصطلحات  
العلمية و الفنية، دار لسان العرب،  
بيروت، ١٩٧٤م.
- دروزة، محمد عزّت: التفسير الجديد،  
دار إحياء الكتب العربية ١٣٨١هـ-  
١٩٦٢م.
- الرّازي، فخر الدّين: التفسير الكبير،  
دار الكتب العلمية، بيروت لبنان  
١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- الراغب الأصفهاني، أبو الفرج:  
مفردات غريب القرآن، راجعه  
وعلق عليه نجيب الماجدي، الطبعة  
الأولى، المكتبة العصرية، لبنان،  
١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى:  
النكت في إعجاز القرآن، ضمن  
ثلاث رسائل في الإعجاز، تحقيق
- محمد خلف الله ومحمد زغلول  
سلام، دار المعارف، مصر.
- الزرقاني، محمد: مناهل العرفان، في  
علوم القرآن، دار الفكر.
- الزمخشري، جار الله: الكشّاف عن  
حقائق التنزيل و عيون الأقاويل  
في وجوه التأويل، تحقيق وتعليق:  
محمد مرسي عامر، دار المصحف.  
القاهرة.
- إعجاز القرآن و معترك الأقران، دار  
الكتب العلمية، ط١، بيروت، لبنان،  
١٤٠٨ هـ-١٩٨٨ م.
- الصابوني، محمد علي: تفسير ابن  
كثير، اختصار وتحقيق، دار القرآن  
الكريم، ط٧، بيروت، ١٤٠٢هـ-  
١٩٨١م.
- العكيلي، حسن منديل: نظرات في  
إعجاز القرآن، مجلة مآب، تصدرها  
دائرة الشؤون القرآنية بمؤسسة شهيد  
المحراب ثنّيش للتلبيغ الإسلامي،  
النجف، العراق، السنة ٢، العدد ٢،  
١٤٢٧هـ-٢٠٠٧م.
- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن



الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم بين التفسير والتأويل ..... المصباح

- يعقوب: القاموس المحيط، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ودار الجليل بيروت. ١٩٨٨م.
- القطب، سيّد: في ظلال القرآن، دار الشروق، ط١٥، القاهرة ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.
- القرطبي، أبو عبد الله الأنصاري: الجامع لأحكام القرآن، صحّحه أحمد عبد العليم البردوني، دار الكتاب العربي. ط٢، بيروت، لبنان، ١٩٥٢م.
- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق وتعليق الشيخ قاسم الشاعبي الرفاعي، دار القلم، ط١، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٩م.



# مِنْ تَارِيخِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَدَعْوَةِ النَّبِيِّ مُوسَى إِيَّاهُمْ بِشَهَادَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

الشيخ الدكتور منصور مندور  
من علماء الأزهر الشريف  
جمهورية مصر العربية

## فحوى البحث

يجهل كثير من شبابنا وبنائنا حقيقة بني إسرائيل وتاريخهم،  
ومن هو (إسرائيل) ومن هم بنوه، ومن هم انبياء بني إسرائيل، و  
ما هي كتبهم؟. وقد تناولها الباحث بايجاز كما تناول تاريخ بني  
إسرائيل من يعقوب عليه السلام إلى (يوشع بن نون)، وعرض لذكر انبياء  
بني إسرائيل وكتبهم.

وفي مبحث آخر، عرض السيد الباحث لنبي الله موسى عليه السلام  
وعصره ودعوته قومه ورحلتهم إلى بلاد فلسطين. عرض كل ذلك من  
خلال الرؤية القرآنية الصادقة التي لم تترك جانباً من هذا التاريخ  
وفي مواضع كثيرة من سوره وآياته المباركة.

الكريم في (ثلاثة وأربعين) موضعاً بصيغة يا بني إسرائيل، منها موضعان فقط بلفظ (إسرائيل)، في آل عمران آية (٩٣) وفي مريم آية (٥٨) وجاء ذكر يعقوب في (١٦) موضعاً في القرآن الكريم<sup>(٢)</sup>. وقد رُزق يعقوبُ باثني عشر ولداً من أزواجه.

فمن ليئة ستة أولاد وهم: رأوين، شمعون، لاوي، يهوذا، يسّاكر، زبولون. ورزق من زوجته (راحيل) اثني هما: يوسف وبنيامين. ورزق من (زلفا) جارية ليئة اثني هما: جاد وأشير. ورزق من (بلها) اثني هما: دان، نفتالي. ومن أبناء يعقوب وذرياتهم من بعدهم تكونت أمة بني إسرائيل ونسبت إليه<sup>(٣)</sup>.

(٢) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (محمد فؤاد عبد الباقي) مادة (إ س ر) ص٤٣ ومادة (ي ق ن) ص٩٣٩ ط دار الحديث القاهرة.

(٣) بتصرف: بنو إسرائيل في القرآن والسنة أ د محمد سيد طنطاوي ص١٢ ط أولى دار الشروق، العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية د سعد الدين صالح ط: مكتبة الصحابة الإمارات الشارقة ص٥٥.

## المبحث الاول:

### نبذة تاريخية مختصرة عن بني إسرائيل

عموماً:

بنو إسرائيل هم أبناء إسرائيل، وإسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم<sup>عليه السلام</sup>.

وإسرائيل كلمة عبرية مركبة من جزئين؛ الأول (إسرا) بمعنى عبد أو صفوة والثاني (إيل) بمعنى الله، وبذلك يكون معنى إسرائيل: عبد الله أو صفوة الله.

وترى السخف والاسطورة عياناً عندما تقرأ في كتب اليهود التعليل لتسمية يعقوب بإسرائيل، فتدعي - كما في كتبهم<sup>(١)</sup> - أن الله قابل يعقوب في الصحراء، فصارعه حتى كسر حق فخذه، فأمسك به يعقوب ولم يتركه حتى قال له الإله: اتركني، فقال يعقوب: لا أتركك حتى تباركني، فقال له الإله: ما اسمك؟ قال يعقوب، قال: لا يكون اسمك بعد اليوم يعقوب بل إسرائيل.

ولقد جاء ذكر (إسرائيل) في القرآن

(١) سفر التكوين إصحاح ٣٢ عدد ٢٥-٢٩.



ثانياً: تاريخ بني إسرائيل من يعقوب إلى يوشع بن نون:

على أثر ما حاق بفلسطين من مجاعة، وما أصاب مراعيها من جذب وقحط وجفاف، هاجر يعقوب عليه السلام بأهله من فلسطين إلى مصر حوالي القرن التاسع عشر قبل الميلاد، وذلك بسبب أن أبناء يعقوب كانوا يترددون على مصر بقصد التجارة، وطلب القوت، فتعرفوا على أخيهم يوسف عليه السلام الذي كان في ذلك الوقت أميناً على خزائن مصر، فأكرمهم وطلب منهم أن يحضروا جميعاً ومعهم أبوهم يعقوب إلى أرض مصر ليعيشوا فيها، فحضروا إلى مصر وكان عددهم ستاً وستين نفساً سوى نسوة أولاده.

وقد أكرم يوسف عليه السلام مثنى أبيه وإخوته، ولقد أنزلهم ملك مصر في أرض جاسان<sup>(٤)</sup> بناء على رغبتهم، وكانت أخصب البقاع، وقال ليوسف: أبوك وإخوتك جاءوا إليك أرض مصر، ففي أفضل أراضيتها أسكن أباك وإخوتك، ليكونوا في أرض جاسان..

(٤) تقع بمحافظة الشرقية - شرق القاهرة.

فأسكن يوسف أباه وأخوته، وأعطاهم ملكاً في أرض مصر في أفضل الأرض، وعال يوسف أباه وأخوته وكل بيت أبيه بطعام على حسب الأولاد<sup>(٥)</sup>.

وقد عاش بنو إسرائيل في مصر، ودفعهم إلى المكث فيها ما اكتسبوه من خيرات وما نالوه من أمن واستقرار بعد طول ترحال ومجاعات حلت بهم قبل ذلك، ووقعت مصر بعد ذلك تحت حكم الهكسوس؛ نَعِمَ خلالها بنو إسرائيل بحياة آمنة رخية طوال هذه الفترة.

فلما تمكن أحس من الانتصار على الهكسوس وطردهم من مصر، وكان ذلك في القرن السادس عشر قبل الميلاد، بدت المخاوف تراود بني إسرائيل من نظام الحكم الجديد، ثم لما جاء عهد رمسيس الثاني أعظم ملوك الأسرة التاسعة عشرة، جاهر المصريون بعداوتهم لبني إسرائيل، وأخذوا ينزلون بهم أشد الضربات وألوان العقوبات، وذلك لأنهم رأوا منهم عزلةً وغروراً واستلاباً لأموالهم بطرق خبيثة، كما رأوا

(٥) عن سفر التكوين الإصحاح ٤٧.





من تاريخ بني إسرائيل ودعوة النبي موسى إياهم

## • البصباح

منهم أيضا تواطؤاً مع الهكسوس ضد أبناء الأمة الأصليين<sup>(٦)</sup>.

نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ [سورة إبراهيم: ٦].

هذا وقد حكى القرآن الكريم في كثير من آياته نهاج من العذاب الذي أنزله فرعون وجنده بيني إسرائيل.

وفي خضم هذه المصائب التي حاقت ببني إسرائيل، وهم يرزحون<sup>(٧)</sup> تحت نيران الاستعباد أرسل الله إليهم وإلى فرعون رسولين إسرائيليين من نسل لاوي أحد أبناء يعقوب هما موسى وهارون عليهما السلام ليدعواهم إلى عبادة الله الواحد الأحد وينقذانهم مما هم فيه من بلاء وذل ومهانة.

يقول الله تعالى في سورة القصص: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ [سورة القصص: ٤].

وفي سورة البقرة يقول سبحانه ممثنا على بني إسرائيل: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكَ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ [سورة البقرة: ٤٩].

قال تعالى في الأعراف: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يُفْرِعُونَ لِي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٥﴾ حَقِيقٌ عَلَيَّ أَن لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بَيِّنَةً مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٠٤﴾ [سورة الأعراف: ١٠٤-١٠٥].

وفي سورة إبراهيم يقول سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ

فما كان من فرعون وجنوده إلا أن زادوا في إيذائهم لبني إسرائيل كما حكى القرآن الكريم: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِّن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذُرْكُمُ الْهَتَكُ قَالَ سَنَقْتُلُنَّ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ

(٦) بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص-٢٠ بتصرف.

(٧) رزح: بمعنى ضعف وذهب ما في يده.



**قَهْرُونَ** ﴿ [سورة الأعراف: ١٢٧]،  
فما كان من موسى ﷺ إلا أن أوصى  
قومه بالصبر كما قال سبحانه: ﴿ قَالَ  
مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا  
إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ  
عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوا  
أُوزِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا  
جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ  
عُدْوَكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ  
فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿ [سورة  
الأعراف ١٢٨-١٢٩].

إلى أن خرج موسى ببني إسرائيل  
من مصر قاصداً بلاد كنعان (فلسطين  
وما إليها وهي الأرض المقدسة التي  
وعدهم الله إياها) بأرض الشام، وكان  
ذلك كما يقول بعض المؤرخين: في عهد  
منفتح بن رمسيس الثاني حوالي سنة  
١٢١٣ ق م.

وكان عددهم قد نما وزاد في مصر  
إلى أن وصل إلى أن حملة السلاح فقط  
قد بلغوا (٦٠٣٥٠٠) نسمة<sup>(٨)</sup> ففي  
سفر العدد الإصحاح الأول أن موسى  
(٨) بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص٢٣.

أحصى بني إسرائيل عند الخروج من  
مصر فوجد حملة السلاح منهم (أي  
الذكور ابتداء من سن العشرين) يبلغون  
(٦٠٣٥٠٠) وفي هذا إشارة إلى أن  
تعدادهم العام كان يزيد عن المليون<sup>(٩)</sup>.

ونجى الله موسى و بني إسرائيل  
من بطش فرعون وجنوده كما ذكر  
تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ  
الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِّنَ  
الْمُفْسِرِينَ ﴿ [سورة الدخان: ٣٠-٣١]،

ورأوا بأعينهم غرق فرعون وجنوده،  
وساروا إلى أرض فلسطين بالشام آملين  
أن يصبحوا أمة قوية بياهم، صالحة  
بأعمالها، بعد أن أصبحوا أحرارا في  
شئونهم وتصرفاتهم وأحوالهم، وأصبح  
لهم قائد من بينهم ينظر في أحوالهم،  
ويرد قويمهم عن ضعيفهم، ويجمعهم من  
تفرق، ويهديهم من ضلال، وأصبح لهم  
جيش يقوم على حمايتهم.

ومن هنا يمكن القول: إن تاريخ  
بني إسرائيل لم يبتدئ إلا بعد خروجهم  
من مصر، وظل موسى ﷺ يبلغ رسالته  
(٩) بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص٢٤.





إلى بني إسرائيل، ويواصل سيره إلى أرض الشام، وقبل أن يصل إلى الأرض المقدسة التي كان يسكنها الكنعانيون الجبابرة أمرهم موسى أن يُعدّوا أنفسهم لجهاد هؤلاء الجبابرة.

واختار منهم اثني عشر نقيبا أمرهم أن يتقدموه في دخول الأرض المقدسة لمعرفة أحوالها وأحوال سكانها، ونفذ النقباء ما كلفهم به موسى ﷺ، ثم عادوا ليقولوا له: إن الأرض المقدسة تدر لبنا وعسلا إلا أن سكانها من الجبارين، وأخذ كل نقيب يخذل جماعته عن دخولها، إلا رجلين منهم، فإنها أمر بني إسرائيل أن يطيعوا نبيهم موسى وأن يصمموا على دخول الأرض المقدسة التي كتبها الله لهم وبشرهم بالنصر إذا اعتمدوا على الله تعالى وأخلصوا النية للجهاد، ولكن بني إسرائيل عصوا نصيحة الرجلين الناصحين لهم كما عصوا نبيهم موسى ﷺ فكانت نتيجة جبنهم وعصيانهم أن ابتلاههم الله بالتيه أربعين سنة<sup>(١٠)</sup>.

وقد أخبرنا ربنا بما كان من القوم فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرُدُّوا عَلَىٰ آدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا فِيهَا قَوْمٌ جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَنَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة المائدة: ٢٠ - ٢٦].

إلى أن مات موسى ﷺ، فتولى يوشع بن نون قيادة بني إسرائيل،

(١٠) بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص: ٣٠.

وجعل الله النصر على يديه في دخول تلك المدينة المقدسة، وقد قسم يوشع بن نون الأرض التي استولى عليها من الكنعانيين بين الأسباط، وسكن بنو إسرائيل المدن والقرى والقصور والمنازل التي توارثوها من الكنعانيين.

وقد جاء في الإصحاح الرابع والعشرين من سفر (يوشع) أنه مات بعد أن بلغ من العمر مائة وعشر سنين، ودفن في أرض ميراثه في جبل (إفرايم) قرب نابلس اليوم<sup>(١١)</sup>.

ثالثاً: أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام:

من نعم الله على بني إسرائيل أن جعل فيهم الأنبياء والرسل يذكرونهم بنعم الله عليهم، كلما هلك نبي قام نبي آخر، وذلك منذ عهد أبيهم إبراهيم عليه السلام، إلى خاتم أنبياء بني إسرائيل عيسى ابن مريم عليه السلام.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان بين موسى بن عمران وعيسى ابن مريم عليهما السلام ألف سنة وسبعمائة سنة، ولم يكن بينهما فترة، وأنه أرسل بينهما ألف نبي من بني سفر يوشع إصحاح ٢٤.

إسرائيل سوى من أرسل من غيرهم، وكان بين ميلاد عيسى والنبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة وتسع وستون سنة، بعث في أولها ثلاثة أنبياء؛ وهو قوله تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ [سورة يس: ١٤] والذي عززه به "شمعون" وكان من الحواريين. وكانت الفترة التي لم يبعث الله تعالى فيها رسولا أربعمائة سنة وأربعا وثلاثين سنة<sup>(١٢)</sup>.

وأخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت الأنبياء من بني إسرائيل إلا عشرة. نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، وإبراهيم، وإسماعيل، واسحق، ومحمد صلى الله عليه وسلم، ولم يكن من الأنبياء من له اسمان إلا إسرائيل وعيسى، فأسرائيل يعقوب، وعيسى المسيح<sup>(١٣)</sup>.

أنبياء لا حصر لهم؛ إسحاق ويعقوب (١٢) الجامع لأحكام القرآن، الإمام القرطبي ج٦ ص١٢١.  
(١٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور. للإمام جلال الدين السيوطي: المجلد الأول. [سورة البقرة: ٤٠].



وثلاثة عشر رسولا) أدرنا مدى  
تفشي الانحراف والفساد في اليهود،  
لدرجة أنهم واجهوا رسل الله وأنبياءه  
بالقتل والتكذيب، وإلى هذا يشير المولى  
سبحانه في سورة البقرة بقوله: ﴿ **وَلَقَدْ  
ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ  
بِالرُّسُلِ ۖ وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ  
وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۖ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ  
بِمَا لَا تُهَوِّئُونَ أَنْفُسَكُمْ أَصْتَكْبَرْتُمْ ۖ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ  
وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ۖ﴾ [سورة البقرة: ٨٧].**

وهذه ملاحظة مهمة ينبغي أن يعيها  
المسلمون تماما، حتى يعلموا الطبيعة  
اليهودية الخبيثة التي لا تستجيب إطلاقا  
لداعي الخير مهما كانت الظروف (١٤).

رابعاً: كتبهم المقدسة:

الكتب المقدسة لدى بني إسرائيل  
هي التوراة والإنجيل.

والتوراة هي التي أنزلها الله - عز  
وجل - على موسى عليه السلام أو ما يسمونه  
بالعهد القديم، وهي تعني الشريعة أو  
التعاليم الدينية. وتنقسم على أربعة أقسام

(١٤) نقلا عن كتاب العقيدة اليهودية وخطرها  
على الإنسانية ص ١٢٠.

ويوسف وموسى وهارون وأشعيا و  
إلياء وزكريا ويحيى وعيسى وغيرهم  
كثير؛ لدرجة أن الله كان يبعث لهم أكثر  
من نبي في وقت واحد؛ فقد بعث لهم  
موسى وهارون في آن واحد، وعيسى  
في عصر يحيى، ويعقوب ويوسف وجدا  
في زمن واحد، وغير ذلك مما نص عليه  
القرآن الكريم، وذكره العهدان القديم  
والجديد.

**العلة من كثرة الأنبياء في بني إسرائيل:**

كثرة الأنبياء في بني إسرائيل نتيجة  
منطقية لفسادهم وانحرافهم، فقد كان  
النبي يأتي ومعه أو في عقبه نبي آخر؛  
وهذا دليل على صلابه رقابهم، وجفاء  
طباعهم، وقسوة قلوبهم.

وكما يقولون: كثرة الدواء والعلاج  
دليل واضح على استعصاء المرض  
وتفشيته.

يقول المؤرخون: إن معظم الأنبياء  
والرسل الذين أرسلهم الله - عز وجل -  
إلى العالم كانوا في اليهود، وإذا علمنا أن  
عدد الأنبياء والرسل كان بالآلاف (مائة  
وأربعة وعشرون ألف نبي وثلاثمائة



القسم الأول: ويشمل أسفار موسى الخمسة، وهي سفر التكوين أو سفر الخليفة، وسفر الخروج، وسفر اللاويين، وسفر العدد، وسفر التثنية، وهذه الأسفار تسمى التوراة.

والقسم الثاني: وهو الأسفار التاريخية، وهي اثنا عشر سفراً تعرض لتاريخ بني إسرائيل بعد استيلائهم على بلاد الكنعانيين، وبعد استقرارهم في فلسطين، وتفصل تاريخ قضاتهم وملوكهم وأيامهم، والحوادث البارزة في شؤونهم، وهذه الأسفار هي أسفار يوشع، والقضاة، وراعوث، وصموئيل، والملوك، وأخبار الأيام، وعزرا، ونحميا، وأستير.

القسم الثالث: وهي أسفار الأناشيد أو الأسفار الشعرية، وهي خمسة أسفار أيوب، ومزامير داود، وأمثال سليمان، والجامعة من أمثال سليمان، ونشيد الأناشيد لسليمان.

القسم الرابع: يسمى أسفار الأنبياء، وعددهم سبعة عشر سفراً، وهي أسفار أشعيا، ومزمي رمياء، وحزقيال،

ودنيال وهوشع، ويوثيل، وعاموس، وعوبديا، ويونس أو يونان، وميخا، وناحوم، وحقوق، وصفنيا، وحجي، وزكريا، وملاخي<sup>(١٥)</sup>.

والذي يعنينا من هذه الأقسام الأربعة هو القسم الأول، الذي يشمل أسفار موسى الخمسة، والتي نسبت لموسى عليه السلام ويعتقد اليهود أنها وحي من الله تعالى، وما عدا هذه الأسفار الخمسة هو حشد من المؤلفات البشرية التي لم يخبرنا القرآن الكريم عنها شيئاً.

وأما الإنجيل: فهو الكتاب الذي أنزله الله تعالى على رسوله عيسى ابن مريم عليه السلام ويسميه النصارى بالعهد الجديد، ويشتمل على الأناجيل الأربعة التي هي بين أيدي النصارى الآن، وهي إنجيل متى، وإنجيل يوحنا، وإنجيل لوقا، وإنجيل مرقس؛ ومجموع هذه الكتب (العهد الجديد مع العهد القديم) تسمى بالكتاب المقدس.

ولقد أشار القرآن الكريم إلى

(١٥) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ص ١٣.





من تاريخ بني إسرائيل ودعوة النبي موسى إياهم

## • المصباح

التوراة والإنجيل اللذين أنزلهما على موسى وعيسى عليهما السلام، وجعلهما مصدر هداية للناس من بني إسرائيل؛ قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٣﴾ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٤﴾﴾ [سورة آل عمران: ٢ - ٤] وقال سبحانه:

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة المائدة: ٤٦].

أولاً: من حيث السند: فإنه ليس لها سند متصل إلى موسى عليه السلام وقد افتقدت أبسط شروط التواتر، إذ أنها تعرضت للسلب مع التابوت، ولم يرجع منها إلا بقية لا يعلم قدرها، وإلى هذا أشار القرآن الكريم بقوله سبحانه: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آءَالُ مُوسَىٰ وَآءَالُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة البقرة: ٢٤٨].

كما أخبرنا القرآن الكريم بأن اليهود والنصارى قد امتدت أياديهم الآثمة إلى كتبهم المقدسة بالتحريف والتبديل، وإخفاء مالا يتفق مع هواهم، وقال تعالى في شأنهم: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ وَلَٰكِن يَدَّبْكُمْ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَىٰ

ثم اختفت التوراة، إلى أن جاء يوشع بن نون، وظهرت في عهده، وكان ذلك بعد ثماني عشرة سنة من جلوسه على العرش<sup>(١٦)</sup>. ولا بد لكي يكون الكتاب سماويا واجب التسليم (١٦) العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية ص ١٨٠.

أن يثبت أولاً بدليل تام أن هذا الكتاب كتب بواسطة النبي الفلاني، ووصل بعد ذلك إلينا بالسند المتصل، بلا تبديل ولا تغيير، وهو ما يعرف بالتواتر الذي نقله جمع عن جمع، يؤمنُ تواطؤهم على الكذب، حتى تصل السلسلة إلى الرسول الذي أسند إليه الكتاب (١٧).

ثانياً: أنها ضمت أحداثاً وقعت بعد وفاة موسى عليه السلام مما يدل على أن أيدي البشر قد امتدت إليها بالنقص والزيادة والتحريف والتبديل؛ من ذلك ما ورد في سفر التثنية (فمات موسى عبد الرب في أرض مؤاب حسب قول الرب، ودفنه في الجواء في أرض مؤاب مقابل بيت فغور ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم) (١٨).

فليس من المعقول أن يكون هذا النص الذي ورد بصيغة الماضي، والذي يتحدث عن وفاة موسى عليه السلام ودفنه، (١٧) كتاب إظهار الحق لرحمة الله الهندي ص ٧٤.

(١٨) العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية ١٦٦.

وعدم معرفة قبره إلى اليوم جاء ضمن التوراة التي أنزلها الله عليه، فالموجود الآن عبارة عن مجموعة من الروايات والقصص المشهورة بين اليهود، جمعها أحبارهم بلا نقد أو تحر للحقيقة، والذي يلاحظ المدة الزمنية التي عاش فيها موسى، والفترة التي كتبت فيها الأسفار المقدسة، يجد البون شاسعاً بين موسى والأسفار التي نسبت إليه (١٩).

يقول الدكتور علي عبد الواحد وافي: ظهر للمحدثين من الباحثين أنها أي الأسفار أُلِّفت في عصور لاحقة لعصر موسى عليه السلام بأمد غير قصير وعصر موسى يقع على الأرجح حوالي القرن الرابع عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد، وأن معظم سفري التكوين والخروج قد أُلِّف حوالي القرن التاسع قبل الميلاد، وأن سفري التثنية قد أُلِّف في أواخر القرن السابع قبل الميلاد، وأن سفري العدد واللاوين قد أُلِّف في القرنين الخامس والرابع ق م، وأنها جميعاً

(١٩) العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية ١٦٨.



التوراة وكتب اليهود المقدسة بكاملها. نذكر من شهادته سبينوزا على قومه ما قاله في الفصل الرابع والثلاثين من سفر التثنية في العبارات من (٥) حتى (١٢) أنه مات في أرض كذا ودفن في المكان الفلاني، ومع تحديد مكان دفنه إلا أنه فيما يبدو كذب وافتراء؛ لأنه لم يعرف أحد قبره إلى يومنا هذا، وكان عمره وقت أن مات ١٢٠ سنة، ومع ذلك لم يكل بصره، ولم تذهب نضارته، وظل يكتب كما يدعي عزرا، ورغم تقدمه في السن فإن بني إسرائيل ظلوا يكون عليه ثلاثين يوماً.

وأعجب العجب أن يؤبّن موسى نفسه؛ فيقول عن نفسه: ولم يقم من بعده نبي في إسرائيل كموسى الذي عرفه الربُّ وجهاً إلى وجه في جميع الآيات والمعجزات التي بعثه الرب ليصنعها في أرض مصر بفرعون وجميع عبيده وجميع أرضه وفي كل يد قديرة وكل مخافة عظيمة صنعها موسى على عيون جميع بني إسرائيل، ثم يقول: فهل قرأنا يوماً عن ميت يقارن موته بموت آخرين

مكتوبة بأقلام اليهود، ثم يقول ﷺ: فهي تختلف كل الاختلاف عن التوراة التي يذكر القرآن الكريم أنها كتاب ساوي مقدس أنزله الله تعالى على موسى ﷺ (٢٠).

### شهادة سبينوزا اليهودي على

#### تحريف التوراة:

ولد سبينوزا في ١٦٣٢م وتوفي في ١٦٧٧م فيلسوف يهودي حتى النخاع، ومن أشهر فلاسفة أوروبا بعد زمنه، وما زال مذهبه في الفلسفة شديد التأثير على الكثيرين، وما ذكره عن التوراة وكتب العهد القديم اليهودية يصدق فيه قول القرآن: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ﴾ [سورة الأحقاف: ١٠] والشاهد في الآية هو عبد الله بن سلام وكان يهودياً وأسلم وشهد أن اليهود مزورون، وكانت شهادته موضوعية ومن التوراة، أما سبينوزا فلم يسلم وشهد عليهم أيضاً بالتزوير، وشهادته موضوعية وموثقة وموضوعها

(٢٠) كتاب الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ص١٧.





جاءوا بعده، وفي عصور تالية عليه.

ثم يقول سبينوزا: ومن الغريب أن يقال: إن الله كلم يوشع بعد وفاة موسى وأنه ظل يلازمه ويرشده ليغزو البلاد ويطرد الناس، ويقتلهم من أمامه شعوباً كاملة وأماً وملوكاً، ويعطيه أرضهم يقسمها بين الإسرائيليين، ويتساءل سبينوزا، ترى، من كتب هذا السفر؟ وهل أملاه يوشع على آخرين؟ وهل أملى هذا الكلام عن نفسه يمتدح نفسه ويعدد أفضاله؟. ويتساءل سبينوزا، أليست هذه التوراة كتاباً تاريخياً وطنياً لبني إسرائيل؟. أليست سجلاً قومياً لأجداد إنتحلوها؛ ليقنعوا بها الناس، وصدقوها هم أنفسهم<sup>(٢١)</sup>؟.

فهذه شهادة سبينوزا اليهودي، وهي شهادة تؤكد على ما وقع للتوراة من تحريف وتبديل، وأن هذه التوراة التي بين أيدينا ليست هي التوراة التي أنزلها الله على موسى ﷺ وهذه حقيقة يجب الإيمان بها؛ لأن القرآن الكريم نصّ

(٢١) موسوعة القرآن العظيم/ د. عبد الحليم حفني ص ٤٨٣-٤٨٤ ج ١.

على ذلك قال تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ [سورة النساء: ٤٦] وقال تعالى ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا نَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ [سورة المائدة: ١٣] وقال تعالى: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ٧٥] وقال تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُواكُم بِحَرْفٍ مِنَ الْكَلِمِ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ [سورة المائدة: ٤١].

ويعتبر هذا من معجزات النبي محمد ﷺ لأنه أمي؛ كان يقرأ بالكاد ولا يكتب، (والتوراة كانت مكتوبة بالعبرية واليونانية والآرامية والسريانية ولم تكن قد ظهرت ترجمة عربية بعد، فقد كانت أول ترجمة عربية هي التي توافر عليها سعديا بن يوسف الفيومي المصري وهو من الذين عاشوا في القرن العاشر الميلادي





من تاريخ بني إسرائيل ودعوة النبي موسى إياهم

• المصباح

(١٩٢م - ٩٤٢م) (٢٢) يعني كان بينه وبين النبي ﷺ (٥٧١م - ٦٣٢م) ثلاثة قرون، فمن أين للنبي محمد ﷺ بهذه المعلومات إلا إذا كان يوحى إليه من لدن حكيم عليم ﴿ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا تَهْدِي بِهِ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [سورة الشورى: ٥٢].

### المبحث الثاني:

دعوة موسى عليه السلام لبني إسرائيل:

يحتاج كثير من شبابنا وأبنائنا الى أن يتعرفوا على نبي الله موسى عليه السلام ودعوته لبني إسرائيل، وموقفهم من ذلك... ومن ثم فإننا نتناول في هذا الموضوع:

- موقف بني إسرائيل من موسى عليه السلام ودعوته.
- تعريف بموسى عليه السلام.
- تعريف بدعوة موسى عليه السلام.
- موقف بني إسرائيل من موسى عليه السلام.
- موقف بني إسرائيل من دعوة موسى عليه السلام.

تصور سورة القصص كل ما جرى لموسى عليه السلام، فيقول سبحانه: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَمْرَ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تخَافِي وَلَا تحزني ۗ إِنَّا رآدُوهُ إِلَيْك وجعلوه من المرسلين ﴿٧﴾ فَأَلْقَطَهُ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمُ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وهمن وجنودهما كانوا خطيئين ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنَ لِي وَلَك لَأَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَدِرْعًا ۗ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتِ لِأُخْتِيهِ قُصِيهِ فَبَصَّرْتِ بِهِ عَنْ جُنْبِ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ ناصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۗ وَلَتَعْلَمَنَّ أَنَّ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا ۗ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة القصص: ٧ - ١٣].

شب موسى وترعرع في بيت فرعون، ولما بلغ أشده اتجهت إليه

(٢٢) موسوعة القرآن العظيم/ د. عبد الحليم حفني ص ٤٨٦ ج ١.

أنظار المستضعفين من بني إسرائيل؛ لينقذهم من الذل والمهانة، والضعف والاستكانة، ويرفع عنهم الآلام والمعاناة التي وقعوا فيها، فهم قومه وأهله وبنو رحمه، وقد كان موسى عليه السلام يشعر بتلك المسؤولية الملقاة على عاتقه، فقد خرج يوماً على حين غفلة من أهل المدينة، فوجد رجلين يقتتلان، أحدهما عبري من أشياعه، والآخر مصري من آل فرعون، يسعى الآخر لتسخير الأول عنده في بعض أعماله، فاستغاث العبري بموسى عندما رآه، واستعان به على المصري، فهمم موسى عليه السلام بالمصري فوكزه وكزةً كانت القاضية، ولم يعلم بذلك أحد إلا العبري الذي استنصر بموسى، وندم موسى عليه السلام على ذلك ندماً شديداً، وعدّها من عمل الشيطان، وتضرع موسى إلى ربه، وندم على ما جنت يده، واستغفر ربه فغفر له، وعزم موسى عليه السلام على ألا يكون ظهيراً للمجرمين، أو ناصرًا للمعتدين.

يصور القرآن الكريم ذلك فيقول سبحانه: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ

حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾  
وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ هَذَا ﴿٢٣﴾ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ﴿١٥﴾ قَالَ قَالَ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ [سورة القصص: ١٤ - ١٧].

فلما كان اليوم التالي، خرج موسى عليه السلام إلى المدينة وهو خائف أن يفتضح أمره، أو تكشف فعلته التي اقترفها بالأمس، فإذا به يجد ذلك الإسرائيلي يقاتل مصرياً آخر، فاستغاثه الإسرائيلي على المصري، وعلى الرغم من عزم موسى عليه السلام على عدم مظاهرة المعتدين إلا أنه هم بيطش المصري، وفي نفس الوقت قال للإسرائيلي إنك لغويّ مبين، فخاف

(٢٣) هذا من شيعته أي من بني إسرائيل. «وهذا من عدوه» أي من قوم فرعون «فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه» أي طلب نصره وغوثه.





من تاريخ بني إسرائيل ودعوة النبي موسى إياهم

## • التَّصْحِيحَاتُ

التَّصْحِيحَاتُ ﴿٢٠﴾ فَفَرَّجَ مِنْهَا خَافًا يَتَرَقَّبُ

قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ [سورة

القصص: ٢٠ - ٢١] وكان هذا فضلاً

من الله - عز وجل - ونعمه على موسى عليه السلام

أن نجّاه من بطش الباطشين، وظلم

الظالمين، فقد امتن الله تعالى عليه بقوله

تعالى: ﴿٢٧﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴿٢٧﴾

إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٢٨﴾ أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي

التَّابُوتِ فَأَقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيَلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ

يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ، وَالْقَبْتُ عَلَيْكَ

مَحَبَّةً مِنِّي وَلِنُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٢٩﴾ إِذْ تَمْشِي

أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ،

فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ

وَقُلْتَ نَفْسًا فَفَجِّنَاكَ مِنَ الْعَمْرِ فَفَنَّا فُنُونًا

فَلَبَّتْ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ

يَمُوسَىٰ ﴿٣٧﴾ [سورة طه: ٣٧ - ٤٠] ومكث

موسى عليه السلام في مدين عشر حجج، كانت

عبارة عن فترة إعداد روحي وعلمي

معاً؛ ليمرن على تكاليف الدعوة قبل أن

يتلقاها. قال تعالى حكاية عن صاحب

مدين: ﴿٣٧﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى

أَبْنَتَيْ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَلْنِي حِجَجًا فَإِنْ

أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ

الإسرائيلي على نفسه أن يكون موسى

أراد تأديبه والبطش به، فقال كما حكى

القرآن الكريم: ﴿١٩﴾ قَالَ يَمُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَنْ

تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا

أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ

الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ [سورة القصص: ١٩].

فلم يكد المصري يسمع ذلك الخبر

الذي شغل بال المصريين حتى انطلق

يذيعه بين الناس، فتألب القوم يبحثون

عن موسى عليه السلام وصدر الأمر الفرعوني

بإرسال الجلادين والذباحين لإحضار

موسى وتمزيقه شر ممزق، وكان من

بين هؤلاء القوم رجل رشيد، جاء من

أقصى المدينة يسعى، سالكاً أقصر الطرق

ليحذر موسى من اجتماع القوم عليه،

ناصحاً إياه بالخروج من مصر في أسرع

وقت حتى لا تمتد إليه يد السوء، فقبل

منه موسى تلك النصيحة وهام على

وجهه قاصداً أرض مدين.

يصور القرآن الكريم تلك الواقعة

فيقول سبحانه: ﴿٣٧﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا

الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَمُوسَىٰ إِنَّكَ أَلَمَلًا

يَأْتِمُرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ

أَشَقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ  
الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ  
أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ  
عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿﴾ [سورة القصص:  
٢٧-٢٨].

وهكذا هياً الله تعالى موسى عليه السلام  
للقيام بأعباء الدعوة، وأكسبه من  
الخبرات والتجارب ما صقل نفسه،  
وجعله ينهض لدعوته كأكفأ ما يكون،  
مما جعله من أولي العزم من الرسل  
(عليهم الصلاة والسلام) وهذه سنة  
الله في رسله وأنبيائه وأصفياؤه فهم رعاة  
للحق وقادة للخلق..

بعدها أخذه الشوق إلي وطنه الذي  
ولد فيه وترعرع، فعاد بزوجه إلي  
وطنه، وهو في طريق عودته اختاره الله  
عز وجل لحمل رسالته، وتبليغ دعوته،  
﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ  
عَانَكَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ  
امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ  
أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ  
﴿٢٩﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَلْطِي الْأَوْدِ  
الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن

يَمُوسَىٰ إِنَّتُ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿﴾  
[سورة القصص: ٢٩-٣٠].

التعريف بدعوة موسى عليه السلام:

لم يكن موسى بدعاً من الرسل،  
فقد جاء يحمل رسالة السماء التي دعا  
إليها من سبقه من الأنبياء والرسل، كما  
دعا إليها من تبعه، قال تعالى: ﴿وَمَا  
أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ﴾  
[سورة يوسف: ١٠٩] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا  
مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا  
إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [سورة الأنبياء:  
٢٥] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا  
نُوحِيَ إِلَيْهِمْ فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا  
تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾ [سورة  
النحل: ٤٣-٤٤].

فقد كان هذا هو جوهر الرسائل  
الساوية، وإن اختلفت في بعض  
فروعها، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ  
الَّذِينَ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا  
إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ  
أَن أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى  
الْمُشْرِكِينَ مَا نَدَعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي  
إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾





من تاريخ بني إسرائيل ودعوة النبي موسى إياهم

## • المصباح

الدين، والرحمة، والعطف حتى مع أعتى البشر؛ قال تعالى: ﴿ **أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقَوْلًا لَهُ، قَوْلًا لِّسَانًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾** [سورة طه: ٤٣ - ٤٤] حمل موسى وأخوه هارون عليهما السلام رسالة ربهما، وقد استعانا بالله - عز وجل - على أداء مهمتهما، وقد شد الله - عز وجل - أزرهما بقوله تعالى: ﴿ **قَالَ رَبِّ إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرَطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾** [سورة طه: ٤٥ - ٤٦] واتجه عليهما السلام إلى فرعون يدعوانه إلى التخلي عن بني إسرائيل، ويعرفانه بالإله الواحد الحق، علّه يلين ويرق، ويترك ما فيه من ظلم لقومه، وادعاء للألوهية الكاذبة.

واستغرب فرعون هذه الدعوة الجديدة من ذلك الإنسان الذي نشأ تحت عينه، وله عليه فضل التربية، إلى أن غاب عنه عشر سنين، ثم ظهر بعدها يدعوه إلى عبادة الله عز وجل، فقال له فرعون كما حكى القرآن: ﴿ **قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ**

[سورة الشورى: ١٣] فدين الله تعالى واحد لم يتغير ولم يتبدل ولم يقبل الله تعالى ديناً سواه ﴿ **وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾** [سورة آل عمران: ٨٥] وإلى هذا دعا موسى قومه ﴿ **وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ ءَامِنُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾** [سورة يونس: ٨٤] وقد أقر بها بنو إسرائيل ﴿ **فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾** [سورة يونس: ٨٥] بل إن فرعون نطق بها عندما أدركه الغرق ﴿ **قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾** [سورة يونس: ٩٠] وقد دعا موسى عليه السلام ربه أن يقوي عضده، ويشد أزره بأخيه، فقال: ﴿ **وَأَجْعَلْ لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِ ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ أَشَدُّ بِهٖ زَرِيرًا ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾** [سورة طه: ٢٩ - ٣٢]، فاستجاب الله تعالى له ﴿ **وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾** [سورة الفرقان: ٣٥].

وقد قامت دعوة موسى عليه السلام على

الْكَافِرِينَ ﴿ [سورة الشعراء: ١٨ -  
 ١٩] ثم يسأل فرعون - باستغراب -  
 موسى ﷺ عن هذا الإله الذي يؤمن به،  
 ويدعو إليه، كما حكى القرآن الكريم:  
 ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة  
 الشعراء: ٢٣].

وهنا يجيل موسى ﷺ فرعون إلي  
 الكون وما فيه من آثار؛ تدل على قدرة  
 الله - عز وجل - الخالق المبدع الذي  
 أتقن كل شيء ﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ  
 شَيْءٍ حَلْقَهُ، ثُمَّ هَدَى ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ  
 الْأُولَى ﴿٥١﴾ قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا  
 يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ  
 الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ  
 مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ  
 شَتَّى ﴿٥٣﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ  
 لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٥٤﴾ ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا  
 نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ [سورة  
 طه: ٥٠ - ٥٥].

وتتغلب الشقاوة على فرعون فيرفض  
 دعوة موسى ﷺ إليه، ويصر على مجابهة  
 موسى وأخيه ﷺ رغم ما أبداه موسى ﷺ  
 من آيات أيده الله تعالى بها ﴿ فَأَذْهَبَا

بِأَيِّنَّا إِنَّا مَعَكُمْ مُّسْتَمِعُونَ ﴾ (٢٤) إلا  
 أن هذه الآيات ما زادتهم إلا جحوداً  
 واستكباراً ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُّبْصِرَةً  
 قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا بِهَا  
 وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ  
 كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [سورة النمل:  
 ١٣-١٤].

ومن ثم برزت دعوة موسى ﷺ  
 تعالج الخلل الذي وقع فيه بنو إسرائيل،

(٢٤) [سورة الشعراء: ١٥] وهذه الآيات  
 هي: ١- العصا. ٢- اليد. ٣- الطوفان.  
 ٤- الجراد. ٥- القمل. ٦- الضفادع.  
 ٧- الدم. ٨- السنون (الجذب والفتحط).  
 ٩- انفلاق البحر قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا  
 مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَتَوَلَّىٰ بُنَىٰ إِسْرَائِيلَ إِذْ  
 جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَى  
 مَسْحُورًا ﴾ وهي اليد والعصا والطوفان  
 والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس  
 الذي أصاب آل فرعون في أموالمهم. بسبب  
 (دعاء موسى وتأمين هارون، فقال: قد  
 أحجيت دعوتكما) والسنين ونقص الثمرات  
 تفسير الإمام جلال الدين السيوطي من  
 أول سورة البقرة إلى آخر سورة الإسراء  
 وذكر البري عن ابن عباس: هي "العصا،  
 واليد، والسنين، والبحر، والطوفان،  
 والجراد، والقمل، والضفادع، والدم" آيات  
 مفصلات.



لا شريك له، والنقل عن جميع الأنبياء موجود، والدليل إما معقول وإما منقول. وقال قتادة: لم يرسل نبي إلا بالتوحيد، والشرائع مختلفة في التوراة والإنجيل والقرآن، وكل ذلك على الإخلاص والتوحيد (٢٦).

ولأن توحيد الله تعالى أساس كل شريعة، فكان لزاماً على موسى عليه السلام أن يغرس التوحيد أولاً في قلوب أتباعه؛ ليكون مصدر عزة وقوة لهم على مواجهة بطش فرعون وجنوده. قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَرُؤُوفًا لِلنَّاسِ حَسَنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [سورة البقرة: ٨٣].

ثانياً: الدعوة إلى إخلاص العبادة لله عز وجل.

ثم يدعوهم موسى عليه السلام إلى أعمال

(٢٦) الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي: الجزء ١١ ص ٢٠٨ من الطبعة المذكورة. سورة الأنبياء. الآية: ٢٥.

محاوفاً استعادة مظاهر التوحيد، وعوامل القوة والشجاعة في هذا الشعب الذي ألف الاستكانة والخور، وبعُدَ عن حياة الجد والرجولة والكفاح، من كثرة ما لاقوه من بغي وإذلال.

وقد اشتملت دعوة موسى عليه السلام على ما يلي:

أولاً: الدعوة إلى توحيد الله تعالى وقد اتفقت الشرائع كلها على ذلك؛ قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [سورة الأنبياء: ٢٥] قال الإمام جلال الدين السيوطي: أرسلت الرسل بالإخلاص والتوحيد لله، لا يقبل منهم حتى يقولوه ويقروا به، والشرائع تختلف في التوراة شريعة وفي الإنجيل شريعة وفي القرآن شريعة، حلال وحرام فهذا كله في الإخلاص لله وتوحيد الله (٢٥).

وقال القرطبي: أي قلنا للجميع لا إله إلا الله؛ فأدلة العقل شاهدة أنه

(٢٥) الدر المنثور في التفسير بالمأثور. للإمام جلال الدين السيوطي.





شرع الله تعالى، وذلك بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والصدقات ليتحقق لهم النصر، وتغفر لهم الذنوب؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [سورة المائدة: ١٢].

ثالثاً: الدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر:

ليجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بما أساء؛ فما يتكبر متكبر إلا بعدم إيمانه بيوم الحساب قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [سورة غافر: ٢٧] (وإنما خص موسى صلوات الله وسلامه عليه، الاستعاذة بالله ممن لا يؤمن بيوم الحساب، لأن من لم يؤمن بيوم الحساب

لم يكن للثواب على الإحسان راجياً، ولا للعقاب على الإساءة وقبيح ما يأتي من الأفعال خائفاً، ولذلك كان استجارته من هذا الصنف من الناس خاصة) (٢٧).  
وقول موسى: إني عدت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب (أي عدت بالله ولجأت إليه بجنابه من أن يسطو فرعون وغيره على بسوء، وقوله من كل متكبر أي جبار عنيد لا يرعوي ولا ينتهي ولا يخاف عذاب الله وعقابه لأنه لا يعتقد معادا ولا جزاء ولهذا قال من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب) (٢٨).

رابعاً: الدعوة إلى الصبر والتحمل؛ ليتحقق لهم وعد الله تعالى وراثة الأرض، والتمكين فيها إن هم آمنوا وانتقوا ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ

(٢٧) جامع البيان عن تأويل آي القرآن. للإمام الطبري جزء ٢٤. سورة غافر القول في تأويل الآية ٢٧.  
(٢٨) البداية والنهاية، للإمام ابن كثير: الجزء الأول. فصل: ولما وقع ما وقع من الأمر العظيم وهو الغلب الذي غلبته القبط.



من تاريخ بني إسرائيل ودعوة النبي موسى إياهم

## • التَّصْبِيحُ

يفكرون في الدفاع عن أنفسهم، ولما دعاهم بعض من أنعم الله تعالى عليهم واستجاش في صدورهم الشهامة، والمروءة، والرجولة، والإقدام: ﴿قَالُوا يَمْوَسَىٰ إِنَّآ لَن نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [سورة المائدة: ٢٤] ومن ثم كان عقاب الله تعالى حليفهم؛ إذ حرّمها عليهم أربعين سنة تاهوا خلالها في الأرض.. إلى أن قيض الله تعالى لهم يوشع بن نون.

قال قتادة: لما جبن القوم عن عدوهم وتركوا أمر ربهم قال الله تعالى ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [سورة المائدة: ٢٦] وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: تاهوا أربعين سنة، فهلك موسى وهرون في التيه، وكل من جاوز الأربعين سنة، فلما مضت الأربعون سنة ناهضهم يوشع بن نون، وهو الذي قام بالأمر بعد موسى، وهو الذي قيل له اليوم يوم الجمعة فهموا بافتتاحها،

يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾  
قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِينَا وَإِنْ بَعَدَ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عُدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿﴾ [سورة الأعراف: ١٢٨-١٢٩] لكن القوم قد تبلدت مشاعرهم، وقست قلوبهم، ولم يستجيبوا لنبي الله ولم يتقوه في وعده، والسبب في ذلك يوضحه لنا د. جمعة علي الخولي بقوله: يبدوا أن الفترة التي عاشها بنو إسرائيل تحت ظل الاضطهاد الفرعوني مسختهم، وجعلت منهم شعباً متبلد الحس، سلبى الإرادة، ولذا لما دعاهم موسى ﷺ إلى دخول الأرض المقدسة جنبوا وتقاعسوا<sup>(٢٩)</sup>، وقالوا لموسى: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ [سورة المائدة:

٢٢] نعم، فقد أفقدهم الذل والاستبداد الإحساس بالعزة، حتى لم يعودوا

(٢٩) تاريخ الدعوة ا.د. جمعة علي الخولي ج ١ ص ٢٨٣ ط دار الطباعة المحمدية ١٩٨٤.



فدنت الشمس للغروب، فخشى ان دخلت ليلة السبت أن يسبتوا، فنادى الشمس: إني مأمور وانك مأمورة. فوقفت حتى افتتحها، عن مجاهد قال: تاهت بنو إسرائيل أربعين سنة، يصبحون حيث أمسوا ويمسون حيث أصبحوا في تيههم (٣٠).

### موقف بني إسرائيل من موسى عليه السلام:

لقد كان موقف بني إسرائيل من نبي الله موسى عليه السلام لا يختلف كثيراً عن موقفهم من باقي أنبياء الله ورسوله عليه السلام والذين يأمرون بالقسط من الناس، فقد كان إيذاؤهم له متعدد الألوان والأشكال، والذي أشارت إليه آية آل عمران ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [سورة آل عمران: ٢١] قال القرطبي: قال أبو العباس المبرد: كان ناس من بني إسرائيل جاءهم النبيون يدعونهم إلى

الدر المشور في التفسير بالمأثور. للإمام جلال الدين السيوطي: المجلد الثالث.

الجامع لأحكام القرآن سورة آل عمران. الآية ٢١.

الله عز وجل فقتلوهم، فقام أناس من بعدهم من المؤمنين فأمرهم بالإسلام فقتلوهم؛ ففيهم نزلت هذه الآية (٣١) وكذلك قال معقل بن أبي مسكين: كانت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم تحيء إلى بني إسرائيل بغير كتاب فيقتلونهم، فيقوم قوم ممن اتبعهم فيأمرون بالقسط (أي بالعدل) فيقتلون (٣٢). وقد روي عن ابن مسعود قال: قال النبي ﷺ: (بئس القوم قوم يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس، بئس القوم قوم لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر، بئس القوم قوم يمشي المؤمن بينهم بالتقية) (٣٣).

روى أبو عبيدة بن الجراح أن النبي ﷺ قال: (قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار في ساعة

الجامع لأحكام القرآن سورة آل عمران. الآية ٢١.

الجامع لأحكام القرآن سورة آل عمران. الآية ٢١.

(٣٣) الديلمي في مسند الفردوس عن ابن مسعود، تصحيح السيوطي: ضعيف.





من تاريخ بني إسرائيل ودعوة النبي موسى إياهم

• التَّصْبِيحُ

فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ.  
قَالَ: فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ. قَالَ: فَتَغَيَّرَ  
وَجْهُهُ حَتَّى كَانَ كَالصَّرْفِ<sup>(٣٥)</sup>. ثُمَّ قَالَ:  
فَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»  
قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى.  
قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرٍ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ»<sup>(٣٦)</sup>.  
وقد صرح بنو إسرائيل لموسى ﷺ  
بذلك؛ فأذوه بالقول وبالفعل، وكانوا  
يتسخطون عليه وهو يحاول إنقاذهم  
من بطش فرعون وجنوده؛ فكانوا  
يقولون له لائمين متبرمين: ﴿أُوذِينَا  
مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِينَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾  
[سورة الأعراف: ١٢٩] كأنهم لا  
يرون في رسالته خيراً، أو كأنها يحملونه  
تبعة هذا الأذى، ولكن موسى ﷺ يرد  
عليهم بكل حلم وصبر قائلاً كما ذكر  
القرآن الكريم: ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ  
يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ  
فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾  
[سورة الأعراف: ١٢٩].

واحدة، فقام مائة رجل واثنان عشر رجلاً  
من عباد بني إسرائيل، فأمروا بالمعروف  
ونهاوا عن المنكر؛ فقتلوا جميعاً في آخر  
النهار من ذلك اليوم، وهم الذين  
ذكرهم الله في هذه الآية<sup>(٣٤)</sup>.

وقد حذر الله تعالى المؤمنين من أن  
ينالوا من نبيهم كما فعل بنو إسرائيل  
مع أنبيائهم ومصالحهم فقال سبحانه:  
﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ  
ءَادَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ  
اللَّهِ وَجِيهًا﴾ [سورة الأحزاب: ٦٩]

وأخرج البخاري ومسلم عن ابن  
مسعود رضي الله عنه قال عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ:  
لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ آثَرَ، رَسُولَ اللَّهِ ﷺ  
نَاسًا فِي الْقِسْمَةِ. فَأَعْطَى الْأَفْرَعُ بْنُ  
حَابِسٍ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ. وَأَعْطَى عَيْبَةَ  
مِثْلَ ذَلِكَ. وَأَعْطَى أَنَسًا مِنْ أَشْرَافِ  
الْعَرَبِ. وَآثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ.  
فَقَالَ رَجُلٌ: وَاللَّهِ إِنْ هَذِهِ لِقِسْمَةٌ مَا  
عُدِلَ فِيهَا، وَمَا أُرِيدَ فِيهَا وَجْهَ اللَّهِ. قَالَ

(٣٥) هو بكسر الصاد المهملة وهو صبغ أحمر

تصغ به الجلود، قال ابن دريد: وقد

يسمى الدم أيضاً صرفاً.

(٣٦) صحيح مسلم.

(٣٤) مجمع الزوائد. للحافظ الهيثمي ٣٢.

كتاب الفتن ٢٨. باب الكلام بالحق عند

الحكام. الحديث رقم: ١٢١٦٦.

ومن هذا الإيذاء والذي تعرض له موسى عليه السلام ما أورده البخاري ومسلم: عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله قال: (كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة<sup>(٣٧)</sup>، ينظر بعضهم إلى بعض، وكان موسى يغتسل وحده، فقالوا: والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر<sup>(٣٨)</sup>، فذهب مرة يغتسل، فوضع ثوبه على حجر، ففر الحجر بثوبه، فخرج موسى في إثره، يقول: ثوبي يا حجر. وفي رواية لمسلم: حَتَّى نَظَرْتُ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى سَوَاءِ مُوسَى. قَالُوا: وَاللَّهِ مَا بِمُوسَى مِنْ بَأْسٍ، فَقَامَ الْحَجَرُ حَتَّى نُظِرَ إِلَيْهِ. قَالَ فَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَطَفِقَ بِالْحَجَرِ صَرْبًا. فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَاللَّهِ إِنَّهُ بِالْحَجَرِ نَدَبٌ سِتَّةٌ أَوْ سَبْعَةٌ، صَرَبُ مُوسَى بِالْحَجَرِ<sup>(٣٩)</sup>.

ومن مظاهر إيذاء موسى عليه السلام أيضاً

(٣٧) (عراة) جمع عار، والظاهر أنه لم يكن حراماً في شرعهم، وإلا لأنكر عليهم موسى عليه السلام.

(٣٨) (آدر) كبير الخصيتين.

(٣٩) أخرجه مسلم في الحيض، باب: جواز الاغتسال عريانا في الخلوة. وفي الفضائل، باب: من فضائل موسى عليه السلام.

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: آذوا موسى بأن قالوا: قتل هارون؛ وذلك أن موسى وهارون خرجا من فحوص التيه إلى جبل فمات هارون فيه، فجاء موسى فقالت بنو إسرائيل لموسى: أنت قتلته، وكان أليّن لنا منك وأشدّ حبا. فأذوه بذلك، فأمر الله تعالى الملائكة فحملته حتى طافوا به في بني إسرائيل، ورأوا آية عظيمة دلّتهم على صدق موسى عليه السلام، ولم يكن فيه أثر القتل<sup>(٤٠)</sup> وقيل: إن أذية موسى عليه السلام رميهم إياه بالسحر والجنون<sup>(٤١)</sup>.

ومن مظاهر إيذاء موسى عليه السلام ما ذكره القرطبي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أمر الله تعالى برجم الزاني عمد قارون إلى امرأة بغي وأعطاهها مالا، وحملها على أن ادّعت على موسى أنه زنى بها وأنه أحبها؛ فعظم على موسى ذلك وأحلفها بالله الذي فلق

(٤٠) الجامع لأحكام القرآن سورة الأحزاب.

الآية: ٦٩ ج ١٤ ص ٢٥١.

(٤١) "المرجع السابق".





من تاريخ بني إسرائيل ودعوة النبي موسى إياهم

## • البصَبَاة

القرآن الكريم؛ قال تعالى: ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَانٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مَوْسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَذِهِ لَمَثَلٌ لِّمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغْيِرَ اللَّهُ أَسْمَاءَكُمْ ﴿١٤٠﴾ وَكَانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ

[سورة الأعراف: ١٣٨ - ١٤٠] قال قتادة: كان أولئك القوم من لحم، وكانوا نزولا بالرقعة. وقيل: كانت أصنامهم تماثيل بقر؛ ولهذا أخرج لهم السامري عجلا<sup>(٤٤)</sup>. وكان موسى عليه السلام بعدما نجاه الله تعالى ومن معه من بني إسرائيل من فرعون وجنوده قد مروا على قوم يعبدون الأصنام فقالوا: يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة فقال لهم موسى أنكم قوم تجهلون... وقد آذاه هذا القول.

ونظيره قول جهال الأعراب وقد رأوا شجرة خضراء للكفار تسمى ذات أنواط يعظمونها في كل سنة يوماً؛ فقالوا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات

(٤٤) المرجع السابق.

البحر لبني إسرائيل، وأنزل التوراة على موسى إلا صدقت فتداركها الله تعالى فقالت: أشهد أنك بريء، وأن قارون أعطاني مالا، وحلني على أن قلت ما قلت، وأنت الصادق، وقارون الكاذب؛ فجعل الله أمر قارون إلى موسى، وأمر الأرض أن تطيعه، فجاءه وهو يقول للأرض: يا أرض خذي؛ يا أرض خذي، وهي تأخذه شيئا فشيئا، وهو يستغيث: يا موسى إلى أن ساخ في الأرض هو وداره وجلساؤه الذين كانوا على مذهبه<sup>(٤٢)</sup>.

وذكر القرطبي من رواية السدي اسم البغي والمال الذي بذل لها فقال: قال السدي: وكان اسم البغي سبرتا، وبذل لها قارون ألفي درهم<sup>(٤٣)</sup>.

ومن مظاهر الإيذاء الذي تعرض له موسى عليه السلام أيضاً قول بني إسرائيل له وقد أنجاهم الله من بطش فرعون ونجاههم من الغرق: ﴿يَا مَوْسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾. وذلك فيما حكاه

(٤٢) الجامع لأحكام القرآن ج ١٣ ص ٣١٠.

(٤٣) الجامع لأحكام القرآن ج ٣١ ص ١١٣.

أنواط كما لهم ذات أنواط<sup>(٤٥)</sup>. فقال عليه الصلاة والسلام: (الله أكبر. قلتُم والذي نفسي بيده كما قال قوم موسى "اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون" لتركبن سنن في قبلكم حذو القذة بالقذة حتى إنهم لو دخلوا حجر ضب لدخلتموه)<sup>(٤٦)</sup>.

وقد صرح النبي ﷺ بأن شرار هذه الأمة هم الذين يقدمون على مثل هذه الأفعال؛ عن شداد بن أوس عن رسول الله ﷺ قال: ليحملن شرار هذه الأمة على سنن الذين خلوا من قبلهم أهل الكتاب حذو القذة بالقذة<sup>(٤٧)</sup>.

ومن مظاهر الإيذاء لموسى ﷺ قول بني إسرائيل له وقد دعاهم إلي قتال العمالقة من أهل أريحاء من بلاد

(٤٥) وكان الكفار ينوطون سلاحهم بسدرة ويعكفون حولها ويذبحون عندها؛ فسميت ذات أنواط، وكانت تعبد من دون الله.

(٤٦) الجامع لأحكام القرآن القرطبي ج٧ ص٢٧٣.

(٤٧) مسند الإمام أحمد. المجلد الرابع. مسند الشاميين. حديث شداد بن أوس رحمته الله.

فلسطين قالوا: لا علم لنا بتلك الديار.. ثم قالوا لموسى: ﴿إِنَّا لَن نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَآذَهِبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا هُنَّهَا فَنَعْدُونَ﴾ [سورة المائدة: ٢٤] فقد آذى موسى ﷺ هذا الرد من بني إسرائيل، فقد جهلوا صفة الرب تبارك وتعالى ووصفوه بالذهاب والانتقال، والله متعال عن ذلك، يقول القرطبي: وهذا يدل على أنهم كانوا مشبهة<sup>(٤٨)</sup>.

وقيل إن من مظاهر الإيذاء لموسى ﷺ أنهم لما قالوا له: ﴿أَرْنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾، عظم ذلك على موسى ﷺ<sup>(٤٩)</sup> وقيل آذوه بقولهم: ﴿لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامِ وَجِدٍ﴾<sup>(٥٠)</sup>.

وهذا كله يدل على زيغ قلوبهم، وسفاهة عقولهم؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [سورة الصف: ٥] أي:

(٤٨) الجامع لأحكام القرآن ج٦ ص ١٢٨ [والآية من سورة المائدة: ٢٢].

(٤٩) "التفسير الكبير ج٢٩ ص٢٧١" والآية ج١٥٣ من سور النساء.

(٥٠) "التفسير الكبير ج٢٩ ص٢٧١" والآية ٦١ من سورة البقرة.





من تاريخ بني إسرائيل ودعوة النبي موسى إياهم

## المصباح

موقف بني إسرائيل من دعوة موسى عليه السلام:

عاش بنو إسرائيل في مصر عرضةً  
للسخرة والإهانة، والاستبداد  
والاستعباد، ليس لهم قائد يقودهم أو  
دستور يجمعهم أو جيش يدافع عنهم  
أو حاكم يتولى أمرهم، حتى قبض  
الله لبني إسرائيل رجلاً منهم يعرفهم  
ويعرفونه، يتولى أمرهم ويدبر شئونهم  
ويقودهم إلى مرحلة جديدة في حياتهم،  
جاء وأخوه لإنقاذهم من بطش فرعون  
وجنوده، كما ذكر سبحانه مخاطباً  
موسى عليه السلام: ﴿ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي  
وَلَا نَبِيَّاءَ فِي ذِكْرِي ﴾ (٤٤) ﴿ أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى  
﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾  
[سورة طه: ٤٢ - ٤٤].

وقد أيد الله تعالى موسى عليه السلام  
بالآيات الباهرات الظاهرات، إلا أن  
فرعون جحدها واعتبرها نوعاً من  
أنواع السحر الذي برع فيه رجاله؛ قال  
تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا  
سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (١٣) ﴿ وَحَدِّثُوا بِهَا وَأَسْتَقِنْتَهَا  
أَنفُسَهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ  
الْمُفْسِدِينَ ﴾ [سورة النمل: ١٣ - ١٤]

فلما مالوا عن الحق أمال الله قلوبهم عن  
الهدى. أو: فلما زاغوا عن الإيمان أزاع  
الله قلوبهم عن الصواب.  
وقيل: لما تركوا ما أمروا الله تعالى به  
من احترام الرسول عليه السلام، وطاعة الرب  
سبحانه وتعالى؛ خلق الله الضلالة في  
قلوبهم عقوبة لهم على فعلهم، وقد  
بذل موسى عليه السلام جهداً عظيماً في تقويم  
اعوجاجهم وإصلاح فسادهم، وبين  
لهم كل أسباب الاستقامة، ومع هذا  
كله زاغوا فزادهم الله زيغاً، ولم تعد  
قلوبهم صالحة لحمل الهدى فأصبحوا  
من الفاسقين<sup>(٥١)</sup>. لذا استحقوا هذا  
الوصف الذي جاء في سورة الصف  
﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [سورة

الصف: ٥].  
وبسبب هذا الفسوق والتمرد  
والعصيان والتطاول على الذات الإلهية،  
والأذى للرسول عليه السلام لم تعد لهم قوامة على  
هذا الدين، ولم يعودوا صالحين لحمل  
هذا الأمر، وقد ضلوا عن المنهج القويم  
والصراط المستقيم.

(٥١) التفسير الكبير ج٩ ص٢٧١.



وتغلبت نفس فرعون الشقية عليه ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُواكَ بِكُلِّ سِحَارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿سورة الشعراء: ٣٤-٣٨﴾.

وأعز الله موسى ﷺ وأيده بنصر من عنده في يوم زينبتهم، وأمام أعين الجميع، حتى آمن به سحرة فرعون ﴿قَالَ لَقِيَ السَّحَرَةَ سَاجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿سورة الشعراء: ٤٦-٤٨﴾.

وتمادى فرعون في غيئه، وغلبت عليه نفسه الشقية التي لا ترى الخير والعز إلا في وفرة المال، ولا تعرف أن الله يختص برحمته من يشاء قال تعالى: ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ

أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقَرَّنِينَ ﴿٥٣﴾ فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ، فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّا ءَاسَفُونَا أَنْقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾

[سورة الزخرف: ٥١-٥٦] ولما أخذت فرعون العزة بالإثم، وعتا عن أمر الله عز وجل، وتمادى في تكذيب موسى ﷺ واستمر في إعنات بني إسرائيل، وإيقاع ضروب الإذلال والإهانة بهم، أمر الله موسى أن يعلن فرعون وقومه بأن الله تعالى سيوقع بهم العذاب جزاء لهم على تكذيبه، وامتناعهم من إطلاق بني إسرائيل معه. فكان كلما وقع بهم عذاب بعد إنباء موسى إياهم به وعدوه بالإيمان به تارة، وبارسال بني إسرائيل معه تارة أخرى إذا سأل ربه كشف ما وقع بهم من العذاب، فإذا كشف الله عنهم ما نزل بهم عادوا إلي طغيانهم وغدروا بعهدهم، وخاسوا بوعدهم، وهكذا إلى أن كانت الآية الكبرى، والبطشة العظمى وهي إغراق فرعون في اليم،



من تاريخ بني إسرائيل ودعوة النبي موسى إياهم ..... **التصنيف**

ونجاة بني إسرائيل (٥٢).

نعبتها، كما أن لهؤلاء أصناماً يعبدونها، وذلك لأن الوثنية التي عاشوا فيها في مصر كانت وما زالت عالقة بنفوسهم الضعيفة، وقد حكى القرآن عنهم هذه الرذيلة فقال تعالى: ﴿ وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعُوا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغْيِرَ اللَّهُ أْبْعِيَكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الأعراف: ١٣٨ - ١٤٠].

ولكن يبدو أن الأمر كان متغلغلاً في نفوس القوم، وحبهم لالتماس الإله المحسوس كان مسيطراً على عقائد القوم، فبمجرد أن ذهب موسى للقاء ربه إذا بالقوم يتجهون إلى اتخاذ إله مما صنعت أيدي السامري ﴿ وَأَخَذَ قَوْمٌ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُمْ خُورٌ أَلَمَ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً أَخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ [سورة الأعراف: ١٤٨].

وهذا مشهد ثالث من سورة

ومن الله على بني إسرائيل بالخروج من مصر، والنجاة من فرعون وجنوده، وأصبح بنو إسرائيل أحراراً بعد أن أغرق الله عز وجل فرعون وجنوده أمام أعينهم، فهل قدر بنو إسرائيل هذه النعمة؟.

ويبدو أن القوم قد ألفوا الاستعباد فلم يقدروا نعمة الحرية، ولم يشكروا الله على إنجائه لهم من عدوهم، بل زادت قبائحهم، وتبدلت أحاسيسهم، فلم يطيعوا نبيهم موسى الذي جاء لهدايتهم وإصلاحهم، والدفاع عنهم.

وهذه بعض القبائح التي صدرت عنهم وهم في طريقهم إلى أرض الشام. فبعد أن رأى بنو إسرائيل غرق فرعون بأعينهم، وساروا مع موسى ﷺ إلى بلاد الشام، شاهدوا قوماً يعبدون أصناماً لهم، فما لبث بنو إسرائيل بعد مشاهدتهم لهؤلاء الوثنيين إلا أن قالوا لنبيهم موسى ﷺ اجعل لنا أصناماً

(٥٢) قصص الأنبياء عبد الوهاب النجار ص ٢٣٤.



المائدة، وهي مدينة النزول تعالج قضية الجهاد، فقد أصبح هناك دولة، لها أرضها وحدودها، ولها دستور ومنهج يحتاج إلى حماية وعناية، ولا بد لها من جيش يدافع عنها، ويحمي أرضها ويسد ثغراتها.

سأقت السورة هذا المشهد ليعالج أي تقصير قد يقع فيه أحد من المسلمين خوفاً من مواجهة الأعداء، وهو لون من ألوان الإيذاء التي تعرض لها موسى عليه السلام من بني إسرائيل وهو قد عاش مع القوم وسار معهم في رحلة طويلة فقد خبرهم وجربهم في مواطن كثيرة منذ خروجهم معه من مصر. قال

تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مِمَّا لَمْ تُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرُدُّوا عَلَىٰ آدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا فِيهَا قَوْمٌ جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ]سورة المائدة: ٢٠: ٢٦[.

يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَانكُمُ عَلَيْهِمْ وَعَلَىٰ اللَّهُ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ]سورة المائدة: ٢٠: ٢٦[.

إنها حلقة من حلقات بني إسرائيل التي فصلها القرآن وأوسع تفصيلها.. ذلك لحكم متشعبة الجوانب.

يأتي على رأسها أن بني إسرائيل هم أول من واجه الدعوة الإسلامية بالعداء والكيد والحرب في المدينة وفي الجزيرة العربية كلها.

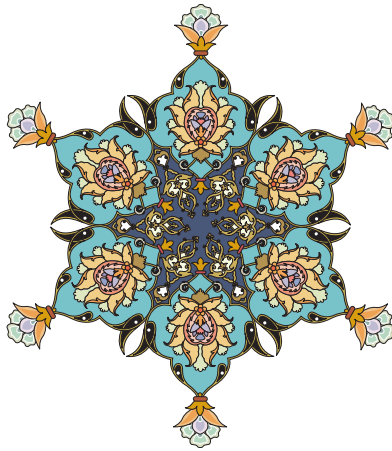
فقد كانوا حربا على الجماعة المسلمة منذ اليوم الأول. هم الذين احتضنوا النفاق والمنافقين في المدينة؛ وأمدوهم بوسائل الكيد للعقيدة وللمسلمين معاً، وهم الذين حرضوا



من تاريخ بني إسرائيل ودعوة النبي موسى إياهم ..... **الاصباح**

المشركين وواعدهم وتأمروا معهم  
على الجماعة المسلمة. وهم الذين تولوا  
حرب الإشاعات والذس والكيد في  
الصف المسلم ; كما تولوا بث الشبهات  
والشكوك والتحريفات حول العقيدة  
وحول القيادة.

وهكذا يتبين - للقارئ الكريم -  
حقيقة بني إسرائيل وموقفهم من نبي  
الله موسى ﷺ؛ فلم يكن بد من تعريتهم  
وكشف حقيقتهم للأمة الإسلامية،  
لتعرف من هم أعداؤها. ما طبيعتهم؟.  
وما تاريخهم وما وسائلهم؟. وما حقيقة  
المعركة التي تخوضها معهم؟.



# الكلام الموجه في القرآن الكريم (دراسة في تعدد الدلالة)

د. وائل عبد الأمير الحربي  
كلية الآداب - جامعة بابل

## فحوى البحث

يَدْرُسُ هَذَا الْبَحْثُ فَنَّا لُغَوِيًّا وَبِلَاغِيًّا أَطْلَقَ عَلَيْهِ السَّابِقُونَ مِنْ عُلَمَاءِ التَّفْسِيرِ وَبِلَاغِيَّةٍ: اسْمَ الْكَلَامِ الْمَوْجَّهِ أَوْ التَّوْجِيهِ، وَهُوَ فَنٌّ يُعْنَى الدَّارِسُونَ فِيهِ بِالْبَحْثِ فِي تَعَدُّدِ الدَّلَالَاتِ وَالْمَعَانِي فِي النَّصِّ الْوَاحِدِ. وَقَدْ قَسَمْتُ بَحْثِي هَذَا عَلَى ثَلَاثَةِ مَحَاوِرَ، عَالَجْتُ فِي الْمَحَوِرِ الْأَوَّلِ مُصْطَلَحَ الْكَلَامِ الْمَوْجَّهِ، فَوَقَفْتُ عَلَى أَهَمِّ مَنْ اسْتَعْمَلَهُ مِنَ الْقَدَمَاءِ، مُبَيِّنًا مَا ارْتَسَمَ مِنْ مَفْهُومٍ لَهُ فِي أَذْهَانِهِمْ فِي ضَوْءِ مَا ذَكَرُوهُ لَهُ مِنْ تَعْرِيفَاتٍ وَمَا أوردُوا لَهُ مِنْ شَوَاهِدٍ وَأَمْثَلَةٍ، كَمَا بَيَّنَّ الْبَحْثُ أَنَّ فِي التُّرَاثِ الْعَرَبِيِّ مُصْطَلَحَاتٍ أُخْرَى اسْتَعْمَلَهَا الْقَدَمَاءُ بَدِيلًا عَنْ مُصْطَلَحِ الْكَلَامِ الْمَوْجَّهِ، فَعَرَضْتُهَا وَبَيَّنَّ الْفُرُوقَ بَيْنَهَا. فِي حِينٍ تَنَاوَلُ الْمَحَوِرَ الثَّانِي أَهَمُّ النُّصُوصِ الْقُرْآنِيَّةِ الَّتِي تَصَمَّنَتْ فَنَّ الْكَلَامِ الْمَوْجَّهِ، مُعَوِّلِينَ فِي اسْتِخْرَاجِهَا وَتَحْدِيدِ مَوَاضِعِهَا عَلَى أَقْوَالِ الْمَفْسِّرِينَ، وَمُعْيِدِينَ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ - مِنْ آرَائِهِمْ وَاجْتِهَادَاتِهِمْ فِي الْكَشْفِ عَنِ الدَّلَالَاتِ وَالْمَعَانِي الْمَحْتَمَلَةِ لِلنُّصُوصِ، مَعَ الْبَحْثِ فِي الْأَسْبَابِ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَى تَعَدُّدِ الدَّلَالَاتِ وَاتِّسَاعِ الْمَعَانِي فِي النَّصِّ الْوَاحِدِ. فِي حِينٍ كَانَ الْمَحَوِرَ الثَّلَاثِ لِلخَاتِمَةِ الَّتِي قَدَّمْنَا فِيهَا مُلْخَصًا لِمُضْمُونِ الْبَحْثِ وَمَفْهُومِهِ، كَمَا أَجْمَلْنَا فِيهَا أَهَمَّ مَا تَوَصَّلَ إِلَيْهِ الْبَحْثُ مِنْ نَتَائِجِ.

الفنّ مدخلٌ في تلك المتشابهات باعتبارٍ أنه يبحثُ فيها عن تعدّد الاحتمالاتِ الدلاليّة، وهو ما تُبيّحه نصوصُ التشابهِ القرآنيّ. وقد ساءه ب: سوقُ المعلومِ مساقِ غير المعلومِ في القرآنِ الكريمِ، من بابِ التّأدّب.

وقد أطلقَ ابنُ أبي الإصبعِ العدوانيّ (ت ٦٥٤هـ) على فنِّ التّوجيهِ اسمَ التّورية، قال: ((باب التّورية ويُسمّى التّوجيه، وهي أن تكونَ الكلمةُ تحتُمَلُ معنيينِ، فيستعملُ المتكلّمُ أحدَ احتماليّها ويُهمَلُ الآخرُ، ومُرادُه ما أهمله لا ما استعمله، كقولِ عليٍّ عليه السلام في الأشعثِ بنِ قيسٍ: «وهذا كان أبوه ينسجُ الشّمالَ باليمين»<sup>(٢)</sup>، لأنّ قيساً كان يحوكُ الشّمالَ التي واحدتها شَمْلَةٌ))<sup>(٣)</sup>. فالتّوجيهُ عند ابنِ أبي الإصبعِ هو، إذًا، ما يُحتَمَلُ معنيينِ، مُرادُ المتكلّمِ منها البعيدُ لا القريبُ.

(٢) ينظر القول في: غريب الحديث لابن الجوزي: ١ / ٥٦١، والنهاية في غريب الحديث والأثر: ٢ / ٥٠٢، ولسان العرب: ١١ / ٣٦٨ (شمل)، وتاج العروس: ٢٩ / ٢٨٩ (شمل).  
(٣) تحرير التحرير: ٢٦٨.

بسم الله الرحمن الرحيم

الكلامُ الموجهُ - أو كما يُسمّيه علماءُ البلاغة: التّوجيه - هو فنُّ بلاغيّ يُرادُ به أن الكلامَ يُحتَمَلُ وجهينِ مُختلفينِ، أي أنه يُحتَمَلُ دالتينِ مُختلفتين؛ قال السّكاكيّ (ت ٦٢٦هـ) ((التّوجيه، وهو إيرادُ الكلامِ محتملاً لوجهينِ مُختلفينِ كقولِ مَنْ قال للأعور: ليتَ عينيه سَواء، وللمتشابهاتِ مِنَ القرآنِ مدخلٌ في هذا النوعِ باعتبارِ. ومنه سوقُ المعلومِ مساقِ غيرِه ولا أحبُّ تسميته بالتّجاهل))<sup>(١)</sup>.

ولعلَّ في قولِ السّكاكيّ: إنَّ التّوجيهُ هو ما يُحتَمَلُ وجهينِ مُختلفينِ، إشارةٌ إلى أنّ الاختلافَ غيرُ محصورٍ في المعنى اللّغويّ وإنّما يشمَلُ المعنى السّياقيّ على اختلافِ مُكوّناته مِنَ مُتكلّم، ومُخاطبٍ أو مُتلقٍّ، ورسالةٍ بما فيها من دلالاتٍ أساسيّةٍ أو هامشيّة. وهو في كلامه هذا التفتت إلى أنّ لهذا الفنّ تجلّياتٍ في المتشابهاتِ مِنَ آياتِ القرآنِ الكريمِ، ومن ثمّ كان لطبيعةِ هذا

(١) مفتاح العلوم: ٤٢٨، وينظر: الطراز لأسرار البلاغة: ٣ / ٧٤٧٤، وبغية الإيضاح لتلخيص المفتاح: ٤ / ٦٢٨.



ويُوردُ ابنُ أبي الإصبعِ العدوانيُّ مُصطلحًا آخرَ قَريبًا من مُصطلحِ التَّوْجِيهِ، وهو (الإبهام)، غيرَ أَنَّهُ يَكونُ في ما يَحتَمِلُ مَعْنِيَيْنِ مُتضادَّيْنِ، قال: ((باب الإبهام: وهو أَن يَقولَ المتكلمُ كَلامًا يَحتَمِلُ مَعْنِيَيْنِ مُتضادَّيْنِ، لا يَتميزُ أَحدهما عن الآخرِ، ولا يَأْتِي في كَلامِهِ بما يَحصُلُ به التَّمييزُ فيما بعد ذلك، بل يَقصدُ إِبْهَامَ الأمرِ فيها قَصدًا..، والإِبهامُ لا يَكونُ إِلَّا في الجُمْلِ المَركَبَةِ المَفيدَةِ، ويختصُّ بالفُنونِ كالمَديحِ، والهَجاءِ، وَغَيرَهما))<sup>(٤)</sup>. ويُلاحظُ، على كَلامِهِ، هنا، أَنَّهُ جَعَلَ الإِبهامَ مُختصًّا بالفُنونِ كالمَديحِ والهَجاءِ، وهذا لا يَنطبقُ على التَّوْجِيهِ، فهو لا يَختصُّ بفنٍّ مُعين، كما أَنَّهُ لا يَختصُّ بالمعاني المُتضادَّةِ. ويَظهر -مِمَّا سَبَقَ- أَنَّ الفَرقَ بينَ الإِبهامِ والتَّوْجِيهِ هو أَنَّ الإِبهامَ يَحتَمِلُ مَعْنِيَيْنِ مُتضادَّيْنِ من دونِ إرادةِ أَحدهما، في حينَ أَنَّ التَّوْجِيَةَ تَحتَمِلُ مَعْنِيَيْنِ يُرادُ منهما المعنى البعيد.

(٤) تحرير التحرير: ٥٩، وينظر: نهاية الأرب في فنون الأدب: ٧ / ١٧٤، وخزانة الأدب وغاية الأرب: ١ / ١٧٨، وأنوار الربيع في أنواع البديع: ٨١، بترقيم الشاملة آليا.

ويذكرُ يحيى بنُ حمزةَ العَلَوِيُّ (ت ٧٤٥هـ) أَنَّ للتَّوْجِيهِ عندَ البلاغيينَ استعمالينَ، أَحدهما هو ما يُسمَّى بالمدحِ بما يُشبهُ الذَّمَّ، والآخرُ: هو أَن يُمدحَ الممدوحَ بشيءٍ يَقضي هذا الشيءُ مَدْحَهُ بشيءٍ آخرَ، وقد وَضَحَ كُلاً منهما بِشَواهِدٍ كاشِفةٍ، قال: ((ثم إِنَّه يَردُ في البلاغةِ على استعمالينَ،...، الاستعمالُ الأولُ: أَن يُوكِّدَ المدحُ بما يَكونُ مُشبهًا للذَّمِّ بِأَن تَنفِيَّ عن الممدوحِ وَصْفًا مُعِينًا ثُمَّ تُعَقِّبُهُ بالاستثناءِ فُتَوهِمُ أَنَّكَ استثنيتَ ما يُدَمُّ به فَتَأْتِي بما مِن شأنِهِ أَن يُذَمَّ به وفيهِ المبالغةُ في مدحِ الممدوحِ ومثاله قول النابغة<sup>(٥)</sup>):

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُوْفَهِم  
هِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الكَتَائِبِ  
الاستعمال الثاني مِنَ التَّوْجِيهِ، وهو أَن يُمدحَ شيءٌ يَقضي المدحَ بشيءٍ آخرَ، وهذا كقول المتنبي<sup>(٦)</sup>:

نَهَبَتْ مِنَ الأَعْمَارِ مَا لَوْ حَوَيْتَهُ  
لَهَنَّتِ الدُّنْيَا بِأَنَّكَ خَالِدٌ

(٥) البيت للنابغة الذبياني، في ديوانه: ٤٤.

(٦) البيت للمتنبي في ديوانه.



هو إبهام المتقدمين، لأنَّ الاصطلاح فيها واحد، غير أنَّ الشواهد التي استشهدوا بها على التوجيه، الإبهام أحقُّ بها لطلوع أهلها زاهرة في أفقه، ولطابقة التسمية،...، فتسمية النوع هنا بالإبهام أليقُّ من تسميته بالتوجيه، ومطابقة التسمية فيه لا تحفى على أهل الذوق الصحيح،...، والسكاكي ومن تبعه سموا هذا النوع: التوجيه، ونسج الناس على منوالهم))<sup>(٩)</sup>.

ويساوي ابن حجة الحموي، في موضع آخر، بين مصطلح التورية والإيهام (بالياء بنقطتين) والتوجيه والتخير، مفضلاً مصطلح التورية عليها، قال ((التورية، يقال لها: الإيهام والتوجيه والتخير. والتورية أولى في التسمية لقربها من مطابقة المسمى، لأنها مصدر وريت الخبر تورية إذا سترته وأظهرت غيره، كأنَّ المتكلم يجعله وراءه بحيث لا يظهر. وهي في الاصطلاح، أن يذكر المتكلم لفظاً مفرداً له معنيين حقيقيين، أو حقيقة

فأول البيت دالٌّ على المدح بالشجاعة، وآخره دالٌّ على علوِّ الدرجة، ومن هذا قول بعضهم من الثر: هم بحارُّ العلى إلا أنهم جبال الحلم،...))<sup>(٧)</sup>. ويفهم من كلام العلوي وشواهد وأمثله أنه يحصر فنَّ التوجيه أو الكلام الموجه بالمدح أو الهجاء، وهذا شيء رفضه الدارسون اللاحقون من أهل البلاغة.

وقد بين ابن حجة الحموي (ت ٧٣٨هـ) أنَّ التوجيه ما يحتمل معنيين احتمالاً مطلقاً من غير تقييد بمدح أو غيره، قال: ((التوجيه،...، في الاصطلاح أن يحتمل الكلام وجهين من المعنى احتمالاً مطلقاً، من غير تقييد بمدح أو غيره))<sup>(٨)</sup>. ونبه على أنَّ التوجيه هو ما يُسمى عند القدماء بالإبهام، ذاهباً إلى أنَّ تسميته بالإبهام أليقُّ من تسميته بالتوجيه، ولافتاً إلى أنَّ السكاكي هو من سماه بالتوجيه ومن ثمَّ تابعه اللاحقون، قال: ((والتوجيه

(٧) الطراز لأسرار البلاغة: ٣ / ٧٤٧٤.

(٨) خزنة الأدب وغاية الأرب: ١ / ٣٠٣.

(٩) خزنة الأدب وغاية الأرب: ١ / ٣٠٣.





ومجازاً، أحدهما قَرِيبٌ ودلالة اللَّفْظِ عليه ظاهرةٌ والآخرُ بَعِيدٌ ودلالة اللَّفْظِ عليه خَفِيَّةٌ، فيُريدُ المتكلمُ المعنى البعيدَ ويُوري عنه بالمعنى القريبِ، فيتَوَهَّم السامعُ أولَ وهلة، أَنَّهُ يُريدُ القَرِيبَ وليس كذلك، ولأجلِ هذا سُمِّيَ هذا النوعُ (إيهاماً) (١٠٠). والتأملُ في هذا الكلامِ يَجِدُ أَنَّ التَّورِيَةَ في ضوءِ المفهومِ الَّذِي قَدَّمَهُ الحمويُّ نفسه يختلفُ عن التَّوْجِيهِ، لِأَنَّ التَّورِيَةَ قد تكونُ في كلمةٍ واحدةٍ تحتُمَلُ مَعْنِيَيْنِ في حينِ أَنَّ التَّوْجِيَةَ قد يكونُ في كلمةٍ وقد يكونُ ناتجاً من دلالةِ التَّرْكِيبِ كُلِّهِ لا من كلمةٍ واحدةٍ وهو الأغلبُ، والأهمُّ من هذا أَنَّ التَّورِيَةَ فيها مَعْنِيَانِ أحدهما قَرِيبٌ غيرُ مُرادٍ والآخرُ بَعِيدٌ وهو المرادُ عندَ المتكلمِ، في حينِ أَنَّ التَّوْجِيَةَ كلامٌ يَحْتَمَلُ وَجْهَيْنِ مِنْ غَيْرِ مُرَجِّحٍ لِأحدهما على الآخرِ.

وقَد أشارَ ابنُ مَعصومٍ (ت ١١١٩هـ) إلى التَّرَادُفِ الاصطِلاحِيِّ بَيْنَ مُصطَلِحِي الإِهَامِ والتَّوْجِيهِ، (١٠) خزانة الأدب و غاية الأرب: ٣٩ / ٢.

قال: ((الإيهامُ - بالباء الموحدة، وسماه بعضهم: التَّوْجِيهِ، ومُحتمَل الضَّديْن)) (١٠١).

وفي ما يأتي دراسةٌ لأهمِّ النُّصوصِ القُرآنيَّةِ الَّتِي أشارَ المفسِّرونَ والبلاغيُّونَ إلى أَنَّ فيها كلاماً مُوجَّهاً، مع محاولةٍ للوقوفِ على أسبابِ تَعَدُّدِ المعنى ومُسوِّغَاتِهِ مِنْ مُتَكَلِّمٍ أو مُخاطَبٍ أو نَصٍّ أو غيرِ ذلك. وأوَّلُ هذه النُّصوصِ قولُهُ تَعَالَى:

١- ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَعَيْنَا لِيَأْ بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الَّذِينَ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة النساء: ٦٤].

اكتَفَى بَعْضُ المفسِّرينَ في تَفْسِيرِ قولِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ﴾، بِذِكْرِ مَعْنَى وَاحِدٍ غَايَتُهُ الدَّم، وفحوى هذا المعنى: أَنَّ هذا التَّعْبِيرَ دُعَاءٌ

(١١) أنوار الربيع في أنواع البديع ص: ٨١، بترقيم المكتبة الشاملة آليا.



أنفسها: لَا أَسْمَعَتْ. وقيل: غَيْرَ مَسْمَعٍ، غير مجاب إلى ما تدعو إليه)) (١٣). وقد عَرَضَ الواحدِيُّ صورةً مسرحيةً لغويةً تُفسِّرُ المعنى السَّلْبِيَّ الَّذِي يَتَضَمَّنُهُ هَذَا التَّعْبِيرُ، مُرْجِعًا هَذَا المعنى إِلَى التَّلَاعِبِ الخَطَابِيِّ بَيْنَ الْمُعْلَنِ مِنَ الكَلَامِ وَالْمُخْفِيِ مِنْهُ، قَالَ: ((كَانُوا يَقُولُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اسْمِعْ، وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ: لَا سَمِعْتُ)) (١٤). وَهَذَا مَا أَكَّدَهُ قَوْلُ البَغْوِيِّ فِي تَفْسِيرِهِ: ((وَاسْمَعُ غَيْرَ مُسْمَعٍ أَيُّ: اسْمَعُ مِنَّا وَلَا نَسْمَعُ مِنْكَ، غَيْرَ مُسْمَعٍ أَيُّ: غَيْرَ مَقْبُولٍ مِنْكَ. وَقِيلَ: كَانُوا يَقُولُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اسْمَعُ ثُمَّ يَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ: لَا سَمِعْتُ)) (١٥).

فِي حِينِ ذِكْرِ مُفَسِّرُونَ آخَرُونَ وَجَهَيْنِ فِي تَفْسِيرِهَا، أَحَدُهُمَا: أَنَّ هَذَا التَّعْبِيرَ دُعَاءٌ عَلَى مَنْ قِيلَتْ فِيهِ بِأَنْ يُصَابَ بِالصَّمَمِ، وَالْآخَرُ: أَنَّهُ دُعَاءٌ لَهُ؛ قَالَ الرَّاعِبُ الْأَصْفَهَانِيُّ: ((وَقَوْلُهُ: **غَيْرَ مُسْمَعٍ**) يُقَالُ عَلَى وَجَهَيْنِ:

(١٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٢ / ٥٩.

(١٤) التفسير الوسيط للواحدى: ٢ / ٦١.

(١٥) تفسير البغوي: ١ / ٦٤١.

عَلَى الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ بِأَنْ يُصَابَ بِالصَّمَمِ فَلَا يَسْمَعُ، وَدُعَاءٌ عَلَيْهِ بِأَنَّهُ إِذَا خَاطَبَ النَّاسَ لَا يَسْمَعُونَ مِنْهُ وَلَا يُجِيبُونَهُ؛ قَالَ الْأَخْفَشُ: ((وَقَوْلُهُ **غَيْرَ مُسْمَعٍ**) أَيُّ: لَا سَمِعْتُ، وَأَمَا **غَيْرَ مُسْمَعٍ**) أَيُّ: لَا يُسْمَعُ مِنْكَ فَأَنْتَ غَيْرَ مُسْمَعٍ)) (١٢). فَالْأَخْفَشُ هُنَا يُبَيِّنُ أَنَّ المعنى هُوَ: لَا سَمِعْتُ، وَلَكِنَّهُ يُشِيرُ إِلَى أَنَّ هَذَا التَّرَكِيبَ قَدْ يَحْتَمِلُ مَعْنَى آخَرَ مَرْجِعُهُ تَغْيِيرَ الصَّيْغَةِ الصَّرْفِيَّةِ لِلكَلِمَةِ (مَسْمَع) بَيْنَ دَلَالَتِي اسْمِ المَفْعُولِ وَاسْمِ الفَاعِلِ. وَهَذَا المعنى الْآخَرُ النَّاتِجُ مِنْ تَغْيِيرِ الصَّيْغَةِ الصَّرْفِيَّةِ هُوَ دُعَاءٌ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ بِأَنْ يَكُونَ كَلَامُهُ غَيْرَ مَسْمُوعٍ وَخَطَابُهُ غَيْرَ مُجَابٍ. وَقَدْ بَيَّنَّ الزَّجَاجُ هَذَا المعنى مِنْ غَيْرِ إِشَارَةٍ إِلَى أَثَرِ تَغْيِيرِ الصَّيْغَةِ الصَّرْفِيَّةِ فِي إِنتَاجِ هَاتَيْنِ الدَّلَالَتَيْنِ؛ قَالَ: ((وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: **وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمَعٍ**). كَانَتِ الْيَهُودُ -لَعْنَتْ- تَقُولُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اسْمَعْ، وَتَقُولُ فِي

(١٢) معاني القرآن للأخفش: ١ / ٢٥٩،

وتأويل مشكل القرآن: ٢١٨.



أَحَدُهُمَا: دُعَاءٌ عَلَى الْإِنْسَانِ بِالصَّمَمِ. وَالثَّانِي: دُعَاءٌ لَهُ)) (١٦). وَقَدْ شَرَحَ الرَّزَّخَشَرِيُّ هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ كَاشِفًا عَنْ أَنَّ هَذَا التَّعْبِيرَ الْقُرْآنِيَّ يَحْتَمِلُ الدِّمَّ وَالْمَدْحَ؛ قَالَ: ((هُوَ قَوْلٌ ذُو وَجْهَيْنِ، يَحْتَمِلُ الدِّمَّ أَيْ اسْمِعْ مِنَّا مَدْعُوًّا عَلَيْكَ - بِإِلَّا سَمِعْتَ - لِأَنَّهُ لَوْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُهُمْ عَلَيْهِ لَمْ يَسْمَعْ، فَكَانَ أَصَمًّا غَيْرَ مَسْمُوعٍ، ...، أَوْ اسْمِعْ غَيْرَ مُجَابٍ إِلَى مَا تَدْعُو إِلَيْهِ؛ وَمَعْنَاهُ غَيْرَ مَسْمُوعٍ جَوَابًا يُؤَافِقُكَ، فَكَأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ شَيْئًا. أَوْ اسْمِعْ غَيْرَ مَسْمُوعٍ كَلَامًا تَرْضَاهُ، فَسَمِعَكَ عَنْهُ نَابٍ، ...، وَيَحْتَمِلُ الْمَدْحَ، أَيْ اسْمِعْ غَيْرَ مَسْمُوعٍ مَكْرُوهًا، مِنْ قَوْلِكَ: أَسْمَعْ فَلَانُ فَلَانًا إِذَا سَبَّهُ)) (١٧). وَبَيَّنَ ابْنُ عَطِيَّةٍ أَنَّ هَذَا التَّعْبِيرَ تَعْبِيرٌ اسْتَعْمَلْتَهُ الْيَهُودُ لِأَنَّهَا تُرِيدُ أَنْ تُظَهَرَ الدُّعَاءُ لَهُ فِي

(١٦) تفسير الراغب الأصفهاني: ٣ / ١٢٦١،

وزاد المسير: ١ / ٤١٦.

(١٧) الكشاف: ١ / ٥١٨، وينظر: التبيان

في إعراب القرآن: ١ / ٣٦٣، وتفسير

القرطبي ٥ / ٢٤٣، وأنوار التنزيل: ٢ /

٧٧، ومدارك التنزيل: ١ / ٣٦٢، ومحاسن

التأويل ٣ / ١٤١.

حِينَ أَتَتْهَا تُخْفِي فِي النُّفُوسِ الدُّعَاءَ عَلَيْهِ وَالدِّمَّ لَهُ؛ قَالَ: ((وَعَبَّرَ مَسْمُوعٌ يَتَخَرَّجُ فِيهِ مَعْنَانِ: أَحَدُهُمَا غَيْرُ مَأْمُورٍ وَغَيْرِ صَاحِرٍ، كَأَنَّهُ قَالَ: غَيْرُ أَنْ تَسْمَعَ مَأْمُورًا بِذَلِكَ، وَالْآخَرُ عَلَى جِهَةِ الدُّعَاءِ، أَيْ لَا سَمِعْتَ، كَمَا تَقُولُ: امضِ غَيْرِ مَصِيبٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَكَانَتْ الْيَهُودُ إِذَا خَاطَبَتْ النَّبِيَّ بِغَيْرِ مَسْمُوعٍ، أَرَادَتْ فِي الْبَاطِنِ الدُّعَاءَ عَلَيْهِ، وَأَرَتْ ظَاهِرًا أَنَّهَا تُرِيدُ تَعْظِيمَهُ)) (١٨). وَيَبْدُو أَنَّ الْفَرْقَ بَيْنَ مَا ذَكَرَهُ الزَّجَاجُ وَالْبَغَوِيُّ مِنْ جِهَةِ وَمَا ذَكَرَهُ ابْنُ عَطِيَّةٍ مِنْ جِهَةِ أُخْرَى هُوَ أَنَّ الْمُتَكَلِّمَ أَوْ الْمُرْسِلَ، عَلَى الرَّأْيِ الْأَوَّلِ، يُجِزِّي الرِّسَالَةَ، فَيُظْهِرُ مِنْهَا شَيْئًا يُؤَافِقُ الْعُرْفَ الْعَامَّ وَتَوَجُّهَاتِ الْمُتَلَقِّي بِصَوْتِ مَسْمُوعٍ لِلْجَمِيعِ، وَيَقُولُ الْجُزْءَ الْآخَرَ مِنَ الرِّسَالَةِ لِنَفْسِهِ مَعَ نَفْسِهِ وَإِرْضَاءً لَهْوَى نَفْسِهِ، أَيْضًا بِصَوْتِ خَافِتٍ لَا يَتِمَكَّنُ مِنْ سَمَاعِهِ إِلَّا هُوَ وَأَقْرَانُهُ الْيَهُودُ. فِي حِينَ يَبْدُو أَنَّ ابْنَ عَطِيَّةٍ يَفْهَمُ مِنْ هَذَا التَّعْبِيرِ أَنَّ طَرِيقَةَ

(١٨) المحرر الوجيز: ٢ / ٦٢، وينظر: الجواهر

الحسان في تفسير القرآن ٢ / ٢٤٤ - ٢٤٥.



مَكْرُوهًا، وَأَمَّا أَنَّهُ مُحْتَمِلٌ لِلشَّمِّ وَالذَّمِّ  
فَذَلِكَ مِنْ وُجُوهٍ: الْأَوَّلُ: أَنَّهُمْ كَانُوا  
يَقُولُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اسْمَعْ، وَيَقُولُونَ فِي  
أَنْفُسِهِمْ: لَا سَمِعْتَ، فَقَوْلُهُ: غَيْرَ مُسْمَعٍ  
مَعْنَاهُ: غَيْرَ سَامِعٍ، فَإِنَّ السَّامِعَ مُسْمَعٌ،  
وَالْمُسْمَعُ سَامِعٌ. الثَّانِي: غَيْرَ مُسْمَعٍ، أَيِ  
غَيْرَ مَقْبُولٍ مِنْكَ، وَلَا مُجَابٍ إِلَى مَا تَدْعُو  
إِلَيْهِ، وَمَعْنَاهُ غَيْرَ مُسْمَعٍ جَوَابًا يُوَافِقُكَ،  
فَكَأَنَّكَ مَا أَسْمَعْتَ شَيْئًا. الثَّلَاثُ:  
اسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ كَلَامًا تَرْضَاهُ، وَمَتَى  
كَانَ كَذَلِكَ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَسْمَعُهُ لِنُبُوِّ  
سَمِعِهِ عَنْهُ، فَثَبَّتَ بِمَا ذَكَرْنَا أَنَّ هَذِهِ  
الْكَلِمَةُ مُحْتَمِلَةٌ لِلذَّمِّ وَالْمُدْحِ، فَكَانُوا  
يَذْكُرُونَهَا لِغَرَضِ الشَّمِّ)) (١٩).

وَأَكَّدَ أَبُو حَيَّانَ الْأَنْدَلِسِيُّ أَنَّ مُرَادَ  
الْيَهُودِ مِنْ هَذَا الِاسْتِعْمَالِ هُوَ الْوَجْهُ  
الْمَكْرُوهُ بِدَلِيلِ مَا جَاءَ قَبْلَهُ، وَهُوَ قَوْلُهُ  
تَعَالَى: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا، قَالَ: ((وَأَسْمَعُ  
غَيْرَ مُسْمَعٍ هَذَا الْكَلَامُ مُوجَّهٌ، وَيَحْتَمِلُ  
وُجُوهًا. وَالظَّاهِرُ أَنَّهُمْ أَرَادُوا بِهِ الْوَجْهَ  
الْمَكْرُوهَ لِسِيَاقِ مَا قَبْلَهُ مِنْ قَوْلِهِ:  
سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا، فَيَكُونُ مَعْنَاهُ: اسْمَعْ  
(١٩) مفاتيح الغيب: ١٠ / ٩٣ - ٩٤.

النُّطْقِ كَانَتْ وَاحِدَةً مِنْ حَيْثُ وَضُوحُ  
الصَّوْتِ وَدَرَجَةُ ارْتِفَاعِهِ، فَلَيْسَ ثَمَّةَ  
كَلَامٌ قِيلَ بِصَوْتٍ وَاضِحٍ وَآخَرَ قِيلَ  
بِصَوْتٍ مُنْخَفِضٍ غَيْرِ مَسْمُوعٍ؛ فَمَكَّمَنْ  
التَّلَاعِبِ اللَّغْوِيِّ وَالذَّلَالِيِّ إِنَّمَا يَرْجِعُ إِلَى  
أَنَّ هَذِهِ الرِّسَالَةَ اللَّغْوِيَّةَ تَحْتَمِلُ دَلَالَةً  
ظَاهِرَةً يُرَادُ مِنَ الْمُتَلَقِّي فَهْمَهَا أَخْذًا  
بِالظَّاهِرِ اللَّغْوِيِّ، وَتَحْتَمِلُ دَلَالَةً بَاطِنَةً  
هِيَ الَّتِي يُرِيدُهَا الْمُرْسَلُ لِيَرْضَى بِهَا  
نَفْسَهُ، وَهُوَ مُدْرِكٌ أَنَّهَا لَيْسَتْ الدَّلَالَةُ  
الْمُطَابِقَةَ لِمَا قَرَّ فِي ذَهَنِ الْمُتَلَقِّي.

وَجَعَلَ الرَّازِي هَذَا الِاسْتِعْمَالَ  
مِنْ ضَلَالَاتِ الْيَهُودِ، لِأَنَّهُمْ اسْتَعْمَلُوا  
اللُّغَةَ عَلَى نَحْوِ مَقْصُودِ لِيُؤَدِّيَ هَذَا  
الِاسْتِعْمَالَ اللَّغْوِيُّ الْمَقْصُودُ دَلَالَةً  
الْمُدْحِ ظَاهِرًا وَدَلَالَةً الذَّمِّ بَاطِنًا مِنْ  
وُجُوهٍ، وَهُوَ فِي هَذَا يَتَّوَسَّعُ فِي إِضْحَاحِ  
الدَّلَالَاتِ الَّتِي ذَكَرَهَا الرَّخْشَرِيُّ،  
قَالَ: ((مِنْ ضَلَالَتِهِمْ قَوْلُهُ: وَأَسْمَعُ  
غَيْرَ مُسْمَعٍ. وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ ذُو  
وَجْهَيْنِ يَحْتَمِلُ الْمُدْحَ وَالتَّعْظِيمَ، وَيَحْتَمِلُ  
الْإِهَانَةَ وَالشَّمِّ. وَأَمَّا أَنَّهُ يَحْتَمِلُ الْمُدْحَ  
فَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ اسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ



لَا سَمِعْتَ)) (٢٠). وقد بَيَّنَّ الطَّاهِرُ بْنُ  
عاشور (ت ١٣٩٣هـ = ١٩٧٤م)  
أَنَّ هَذَا التَّعْبِيرَ كَلِمَةٌ كَانَتْ الْعَرَبُ  
تَسْتَعْمَلُهَا فِي الدُّعَاءِ بِالْخَيْرِ، وَلَكِنَّ  
الْيَهُودَ اسْتَعْمَلْتَهَا عَلَى نَحْوِ آخَرَ؛ إِذِ  
أَرَادَتْ مِنْ هَذَا التَّعْبِيرِ الْمَعْنَى الْمَكْرُوهَ،  
إِرْضَاءً لِأَنْفُسِهِمْ وَنَوَايَاهُمْ السَّيِّئَةَ،  
وَذَلِكَ بِأَنَّ يُظَاهِرُوا شَيْئًا وَيُضْمِرُوا فِي  
أَنْفُسِهِمْ خِلَافَهُ، قَالَ: ((وَمَعْنَى اسْمَعِ  
غَيْرَ مُسْمَعٍ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ لِلرَّسُولِ ﷺ  
عِنْدَ مُرَاجَعَتِهِ فِي أَمْرِ الْإِسْلَامِ: اسْمَعِ  
مِنَّا، وَيَعْقُبُونَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِمْ: غَيْرَ مُسْمَعٍ  
يُوهَمُونَ أَنَّهُمْ قَصَدُوا الظَّاهِرَ الْمُتَبَادِرَ مِنْ  
قَوْلِهِمْ: غَيْرَ مُسْمَعٍ، أَيَّ غَيْرَ مَأْمُورٍ بِأَنَّ  
تَسْمَعَ، فِي مَعْنَى قَوْلِ الْعَرَبِ: (افْعَلْ  
غَيْرَ مَأْمُورٍ). وَقِيلَ مَعْنَاهُ: غَيْرَ مُسْمَعٍ  
مَكْرُوهًا، فَلَعَلَّ الْعَرَبَ كَانُوا يَقُولُونَ:  
أَسْمَعُهُ بِمَعْنَى سَبِّهِ. وَالْحَاصِلُ أَنَّ هَذِهِ  
الْكَلِمَةَ كَانَتْ مَعْرُوفَةً الْإِطْلَاقَ بَيْنَ  
الْعَرَبِ فِي مَعْنَى الْكِرَامَةِ وَالتَّلَطُّفِ  
إِطْلَاقًا مُتَعَارَفًا، وَلَكِنَّهُمْ لَمَّا قَالُوهَا  
لِلرَّسُولِ أَرَادُوا بِهَا مَعْنَى آخَرَ انْتَحَلُوهُ

(٢٠) البحر المحيط: ٣ / ٦٦٢.

لَهَا مِنْ شَيْءٍ يَسْمَعُ بِهِ تَرْكِيبُهَا الْوَضْعِيُّ،  
أَيُّ أَنْ لَا يَسْمَعُ صَوْتًا مِنْ مِتْكَمَّ. لِأَنَّ  
يَصِيرَ أَصَمًّا، أَوْ أَنْ لَا يُسْتَجَابَ دَعَاؤُهُ.  
وَالَّذِي دَلَّ عَلَى أَنَّهُمْ أَرَادُوا ذَلِكَ قَوْلُهُ  
بَعْدُ: وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا -إِلَى قَوْلِهِ: -اسْمَعِ  
وَأَنْظُرْنَا فَأَزَالَ لَهُمْ كَلِمَةَ (غَيْرَ مُسْمَعٍ).  
وَقَصْدُهُمْ مِنْ إِيْرَادِ كَلَامٍ ذِي وَجْهَيْنِ  
أَنْ يُرْضُوا الرَّسُولَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَيُرْضُوا  
أَنْفُسَهُمْ بِسُوءِ نِيَّتِهِمْ مَعَ الرَّسُولِ ﷺ  
وَيُرْضُوا قَوْمَهُمْ، فَلَا يَجِدُوا عَلَيْهِمْ  
حُجَّةً)) (٢١).

وقد صرَّحَ بعضُ المحدثين بأنَّ  
الآيةَ الكريمةَ تتضمَّنُ فنَّ الإبهامِ أَوْ  
فنَّ الكلامِ الموجَّه، ومنهم الأستاذُ  
محمودُ بن عبد الرحيم صافي (ت  
١٣٧٦هـ = ١٩٥٧م)؛ إذ قال:  
((الإبهامُ أَوْ الكلامُ الموجَّه: في  
قوله تعالى: ﴿وَأَسْمِعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾.  
وهو كلامٌ ذو وَجْهَيْنِ -محتملٌ للشَّرِّ  
والخير- ويُسمَّى في البديع بالتَّوجيهِ.  
واحتتماله للشَّرِّ بأنَّ يُحْمَلُ عَلَى مَعْنَى  
اسْمِعْ مَدْعُوًّا عَلَيْكَ بِأَلَا سَمِعْتَ، أَوْ

(٢١) التحرير والتنوير: ٥ / ٧٦.



اسمع غير مجاب إلى ما تدعو إليه. واحتماله للخير بأن يُحْمَلَ على معنى (اسمع) مِنَّا (غير مسمع) مكروها، من قولهم: أَسْمَعَهُ فلان إذا سبه. وقد كانوا لعنهم الله تعالى يُحَاطِبُونَ بذلك رسول الله ﷺ استهزاءً مُظْهِرِينَ المعنى الأخيرَ وهم يُضْمِرُونَ سواه)) (٢٢).

وَمَنْ صَرَّحَ بوجودِ هذا الفنِّ في هذه الآية أيضًا الأستاذُ محيي الدين درويش (ت ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣)؛ إذ قال: ((اشتملت هذه الآية على فنٍّ فريدٍ تُسمِّيه: الإبهام أو الكلام الموجه أو المحتمل للضدين، وهو الإتيان بكلامٍ يحتمل معنيين مُتضادين بحيث لا يتميز أحدهما من الآخر، وهو قوله: ﴿وَأَسْمَعُ عَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ فهو ذو وجهين: وَجْهُ يُحْتَمَلُ الدَّمُّ: أي استمع مِنَّا مَدْعُوا عَلَيْكَ بِلا سمعت، أي: أَصَابَكَ اللهُ بِالصَّمَمِ: الموت. ولعله هو المراد هنا لما انطوا عليه من خِصَّة.

وَوَجْهُ يُحْتَمَلُ المَدْحُ: أي اسمع غير (٢٢) الجدول في إعراب القرآن: ٥ / ٥٣ - ٥٤.

مسمع مكروها)) (٢٣).

٢- ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُوْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَرَغْبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوَالِدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ [سورة النساء: ١٢٧].

يَحْتَمَلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَرَغْبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ وَجْهَيْنِ؛ وذلك لِأَنَّ الفعلَ (رَغِبَ) يَتَعَدَّى بحرفي الجرِّ: (في، وعن)، فيتعدَّى بالحرفِ الأوَّلِ (في) للتعبيرِ عن إرادةِ الشَّيْءِ والرَّغْبَةِ فيه، وَيَتَعَدَّى بالحرفِ الثَّانِي: (عن) للتعبيرِ عن تركِ الشَّيْءِ وبُغْضِهِ، وقد التَفَتَ المفسِّرونَ إلى هذينِ الوجهينِ، وَأَنَّهَا يَنْتِجَانِ مِنْ أَثَرِ اخْتِلَافِ تَقْدِيرِ حَرْفِ الجُرِّ على كُلِّ وَجْهِ، وهو بطبيعةِ الحالِ نابعٌ مِنْ خِصَائِصِ التَّرْكِيبِ؛ قال الثَّعْلَبِيُّ (ت ٤٢٧هـ): ((﴿وَرَغْبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾، أي: وترغبون عن



نِكَاحَهُنَّ لِمَلِكِهِنَّ، وَقِيلَ: تَرْغَبُونَ فِي نِكَاحِهِنَّ لِمَاهِنَ)) (٢٤). وَقَدْ بَيَّنَّ الرَّخْشَرِيُّ هَذِهِ الْإِحْتِمَالِيَّةَ النَّاتِجَةَ مِنْ حَذْفِ حَرْفِ الْجُرِّ، قَالَ: ((وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنكِحُوهُنَّ يَحْتَمَلُ فِي أَنْ تَنكِحُوهُنَّ لِحِمَاهُنَّ، وَعَنْ أَنْ تَنكِحُوهُنَّ لِدِمَامَتِهِنَّ)) (٢٥). وَهُوَ مَا أَكَّدَهُ الْقُرْطُبِيُّ (ت ٦٧١هـ)، قَالَ: ((وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنكِحُوهُنَّ﴾ أَيُّ وَتَرْغَبُونَ عَنْ أَنْ تَنكِحُوهُنَّ، ثُمَّ حَذَفَتْ (عَنْ). وَقِيلَ: وَتَرْغَبُونَ فِي أَنْ تَنكِحُوهُنَّ ثُمَّ

(٢٤) الكشف والبيان: ٣/ ٣٩٤، وينظر: النكت والعيون: ١/ ٥٣٢، وتفسير الراغب الأصفهاني ٤/ ١٨٠، وتفسير البغوي: ١/ ٥٦٣، والمحرم الوجيز: ٢/ ١١٨، وإعراب القرآن للباقولي: ١/ ١٢٥، وزاد المسير: ١/ ٤٨٠، ومفاتيح الغيب: ١١/ ٢٣٤، وأنوار التنزيل: ٢/ ١٠٠، ومدارك التنزيل: ١/ ٤٠٠، والبحر المحيط: ٤/ ٨٤، واللباب في علوم الكتاب: ٧/ ٤٩، والبرهان في علوم القرآن ٢/ ٢١٠، والجواهر الحسان: ٢/ ٣٠٥، والإتقان في علوم القرآن ٣/ ٥٩، ومعتك الأقران: ١/ ١٦٤.

(٢٥) الكشف: ١/ ٥٧٠.

حُذِفَتْ (فِي)) (٢٦). وَيُرَى الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورَ أَنَّ هَذَا الِاسْتِعْمَالَ هُنَا مَقْصُودٌ مِنْ بَابِ اسْتِعْمَالِ اللَّفْظِ الْمَشْرُوكِ فِي مَعْنِيهِ، قَالَ: ((وَعَلَى الْوَجْهَيْنِ يَجِيءُ التَّقْدِيرُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنكِحُوهُنَّ﴾ وَلَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْإِحْتِمَالَيْنِ فِي قَوْلِهِ: ... ﴿وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنكِحُوهُنَّ﴾. مَقْصُودَيْنِ عَلَى حَدِّ اسْتِعْمَالِ الْمَشْرُوكِ فِي مَعْنِيهِ)) (٢٧). فَهُوَ يُشِيرُ هُنَا إِلَى أَنَّ النَّصَّ الْكَرِيمَ أَرَادَ الْمَعْنَيْنِ فَجَمَعَ بَيْنَهُمَا فِي هَذَا التَّعْبِيرِ الْبَلِيغِ الْمَعْجِزِ، وَكَأَنَّهُ مَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِرِ التَّوَسُّعِ فِي التَّعْبِيرِ وَصُورَةٌ مِنْ صُورِهِ، فَيَكُونُ هَذَا التَّعْبِيرُ رِسَالَةً لُغَوِيَّةً تَشْرِيحِيَّةً تُعَالِجُ الْأَمْرَيْنِ مَعًا: التَّعَامُلَ مَعَ الْيَتِيمَاتِ الْجَمِيلَاتِ الْمَرْغُوبِ فِي الزَّوْجِ بَهْنِ وَالْيَتِيمَاتِ الْمَرْغُوبِ عَنْهُنَّ، وَذَلِكَ بِالِإِفَادَةِ مِنْ خَصَائِصِ اللُّغَةِ وَضَوَائِبِهَا فِي بَابِ التَّعَدِّيِّ وَاللُّزُومِ. وَقَدْ صَرَّحَ الْأُسْتَاذُ مُحْيِي الدِّينِ دُرُوشٌ بِوُجُودِ فَنَّ الْكَلَامِ الْمَوْجَّهِ فِي الْآيَةِ قَالَ: ((فِي هَذِهِ الْآيَةِ

(٢٦) تفسير القرطبي: ٥/ ٤٠٢ - ٤٠٣.

(٢٧) التحرير والتنوير: ٥/ ٢١٤.



في حين ذكر الماوردي (ت ٤٥٠ هـ) أَنَّ أُخْتَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ احتجَّت على أَنَّ المراد بالضَّمير في (له) هو الملك وليس الطفل: (مُوسَى) بِأَنَّهَا تَعْرِفُ أَهْلَ الرُّضِعةِ وَأَنَّهُمْ حَرِيصُونَ عَلَى مَسَرَّةِ المَلِكِ، قال: ((فَقَالُوا لَهَا عِنْدَ قَوْلِهَا لَهُم: ﴿وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ وَمَا يُدْرِيكَ؟. لَعَلَّكَ تَعْرِفِينَ أَهْلَهُ، فَقَالَتْ: لَا وَلَكِنَّهُمْ يَحْرِيصُونَ عَلَى مَسَرَّةِ المَلِكِ وَيَرْعَبُونَ فِي ظَهْرِهِ)) (٣٠). وَقَدْ عَدَّ الكَرْمَانِيُّ (ت نحو ٥٥٠ هـ) مَا ذَكَرَهُ المفسِّرونَ فِي تَفْسِيرِ هَذَا المَوْضِعِ مِنْ غَرَائِبِ التَّفْسِيرِ، قال: ((قَوْلُهُ: ﴿وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾، أَي لَا يُقَصِّرُونَ فِي تَرْبِيئِهِ وَإِرْضَاعِهِ. الغريب:

والمحرر الوجيز: ٤ / ٤٤، والكشاف: ٣ / ٣٩٦، وزاد المسير: ٣ / ٣٧٧، ومفاتيح الغيب: ٢٤ / ٥٨٢، وأنوار التنزيل: ٤ / ١٧٣، ومدارك التنزيل: ٢ / ٦٣٢

(٣٠) النكت والعيون: ٤ / ٢٣٩، وينظر: التفسير الوسيط: ٣ / ٣٩٢، وتفسير البغوي: ٣ / ٥٢٥، وتفسير القرطبي: ١٣ / ٢٥٧، وتفسير ابن كثير: ٥ / ٢٨٦، والجواهر الحسان في تفسير القرآن: ٤ / ٥٤، ومعتزك الأقران: ٣ / ٦٧، وإرشاد العقل والسليم: ٧ / ٥.

الكلام الموجه،... ، وذلك في قوله: ﴿وَرَعِبُونَ أَنْ تَنكِحُوهُنَّ﴾، فَهِنَّ إِمَّا جَمِيَلَاتٌ أَوْ دَمِيَّاتٌ حَسَبَ تَقْدِيرِ (الجارِّ)) (٢٨).

٣- ﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ المَّرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ [سورة القصص: ١٢].

يَحْتَمِلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ وَجْهَيْنِ؛ فَيَحْتَمِلُ أَنَّ يَعُودَ الضَّميرُ فِي (له) عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ مَا يَتَّبَادِرُ إِلَى الذَّهْنِ مِنْ سِيَاقِ النَّصِّ وَالْقِصَّةِ، كَمَا يَحْتَمِلُ أَنَّ يَعُودَ عَلَى المَلِكِ. وَقَدْ أَشَارَ إِلَى هَذَيْنِ الاحْتِمَالَيْنِ كَثِيرٌ مِنَ المفسِّرينَ القُدَمَاءِ، وَمِنْهُم الطَّبْرِيُّ (ت ٣١٠ هـ)؛ إِذِ قال: ((وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ ذَكَرَ أَنَّهَا أُخِذَتْ، فَقِيلَ: قَدْ عَرَفْتَهُ، فَقَالَتْ: إِنَّمَا عَنَيْتُ أَنَّهُمْ لِلْمَلِكِ نَاصِحُونَ)) (٢٩).

(٢٨) إعراب القرآن وبيانه: ٢ / ٣٣٣. (٢٩) تفسير الطبري: ١٩ / ٥٣٤، وينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤ / ١٣٥، ومعاني القرآن للنحاس: ٥ / ١٦٣، والكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٧ / ٢٣٩.





ذُكِرَ أَنَّ هَامَانَ لَمَّا سَمِعَ قَوْلَهَا ﴿وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾، قَالَ: خُذُوهَا حَتَّى تُخْبِرَ بِقِصَّةِ هَذَا الْغُلَامِ، فَأَلْهَمَهَا اللَّهُ، فَقَالَتْ: إِنَّمَا ذَكَرْتُ لَهُ نَاصِحُونَ لِفِرْعَوْنَ لَا لِغَيْرِهِ. فَقَالَ: ((صَدَقَتْ)) (٣١). وَقَدْ رَسَمَ أَبُو حَيَّانِ الْأَنْدَلِسِيُّ (ت ٧٤٥ هـ) - فِي سِيَاقِ تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ - صُورَةً لِلْحَدِيثِ بِعِبَارَةٍ أَكْثَرَ تَفْصِيلاً - مِمَّا مَرَّ بِنَا عِنْدَ الْمَوَارِدِيِّ - عَنِ طَرِيقِ عَرَضِهِ عَلَى شَكْلِ قِصَّةٍ لَهَا شُحُوصٌ وَلِكُلِّ مِنْهُمْ حِوَارُهُ، قَالَ: ((فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ فَتَعَلَّقُوا بِهَا وَقَالُوا: أَنْتِ تَعْرِفِينَ هَذَا الصَّبِيَّ؟. فَقَالَتْ: لَا، وَلَكِنْ أَعْلَمُ مِنْ أَهْلِ هَذَا الْبَيْتِ الْخُرْصَ عَلَى التَّقَرُّبِ إِلَى الْمَلِكَةِ وَالْجِدِّ فِي خِدْمَتِهَا وَرِضَاهَا، فَتَرَكُوها وَسَأَلُوها الدَّلَالَهَ فَجَاءَتْ بِأُمِّ مُوسَى فَلَمَّا قَرَّبَتْهُ شَرِبَ ثَدْيِهَا فَسَرَتْ أَسِيَّةُ)) (٣٢). وَتَبَيَّنَ مِمَّا سَبَقَ أَنَّ هَذَا التَّعْبِيرَ كَشَفَ عَمَّا فِي نَفْسِ أُخْتِ مُوسَى

(٣١) غرائب التفسير وعجائب التأويل: ٢/

(٣٢) البحر المحيط: ٧/ ٣٣٢.

مِنْ مَعْرِفَةٍ بِالطِّفْلِ وَأَهْلِهِ الْحَقِيقِينَ، وَهَذَا كَانَ سَيُودِي بِالطِّفْلِ وَأَهْلِهِ إِلَى الْقَتْلِ، وَهُوَ مَا لَمْ تَكُنْ تُرِيدُهُ طَبْعًا. وَهُنَا أَعْمَلْتُ أُخْتُ مُوسَى عَلَيْهِ ذَكَاءَهَا فِي التَّخْلِصِ مِمَّا دَلَّ عَلَيْهِ ظَاهِرُ التَّرْكِيبِ الَّذِي وَرَدَ عَلَى لِسَانِهَا بِاللُّجُوءِ إِلَى التَّأْوِيلِ مُفِيدَةً فِي الْوُصُولِ إِلَى ذَلِكَ مِنْ إِبْهَامِ الدَّلَالَةِ النَّاتِجِ مِنْ اسْتِعْمَالِ الضَّمِيرِ وَعَمُوضِ الْمَعْنَى فِي تَحْدِيدِ مَرْجِعِهِ وَصَاحِبِهِ. فَالضَّمِيرُ (الهَاءُ) فِي: (لَهُ) مُبْهَمٌ شَأْنُهُ شَأْنُ الضَّائِرِ الْأُخْرَى، تَبَيَّنَ دَلَالَتُهُ بِمَرْجِعِهِ، وَمِنْ ثَمَّ فَهُوَ يَحْتَمِلُ أَنْ يَعُودَ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَعُودَ عَلَى الْمَلِكِ.

وَقَدْ ذَهَبَ أَبُو حَيَّانِ إِلَى أَنَّ الظَّاهِرَ مِنَ الضَّمِيرِ أَنَّهُ يَعُودُ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَعُودَ عَلَى (فِرْعَوْنَ)، وَأَرْجَعُ سَبَبَ تَعَدُّدِ الْإِحْتِمَالَاتِ الدَّلَالِيَّةِ، فِي هَذَا التَّعْبِيرِ الْقُرْآنِيِّ، قَالَ: ((وَالظَّاهِرُ أَنَّ الضَّمِيرَ فِي لَهُ عَائِدٌ عَلَى مُوسَى. قِيلَ: وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَعُودَ عَلَى الْمَلِكِ الَّذِي كَانَ الطِّفْلُ فِي ظَاهِرِ أَمْرِهِ مِنْ جُمَّلَتِهِ. وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: تَأَوَّلَ الْقَوْمُ أَنَّ الضَّمِيرَ



مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ تَكُنْ تَتَحَدَّثُ الْعَرَبِيَّةَ وَهَذَا  
الْفَنُّ إِنَّمَا يَكُونُ بِلُغَةِ الْعَرَبِ، وَرَدَّ عَلَى  
هَذَا الِاعْتِرَاضِ بِأَنَّ الْآيَةَ حِكَايَةٌ مُطَابِقَةٌ  
لِكَلَامِهَا وَإِنْ كَانَتْ بِلُغَةٍ أُخْرَى، قَالَ:  
(وَأَمَّا التَّوْجِيهُ وَهُوَ مَا احْتَمَلَ مَعْيِينِ  
وَيُؤْتَى بِهِ عِنْدَ فِطْنَةِ الْمُخَاطَبِ كَقَوْلِهِ  
تَعَالَى حِكَايَةً عَنِ أُخْتِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ:  
﴿ هَلْ أَذْكَرُ عَلَى أَهْلِ بَيْتِ يَكْفُوتُونَهُ لَكُمْ  
وَهُمْ لَهُ نَصِيحُونَ ﴾ فَإِنَّ الضَّمِيرَ فِي  
لَهُ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ لِمُوسَى وَأَنْ يَكُونَ  
لِفِرْعَوْنَ قَالَ ابْنُ جَرِيحٍ: وَهَذَا تَخَلَّصَتْ  
أُخْتُ مُوسَى مِنْ قَوْلِهِمْ: إِنَّكَ عَرَفْتَهُ  
فَقَالَتْ: أَرَدْتُ نَاصِحُونَ لِلْمَلِكِ  
وَاعْتَرَضَ عَلَيْهِ بِأَنَّ هَذَا فِي لُغَةِ الْعَرَبِ  
لَا فِي كَلَامِهَا الْمُحْكِي وَهَذَا مَرْدُودٌ فَإِنَّ  
الْحِكَايَةَ مُطَابِقَةً لِمَا قَالَتْهُ وَإِنْ كَانَتْ  
بِلُغَةٍ أُخْرَى ((٣٦)). وَقَدْ رَدَّ الْأَلُوسِيُّ  
(ت ١٢٧٠هـ) هَذَا الِاعْتِرَاضَ بِالرَّدِّ  
نَفْسِهِ، وَأَضَافَ فِي رَدِّهِ أَنَّ الْفِرَاعِنَةَ مِنْ  
بَقَايَا الْعَمَالِقَةِ وَكَانُوا يَتَكَلَّمُونَ الْعَرَبِيَّةَ،  
وَلَعَلَّ أُخْتَ مُوسَى كَلَّمَتْهُمْ بِلِسَانِهِمْ،

(٣٦) البرهان في علوم القرآن: ٢ / ٣١٤-

لِلطُّفْلِ فَقَالُوا لَهَا: إِنَّكَ قَدْ عَرَفْتِيهِ،  
فَأَخْبَرِينَا مَنْ هُوَ؟ فَقَالَتْ: مَا أَرَدْتُ،  
إِلَّا أَنَّهُمْ نَاصِحُونَ لِلْمَلِكِ، فَتَخَلَّصْتُ  
مِنْهُمْ بِهَذَا التَّأْوِيلِ)) (٣٣).

وَقَدْ بَيَّنَّ السَّمِينُ الْحَلَبِيُّ أَنَّ هَذَا  
الِاسْتِعْمَالَ يُسَمَّى بِالْكَلَامِ الْمَوْجَّهِ عِنْدَ  
عُلَمَاءِ الْبَيَانَ، قَالَ: ((قَوْلُهُ: ﴿ وَهُمْ  
لَهُ نَصِيحُونَ ﴾ الظَّاهِرُ أَنَّهُ ضَمِيرُ  
مُوسَى. وَقِيلَ: لِفِرْعَوْنَ. وَمِنْ طَرِيفٍ  
مَا يُحْكِي: أَنَّهَا لَمَّا قَالَتْ لَهُمْ ذَلِكَ  
اسْتَنْكَرُوا حَالَهَا وَتَفَرَّسُوا أَنَّهَا قَرَابَتُهُ.  
فَقَالَتْ: إِنَّمَا أَرَدْتُ: وَهُمْ لِلْمَلِكِ  
نَاصِحُونَ. فَتَخَلَّصْتُ مِنْهُمْ. قَالَ ابْنُ  
جَرِيحٍ. قُلْتُ: وَهَذَا يُسَمَّى عِنْدَ أَهْلِ  
الْبَيَانَ «الْكَلَامَ الْمَوْجَّهَ» ((٣٤)). وَقَدْ نَقَلَ  
ابْنُ عَادِلِ الْحَنْبَلِيُّ (ت ٧٧٥هـ) هَذَا  
الْكَلَامَ فِي تَفْسِيرِهِ (٣٥). وَذَكَرَ الزَّرْكَشِيُّ

(ت ٧٩٤هـ) هَذِهِ الْآيَةَ شَاهِدًا عَلَى  
فَنِّ التَّوْجِيهِ أَوْ الْكَلَامِ الْمَوْجَّهِ، وَنَاقَشَ  
اعْتِرَاضًا قَدْ يَرُدُّ عَلَيْهَا وَهُوَ أَنَّ أُخْتَ

(٣٣) البحر المحيط: ٨ / ٢٩١.

(٣٤) الدر المصون: ٨ / ٦٥٥.

(٣٥) اللباب في علوم الكتاب: ١٥ / ٢٢٣.



قال: (( **وَهُمْ لَهُ نَصِيحُونَ** ﴾ لا يُقْصِرُونَ فِي خِدْمَتِهِ وَتَرْبِيَّتِهِ، وَرُوي أَنَّ هَامَانَ لما سَمِعَ هذا مِنْهَا قَالَ إِنَّهَا لَتَعْرِفُهُ وَأَهْلُهُ فَخَذُوها حَتَّى تُخْبِرَ بِحَالِهِ فَقَالَتْ إِنَّهَا أَرَدْتُ وَهُمْ لِلْمَلِكِ ناصِحُونَ فَتَخَلَّصْتَ بِذَلِكَ مِنَ الشَّرِّ الَّذِي يَجُوزُ لِمِثْلِهِ الكَذِبَ وَأَحْسَنْتَ، وَليس بِيَدِعُ لَأَنَّها مِنَ بَيْتِ التَّوْبَةِ فَحَقِيقٌ بِها ذَلِكَ، واحْتِمَالُ الضَّمِيرِ لِأَمْرَيْنِ مِمَّا لا تَخْتَصُّ به اللُّغَةُ العَرَبِيَّةُ بل يَكُونُ فِي جَمِيعِ اللُّغَاتِ عَلى أَنَّ الفَراعِنَةَ مِنَ بَقايا العَمالِقَةِ وَكانُوا يَتَكَلَّمُونَ بِالعَرَبِيَّةِ فَلَعَلَّها كَلَّمْتَ بِلِسانِهِمْ وَيُسَمَّى هذا الأُسْلُوبُ مِنَ الكَلامِ المَوْجَّهَ)) (٣٧).

٤- ﴿ **وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ** ﴾ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ ﴿  
[سورة التوبة: ٦٥].

يَذْكَرُ أَغْلَبُ المَفْسِّرِينَ أَنَّ المَقْصُودَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ **وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ** ﴾ هُمْ المَنافِقُونَ الَّذِينَ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ أَنَّهُمْ مِنْكُمْ، وَلَكِنَّهُمْ لَيْسُوا مِنْ أَهْلِ دِينِكُمْ بَلْ هُمْ أَهْلُ شَكِّ

(٣٧) روح المعاني: ١٠ / ٢٦٠.

وَنِفاقٍ، وَإِنَّمَا يُظْهِرُونَ الإِيْمانَ خَوْفاً مِنْكُمْ لِأَنَّهم قَوْمٌ يَفْرُقُونَ، قال الطبري: (( يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَيَخْلِفُ بِاللَّهِ لَكُمْ، أَيُّها المُؤْمِنُونَ، هُؤُلاءِ المَنافِقُونَ كَذِباً وَباطِلاً خَوْفاً مِنْكُمْ: (إِنَّهم لَمِنْكُمْ) فِي الدِّينِ والمِلَّةِ. يَقُولُ اللهُ تَعَالَى، مُكذِّباً لَهُم: (وَمَا هُمْ مِنْكُمْ)، أَي لَيْسُوا مِنْ أَهْلِ دِينِكُمْ وَمِلَّتِكُمْ، بَلْ هُمْ أَهْلُ شَكِّ وَنِفاقٍ (وَلَكِنَّهم قَوْمٌ يَفْرُقُونَ)، يَقُولُ: وَلَكِنَّهم قَوْمٌ يَخْلِفُونَكُمْ، فَهم خَوْفاً مِنْكُمْ يَقُولُونَ بِالسَّنْتِهم: (إِنَّا مِنْكُمْ)، لِيَأْمِنُوا فِيكُمْ فَلا يُفْتَلُوا)) (٣٨).

وَقَدْ أَكَّدَ أَبُو حَيَّانَ هَذَا المَعْنى وَاسْتَدَلَّ عَلى أَنَّهُ المَرادُ مِنَ الأيَةِ لِأَنَّ النِّصَّ وَصَفَهُم بِخِلافِ ما عَليه المُؤْمِنُونَ، قال: (( قال تَعَالَى: ﴿ **وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ** ﴾ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ بَلْ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ فِي الحُكْمِ وَالمَنْزِلَةِ وَالنِّفاقِ، فَهم عَلى دِينٍ واحِدٍ. وَلَيْسَ المَعْنى

(٣٨) جامع البيان: ١٤ / ٢٩٧ - ٢٩٨،  
وينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٢ / ٤٥٤،  
والكشاف: ٢ / ٢٨١، ومفاتيح الغيب:  
١٦ / ٧٤، وتفسير القرطبي ٨ / ١٩٩،  
وأنوار التنزيل: ٣ / ٨٥.



لِصَلَابَتِهِ لِأَن يَكُونَ مَعْنَاهُ أَيضًا وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ مُتَّصِفُونَ بِصِفَةِ الْجُبْنِ، وَالْمُؤْمِنُونَ مِنْ صِفَتِهِمُ الشَّجَاعَةُ وَالْعِزَّةُ، فَالَّذِينَ يَفْرُقُونَ لَا يَكُونُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ،...، وَرَبِّمَا كَانَتِ الْآيَةُ الْمَذْكُورَةُ عَقِبَهَا أَوْفَقَ بِهَذَا الْمَعْنَى. وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ اخْتِلَافَ الْخُلُقِ مَانِعٌ مِنَ الْمَوَاصِلَةِ وَالْمُؤَافَقَةِ)) (٤١).

وَيَبْدُو أَنَّ الطَّاهِرَ قَدْ رَجَّحَ الْمَعْنَى الثَّانِي بِأَنَّ الْآيَةَ الَّتِي جَاءَتْ بَعْدَهَا أَكْثَرُ مُؤَافَقَةً لِهَذَا الْمَعْنَى، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأًا أَوْ مَغْرَبًا أَوْ مَدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ [سورة التوبة: ٥٧]، مُسْتَبْطَأً مِنَ الْآيَةِ أَنَّ اخْتِلَافَ الْخُلُقِ وَالطَّبْعِ بَيْنَ النَّاسِ مَانِعٌ مِنَ تَوَافُقِهِمْ.

٥- ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يَوْسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ [سورة يوسف: ٧٧].

يَذَكِّرُ الْمَفْسِّرُونَ أَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ

عَلَى التَّبَعِيَّةِ حَقِيقَةٌ لِأَنَّ ذَلِكَ مَعْلُومٌ وَوَصَفَتْهُمْ بِخِلَافِ مَا عَلَيْهِ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ أَنَّهُمْ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَهُوَ الْكُفْرُ وَعِبَادَةُ غَيْرِ اللَّهِ وَالْمَعَاصِي، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ، لِأَنَّ الَّذِينَ نَزَلَتْ فِيهِمْ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَ قُدْرَةٍ وَلَا أَفْعَالٍ ظَاهِرَةٍ، وَذَلِكَ بِظُهُورِ الْإِسْلَامِ وَعِزَّتِهِ)) (٣٩).  
فَقَدْ وَصَفَتْهُمْ النَّصُّ بِمَا يَدُلُّ عَلَى مُضَادَّةِ حَالِهِمْ لِحَالِ الْمُؤْمِنِينَ (٤٠).

فِي حِينِ ذَهَبَ الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ إِلَى أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ﴾ صَالِحٌ لِأَنَّ يَكُونُ مِنَ الْكَلَامِ الْمَوْجَّهِ، لِأَنَّهُ يَحْتَمِلُ مَعْنَيْنِ: الْأَوَّلُ: أَنَّهُمْ قَوْمٌ مُنَافِقُونَ لَيْسُوا مِنْ أَهْلِ دِينِكُمْ وَيَتَّظَاهَرُونَ بِأَنَّهُمْ مِنْكُمْ خَوْفًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْقَتْلِ، وَالْمَعْنَى الْآخَرُ، هُوَ أَنَّهُمْ لَيْسُوا مِنْكُمْ لِأَنَّهُمْ قَوْمٌ مُتَّصِفُونَ بِالْجُبْنِ، وَهِيَ صِفَةٌ لَا تَنْطَبِقُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ لِأَنَّهُمْ شَجْعَانٌ يَتَّصِفُونَ بِالْعِزَّةِ، قَالَ ((وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ﴾ كَلَامٌ مُوجَّهٌ

(٣٩) البحر المحيط: ٥ / ٤٥٥.

(٤٠) محاسن التأويل ٥ / ٤٥٠.

(٤١) التحرير والتنوير: ١٠ / ٢٣٠.



تَعَالَى: ﴿ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا ﴾ هُوَ أَنَّ  
يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لَهُمْ رَدًّا عَلَى دَعْوَاهُمْ:  
((أَنْتُمْ شَرُّ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلًا مِمَّنْ وَصَفْتُمُوهُ  
بِأَنَّهُ سَرَقٌ، وَأَخْبِثُ مَكَانًا بِمَا سَلَفَ مِنْ  
أَفْعَالِكُمْ)) (٤٢). وَهَذَا التَّفْسِيرُ يَنْظُرُ  
فِي الْحَقِيقَةِ إِلَى مَقْصِدِ الْمُتَكَلِّمِ وَهُوَ  
يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فِي ضَوْءِ مَا يَعْرِفُهُ عَنْ  
تَارِيخِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ، وَفِي ضَوْءِ مَا يُجُولُ  
فِي نَفْسِهِ مِنْ مَشَاعِرِ الْأَلَمِ وَالْعُصْبِ  
مِمَّا فَعَلَهُ بِهِ إِخْوَتُهُ وَمَا قَالُوهُ عَنْهُ وَهُمْ  
غَيْرُ عَارِفِينَ بِحَقِيقَةِ مَنْ يُخَاطَبُونَ. وَقَدْ  
أَنْتَجَتْ هَذِهِ الْقِرَاءَةُ لِلنَّصِّ الْكَرِيمِ  
وَجْهًا وَاحِدًا، يُوزَنُ بَيْنَ مَكَانَةِ إِخْوَتِهِ  
مِنْ جِهَةٍ وَمَكَانَةِ أَخِي أَخِيهِمْ، وَهُوَ  
يُوسُفُ، الَّذِي أَدَّعَا عَلَيْهِ السَّرِقَةَ  
كَذِبًا. وَلَكِنَّ بَعْضَ الْمَفْسِّرِينَ وَجَدَ أَنَّ

(٤٢) جامع البيان: ١٦ / ٢٠٠. وينظر:  
الكشاف: ٢ / ٤٩٣، والمحزر الوجيز:  
٣ / ٢٦٧ - ٢٦٨، ومفاتيح الغيب: ١٨ /  
٤٩١، وتفسير القرطبي: ٩ / ٢٤٠، و  
أنوار التنزيل: ٣ / ١٧٢، والبحر المحيط:  
٦ / ٣٠٩، واللباب في علوم الكتاب ١١ /  
١٧٥، والجواهر الحسان: ٣ / ٣٤٤، و  
إرشاد العقل السليم: ٤ / ٢٩٩، وروح  
المعاني: ٧ / ٣٢.

هذه العبارة تحتمل وجهين، لأنَّها كلامٌ  
مُوجَّهٌ فِيهِ مَعْنَيَانِ، الْأَوَّلُ: إِنَّ مَكَانَتَكُمْ  
عِنْدَ اللَّهِ أَدْنَى مِنْ مَكَانَةِ أَخِي أَخِيكُمْ  
الَّذِي ذَكَرْتُمْ وَنَسَبْتُمُوهُ إِلَى السَّرِقَةِ،  
وَالْآخَرُ: أَنْتُمْ - لِمَا قُتِمْتُمْ بِهِ مِنْ ظُلْمِ  
أَخِيكُمْ وَعُقُوقِ أَبِيكُمْ - أَسْوَأُ صُنْعًا  
وَفِعْلًا. وَقَدْ اخْتَلَفَتْ عِبَارَاتُ بَعْضِ  
الْمَفْسِّرِينَ فِي التَّعْبِيرِ عَنْ هَذَيْنِ الْمَعْنَيْنِ،  
وَمِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ عِنْدَ الْمَاورِدِيِّ،  
قَالَ: ((وَفِي قَوْلِهِ: ﴿ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ  
مَكَانًا ﴾ وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنْتُمْ  
شَرُّ مَنْزِلَةٍ عِنْدَ اللَّهِ مِمَّنْ نَسَبْتُمُوهُ إِلَى  
هَذِهِ السَّرِقَةِ. الثَّانِي: أَنْتُمْ شَرُّ صُنْعًا لِمَا  
أَقْدَمْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ ظُلْمِ أَخِيكُمْ وَعُقُوقِ  
أَبِيكُمْ)) (٤٣).

وَقَدْ وَضَّحَ الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ فَائِدَةَ  
الْكَلَامِ الْمَوْجَّهِ وَالْعَايَةَ مِنْ اسْتِعْمَالِهِ،  
قَالَ: ((وَهُوَ كَلَامٌ مُوجَّهٌ لَا يَقْتَضِي  
تَقْرِيرَ مَا نَسَبُوهُ إِلَى أَخِي أَخِيهِمْ، أَيْ  
أَنْتُمْ أَشَدُّ شَرًّا فِي حَالَتِكُمْ هَذِهِ لِأَنَّ  
سَرِقَتَكُمْ مُشَاهِدَةٌ وَأَمَّا سَرِقَةُ أَخِي

(٤٣) النكت والعيون ٣ / ٦٥، وينظر: زاد  
المسير: ٢ / ٤٦٠.



أَخِيكُمْ فَمَجْرَدُ دَعْوَى، وَفِعْلٌ قَالَ يُرْجِحُ هَذَا الْوَجْهَ)) (٤٤).

٦- ﴿وَأَلْفَى فِي الْأَرْضِ رَوْسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَانْتَهَرَا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَّمَتِ وَالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾

[النحل: ٥١ - ٦١].

إِنَّ الْجَمْعَ بَيْنَ آرَاءِ الْمَفْسِّرِينَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ يُؤَدِّي إِلَى أَنْ يَكُونَ لَهُ مَعْنَيَانِ، الْأَوَّلُ: أَنَّ الْمَرَادَ بِالْإِهْتِدَاءِ مَادِّيٌّ، أَيْ أَنْ تَهْتَدُوا إِلَى السُّبُلِ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ فِي كَلَامِ الطَّبْرِيِّ، قَالَ: ((وَقَوْلُهُ ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ يَقُولُ: لِكِي تَهْتَدُوا بِهَذِهِ السُّبُلِ الَّتِي جَعَلَهَا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ إِلَى الْأَمَاكِنِ الَّتِي تَقْصِدُونَ وَالْمَوَاضِعِ الَّتِي تُرِيدُونَ، فَلَا تَضِلُّوا وَتَتَحَيَّرُوا)) (٤٥). وَالْمَعْنَى الْآخَرُ: أَنَّ الْمَرَادَ بِالْإِهْتِدَاءِ مَعْنَوِيٌّ، أَيْ أَنْ تَهْتَدُوا إِلَى دِينِ اللَّهِ الْحَقِّ، قَالَ أَبُو حَيَّانَ:

((وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾. وَقِيلَ: تَهْتَدُونَ أَيُّ: بِالنَّظَرِ فِي دَلَالَةِ هَذِهِ الْمَصْنُوعَاتِ عَلَى صَانِعِهَا، فَهُوَ مِنَ الْهُدَايَةِ إِلَى الْحَقِّ، وَدِينِ اللَّهِ)) (٤٦). وَقَدْ أُلْتَفَتِ الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ إِلَى هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ، مُبَيِّنًا أَنَّ هَذَا مِنْ بَابِ الْكَلَامِ الْمَوْجَّهِ، قَالَ: ((وَجُمْلَةٌ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ مُعْتَرِضَةٌ، أَيْ رَجَاءً إِهْتِدَائِكُمْ. وَهُوَ كَلَامٌ مُوجَّهٌ يَصْلُحُ لِلْإِهْتِدَاءِ إِلَى الْمَقَاصِدِ فِي الْأَسْفَارِ مِنْ رَسْمِ الطَّرِيقِ وَإِقَامَةِ الْمَرَاسِي عَلَى الْأَنْهَارِ وَاعْتِبَارِ الْمَسَافَاتِ. وَكُلُّ ذَلِكَ مِنْ جَعَلِ اللَّهِ تَعَالَى لِأَنَّ ذَلِكَ حَاصِلٌ بِإِلْهَامِهِ. وَيَصْلُحُ لِلْإِهْتِدَاءِ إِلَى الدِّينِ الْحَقِّ وَهُوَ دِينُ التَّوْحِيدِ، لِأَنَّ فِي تِلْكَ الْأَشْيَاءِ دَلَالَةً عَلَى الْخَالِقِ الْمُتَوَحِّدِ بِالْخَلْقِ)) (٤٧). وَقَرِيبٌ مِنْهُ مَا ذَكَرَهُ الطَّاهِرُ نَفْسَهُ أَيْضًا فِي كَلَامِهِ عَلَى (لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ) مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾

(٤٤) التحرير والتنوير: ١٣ / ٣٤.

(٤٥) جامع البيان: ١٧ / ١٨٤، وينظر: تفسير

القرطبي ١٠ / ٩١.

(٤٦) البحر المحيط: ٦ / ٥١٤.

(٤٧) التحرير والتنوير: ١٤ / ١٢٢.



﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رُوسًا أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿[الأنبياء: ٣٠ - ٣١]، إِذْ قَالَ: ((وَجُمْلَةٌ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ مُسْتَأْنَفَةٌ إِنْشَاءً رَجَاءً اهْتِدَاءِ الْمُشْرِكِينَ إِلَى وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ فَإِنَّ هَذِهِ الدَّلَائِلَ مُشَاهِدَةٌ لَهُمْ وَاضِحَةٌ الدَّلَالَةِ. وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِالاهْتِدَاءِ الْإِهْتِدَاءَ فِي السَّبِيلِ، أَيْ جَعَلْنَا سُبُلًا وَاضِحَةً غَيْرَ مَحْجُوبَةٍ بِالضَّمِّ إِرَادَةَ اهْتِدَائِهِمْ فِي سَبِيلِهِمْ، فَتَكُونُ هَذِهِ مَنَّةٌ أُخْرَى وَهُوَ تَذْيِيرُ اللَّهِ الْأَشْيَاءَ عَلَى نَحْوِ مَا يَلَائِمُ الْإِنْسَانَ وَيُصْلِحُ أَحْوَالَهُ. فَقَوْلُهُ تَعَالَى لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ مِنْ الْكَلَامِ الْمَوْجُوهِ)) (٤٨).

٧- ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [سورة الأنعام: ١٣٤].

جَاءَ الْفِعْلُ (تُوعَدُونَ) مَبْنِيًّا لِلْمَجْهُولِ، مِمَّا أَدَّى إِلَى أَنْ يَحْتَمِلَ الْمَعْنَى: الْوَعْدَ بِالْخَيْرِ وَالْوَعْدَ بِالشَّرِّ. وَقَدْ أوردَ الْقُرْطُبِيُّ هَذَيْنِ الْاِحْتِمَالَيْنِ، قَالَ: ((قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ مَا

تُوعَدُونَ لَآتٍ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ «أَوْعَدْتُ» فِي الشَّرِّ، وَالْمُضَدُّ الْإِبْعَادُ. وَالْمُرَادُ عَذَابُ الْآخِرَةِ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ «وَعَدْتُ» عَلَى أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ السَّاعَةِ الَّتِي فِي مَجِيئِهَا الْخَيْرُ وَالشَّرُّ (فَعَلَبَ الْخَيْرِ)) (٤٩). وَالْمَخِ الرَّازِي إِلَى هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ، وَلَكِنَّهُ اسْتَنْبَطَ مِنَ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّ الْوَعْدَ بِالثَّوَابِ وَالْخَيْرِ مَجْزُومٌ بِحُصُولِهِ وَوُقُوعِهِ، فِي حِينِ أَنْ الْوَعْدَ بِالْعِقَابِ وَالْحِسَابِ قَدْ لَا يَقَعُ لِأَنَّهُ مُرْتَبِطٌ بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَإِحْسَانِهِ، قَالَ: ((فِيهِ اِحْتِمَالٌ آخَرٌ: وَهُوَ أَنَّ الْوَعْدَ مَخْصُوصٌ بِالْإِخْبَارِ عَنِ الثَّوَابِ وَأَمَّا الْوَعْدُ فَهُوَ مَخْصُوصٌ بِالْإِخْبَارِ عَنِ الْعِقَابِ فَقَوْلُهُ: إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ يَعْنِي كُلَّ مَا تَعَلَّقَ بِالْوَعْدِ بِالثَّوَابِ فَهُوَ آتٍ لَا مَحَالَةَ فَتَخْصِيصُ الْوَعْدِ بِهَذَا الْجَزْمِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ جَانِبَ الْوَعْدِ لَيْسَ كَذَلِكَ وَيَقْوِي هَذَا الْوَجْهَ آخِرُ الْآيَةِ، ...، فَالْحَاصِلُ أَنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ الْوَعْدَ جَزَمَ بِكَوْنِهِ آتِيًا وَلَمَّا ذَكَرَ الْوَعْدَ مَا زَادَ

(٤٩) تفسير القرطبي: ٧ / ٨٨، وينظر: مدارك



أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنَ الْكَلَامِ الْمَوْجَّهِ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ هُوَ الْوَعِيدُ، قَالَ: ((وَبِنَاءِ تُوْعَدُونَ لِلْمَجْهُولِ يُصَحِّحُ أَنْ يَكُونَ الْفِعْلُ مُضَارِعَ وَعَدَ يَعِدُ، أَوْ مُضَارِعَ أُوْعِدَ، يُوعَدُ وَالتَّبَادُرُ هُوَ الْأَوَّلُ. وَمِنْ بَدِيعِ الْفَصَاحَةِ اخْتِيَارُ بِنَائِهِ لِلْمَجْهُولِ، لِيُصْلِحَ لَفْظُهُ لِحَالِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُشْرِكِينَ، وَلَوْ بُنِيَ لِلْمَعْلُومِ لَتَعَيَّنَ فِيهِ أَحَدُ الْأَمْرَيْنِ: بِأَنَّ يُقَالُ: إِنَّ مَا نَعِدْكُمْ، أَوْ إِنَّ مَا نُوعِدْكُمْ، وَهَذَا مِنْ بَدِيعِ التَّوْجِيهِ الْمَقْصُودِ مِنْهُ أَنْ يَأْخُذَ مِنْهُ كُلُّ فَرِيقٍ مِنَ السَّامِعِينَ مَا يَلِيقُ بِحَالِهِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ وَعِيدَ الْمُشْرِكِينَ يَسْتَلْزِمُ وَعْدًا لِلْمُؤْمِنِينَ، وَالْمَقْصُودُ الْأَهَمُّ هُوَ وَعِيدُ الْمُشْرِكِينَ، فَلِذَلِكَ عَقَّبَ الْكَلَامَ بِقَوْلِهِ: وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فَذَلِكَ كَالْتَرَشِيحِ لِأَحَدِ الْمُحْتَمَلَيْنِ مِنَ الْكَلَامِ الْمَوْجَّهِ)) (٥٢).

٨- ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ، فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَكِيمِينَ ﴿٥١﴾ قَالَ يَنْوُحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْمَعْ لَهُ لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْطَيْتُكَ أَنْ تَكُونَ مِنْ

عَلَى قَوْلِهِ: وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ وَذَلِكَ يُدُلُّ عَلَى أَنَّ جَانِبَ الرَّحْمَةِ وَالْإِحْسَانِ (غالب)) (٥٠). فِي حِينِ ذَهَبِ الثَّعَالِبِيِّ إِلَى أَنَّ (مَا تُوْعَدُونَ) فِي الْآيَةِ يُرَادُ بِهِ الْوَعِيدَ لَا الْوَعْدَ بِدَلِيلِ السِّيَاقِ اللَّفْظِيِّ الَّذِي تَضَمَّنَهَا وَالَّذِي يَتِمَثَّلُ بِهَا بَعْدَهَا فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ نَفْسِهَا مِنْ قَوْلِهِ ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ وَالْآيَةِ الْكَرِيمَةِ اللَّاحِقَةِ، قَالَ: ((وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ مَا تُوْعَدُونَ لَأَنْتَ﴾، هُوَ مِنَ الْوَعِيدِ بِقَرِينَتِهِ: وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ، أَي: وَمَا أَنْتُمْ بِنَاجِينَ هَرَبًا فَتَعْجِزُوا طَالِبُكُمْ، ثُمَّ أَمَرَ سُبْحَانَهُ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَتَوَعَّدَهُمْ بِقَوْلِهِ: اْعْمَلُوا، أَي: فَسْتَرُونَ عَاقِبَةَ عَمَلِكُمُ الْفَاسِدِ، وَصِيغَةُ «افْعَلْ» هُنَا: هِيَ بِمَعْنَى الْوَعِيدِ وَالتَّهْدِيدِ)) (٥١). وَقَدْ بَيَّنَّ الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ أَنَّ

اسْتِعْمَالَ الْفِعْلِ (تُوْعَدُونَ) مِنْ بَدِيعِ الْفَصَاحَةِ الْقُرْآنِيَّةِ، وَذَهَبَ إِلَى أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ يُرْشِحُ

(٥٠) مفاتيح الغيب: ١٣ / ١٥٦، وينظر:

البحر المحيط: ٤ / ٦٥٢.

(٥١) الجواهر الحسان: ٢ / ٥١٩.

(٥٢) التحرير والتنوير: ٨ / ٨٨.





الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ  
أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ  
لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٤٧﴾  
[سورة هود: ٥٤ - ٧٤]..

اِخْتَلَفَ الْمَفْسُرُونَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ  
تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ  
صَالِحٍ﴾؛ فَقَدْ اِخْتَلَفُوا فِي مَعْنَى قَوْلِهِ:  
(إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ) عَلَى أَرْبَعَةِ أَقَاوِيلَ:  
(أَحَدُهَا: أَنَّهُ وُلِدَ عَلَى فِرَاشِهِ وَلَمْ يَكُنْ  
ابْنَهُ وَكَانَ لِعَبْرِ رَشْدَةٍ ... الثَّانِي: أَنَّهُ ابْنُ  
امْرَأَتِهِ. الثَّلَاثُ: أَنَّهُ كَانَ ابْنَهُ، ... قَالَ  
ابْنُ عَبَّاسٍ: مَا بَعَثَ امْرَأَةً نَبِيًّا قَطُّ) (٥٣)  
الرَّابِعُ: أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ الَّذِينَ  
وَعَدْتِكَ أَنْ أَنْجِيَهُمْ مَعَكَ (٥٤).

(٥٣) النكت والعيون: ٢ / ٤٧٥. وتنظر هذه  
الأقوال في: معاني القرآن وإعرابه للزجاج  
٥ / ١٩٦، ولطائف الإشارات: ٢ /  
١٣٩، وتفسير البغوي: ٢ / ٤٥١ - ٤٥٢،  
والمحرر الوجيز: ٣ / ١٧٦، والكشاف:  
٢ / ٣٩٩، وزاد المسير: ٢ / ٣٧٧، ومفاتيح  
الغيب: ١٨ / ٣٥٧، وتفسير القرطبي: ٩ /  
٤٧، وأنوار التنزيل: ٣ / ١٣٧، ومدارك  
التنزيل: ٢ / ٦٤، وتفسير ابن كثير:  
٤ / ٣٢٥، ومحاسن التأويل: ٦ / ١٠٢،  
والتحرير والتنوير: ١٢ / ٨٦.  
(٥٤) ينظر: النكت في القرآن الكريم: ٢٤٨.

أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ  
صَالِحٍ﴾، فَفِيهِ أَوْجُهُ، وَأَوْلَاهَا: أَنَّ الضَّمِيرَ  
فِي قَوْلِهِ (إِنَّهُ) عَائِدٌ عَلَى السُّؤَالِ، يَعْنِي  
أَنَّ هَذَا السُّؤَالَ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ، لِأَنَّهُ  
فِي سُؤَالِهِ طَلَبَ نَجَاةٍ كَافِرٍ. ثَانِيهَا: أَنَّ  
يَكُونُ هَذَا الضَّمِيرُ عَائِدًا عَلَى الْإِبْنِ.  
وَإِذَا كَانَ الضَّمِيرُ عَائِدًا عَلَى الْإِبْنِ  
فَفِي وَصْفِهِ بِكَوْنِهِ عَمَلًا غَيْرَ صَالِحٍ  
وُجُوهٌ: الْأَوَّلُ: أَنَّهُ جَعَلَ الْعَمَلَ وَصْفًا  
لَهُ مِنْ بَابِ الْوَصْفِ بِالْمُضَدِّ عَلَى جِهَةِ  
الْمَبَالِغَةِ. الثَّانِي: أَنَّ يَكُونُ الْمُرَادُ أَنَّهُ ذُو  
عَمَلٍ غَيْرِ صَالِحٍ، فَحُذِفَ الْمُضَافُ (ذُو)  
لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ. الثَّلَاثُ: أَنَّهُ لِعَبْرِ  
رَشْدَةٍ (٥٥).

وَلَعَلَّ هَذَا الْأَسْتِعْمَالَ مِنْ بَابِ الْكَلَامِ  
الْمَوْجِبِ الَّذِي أُرِيدَ لَهُ أَنْ يَدُلَّ عَلَى أَكْثَرِ  
مِنْ مَعْنَى، مِنْ خِلَالِ انْفِتَاحِ مَقْصُودٍ فِي  
دَلَالَاتِ التَّرْكِيبِ يُسَوِّغُهُ خُلُوقُ التَّرْكِيبِ

(٥٥) ينظر: المحرر الوجيز: ٣ / ١٧٧، ومفاتيح  
الغيب: ١٨ / ٣٥٧، وزاد المسير: ٢ /  
٣٧٨، وأنوار التنزيل: ٣ / ١٣٦، ومدارك  
التنزيل: ٢ / ٦٤، وتفسير ابن كثير:  
٤ / ٣٢٥، ومحاسن التأويل: ٦ / ١٠٢،  
والتحرير والتنوير: ١٢ / ٨٦.



مِنْ قَرِينَةٍ تُرْسِحُ إِحْدَى الدَّلَالَاتِ.

٩- ﴿قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ﴾

مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ فَكَيْدُونِي

جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى

اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ

بِنَاصِيئِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أَرْسَلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ

وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ

شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾

[سورة هود: ٥٤ - ٥٧].

تَرَكَ اخْتِيَارَ الْفِعْلِ (تَوَلَّوْا) أَثْرًا فِي

دَلَالَةِ النَّصِّ عَلَى وَجْهَيْنِ، الْأَوَّلُ أَنَّهُ

بِمَعْنَى (أَعْرَضُوا) يَعُودُ عَلَى قَوْمِ هُودٍ،

بِنَاءٍ عَلَى أَنَّ الْفِعْلَ (تَوَلَّوْا) فِعْلٌ مَاضٍ،

وَالْوَجْهُ الْآخِرُ: أَنَّهُ خِطَابٌ لِلْحَاضِرِينَ

مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، وَلَيْسَ لِقَوْمِ هُودٍ، بِنَاءٍ

عَلَى أَنَّ (تَوَلَّوْا) فِعْلٌ مُضَارِعٌ أَصْلُهُ

تَوَلَّوْا حُذِفَتْ مِنْهُ التَّاءُ تَخْفِيفًا ﴿٥٦﴾. وَقَدْ

٥٦) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٣ / ٥٨،

وإعراب القرآن: ٢ / ١٧٣، وتفسير

البغوي: ٢ / ٤٥٣، والكشاف: ٢ / ٤٠٤،

والتيبان في إعراب القرآن: ٢ / ٧٠٤، و

أنوار التنزيل: ٣ / ١٣٩، ومحاسن التأويل:

١١٠ / ٦

بَيْنَ ابْنِ الْجَوْزِيِّ (ت ٥٩٧هـ) هَذَيْنِ

الْوَجْهَيْنِ، قَالَ: ((قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ

تَوَلَّوْا﴾ فِيهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ فِعْلٌ

مَاضٍ، مَعْنَاهُ: ... فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ لَهُمْ:

قَدْ أَبْلَغْتُكُمْ، ... وَالثَّانِي: أَنَّهُ خِطَابٌ

لِلْحَاضِرِينَ، وَتَقْدِيرُهُ: فَإِنْ تَوَلَّوْا،

فَاسْتَقْبَلُوا الْجَمْعَ بَيْنَ تَاءَيْنِ مُتَحَرِّكَيْنِ،

فَاقْتَصَرَ عَلَى إِحْدَاهُمَا، وَأُسْقِطَتْ

الْآخَرَى ((٥٧)). وَقَدْ عَدَّ الطَّاهِرُ بْنُ

عَاشُورَ هَذَا الْأَسْلُوبَ، فِي هَذَا الْمَوْضِعِ،

مِنْ بَدِيعِ أَسَالِيبِ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ،

قَالَ: ((أَصْلُ تَوَلَّوْا تَوَلَّوْا فَحُذِفَتْ

إِحْدَى التَّاءَيْنِ اخْتِصَارًا، فَهُوَ مُضَارِعٌ،

وَهُوَ خِطَابٌ هُودٍ لِقَوْمِهِ، وَهُوَ ظَاهِرٌ

إِجْرَاءَ الضَّمَائِرِ عَلَى وَتِيرَةٍ وَاحِدَةٍ. وَيَجُوزُ

أَنْ تَكُونَ فِعْلًا مَاضِيًا، وَالْوَاوُ لِأَهْلِ مَكَّةَ

فَيَكُونُ كَالْإِعْتِرَاضِ فِي إِجْرَاءِ الْقِصَّةِ

لِقِصَّةِ الْعِبْرَةِ، ...، خَاطَبَ اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ

وَأَمَرَهُ بِأَنْ يَقُولَ لَهُمْ: فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ.

وَالْفَاءُ الْأُولَى لِتَفْرِيعِ الْإِعْتِبَارِ عَلَى

الْمَوْعِظَةِ وَتَكُونُ جُمْلَةً فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مِنْ

(٥٧) زاد المسير: ٢ / ٣٨١، وينظر: مفاتيح

الغيب: ١٨ / ٣٦٥



كَلَامِ النَّبِيِّ ﷺ مَقُولَ قَوْلِ مَأْمُورٍ بِهِ مَحْذُوفٍ يَدُلُّ عَلَيْهِ السِّيَاقُ. وَالتَّقْدِيرُ: فَقُلْ قَدْ أَبْلَغْتُكُمْ. وَهَذَا الْأَسْلُوبُ مِنْ قَبِيلِ الْكَلَامِ الْمَوْجَّهِ الْمُحْتَمَلِ مَعْنِيَيْنِ غَيْرِ مُتَخَالِفَيْنِ، وَهُوَ مِنْ بَدِيعِ أَسَالِيبِ الْإِعْجَازِ، وَلِأَجْلِهِ جَاءَ فِعْلُ تَوَلَّوْا بِنَاءٍ وَاحِدَةً ((٥٨)). وَانْطِلَاقًا مِنْ كَلَامِ الطَّاهِرِ بْنِ عَاشُورٍ وَهُوَ أَحَدُ مُفَسِّرِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ الْمُجْتَهِدِينَ الْمَجْدِدِينَ يُمَكِّنُ الْقَوْلُ إِنَّ الْكَلَامَ الْمَوْجَّهَ مَظْهَرُ إِعْجَازِيٍّ مَقْصُودٌ فِي النَّصِّ الْكَرِيمِ يُشَقُّ الدَّلَالَاتِ وَيُفْرَعُ الْمَعَانِي، وَهُوَ مِنْ ثَمَّ يعمقُ فَهَمَنَا لِلنَّصِّ وَدَلَالَاتِهِ.

١٠- ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا

سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً

مِنْ سِجِّيلٍ مَنصُودٍ ﴿٨٢﴾ مُسَوِّمَةٌ

عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ

بِيعِيدٍ ﴿ [سورة هود: ٨٢-٨٣].

يَحْتَمِلُ الضَّمِيرُ (هِيَ)، فِي قَوْلِهِ

تَعَالَى: ﴿ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ

بِيعِيدٍ ﴾، وَجْهَيْنِ، الْأَوَّلُ: أَنْ يَعُودَ

عَلَى كَلِمَةِ (حِجَارَةً)، وَهُوَ مَا ذَكَرَهُ

(٥٨) التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: ١٠١ / ١٢ - ١٠٢.

أَغْلَبُ الْمَفْسِّرِينَ (٥٩)، وَالْآخَرُ: أَنْ يَعُودَ عَلَى (الْقَرْيَةِ) الَّتِي أَمْطَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى بِالْحِجَارَةِ. وَقَدْ أَشَارَ الرَّازِي إِلَى هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ، وَبَيَّنَّ أَنَّ الضَّمِيرَ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ لِلْقَرْيِ، لِأَنَّهَا كَانَتْ قَرْيَةً مِنْ مَكَّةَ الْمَكْرَمَةِ، قَالَ: ((ثُمَّ قَالَ: وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ يَعْنِي بِهِ كُفَّارَ مَكَّةَ، وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُ تَعَالَى يَرْمِيهِمْ بِهَا...، وَقِيلَ: الضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ: وَمَا هِيَ لِلْقَرْيِ. أَيْ وَمَا تِلْكَ الْقَرْيُ الَّتِي وَقَعَتْ فِيهَا هَذِهِ الْوَاقِعَةُ مِنْ كُفَّارِ مَكَّةَ بِبَعِيدٍ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْقَرْيَ كَانَتْ فِي الشَّامِ، وَهِيَ قَرِيبٌ مِنْ مَكَّةَ)) (٦٠). وَكَانَهُ بِتَعْلِيلِهِ هَذَا يَرَى أَنَّهُ وَجْهٌ ضَعِيفٌ يَحْتَاجُ إِلَى تَسْوِيعٍ.

فِي حِينَ جَعَلَ أَبُو حَيَّانَ الْأَنْدَلِسِيُّ أَنَّ

ظَاهِرَ الضَّمِيرِ (هِيَ) يَعُودُ عَلَى الْقَرْيِ

لَا عَلَى الْحِجَارَةِ، قَالَ: ((وَالظَّاهِرُ أَنَّ

ضَمِيرَ هِيَ عَائِدٌ عَلَى الْقَرْيِ الَّتِي جَعَلَ

اللَّهُ أَعَالِيهَا أَسَافِلَهَا، وَالْمَعْنَى: أَنَّ ذَوَاتِ

(٥٩) جَامِعُ الْبَيَانِ: ١٥ / ٤٣٨، وَمَعَانِي الْقُرْآنِ

وَإِعْرَابُهُ: ٣ / ٧٢، وَالْكَشْفُ وَالْبَيَانُ: ٥ /

١٨٤، وَالْكَشَافُ: ٢ / ٤١٦، وَزَادَ الْمَسِيرُ:

٢ / ٣٩٤، وَتَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ: ٩ / ٨٣.

(٦٠) مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ: ١٨ / ٣٨٤.



تَعَذَّرَ الْحُصُولَ وَفِيهِ بِإِمْكَانِ حُصُولِهِ.  
وَهَذَا مِنَ الْكَلَامِ الْمَوْجِهَةِ مَعَ صِحَّةِ  
الْمَعْنِيِّ (وَهُوَ بَعِيدٌ) (٦٢).

١١- ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ  
وَعَلَّقَتْ الْأَتْرَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ  
قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ  
إِنَّهُ لَا يَفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [سورة  
يوسف: ٢٣].

يَذُكُرُ الْمَفْسُورُونَ أَنَّ الضَّمِيرَ (الهاء)  
فِي (إِنَّهُ رَبِّي) يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ، الْأَوَّلُ:  
أَنْ يَعُودَ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (٦٣)،  
وَالْآخَرُ: أَنْ يَعُودَ عَلَى الْعَزِيزِ زَوْجِ  
زُلَيْخَا الَّتِي رَاوَدَتْهُ (٦٤). وَقَدْ أوردَ  
الماوردي هذين الوجهين معاً، قَالَ:  
(﴿وَفِي﴾ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ﴿﴾  
وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا: إِنَّ اللَّهَ رَبِّي أَحْسَنَ  
مَثْوَايَ فَلَا أَعْصِيهِ، قَالَه الرَّجَّاجُ.  
الثَّانِي: أَنَّهُ أَرَادَ الْعَزِيزَ قَطْفِيرَ، إِنَّهُ  
رَبِّي أَي سَيِّدِي أَحْسَنَ مَثْوَايَ فَلَا

(٦٢) التحرير والتنوير: ١٢ / ١٣٥.

(٦٣) ينظر: مشکل إعراب القرآن: ١ / ٣٨٣،

وتفسير القشيري: ٢ / ١٧٨

(٦٤) ينظر: جامع البيان: ١٦ / ٣٢، و مدارك

التنزيل: ٢ / ١٠٣

هَذِهِ الْمَدُنَ كَانَتْ بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالشَّامِ،  
يَمُرُّ عَلَيْهَا قُرَيْشٌ فِي مَسِيرِهِمْ، فَالْنَظَرُ  
إِلَيْهَا وَفِيهَا فِيهِ اعْتِبَارٌ وَاتِّعَاطٌ. وَقِيلَ:  
هِيَ عَائِدَةٌ عَلَى الْحِجَارَةِ، وَهِيَ أَقْرَبُ  
مَذْكُورٍ، ... ، وَإِذَا كَانَ الضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ:  
وَمَا هِيَ، عَائِدَةٌ عَلَى الْحِجَارَةِ، فَيَحْتَمِلُ  
أَنْ يُرَادَ بِشَيْءٍ بَعِيدٍ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرَادَ  
بِمَكَانٍ بَعِيدٍ، لِأَنَّهَا وَإِنْ كَانَتْ فِي السَّمَاءِ  
وَهِيَ مَكَانٌ بَعِيدٌ، إِلَّا أَنَّهَا إِذَا هَوِيَتْ  
مِنْهَا فَهِيَ أَسْرَعُ شَيْءٍ لِحُوقِهَا بِالْمَرْمِيِّ،  
فَكَانَتْهَا بِمَكَانٍ قَرِيبٍ مِنْهُ) (٦١). وَقَدْ  
جَعَلَ الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ  
مِنْ فَنِّ الْكَلَامِ الْمَوْجِهَةِ الْبَعِيدِ، قَالَ:  
(﴿وَضَمِيرٌ وَمَا هِيَ يَصْلُحُ لِأَنْ يَعُودَ  
إِلَى مَا عَادَتْ إِلَيْهِ الضَّمَائِرُ الْمَجْرُورَةُ  
قَبْلَهُ وَهِيَ الْمَدِينَةُ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى وَمَا  
تِلْكَ الْقَرْيَةُ بِبَعِيدٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، أَي  
الْعَرَبِ، فَمَنْ شَاءَ فَلْيَذْهَبْ إِلَيْهَا فَيَنْظُرْ  
مَصِيرَهَا، فَالْمُرَادُ الْبُعْدُ الْمَكَانِيُّ. وَيَصْلُحُ  
لِأَنْ يَعُودَ إِلَى الْحِجَارَةِ، أَي وَمَا تِلْكَ  
الْحِجَارَةُ بِبَعِيدٍ، أَي أَنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ  
يَرْمِيَ الْمُشْرِكِينَ بِمِثْلِهَا. وَالْبُعْدُ بِمَعْنَى

(٦١) البحر المحيط: ٦ / ١٩٢-١٩٢.



أخونه)) (٦٥). وهو ما أجازَه الرَّاعِبُ  
الأصفهانيُّ مُرَجِّحًا أَنَّهُ يَعُودُ عَلَى اللَّهِ  
تَعَالَى لِأَنَّهُ الْأَلْتِيقُ بِالنَّصِّ، قَالَ: ((قِيلَ:  
عَنِّي بِهِ اللَّهُ تَعَالَى، وَقِيلَ: عَنِّي بِهِ الْمَلِكُ  
الَّذِي رَبَّاهُ، وَالْأَوَّلُ أَلْتِيقُ بِقَوْلِهِ)) (٦٦).  
وَبَحَثَ الرَّمَحْشَرِيُّ عَنِ مُسَوِّغِ الْقَوْلِ  
بِعُودِ الضَّمِيرِ عَلَى الْعَزِيزِ، فَوَجَدَهُ فِي  
قَوْلِهِ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ الْعَزِيزِ مُخَاطَبًا  
زَوْجَهُ زُلَيْخَا: (أَكْرَمِي مَثْوَاهُ)، قَالَ:  
((إِنَّهُ إِنْ الشَّانَ وَالْحَدِيثَ رَبِّي سِيدِي  
وَمَالِكِي، يَرِيدُ قَطْفِيرَ أَحْسَنَ مَثْوَايَ  
حِينَ قَالَ لَكَ أَكْرَمِي مَثْوَاهُ، فَمَا جَزَاؤُهُ  
أَنْ أَخْلَفَهُ فِي أَهْلِهِ سُوءَ الْخِلَافَةِ وَأَخُونَهُ  
فِيهِمْ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ الَّذِينَ يُجَازُونَ  
الْحَسَنَ بِالسَّيِّئِ)) (٦٧). وَهُوَ مَا اكْتَفَى

(٦٥) النكت والعيون: ٢٣ / ٣، وينظر: تفسير  
البغوي: ٤٨٣ / ٢، والمحرم الوجيز:  
٢٣٣ / ٣، وزاد المسير: ٤٢٧ / ٢، وأنوار  
التنزيل: ١٦٠ / ٣، والجواهر الحسان:  
٣١٩ / ٣، وإرشاد العقل: ٢٦٥ / ٤،  
وروح المعاني: ٤٠٢ / ٦، ومحاسن التأويل  
١٦٥ / ٦

(٦٦) المفردات في غريب القرآن: ٣٣٦.

(٦٧) الكشاف: ٤٥٥ / ٢، وينظر: تفسير

القرطبي: ١٦٥ / ٩.

بذَكَرَهُ الرَّازِي وَتَوَسَّعَ فِي تَعْلِيلِهِ بِأَنَّهُ لَا  
يَلِيقُ، بِالْعَقْلِ، أَنْ يُجَازِيَ الْإِنْسَانَ مَنْ  
أَحْسَنَ إِلَيْهِ عَلَى الْإِحْسَانِ بِالْحَيَانَةِ (٦٨).  
وَبَرَى أَبُو حَيَّانِ الْأَنْدَلِسِيُّ أَنَّ الْأَصَحَّ  
مِنِ الْوَجْهَيْنِ هُوَ أَنَّ الضَّمِيرَ يَعُودُ  
عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَوَصَفَ الرَّأْيَ الْآخَرَ  
بِالْبَعِيدِ لِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَا يُطْلِقُونَ صِفَةَ  
(رَبِّ) عَلَى مَخْلُوقٍ، قَالَ: ((وَالضَّمِيرُ  
فِي (إِنَّهُ) الْأَصَحُّ أَنَّهُ يَعُودُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى  
أَيُّ: إِنَّ اللَّهَ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِذْ نَجَّانِي  
مِنَ الْجُبِّ، وَأَقَامَنِي فِي أَحْسَنِ مَقَامٍ.  
وَإِنَّمَا أَنْ يَكُونَ ضَمِيرَ الشَّانِ وَعَنِّي بَرِيَّةً  
سَيِّدَهُ الْعَزِيزَ فَلَا يَصْلُحُ لِي أَنْ أَخُونَهُ،  
وَقَدْ أَكْرَمَ مَثْوَايَ وَاتَّمَنَّنِي،...، وَيَبْعُدُ  
جَدًّا، إِذْ لَا يُطْلِقُ نَبِيَّ كَرِيمٍ عَلَى مَخْلُوقٍ  
أَنَّهُ رَبُّهُ، وَلَا بِمَعْنَى السَّيِّدِ، لِأَنَّهُ لَمْ  
يَكُنْ فِي الْحَقِيقَةِ مَمْلُوكًا لَهُ)) (٦٩). فِي  
حِينَ ذَهَبَ ابْنُ كَثِيرٍ إِلَى أَنَّ أَهْلَ مِصْرَ  
آنَذَاكَ كَانُوا يُطْلِقُونَ صِفَةَ (الرَّبِّ)  
عَلَى (السَّيِّدِ)؛ قَالَ: ((وَ قَالَ مَعَاذَ

(٦٨) مفاتيح الغيب: ٤٣٨ / ١٨، وينظر:

اللباب في علوم الكتاب: ٥٨ / ١١.

(٦٩) البحر المحيط: ٢٥٧ / ٦.



وَتَرَكِّيَيْنِ، فَصَاغَهُمَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ  
بِعِبَارَةٍ وَاحِدَةٍ تَحْتَمِلُ الْمَعْنَيْنِ بِطَرِيقِ  
الْكَلَامِ الْمَوْجِهِ.

١٢- ﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا  
أذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَنَّهُ  
الشَّيْطَانُ ذَكَرَ رَبِّهِ فَلَيْتَ  
فِي السَّجْنِ بِضَعِّ سِنِينِ ﴾ [سورة  
يوسف: ٤٢].

يُورِدُ الْمَفْسَّرُونَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ  
تَعَالَى: ﴿ فَأَنَسَنَّهُ الشَّيْطَانُ ذَكَرَ  
رَبِّهِ ﴾ وَجْهَيْنِ، بِسَبَبِ مَا يَحْتَمِلُهُ  
الضَّمِيرُ الْهَاءُ فِي (أَنَسَاهُ، وَرَبِّهِ)، الْوَجْهَ  
الْأَوَّلَ: أَنْ يَكُونَ الْمَقْصُودُ بِهَدْيِ  
الضَّمِيرَيْنِ هُوَ النَّبِيُّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لِأَنَّهُ  
عَرَضَتْ لَهُ غَفْلَةٌ فَنَسِيَ ذِكْرَ اللَّهِ؛ لِأَنَّهُ  
طَلَبَ الْاسْتِعَاثَةَ بِالْمَلِكِ (٧٢)، وَالْوَجْهَ  
الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ الْمَقْصُودُ بِهَدْيِ  
الضَّمِيرَيْنِ هُوَ الْفَتَى الَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ  
لِأَنَّهُ نَسِيَ أَنْ يَذْكُرَ أَمْرَ النَّبِيِّ يُوسُفَ  
أَمَامَ صَاحِبِهِ الْمَلِكِ، وَقَدْ جَمَعَ الْمَآوِرْدِيُّ

(٧٢) ينظر: جامع البيان: ١٦ / ١١١، ومعاني  
القرآن وإعراجه: ٣ / ١١٢، ومعاني القرآن  
للنحاس ٣ / ٤٢٩.

اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي ﴿ وَكَأَنُوا يُطْلِقُونَ (الرَّبَّ)  
عَلَى السَّيِّدِ وَالْكَبِيرِ)) (٧٠). وَقَدْ بَيَّنَّ  
الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ أَنَّ هَذَا الْاسْتِعْمَالَ  
مِنَ الْكَلَامِ الْمَوْجِهِ تَوْجِيهًا بَلِيغًا، قَالَ:  
(وَضَمِيرٌ إِنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَعُودَ إِلَى اسْمِ  
الْجَلَالَةِ، وَيَكُونُ رَبِّي بِمَعْنَى خَالِقِي.  
وَيَجُوزُ أَنْ يَعُودَ إِلَى مَعْلُومٍ مِّنَ الْمَقَامِ  
وَهُوَ زَوْجَهَا الَّذِي لَا يَرْضَى بِأَنْ يَمَسَّهَا  
غَيْرُهُ، فَهُوَ مَعْلُومٌ بِدَلَالَةِ الْعُرْفِ،  
وَيَكُونُ رَبِّي بِمَعْنَى سَيِّدِي وَمَالِكِي.  
وَهَذَا مِنْ الْكَلَامِ الْمَوْجِهِ تَوْجِيهًا بَلِيغًا  
حُكْمِي بِهِ كَلَامٌ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَنَّ  
يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ آتَى بِمِثْلِ هَذَا التَّرْكِيبِ  
فِي لُغَةِ الْقَبْطِ، وَإِنَّمَا لِأَنَّهُ آتَى بِتَرَكِّيَيْنِ  
عُذْرَيْنِ لِامْتِنَاعِهِ فَحَكَاهُمَا الْقُرْآنُ  
بِطَرِيقَةِ الْإِيحَازِ وَالْتَوْجِيهِ)) (٧١). وَيُبَيِّنُ  
الطَّاهِرُ، هُنَا، أَنَّ هَذَا التَّعْبِيرَ يَحْتَمِلُ  
أَنْ يَكُونَ وَرَدَ عَلَى لِسَانِ يُوسُفَ عَلَى  
هَذِهِ الصُّورَةِ لِيَخْتَرَلَ قَوْلَيْنِ أَوْ عُذْرَيْنِ  
اعْتَدَرَ بِهِمَا النَّبِيُّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَمَا يَحْتَمِلُ  
أَنَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدَّمَ عُذْرَيْنِ بِعِبَارَتَيْنِ

(٧٠) تفسير ابن كثير: ٤ / ٣٧٩.

(٧١) التحرير والتنوير: ١٢ / ٢٥١ - ٢٥٢.



بَيْنَ هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ، قَالَ: ((فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ يَعْنِي أَنَسَى الشَّيْطَانُ يُوسُفَ ذِكْرَ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى ابْتَغَى الْفَرْجَ مِنْ غَيْرِهِ وَاسْتَعَانَ بِالْمَخْلُوقِ، وَتَلَّكَ غَفْلَةً عَرَضَتْ لِيُوسُفَ مِنْ قَبْلِ الشَّيْطَانِ،...، وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: الْهَاءُ رَاجِعَةٌ فِي قَوْلِهِ: فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ إِلَى السَّاقِي فَتَقُولُ: أَنَسَى الشَّيْطَانُ السَّاقِي ذِكْرَ يُوسُفَ لِلْمَلِكِ)) (٧٣).

وَذَكَرَ الرَّازِي الْوَجْهَيْنِ، وَذَهَبَ إِلَى أَنَّ الْحَقَّ مِنْهَا الْوَجْهُ الْأَوَّلُ وَهُوَ أَنَّ الشَّيْطَانَ أَنَسَى يُوسُفَ ذِكْرَ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، مُسْتَدَلًّا عَلَى ذَلِكَ بِأَنَّ لَفْظَ الْآيَةِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْقَوْلَ الثَّانِي ضَعِيفٌ، لِأَنَّهُ

(٧٣) الكشف والبيان: ٥ / ٢٢٦، وينظر: النكت والعيون: ٣ / ٤٠، والتفسير الوسيط: ٢ / ٦١٤، وغرائب التفسير وعجائب التأويل ١ / ٥٣٨، وتفسير البغوي: ٢ / ٤٩٣، والكشاف: ٢ / ٤٧٢-٤٧٣، والمحور الوجيز: ٣ / ٢٤٧، وزاد المسير: ٢ / ٤٤١، وتفسير القرطبي: ٩ / ١٩٧، و أنوار التنزيل: ٣ / ١٦٥، و تفسير ابن كثير: ٤ / ٣٩١، و اللباب في علوم الكتاب: ١١ / ١٠٩ - ١١٠، و الجواهر الحسان: ٣ / ٣٢٨، ومحاسن التأويل: ٦ / ٢٥٠ - ٢٥١.

لَوْ أَرَادَهُ لَعَبَّرَ عَنْهُ، قَالَ: ((فِيهِ قَوْلَانِ: الْأَوَّلُ: أَنَّهُ رَاجِعٌ إِلَى يُوسُفَ، وَالْمَعْنَى أَنَّ الشَّيْطَانَ أَنَسَى يُوسُفَ أَنْ يَذْكُرَ رَبَّهُ،...، الْقَوْلُ الثَّانِي: أَنْ يُقَالَ إِنَّ قَوْلَهُ: فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ رَاجِعٌ إِلَى النَّاجِي وَالْمَعْنَى: أَنَّ الشَّيْطَانَ أَنَسَى ذَلِكَ الْفَتَى أَنْ يَذْكُرَ يُوسُفَ لِلْمَلِكِ،...، وَاعْلَمْ أَنَّ الْحَقَّ هُوَ الْقَوْلُ الْأَوَّلُ،...، وَمَنْ كَانَ لَهُ ذَوْقٌ فِي مَقَامِ الْعُبُودِيَّةِ وَشَرِبَ مِنْ مَشْرَبِ التَّوْحِيدِ عَرَفَ أَنَّ الْأَمْرَ كَمَا ذَكَرْنَاهُ، وَأَيْضًا فِي لَفْظِ الْآيَةِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ ضَعِيفٌ، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ الْمُرَادُ ذَلِكَ لَقَالَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَهُ لِرَبِّهِ)) (٧٤).

فِي حِينَ ذَهَبَ أَبُو حَيَّانِ الْأَنْدَلِسِيُّ إِلَى خِلَافِ ذَلِكَ؛ إِذِ اخْتَارَ مِنَ الْقَوْلَيْنِ الثَّانِي وَهُوَ أَنَّ يَكُونُ النَّاسِي هُوَ النَّاجِي وَلَيْسَ النَّبِيُّ يُوسُفَ عليه السلام، لِذَا أَنْكَرَ الرَّوَايَاتِ الَّتِي تَرْوِيهَا كُتُبُ التَّفْسِيرِ لَثَبَتِ الْقَوْلَ الْأَوَّلَ الَّذِي يَجْعَلُ النَّبِيَّ يُوسُفَ عليه السلام هُوَ النَّاسِي، وَمِنْهَا مَا يُرَوَى عَنِ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ (٧٤) مفاتيح الغيب: ١٨ / ٤٦١ - ٤٦٢.



عَنْ يُونُسَ (٧٥): (لَوْ لَمْ يَقُلْ - يَعْنِي:

عَنْ يُونُسَ (٧٥): (لَوْ لَمْ يَقُلْ - يَعْنِي:

وَوَجَدَ الزَّرْكَشِيُّ فِي هَذَا الاسْتِعْمَالِ

يُونُسَ - الْكَلِمَةَ الَّتِي قَالَ: مَا لَبِثَ فِي

الْقُرْآنِيِّ نَوْعًا مِنَ التَّوْرِيَةِ، وَقَدْ حَلَّلَ

السَّجْنَ طُولَ مَا لَبِثَ) أَوْ (رَحِمَ اللَّهُ

هَذِهِ التَّوْرِيَةَ وَأَرْجَعَ سَبَبَ احْتِمَالِ

يُونُسَ لَوْلَا الْكَلِمَةُ الَّتِي قَالَ: اذْكُرْنِي

كَلِمَةَ (رَبِّهِ) لَهُذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ إِلَى وُرُودِ

عِنْدَ رَبِّكَ مَا لَبِثَ فِي السَّجْنِ مَا لَبِثَ)،

كَلِمَةَ (رَبِّكَ) السَّابِقَةَ بِمَعْنَى السَّيِّدِ أَوْ

وَوَصَفَ هَذِهِ الْأَخْبَارَ وَالرَّوَايَاتِ بِأَنَّهَا

الْمَالِكِ، مِمَّا هِيََا ذَهْنُ الْمُتَلَقِّي لِأَنَّهُ يَحْتَمِلُ

مِمَّا لَا يَلِيقُ بِالْأَنْبِيَاءِ، قَالَ: ((وَالَّذِي

فِي كَلِمَةِ (رَبِّهِ) أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى اللَّهِ،

أَخْتَارَهُ أَنَّ يُونُسَ إِنَّمَا قَالَ لِسَاقِي

وَهُوَ الْمَعْنَى الْمَعْرُوفُ لَهَا، وَأَنَّ تَكُونَ

الْمَلِكِ: اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ لِيَتَوَصَّلَ إِلَى

بِمَعْنَى السَّيِّدِ، وَهُوَ الْمَعْنَى الَّذِي دَلَّ

هُدَايَتِهِ وَإِيْمَانِهِ بِاللَّهِ، كَمَا تَوَصَّلَ إِلَى

عَلَيْهِ لَفْظُ (رَبِّكَ) الْمَذْكُورُ قَبْلًا، قَالَ:

إِيضَاحَ الْحَقِّ لِلْسَّاقِي وَرَفِيقِهِ. وَالضَّمِيرُ

((وَقَوْلُهُ: ﴿ اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾

فِي فَانْسَاةٍ عَائِدٌ عَلَى السَّاقِي، وَمَعْنَى

فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانَ ذِكْرَ رَبِّهِ، ﴿

ذَكَرَ رَبَّهُ: ذَكَرَ يُونُسَ لِرَبِّهِ، وَالْإِضَافَةُ

فَإِنَّ لَفْظَةَ (رَبِّكَ) رَشَّحَتْ لَفْظَةَ (رَبِّهِ)

تَكُونَ بِأَدْنَى مَلَابَسَةٍ. وَإِنْسَاءُ الشَّيْطَانَ

لِأَنَّ يَكُونَ تَوْرِيَةً إِذْ يُحْتَمَلُ أَنَّهُ أَرَادَ بِهَا

لَهُ بِمَا يُوَسَّوِسُ إِلَيْهِ مِنْ اشْتِغَالِهِ حَتَّى

الْإِلَهَ سُبْحَانَهُ وَالْمَلِكِ، فَلَوْ اقْتَصَرَ عَلَى

يُذْهِلُ عَمَّا قَالَ لَهُ يُونُسَ، لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ

قَوْلُهُ: ﴿ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانَ ذِكْرَ

يُونُسَ مِنْ إِجْزَالِ أَجْرِهِ بِطُولِ مَقَامِهِ

رَبِّهِ ﴾ ولم تَدَلَّ لَفْظَةُ (رَبِّهِ) إِلَّا عَلَى

فِي السَّجْنِ، ... ، وَقِيلَ: الضَّمِيرُ فِي

الْإِلَهَ فَلَمَّا تَقَدَّمَتْ لَفْظَةُ (رَبِّكَ) احْتَمَلَ

أَنْسَاهُ عَائِدٌ عَلَى يُونُسَ. وَرَبَّتُوا عَلَى

الْمَعْنَيْنِ)) (٧٧). وَجَعَلَ الطَّاهِرُ بْنُ

ذَلِكَ أَخْبَارًا لَا تَلِيقُ نِسْبَتِهَا إِلَى الْأَنْبِيَاءِ

عَاشُورَ هَذَا الاسْتِعْمَالِ مِنْ بَدِيعِ الْإِيْجَازِ

(٧٥) يَنْظُرُ الْحَدِيثَ فِي: صَحِيحِ ابْنِ حِبَانَ-

(٧٦) البحر المحيط: ٦ / ٢٨٠.

مَحَقًا ١٤ / ٨٦، بِرَقْمِ: (٦٢٠٦) بَابِ:

(٧٧) البرهان في علوم القرآن: ٣ / ٤٤٦.

(ذَكَرَ السَّبَبَ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ لَبِثَ يُونُسَ فِي السَّجْنِ مَا لَبِثَ).





الْقُرْآنِيَّ عَلَى طَرِيقِ فَنِّ الْكَلَامِ الْمَوْجِهَ لِأَنَّ أَدَاءَ الْمَعَانِي عَنِ هَذَا الطَّرِيقِ أَلْطَفُ مِنَ التَّصْرِيحِ بِهَا، قَالَ: ((وَضَمِيرًا فَانْسَاهُ وَرَبَّهُ يَحْتَمِلَانِ الْعُودَ إِلَى الَّذِي، أَيْ أَنْسَى الشَّيْطَانُ الَّذِي نَجَا أَنْ يَذْكُرَهُ لِرَبِّهِ، فَالذِّكْرُ الثَّانِي هُوَ الذِّكْرُ الْأَوَّلُ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَعُودَ الضَّمِيرَانِ إِلَى مَا عَادَ إِلَيْهِ ضَمِيرٌ وَقَالَ أَيْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذَكَرَ اللَّهُ، فَالذِّكْرُ الثَّانِي غَيْرُ الذِّكْرِ الْأَوَّلِ. وَلَعَلَّ كِلَا الْاِحْتِمَالَيْنِ مُرَادٌ، وَهُوَ مِنْ بَدِيعِ الْإِيْجَازِ. وَذَلِكَ أَنَّ نَسِيَانَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ إلهَامَ الْمَلِكِ تَذَكُّرَ شَأْنِهِ كَانَ مِنْ إلقاءِ الشَّيْطَانِ فِي أَمْنِيَّتِهِ، وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا إلهِيًّا فِي نَسِيَانَ السَّاقِي تَذَكُّرِ الْمَلِكِ، وَكَانَ ذَلِكَ عِتَابًا إلهِيًّا لِيُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى اسْتِعَالِهِ بِعَوْنِ الْعِبَادِ دُونَ اسْتِعَانَةِ رَبِّهِ عَلَى خَلَاصِهِ. وَلَعَلَّ فِي إِيرَادِ هَذَا الْكَلَامِ عَلَى هَذَا التَّوْجِيهِ تَلَطُّفًا فِي الْخَبَرِ عَنِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لِأَنَّ الْكَلَامَ الْمَوْجِهَ فِي الْمَعَانِي الْمَوْجِهَةَ أَلْطَفُ مِنَ الصَّرِيحِ)) (٧٨). وَهُوَ يَرَى أَنَّ كِلَا الْاِحْتِمَالَيْنِ أَوْ الْوَجْهَيْنِ مُرَادٌ هُنَا

(٧٨) التحرير والتنوير: ١٢ / ٢٧٨ - ٢٧٩.

مِنْ بَابِ الْإِيْجَازِ وَالتَّوْسُّعِ فِي الْمَعَانِي؛ وَذَلِكَ طَلْبًا لِلتَّعْبِيرِ عَنِ الْمَعَانِي الْمُتَكَثِرَةِ بِالْأَلْفَاظِ الْقَلِيلَةِ وَالْعِبَارَاتِ الْمُوجِزَةِ، كَمَا هُوَ أُسْلُوبُ الْقُرْآنِ الْمُعْجِزِ.

١٣- ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى آبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْدُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٣﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُتُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللَّهُ خَبِيرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ [سورة

يوسف: ٦٣ - ٦٤]

يَذْكُرُ الْمَفْسُورُونَ أَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُتُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾، هُوَ: أَنْتُمْ قُلْتُمْ فِي أَخِيكُمْ يُوسُفَ مَا قُلْتُمُوهُ وَضَمَمْتُمْ حَفِظَهُ، وَخُنْتُمْ بِمَا قُلْتُمْ فَهَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيكُمْ هَذَا؟!؛ قَالَ الزَّحَّشَرِيُّ: ((هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ يُرِيدُ أَنْكُمْ قُلْتُمْ فِي يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ كَمَا تَقُولُونَهُ فِي أَخِيهِ، ثُمَّ خُنْتُمْ بِضَمَانِكُمْ، فَمَا يُؤْمِنِي مِنْ مِثْلِ ذَلِكَ)) (٧٩). وَقَدْ بَيَّنَّ الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورِ

(٧٩) الكشاف: ٢ / ٤٨٥، وينظر: معاني

القرآن وإعرابه: ٣ / ١١٨، ومعاني القرآن



وَعَلِمُوا مِنْهُ أَنَّهُ مُرْسِلٌ مَعَهُمْ آخَاهُمْ،  
وَلِذَلِكَ لَمْ يُرَاجِعُوهُ فِي شَأْنِهِ» (٨٠). وَعَلَيْهِ  
فَإِنَّ مَرَجِعَ الاحْتِمَالِ فِي النَّصِّ الْكَرِيمِ  
هُوَ طَبِيعَةُ الْجُمْلَةِ الِاسْتِفْهَامِيَّةِ، هُنَا، إِذِ  
يُمْكِنُ أَنْ تُفْهَمَ عَلَى أَنَّهَا إِنِّكَارٌ بِنَاءً عَلَى مَا  
فَعَلُوهُ يُوْسُفُ فِي الْمَرَّةِ السَّابِقَةِ، وَتَحْتَمِلُ  
أَنْ تَكُونَ اسْتِفْهَامًا يُرَادُ مِنْهُ السُّؤَالُ  
وَتَذْكِيرُهُمْ بِحِفْظِ أَخِيهِمْ لئَلَّا يُصِيبَهُ مَا  
أَصَابَ آخَاهُمْ يُوسُفَ، لِيَطْمَئِنَّ قَلْبُ  
يَعْقُوبَ عَلَيْهِ فَقَطَّ.

١٤- ﴿ثُمَّ صَدَقْتَهُمُ الْوَعْدَ فَأَجْنَحْنَهُمْ

وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾

لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ

أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٩﴾ [سورة الأنبياء:

٩-١٠].

اِخْتَلَفَ الْمُسَرِّوْنَ فِي تَفْسِيرِ (ذِكْرُكُمْ)  
الْوَارِدِ فِي النَّصِّ الْكَرِيمِ، فَكَتَفَى بَعْضُ  
الْمُسَرِّينَ بِإِعْطَاءِ مَعْنَى وَاحِدٍ لَهُ،  
وَهُوَ أَنَّهُ بِمَعْنَى: شَرَفَكُمْ (٨١). وَفَسَّرَهُ

(٨٠) التحرير والتنوير: ١٣/ ١٦.

(٨١) ينظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٠٠،  
وتأويل مشكل القرآن: ٩٥، و غريب  
القرآن لابن قتيبة: ٢٣٤، و معاني القرآن  
وإعرابه: ٣/ ٣٨٥، ولطائف الإشارات:

أَنَّ هَذِهِ الْعِبَارَةَ مِنَ الْكَلَامِ الْمَوْجَّهِ الَّذِي  
تَحْتَمِلُ دَلَالَتَهُ وَجْهَيْنِ، قَالَ: ((وَجَوَابُ  
أَبِيهِمْ كَلَامٌ مُوجَّهٌ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ  
مَعْنَاهُ: إِنِّي آمَنْتُمْ عَلَيْهِ كَمَا آمَنْتُمْ عَلَى  
أَخِيهِ، وَأَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ مَاذَا أَفَادَ اثْتِمَانَكُمْ  
عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلِ حَتَّى آمَنْتُمْ عَلَيْهِ.  
وَالِاسْتِفْهَامُ إِنِّكَارِيٌّ فِيهِ مَعْنَى النَّفْيِ،  
فَهُوَ يَسْتَفْهَمُ عَنْ وَجْهِ التَّأَكِيدِ فِي قَوْلِهِمْ:  
وَإِنَّا لَهُ لِحَافِظُونَ. وَالْمَقْصُودُ مِنَ الْجُمْلَةِ  
عَلَى اِحْتِمَالِهَا هُوَ التَّفْرِيعُ الَّذِي فِي قَوْلِهِ:  
﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا﴾، أَيْ خَيْرٌ حَافِظًا  
مِنْكُمْ، فَإِنَّ حَفِظَهُ اللَّهُ سَلَمٌ وَإِنْ لَمْ يَحْفَظْهُ  
لَمْ يَسَلَمْ كَمَا لَمْ يَسَلَمْ أَخُوهُ مِنْ قَبْلِ حِينَ  
آمَنْتُمْ عَلَيْهِ. وَهُمْ قَدْ اقْتَنَعُوا بِجَوَابِهِ

للنحاس: ٣/ ٤٤٠، ومعاني القرآن

للنحاس: ٣/ ٤٤٠، والنكت والعيون:

٣/ ٥٧، ولطائف الإشارات: ٢/ ١٩٣،

والتفسير الوسيط: ٢/ ٦٢١، وزاد المسير:

٢/ ٤٥٤، ومفاتيح الغيب: ١٨/ ٤٧٩،

وتفسير القرطبي: ٩/ ٢٢٤، وأنوار

التنزيل: ٣/ ١٦٩، والبحر المحيط:

٦/ ٢٩٥، وتفسير ابن كثير: ٤/ ٣٩٨،

واللباب في علوم الكتاب: ١١/ ١٤٦،

والجواهر الحسان: ٣/ ٣٣٦، وروح

المعاني: ٧/ ١٢، ومحاسن التأويل: ٦/

١٩٥.



آخِرُونَ بِمَعْنَى: حَدِيثِكُمْ <sup>(٨٢)</sup>. وَجَمَعَ  
بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ <sup>(٨٣)</sup>. وَجَعَلَهُ  
آخِرُونَ بِمَعْنَى شَرَفِكُمْ وَدِينِكُمْ <sup>(٨٤)</sup>، أَوْ  
بِمَعْنَى شَرَفِكُمْ وَمَكَارِمِ أَخْلَاقِكُمْ <sup>(٨٥)</sup>،  
أَوْ ذِكْرَ دِينِكُمْ وَآخِرَتِكُمْ وَشَرَفِكُمْ <sup>(٨٦)</sup>.  
وَذَكَرَ لَهُ مُفَسَّرُونَ آخِرُونَ ثَلَاثَةَ أَوْجِهٍ،  
هِيَ: شَرَفِكُمْ، وَدِينِكُمْ، وَتَذْكَرَةُ آخِرَتِكُمْ  
مِنْ رَجْعَةٍ وَعَذَابٍ <sup>(٨٧)</sup>، أَوْ شَرَفِكُمْ،  
وَتَذْكَرَةُ آخِرَتِكُمْ، وَذَكَرُ مَا يَلْزَمُ  
لِلْفُوزِ بِالْجَنَّةِ <sup>(٨٨)</sup>. فِي حِينٍ كَانَ لَهَا خَمْسَةٌ  
تَأْوِيلَاتٍ عِنْدَ آخِرِينَ، هِيَ: حَدِيثِكُمْ،  
وَمَكَارِمِ أَخْلَاقِكُمْ، وَشَرَفِكُمْ، وَذَكَرُ مَا  
تَحْتَاجُونَهُ مِنْ أَمْرِ دِينِكُمْ، وَالْعَمَلُ بِهَا فِيهِ  
حَيَاتِكُمْ <sup>(٨٩)</sup>. وَجَمَعَ مُفَسَّرُونَ آخِرُونَ <sup>(٩٠)</sup>

٢ / ٤٩٥، وتفسير البغوي: ٤ / ١٦٢،

وأنوار التنزيل: ٤ / ٤٧.

(٨٢) ينظر: جامع البيان: ١٨ / ٤١٦.

(٨٣) ينظر: الكشف والبيان: ٦ / ٢٧٠،

ومحاسن التأويل: ٧ / ١٧٩.

(٨٤) ينظر: تفسير ابن كثير: ٥ / ٣٣٤.

(٨٥) ينظر: الكشف: ٣ / ١٠٥.

(٨٦) ينظر: المحرر الوجيز: ٤ / ٧٥.

(٨٧) ينظر: زاد المسير: ٣ / ١٨٦.

(٨٨) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢٢ / ١٢٣.

(٨٩) ينظر: النكت والعيون: ٣ / ٤٣٩.

(٩٠) ينظر: البحر المحيط: ٧ / ٤١٢.

بَيْنَ كُلِّ هَذِهِ الْأَقْوَالِ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ  
الْكَلِمَةِ فِي هَذَا السِّيَاقِ. وَيَرَى الطَّاهِرُ بْنُ  
عَاشُورَ أَنَّ (ذَكَرَكُمْ) هُنَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ  
بِمَعْنَى التَّذْكَيرِ بِهَا فِيهِ الصَّلَاحُ كَمَا يَصْلُحُ  
أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى السُّمْعَةِ وَالصَّيْتِ، وَمِنْ  
ثَمَّ فَقَدْ ((أَوْثِرَ هَذَا الْمَصْدَرُ هُنَا وَجُعِلَ  
مُعْرَفًا بِالْإِضَافَةِ إِلَى ضَمِيرِ الْمُخَاطَبِينَ  
لِيَكُونَ كَلَامًا مُوجَّهًا فَيَصِحُّ قَصْدُ  
الْمَعْنِيِّينَ مَعًا مِنْ كَلِمَةِ (الذِّكْرُ) بِأَنَّ مَجِيءَ  
الْقُرْآنِ مُشْتَمِلًا عَلَى أَعْظَمِ الْهُدَى، وَهُوَ  
تَذْكَيرٌ لَهُمْ بِهَا بِهِ نَهَايَةُ إِصْلَاحِهِمْ، وَجَمِئُهُ  
بَلْغَتِهِمْ، وَفِي قَوْمِهِمْ، وَبِوَأَسْطَةِ وَاحِدٍ  
مِنْهُمْ، سُمْعَةٌ عَظِيمَةٌ لَهُمْ)) <sup>(٩١)</sup>.

١٥- ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ

لِيَخْرُجُنَّ قُلُوبَهُمْ لَا نَفْسِمُوا طَاعَةَ مَعْرُوفَةَ

إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة

النور: ٥٣].

يَحْتَمِلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا نَفْسِمُوا طَاعَةَ

مَعْرُوفَةَ﴾ مَعَانِي عِدَّةً، يَدُلُّ عَلَيْهَا مَا

ذَكَرَهُ الْمَفْسَّرُونَ فِي تَفْسِيرِهَا <sup>(٩٢)</sup>. وَقَدْ جَمَعَ

(٩١) التحرير والتنوير: ١٧ / ٢٢.

(٩٢) ينظر: جامع البيان: ١٩ / ٢٠٦، ومعاني

القرآن وإعرابه: ٤ / ٥١، والكشف

والبيان: ٧ / ١١٤، والنكت والعيون: ٤ /



عَاشُورَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَمَرَ رَسُولَهُ أَنْ يُخَاطَبَ الْمَنَافِقِينَ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ ذَاتِ الْمَعْنَى الْكَثِيرَةِ مِنْ بَابِ الْكَلَامِ الْمَوْجِهَةِ حَتَّى يُؤَدِّيَ مَعَانِي مُحْتَمَلَةً عِدَّةً؛ فَجِيءَ بِهَذِهِ الْعِبَارَةِ لِتَجْمَعُ كُلَّ هَذِهِ الْمَعْنَى بِأَخْصَرِ عِبَارَةٍ وَأَوْجَزِهَا، قَالَ: ((أَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ ذَاتِ الْمَعْنَى الْكَثِيرَةِ وَهِيَ: ﴿لَا تُقْسِمُوا طَاعَةَ مَعْرُوفَةَ﴾. وَذَلِكَ كَلَامٌ مُوَجَّهٌ لِأَنَّ نَهْيَهُمْ عَنْ أَنْ يُقْسِمُوا بَعْدَ أَنْ صَدَرَ الْقَسَمُ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ نَهْيًا عَنْ إِعَادَتِهِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا بِصَدَدِ إِعَادَتِهِ، ... ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ النَّهْيُ مُسْتَعْمَلًا فِي مَعْنَى عَدَمِ الْمَطَالَبَةِ بِالْقَسَمِ، ... ، لِعَدَمِ الشُّكِّ فِي أَمْرِكُمْ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ النَّهْيُ مُسْتَعْمَلًا فِي التَّسْوِيَةِ، ... ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ النَّهْيُ مُسْتَعْمَلًا فِي حَقِيقَتِهِ وَالْمَقْسَمُ عَلَيْهِ مَحْدُوفٌ، أَي لَا تُقْسِمُوا عَلَى الْخُرُوجِ مِنْ دِيَارِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَكْلِفُكُمْ بِذَلِكَ. وَمَقَامٌ مُوَاجَهَةٌ نِفَاقَهُمْ يَفْتَضِي أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْإِحْتِمَالَاتُ مَقْصُودَةً. وَقَوْلُهُ: طَاعَةَ مَعْرُوفَةَ كَلَامٌ أُرْسِلَ مَثَلًا وَتَحْتَهُ مَعَانٍ جَمَّةٌ تَحْتَلِفُ بِإِخْتِلَافِ

ابْنِ عَطِيَّةَ هَذِهِ الْمَعْنَى؛ قَالَ: ((وَقَوْلُهُ: ... يَحْتَمِلُ مَعْنَى، أَحَدُهَا: النَّهْيُ عَنِ الْقَسَمِ الْكَاذِبِ إِذْ عَرَفَ أَنَّ طَاعَتَهُمْ دَغْلَةٌ رَدِيئَةٌ؛ فَكَأَنَّهُ يَقُولُ لَا تُعَالِطُوا فَقَدْ عَرَفَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ، وَالثَّانِي: أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى لَا تَتَكَلَّفُوا الْقَسَمَ طَاعَةَ مُتَوَسِّطَةً عَلَى قَدْرِ الْإِسْطَاعَةِ أَمْثَلُ وَأَجْدَى عَلَيْكُمْ، وَفِي هَذَا الْوَجْهِ إِبْقَاءٌ عَلَيْهِمْ، وَالثَّلَاثُ: أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى لَا تَقْنَعُوا بِالْقَسَمِ طَاعَةَ تَعْرِفَ مِنْكُمْ وَتَظْهَرِ عَلَيْكُمْ هُوَ الْمَطْلُوبُ مِنْكُمْ، وَالرَّابِعُ: أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى لَا تَقْنَعُوا لِأَنْفُسِكُمْ بِإِرْضَائِنَا بِالْقَسَمِ، طَاعَةَ اللَّهِ مَعْرُوفَةٌ وَشَرْعُهُ وَجِهَادُ عَدُوِّهِ مَهْيَعٌ لَائِحٌ)) (٩٣). وَيَرَى الطَّاهِرُ بْنُ

١١٧، والوجيز للواحيدي: ٧٦٨، وتفسير البغوي: ٣ / ٤٢٤، والكشاف: ٣ / ٢٥٠، وزاد المسير: ٣ / ٣٠٣، ومفاتيح الغيب: ٢٤ / ٤١١، وتفسير القرطبي: ١٢ / ٢٩٦، وأنوار التنزيل: ٤ / ١١٢، ومدارك التنزيل: ٢ / ٥١٥، والبحر المحيط: ٨ / ٦٣، وتفسير ابن كثير: ٦ / ٧٦، والبرهان في علوم القرآن ٣ / ٢٠٤، والجواهر الحسان: ٤ / ١٩٥، ومحاسن التأويل ٧ / ٤٠٢.

(٩٣) المحرر الوجيز: ٤ / ١٩٢، ونقلها أبو حيان في: البحر المحيط: ٨ / ٦٣.



الِاخْتِصَالَاتِ الْمُتَقَدِّمَةِ)) (٩٤).

١٦- ﴿ وَهُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ.﴾

﴿ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى

فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ

الْحَكِيمُ ﴾ [سورة الروم: ٢٧]

يَذُكُرُ الْمَفْسُورُونَ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى:

﴿ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ يَحْتَمِلُ أَوْجُهًا

عِدَّةٌ (٩٥)؛ وَهِيَ: الْأَوَّلُ: أَنَّ أَهْوَنَ بِمَعْنَى:

(٩٤) التحرير والتنوير: ٢٧٨ / ١٨.

(٩٥) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢ / ٣٢٣،

ومجاز القرآن: ٢ / ١٢١، وتأويل مشكل

القرآن: ٢٢١، وغريب القرآن لابن قتيبة:

٣٤١، وغريب القرآن لابن قتيبة: ٣٤٠،

وجامع البيان: ٢٠ / ٩٢، ومعاني القرآن

وإعرابه للزجاج: ٤ / ١٨٣ - ١٨٤،

وغريب القرآن للسجستاني: ٧٣، والكشف

والبيان: ٧ / ٣٠١، والنكت والعيون: ٤ /

٣٠٩، والتفسير الوسيط: ٣ / ٤٣٢،

والنكت في القرآن الكريم: ٣٨٩ - ٣٩٠،

وتفسير البغوي: ٣ / ٥٧٦، والكشاف:

٣ / ٤٧٧، والمحرم الوجيز: ٤ / ٣٣٥،

وزاد المسير: ٣ / ٤٢١، ومفاتيح الغيب:

٢٥ / ٩٦ - ٩٧، وتفسير القرطبي: ١٤ /

٢٢، وأنوار التنزيل: ٤ / ٢٠٦، ومدارك

التنزيل: ٢ / ٦٩٧ - ٦٩٨، والدر المصون:

٩ / ٤٠، واللباب في علوم الكتاب: ١٥ /

٤٠٤ - ٤٠٥، الجواهر الحسان: ٤ / ٣١١،

وروح المعاني ١١ / ٣٧ - ٣٨.

هَيْنَ وَلَيْسَ أَفْعَلَ تَفْضِيلًا، وَالثَّانِي: أَنَّ

إِعَادَةَ الْخَلْقِ بَعْدَ الْبَعْثِ أَهْوَنُ عَلَيْهِ مِنْ

النَّشْأَةِ الْأُولَى خَاطَبَ النَّاسَ بِمَا يَعْقِلُونَ

مِنْ بَابِ ضَرْبِ الْأَمْثَالِ لَهُمْ، وَالثَّلَاثُ:

وَالْبَعْثُ أَهْوَنُ عَلَى الْإِنْسَانِ مِنْ إِنْشَائِهِ،

لِأَنَّهُ يُقَاسِي فِي النَّشْءِ مِنْ تَدْرُجٍ فِي الْخَلْقِ

مَا لَا يُقَاسِيهِ فِي الْإِعَادَةِ وَالْبَعْثِ. وَيَرَى

الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ أَنَّ هَذِهِ الْجُمْلَةَ وَاقِعَةٌ

مَوْقِعَ الْكَلَامِ الْمَوْجِهَةِ الَّذِي يَحْتَمِلُ مَعَانِي

عِدَّةً، قَالَ: ((فَقَوْلُهُ أَهْوَنُ اسْمٌ تَفْضِيلٌ،

وَمَوْقِعُهُ مَوْقِعُ الْكَلَامِ الْمَوْجِهَةِ، فَظَاهِرُهُ

أَنَّ أَهْوَنٌ مُسْتَعْمَلٌ فِي مَعْنَى الْمُقَاذَلَةِ عَلَى

طَرِيقَةِ إِرْخَاءِ الْعِنَانِ وَالتَّسْلِيمِ الْجَدَلِيِّ،

أَيُّ الْخَلْقِ الثَّانِي أَسْهَلُ مِنَ الْخَلْقِ الْأَوَّلِ،

وَهَذَا فِي مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ أَفَعِينَا

بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾

[سورة ق: ١٥]. وَمُرَادُهُ: أَنَّ إِعَادَةَ الْخَلْقِ

مَرَّةً ثَانِيَةً مُسَاوِيَةٌ لِبَدْءِ الْخَلْقِ فِي تَعَلُّقِ

الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ، فَتَحْمِلُ صِيغَةَ التَّفْضِيلِ

عَلَى مَعْنَى قُوَّةِ الْفِعْلِ الْمَصُوغَةِ لَهُ كَقَوْلِهِ:

﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي

إِلَيْهِ ﴾ [سورة يوسف: ٣٣] ((٩٦)). وَمَرَدُّ

(٩٦) التحرير والتنوير: ٢١ / ٨٣.



عَلَى الْمَذْكَرِ، فِي حِينِ جَاءَتِ الضَّمَائِرُ بَعْدَهُ  
دَالَّةً عَلَى الْمُؤنَّثِ فِي: ﴿هُنَّ كَاشِفَاتٌ،  
وَهُنَّ مُمَسِكَاتٌ﴾، وَقَدْ التَّفَتَ الْمَفْسَّرُونَ  
إِلَى هَذَا الِاسْتِعْمَالِ وَمَا يُؤَدِّيهِ مِنْ مَعَانٍ  
بِلَاغِيَّةٍ بَدِيعَةٍ مَعَ مَا فِيهِ مِنْ إِيجَازٍ، فَقَدْ  
عَلَّلَ أَبُو عُبَيْدَةَ هَذَا الِاسْتِعْمَالِ بِأَنَّهُ أَنْتَ  
الضَّمَائِرُ لِأَنَّ الْأَصْنَامَ مَوَاتٍ (٩٧)، وَقَالَ  
الْكَرْمَانِيُّ فِي تَعْلِيلِهِ بِأَنَّهُ ((جَمَعَ «هُنَّ»،  
لِأَنَّهُ حَمَلَ (مَا) عَلَى الْمُؤنَّثِ)) (٩٨). وَوَجَدَ  
الرَّازِيُّ فِي هَذَا التَّنْبِيْهِ إِشَارَةً إِلَى مَا فِي  
هَذِهِ الْمَعْبُودَاتِ مِنْ ضَعْفٍ، قَالَ: ((فَإِنْ  
قِيلَ كَيْفَ قَوْلُهُ: كَاشِفَاتٌ وَمُمَسِكَاتٌ عَلَى  
التَّنْبِيْهِ بَعْدَ قَوْلِهِ: وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ  
مِنْ دُونِهِ؟. قُلْنَا الْمَقْصُودُ التَّنْبِيْهُ عَلَى  
كَمَالِ ضَعْفِهَا فَإِنَّ الْأُنُوثَةَ مَظَنَّةُ الضَّعْفِ  
وَلِأَنَّهُمْ كَانُوا يَصِفُونَهَا بِالتَّنْبِيْهِ وَيَقُولُونَ  
اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ)) (٩٩). وَلَمَسَ ابْنُ  
عَادِلٍ الْحَنْبَلِيُّ فِي هَذَا التَّنْبِيْهِ تَحْقِيرًا، قَالَ:

(٩٧) ينظر: مجاز القرآن: ٢ / ١٩٠.

(٩٨) غرائب التفسير وعجائب التأويل: ٢ / ١٠١٥.

(٩٩) مفاتيح الغيب: ٢٦ / ٤٥٥، وينظر: أنوار التنزيل: ٥ / ٤٣، وروح المعاني: ١٢ / ٢٦١.

التَّعَدُّدِ فِي تَوْجِيهِ الْعِبَارَةِ الْقُرْآنِيَّةِ دَلَالِيًّا  
هُنَا يَعُودُ إِلَى نَظَرِ اللُّغَوِيِّينَ إِلَى أَنَّهُ مِنْ  
غَيْرِ الْجَائِزِ أَنْ يَكُونَ الْفِعْلُ اسْمًا تَفْضِيلًا  
لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا تَتَفَاوَتُ عِنْدَهُ الْأَشْيَاءُ،  
فَلَيْسَ ثَمَّةَ شَيْءٍ أَهْوَنُ مِنْ شَيْءٍ أَوْ شَيْءٍ  
أَقْوَى مِنْ شَيْءٍ بِالنَّسْبَةِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ  
وَتَعَالَى، وَمِنْ ثَمَّ كَانَ عَلَيْهِ الْبَحْثُ عَنِ  
دَلَالَاتٍ أُخْرَى يَحْتَمِلُهَا السِّيَاقُ وَهُوَ مَا  
عَبَّرَ عَنْهُ الطَّاهِرُ بِأَنَّهُ اسْمٌ تَفْضِيلٌ لِلدَّلَالَةِ  
عَلَى حَجْمِ الْحَدَثِ الَّذِي صِيغَ الْفِعْلُ مِنْ  
أَجْلِهِ.

١٧- ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا  
تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ  
هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي  
بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِيهِ قُلْ  
حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾

[سورة الزمر: ٣٨].

تَضَمَّنَ اسْتِعْمَالُ الضَّمِيرِ الدَّالِّ عَلَى  
جَمْعِ الْإِنَاثِ فِي: ﴿هُنَّ كَاشِفَاتٌ﴾ بَعْدَ  
الاسْمِ الْمَوْصُولِ فِي: ﴿مَا تَدْعُونَ مِنْ  
دُونِ اللَّهِ﴾ انْتِزَاعًا أُسْلُوبِيًّا مُعْجِزًا،  
وَذَلِكَ لِأَنَّ الْاسْمَ الْمَوْصُولَ (مَا) يَدُلُّ



((قَوْلُهُ «هَنَّ» وَإِنَّمَا أَنْتَهُ تَحْقِيرًا لِمَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ وَلَا يَنْهَمُ كَانُوا يُسْمُونَهَا بِأَسْمَاءِ الْإِنَاثِ اللَّاتِ وَمَنَاةَ وَالْعَزَى)) (١٠٠).

وَعَلَّلَ السُّيُوطِيُّ الْأَمْرَ بِعِلَّتَيْنِ الْأُولَى لُغَوِيَّةٌ وَالثَّانِيَةُ بِلَاغِيَّةٌ؛ قَالَ: ((فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ قَالَ كَاشِفَاتُ

وَمُتْسِكَاتُ بِالتَّأْنِيثِ؟ فَالْجَوَابُ: أَنَّهَا لَا تَعْقِلُ فَعَامَلَهَا مُعَامَلَةَ الْمُؤَنَّثِ.

وَأَيْضًا فِي تَأْنِيثِهَا تَحْقِيرٌ لَهَا وَتَهْكُمْ بِمَنْ عَبَدَهَا)) (١٠١). وَرَأَى الطَّاهِرُ بْنُ

عَاشُورَ أَنَّ فِي هَذَا الِاسْتِعْمَالَ فَنَّ الْكَلَامِ الْمَوْجَّهِ، وَذَلِكَ أَنَّ النَّصَّ الْكَرِيمَ أَفَادَ مِنْ

خَصَائِصِ (مَا) الَّتِي تُتَّبِعُ التَّعْبِيرَ عَنْهَا بِضَمِيرِ الْمُؤَنَّثِ لِأَنَّهَا لَا تَعْقِلُ، تَحْقِيرًا لَهَا

وَتَهْكُمْ بِمَنْ يَعْبُدُهَا، قَالَ: ((وَضَمِيرُ هَنَّ عَائِدٌ إِلَى مَا الْمُؤَصُولَةِ وَكَذَلِكَ الضَّمَائِرُ

الْمُؤَنَّثَةُ الْوَارِدَةُ بَعْدَهُ ظَاهِرَةٌ وَمُسْتَتْرَةٌ، إِمَّا لِأَنَّ (مَا) صَدَقَ مَا الْمُؤَصُولَةُ هُنَا أَحْجَارٌ

غَيْرُ عَاقِلَةٌ وَجَمْعُ غَيْرِ الْعُقَلَاءِ يَجْرِي عَلَى اعْتِبَارِ التَّأْنِيثِ، وَلِأَنَّ ذَلِكَ يُصِيرُ الْكَلَامَ

مِنْ قَبِيلِ الْكَلَامِ الْمَوْجَّهِ بِأَنَّ أَلْهَتَهُمْ

(١٠٠) اللباب في علوم الكتاب: ١٦ / ٥١٨.

(١٠١) معترك الأقران: ٣ / ٢٤٧.

كَالْإِنَاثِ لَا تَقْدِرُ عَلَى التَّصْرِ)) (١٠٢).

وَمِنْ ثَمَّ يَكُونُ هَذَا التَّعْبِيرُ مِنْ بَابِ الْكَلَامِ الْمَوْجَّهِ عَلَى اعْتِبَارِ أَنَّ مَعْنَى (مَا)

هُوَ الْأَصْنَامُ وَهِيَ مُؤَنَّثَةٌ فَأَعَادَ عَلَيْهَا الضَّمِيرَ مُؤَنَّثًا أَوْ عَلَى اعْتِبَارِ أَنَّ أَلْهَتَهُمْ

ضَعِيفَةٌ كَالْإِنَاثِ لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ فَأَعَادَ عَلَيْهَا الضَّمِيرَ مُؤَنَّثًا تَحْقِيرًا إِشَارَةً إِلَى

ضَعْفِهَا بَلْ مَوْتَهَا. وَهَذَا إِنَّمَا أَنَاخَتْهُ اللَّغَةُ مِنْ خِلَالِ الْخَصَائِصِ اللَّغَوِيَّةِ وَالتَّعْبِيرِيَّةِ

لـ (مَا الْمُؤَصُولَةِ)، وَسَاعَدَ عَلَيْهِ انْفِتَاحُ الْأَفْقِ التَّأْوِيلِيِّ عِنْدَ الْمَفْسَّرِينَ بِمَا يَجْدُمُ

كَوْنِ النَّصِّ الْكَرِيمِ مُعْجِزًا وَمُحَمَّلًا بِالذَّلَالَاتِ الْمُبْهَرَةِ.

١٨- ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّسَاعَةِ فَلَا تَمْتَرُتْ بِهَا

وَأَتَّبِعُونَ هَذَا صِرْطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [سورة

الزخرف: ٦١].

يُورَدُ الْمَفْسَّرُونَ ثَلَاثَةَ أَقْوَالٍ (١٠٣)

(١٠٢) التحرير والتنوير: ٢٤ / ١٧.

(١٠٣) ينظر القولين الأول والثاني في: جامع

البيان: ٢١ / ٦٣١، ومعاني القرآن وإعرابه:

٤ / ٤١٧، والكشف والبيان: ٨ / ٣٤١،

والنكت والعيون: ٥ / ٢٣٥، ولطائف

الإشارات: ٣ / ٣٧٢، والتفسير الوسيط:

٤ / ٧٩، وغرائب التفسير وعجائب التأويل

٢ / ١٠٦٦، والكشاف: ٤ / ٢٦١، وزاد



قَالَ: ((وَفِي مَعْنَى «الْمُكْرَمِينَ»  
أَرْبَعَةٌ أَقْوَالٌ: أَحَدُهَا: لِأَنَّهُ أَكْرَمَهُمْ  
بِالْعَجَلِ، ... ، وَالثَّانِي: بِأَنَّ خَدَمَهُمْ هُوَ  
وَأَمْرَانَهُ بِأَنْفُسِهِمَا، ... ، وَالثَّلَاثُ: أَنَّهُمْ  
مُكْرَمُونَ عِنْدَ اللَّهِ، ... ، وَالرَّابِعُ: لِأَنَّهُمْ  
أَضْيَافٌ، وَالْأَضْيَافُ مُكْرَمُونَ)) (١٠٧).  
وَيَبْدُو لَنَا أَنَّ الْقَوْلَيْنِ الْأَوَّلَ وَالْآخِرَ  
ضَعِيفَانِ لَا يَصْلِحَانِ سَبَبًا مُقْبِعًا لَوْصِفِ  
ضَيْوْفِ إِبْرَاهِيمَ بِالْمُكْرَمِينَ، بِخِلَافِ  
الْقَوْلَيْنِ الثَّانِي وَالثَّلَاثِ، إِذْ لَا يَجْلُوَانِ مِنْ  
وَجَاهَةٍ بِسَبَبِ مَا يَلْمُسُهُ الْقَارِئُ فِيهَا  
مِنْ تَعْلِيلِ لِلْإِكْرَامِ بِأَنَّ النَّبِيَّ إِبْرَاهِيمَ  
نَفْسَهُ قَامَ بِخَدْمَتِهِمْ وَإِكْرَامِهِمْ، أَوْ لِأَنَّ

فِي تَأْوِيلِ الضَّمِيرِ الْمَاءِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:  
﴿وَأِنَّهُ لَعَلَّمَ لِسَاعَةَ﴾، الْأَوَّلُ: أَنَّ الْمَعْنَى  
بِهَا عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَنَّ ظُهُورَهُ مِنْ  
أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، وَالثَّانِي: أَنَّهُ بِمَعْنَى  
الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَالثَّلَاثُ: أَنَّهُ يَعُودُ  
عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ لِأَنَّهُ آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ،  
وَقَدْ ذَكَرَهُ أَبُو حَيَّانِ الْأَنْدَلُسِيُّ (١٠٤).  
وَبَيْنَ الطَّاهِرِ بْنِ عَاشُورٍ أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ  
يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مُوجَّهًا مِنْ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى  
الْمُنْكَرِينَ يَوْمَ الْبُعْثِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ  
مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ (١٠٥).

١٩- ﴿هَلْ أَنْتَ حَدِيثٌ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ  
الْمُكْرَمِينَ﴾ [سورة الذاريات:

[٢٤].

يَذْكُرُ الْمَفْسُورُونَ، فِي سَبَبِ وَصْفِ  
ضَيْوْفِ النَّبِيِّ إِبْرَاهِيمَ ﷺ بِالْمُكْرَمِينَ،  
أَرْبَعَةٌ أَقْوَالٌ (١٠٦)، جَمَعَهَا ابْنُ الْجَوْزِيِّ؛

المسير: ٨٢ / ٤، وتفسير القرطبي: ١٦ /  
١٠٥، وأنوار التنزيل: ٩٤ / ٥، ومدارك  
التنزيل: ٢٧٩ / ٣، وتفسير ابن كثير: ٧ /  
٢٣٦، ومحاسن التأويل ٨ / ٣٩٦.

(١٠٤) البحر المحيط: ٩ / ٣٨٦.

(١٠٥) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٥ / ٢٤٣.

(١٠٦) ينظر: جامع البيان: ٢٢ / ٤٢٤، ومعاني  
القرآن وإعرابه: ٥ / ٥٤، والكشف والبيان:

١١٧ / ٥، والنكت والعيون ٥ / ٣٦٩،  
ولطائف الإشارات: ٣ / ٤٦٦، والتفسير  
الوسيط للواحدي ٤ / ١٧٧، والوجيز  
لِلْوَاحِدِيِّ: ١٠٢٩، والكشاف: ٤ / ٤٠١،  
والمحرر الوجيز: ٥ / ١٧٧، وزاد المسير:  
٤ / ١٧٠، ومفاتيح الغيب: ٢٨ / ١٧٤،  
وتفسير القرطبي ١٧ / ٤٤، وأنوار التنزيل:  
٥ / ١٤٨، ومدارك التنزيل: ٣ / ٣٧٥، و  
البحر المحيط: ٩ / ٥٥٥، وتفسير القرآن  
الكريم لابن القيم: ٤٨٧، واللباب في علوم  
الكتاب: ١٨ / ٨١، ومعترك الأقران: ٣ /  
٢٤٩، ومحاسن التأويل: ٩ / ٤١.  
(١٠٧) زاد المسير: ٤ / ١٧٠.





هَؤُلَاءِ الضُّيُوفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ لَهُمْ مَنْزِلَةٌ مُكْرَمَةٌ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى. وَلَعَلَّ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ هُوَ مَا فَهَمَهُ الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ إِذْ بَيَّنَّ أَنَّ وَصْفَهُمْ بِالْمُكْرَمِينَ هُوَ مِنَ الْكَلَامِ الْمَوْجِبِ، لِأَنَّهُ يَحْتَمِلُ أَنَّهُمْ مُكْرَمُونَ لِأَنَّ النَّبِيَّ إِبْرَاهِيمَ أَكْرَمَهُمْ كَمَا هِيَ عَادَتُهُ مَعَ الضُّيُوفِ، أَوْ أَنَّهُمْ مُكْرَمُونَ لِأَنَّهُمْ مَلَائِكَةٌ لَهُمْ دَرَجَةٌ رَفِيعَةٌ هِيَ شَرَفُ الْقُرْبِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى؛ قَالَ: ((وَوَصَفُهُمْ بِالْمُكْرَمِينَ كَلَامٌ مُوجِبٌ لِأَنَّهُ يُوْهِمُ أَنَّ ذَلِكَ لِإِكْرَامِ إِبْرَاهِيمَ إِيَّاهُمْ كَمَا جَرَتْ عَادَتُهُ مَعَ الضُّيُوفِ وَهُوَ الَّذِي سَنَّ الْقِرَى، وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ اللَّهَ أَكْرَمَهُمْ بِرَفْعِ الدَّرَجَةِ لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ مُقَرَّبُونَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى كَمَا قَالَ: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ [سورة الأنبياء: ٢٦] وَقَالَ: ﴿كِرَامًا كَانِينَ﴾ [سورة الانفطار: ١١]) (١٠٨). وَلَعَلَّ النَّصَّ الْكَرِيمَ أَرَادَ هَذِهِ الْمَعَانِي جَمِيعًا مِنْ بَابِ الْإِتْسَاعِ لِيُؤَدِّيَ أَكْثَرَ مِنْ مَعْنَى فِي عِبَارَةٍ وَاحِدَةٍ إِجْزَاءً وَتَكْثِيفًا. وَقَدْ سَاعَدَ عَلَى هَذَا التَّعَدُّدِ الدَّلَالِيُّ طَرِيقَةُ صِيَاغَةِ الْجُمْلَةِ وَصِيَاغَةُ الْمَفْرَدَةِ بِحَيْثُ يَخْلُو

(١٠٨) التحرير والتنوير: ٢٦ / ٣٥٨.

النَّصِّ مِنَ الْقَرَائِنِ الَّتِي تُرْشِدُ الْقَارِئَ إِلَى دَلَالَةِ مُحَدَّدَةٍ مَطْلُوبَةٍ وَتَصْرِفُ ذَهَنَهُ عَنِ الدَّلَالَاتِ الْأُخْرَى.

٢٠- ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ (١٠)

فَسَلِّمْ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (١١) وَأَمَّا

إِنْ كَانَ مِنَ الْمَكْذِبِينَ الصَّالِينَ (١٢) فَتَزَلُّ

مِنْ حَمِيمٍ (١٣) وَتَصَلِيَةُ حَمِيمٍ﴾ [سورة

الواقعة: ٩٠ - ٩٤].

يَتَّفِقُ أَغْلَبُ الْمَفْسِّرِينَ عَلَى أَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتَصَلِيَةُ حَمِيمٍ﴾ هُوَ الْإِحْرَاقُ بِالنَّارِ وَمَقَاسَاتُهَا (١٠٩). وَلَكِنَّ الطَّاهِرَ بْنَ عَاشُورٍ وَجَدَ أَنَّ فِي اسْتِعْمَالِهَا عَلَى هَذَا النَّحْوِ الَّذِي اسْتَعْمَلَتْ فِيهِ هُنَا هُوَ مِنْ بَابِ الْكَلَامِ الْمَوْجِبِ؛ لِأَنَّهُ يُوْهِمُ أَنَّهُ يُصَلِّي لَهُ الشُّوَاءَ تَهَكُّمًا بِهِ، قَالَ: ((وَالْتَصْلِيَةُ: مَصْدَرٌ صَلَاةُ الْمَشْدَدِ،

(١٠٩) ينظر: جامع البيان: ٢٣ / ١٦٣، ومعاني القرآن وإعرابه: ٥ / ١١٨، والكشف والبيان: ٩ / ٢٢٥، والتفسير الوسيط: ٤ / ٢٤٢، والوجيز للواحد: ١٠٦٥، وتفسير البغوي: ٥ / ٢٣، وتفسير القرطبي: ١٧ / ٢٣٤، ومدارك التنزيل: ٣ / ٤٣١، وتفسير ابن كثير: ٧ / ٥٥١، وإرشاد العقل السليم: ٨ / ٢٠٢، وروح المعاني: ١٤ / ١٦١، ومحاسن التأويل ٩ / ١٣٥.



عَنِ الْمُنَافِقِينَ بَأْتَهُمْ لَيْسُوا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْخُلَاصَ، وَلَا مِنَ الْكَافِرِينَ الْخُلَاصَ بَلْ هُمْ مُدْبِدِينَ إِلَى هَوْلَاءِ وَإِلَى هَوْلَاءِ؛ عَلَى أَنَّ الضَّمِيرَ فِي «مَا هُمْ» عَائِدٌ عَلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا (وَهُمُ الْمُنَافِقُونَ)، وَالضَّمِيرُ فِي «مِنْهُمْ» عَائِدٌ عَلَى الْيَهُودِ، (وَالْتَقْدِيرُ: وَمَا الْمُنَافِقُونَ مِنَ الْيَهُودِ). وَالِدَّلَالَةُ الثَّانِيَّةُ: أَنَّهَا جُمْلَةٌ فِي حَلِّ نَصْبِ صِفَةٍ ثَانِيَّةٍ لِـ (قَوْمًا)؛ وَعَلَيْهِ، يَكُونُ الضَّمِيرُ فِي «مَا هُمْ» عَائِدًا عَلَى «قَوْمًا»، وَهُمْ الْيَهُودُ، وَالضَّمِيرُ فِي «مِنْهُمْ» عَائِدٌ عَلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا يَعْنِي: الْيَهُودَ الَّذِينَ هُمْ لَيْسُوا مِنْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، وَلَا مِنَ الْمُنَافِقِينَ، وَمَعَ ذَلِكَ تَوَلَّاهُمْ الْمُنَافِقُونَ (١١٢)، (وَالْتَقْدِيرُ مَا الْيَهُودُ مِنْكُمْ وَلَا مِنَ الْمُنَافِقِينَ). وَقَدْ حَلَّلَ الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ هَذِهِ الْجُمْلَةَ مُبَيِّنًا أَنَّهَا مُسْتَعْمَلَةٌ عَلَى طَرِيقَةِ الْكَلَامِ الْمَوْجِهٍ لِغَرَضِ تَكْثِيرِ الْمَعَانِي مَعَ الْإِيحَازِ، قَالَ: ((وَضَمِيرُ مَا هُمْ يُحْتَمَلُ أَنْ يَعُودَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا وَهُمْ الْمُنَافِقُونَ

(١١٢) ينظر: المحرر الوجيز: ٢٨٠ / ٥، والدر المصون: ٢٧٣ / ١٠، واللباب في علوم الكتاب ١٨ / ٥٥٣.

إِذَا أَحْرَقَهُ وَشَوَّاهُ، يُقَالُ: صَلَّى اللَّحْمَ تَصْلِيَةً، إِذَا شَوَّاهُ، وَهُوَ هُنَا مِنَ الْكَلَامِ الْمَوْجِهِ لِإِيهَامِهِ أَنَّهُ يُصَلَّى لَهُ الشَّوَاءُ فِي نُزُلِهِ عَلَى طَرِيقَةِ التَّهْكُمِ، أَيِ يُحْرَقُ بِهَا)) (١١٠).

٢١- ﴿الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة المجادلة: ١٤].

وَصَفَ النَّصُّ الْكَرِيمُ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ كَانُوا يَتَوَلَّوْنَ الْيَهُودَ الَّذِينَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، فَيُنَاصِحُونَهُمْ وَيَنْقُلُونَ إِلَيْهِمْ أَسْرَارَ الْمُؤْمِنِينَ = بَأْتَهُمْ لَيْسُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَلَا مِنَ الْيَهُودِ، وَبَأْتَهُمْ يَحْلِفُونَ كَذِبًا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١١١). وَقَدْ وَجَدَ ابْنُ عَطِيَّةٍ فِي هَذَا الْاسْتِعْمَالِ دَلَالَتَيْنِ، الْأُولَى عَلَى أَنَّ جُمْلَةَ (مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ) مُسْتَأْنَفَةٌ وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا

(١١٠) التحرير والتنوير: ٢٧ / ٣٥٠.

(١١١) ينظر: جامع البيان: ٢٣ / ٢٥٢، ومعاني القرآن وإعرابه: ١٤٠ / ٥، والكشاف: ٤ / ٤٩٥، والمحرر الوجيز: ٥ / ٢٨٠، ومفاتيح الغيب: ٢٩ / ٤٩٧، وتفسير القرطبي: ١٧ / ٣٠٤، وأنوار التنزيل: ٥ / ١٩٥، ومدارك التنزيل: ٣ / ٤٥١، والبحر المحيط: ١ / ١٢٨، وتفسير ابن كثير: ٨ / ٥٢، ومحاسن التأويل: ٩ / ١٧٧.



فَيَكُونُ جُمْلَةً مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ حَالًا  
مَنْ الَّذِينَ تَوَلَّوْا، أَي مَا هُمْ مُسْلِمُونَ وَلَا  
يَهُودٌ. وَيَجُوزُ أَنْ يَعُودَ الضَّمِيرُ إِلَى قَوْمًا  
وَهُمُ الْيَهُودُ. فَتَكُونُ جُمْلَةً مَا هُمْ مِنْكُمْ  
صِفَةً (قَوْمًا)، قَوْمًا لَيْسُوا مُسْلِمِينَ وَلَا  
مُشْرِكِينَ بَلْ هُمْ يَهُودٌ. وَكَذَلِكَ ضَمِيرُ  
وَلَا مِنْهُمْ يَحْتَمِلُ الْأَمْرَيْنِ عَلَى التَّعَاكُسِ  
وَكَلا الإِحْتِمَالَيْنِ وَقَعٌ. وَمُرَادٌ عَلَى طَرِيقَةِ  
الْكَلَامِ الْمَوْجِهَةِ تَكْثِيرًا لِلْمَعَانِي مَعَ الإِيجَازِ  
فَيُفِيدُ التَّعْجِيبَ مِنْ حَالِ الْمُنَافِقِينَ أَنْ  
يَتَوَلَّوْا قَوْمًا أَجَانِبَ عَنْهُمْ عَلَى قَوْمٍ هُمْ  
أَيْضًا أَجَانِبُ عَنْهُمْ، عَلَى أَنَّهُمْ إِنْ كَانَ  
يُفْرَقُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ اخْتِلَافُ  
الدِّينِ فَإِنَّ الَّذِي يُفْرَقُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ  
الْيَهُودِ اخْتِلَافُ الدِّينِ وَاخْتِلَافُ النَّسَبِ  
لِأَنَّ الْمُنَافِقِينَ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ عَرَبٌ وَيُفِيدُ  
بِالِإِحْتِمَالِ الْآخَرِ الإِخْبَارَ عَنِ الْمُنَافِقِينَ  
بِأَنَّ إِسْلَامَهُمْ لَيْسَ صَادِقًا، أَي مَا هُمْ  
مِنْكُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، وَهُوَ الْمَقْصُودُ.  
وَيَكُونُ قَوْلُهُ: وَلَا مِنْهُمْ عَلَى هَذَا  
الِإِحْتِمَالِ احْتِرَاسًا وَتَمِيمًا لِحِكَايَةِ حَالِهِمْ،  
وَعَلَى هَذَا الإِحْتِمَالِ يَكُونُ ذَمُّ الْمُنَافِقِينَ  
أَشَدَّ لِأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى حَمَاقَتِهِمْ إِذْ جَعَلُوا لَهُمْ

أَوْلِيَاءَ مَنْ لَيْسُوا عَلَى دِينِهِمْ فَهُمْ لَا يُوثَقُ  
بِوَلَايَتِهِمْ وَأَضْمَرُوا بُغْضَ الْمُسْلِمِينَ فَلَمْ  
يُصَادِفُوا الدِّينَ الْحَقَّ)) (١١٣). وَمَرَدُّ هَذِهِ  
الِإِحْتِمَالَاتِ هُوَ الْإِخْتِلَافُ فِي قِرَاءَةِ  
مَرْجِعِيَّاتِ الضَّمَائِرِ الَّتِي تَضَمَّنَهَا النَّصُّ  
الْكَرِيمُ؛ إِذْ يَصْلُحُ لَهَا أَنْ تَعُودَ فِي كُلِّ  
قِرَاءَةٍ تَفْسِيرِيَّةٍ عَلَى مَرْجِعٍ مُخْتَلِفٍ يُؤَدِّي  
إِلَى اخْتِلَافِ الْمَعْنَى وَتَكْثِيرِهِ لَا خِلَافَهُ  
وَتَعَارُضِهِ.

٢٢- ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ  
إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ  
التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ  
فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾  
[سورة الصف: ٦].

يَحْتَمِلُ الضَّمِيرُ الْمُسْتَرَّ فِي قَوْلِهِ  
تَعَالَى: ﴿جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ وَجِهَيْنِ،  
أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ عَائِدًا عَلَى النَّبِيِّ  
عِيسَى عليه السلام، وَالْآخَرُ: أَنْ يَكُونَ عَائِدًا  
عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، وَذَلِكَ نَظْرًا إِلَى أَثَرِ  
السِّيَاقِ الْعَامِّ، وَقَدْ التَفَتَ إِلَى هَذَا الْأَثَرِ  
ابْنُ عَطِيَّةَ، قَالَ: ((وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا  
جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾، الْآيَةُ يَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ  
(١١٣) التحرير والتنوير: ٢٨ / ٤٨.



قَبِيلِ الْكَلَامِ الْمَوْجَّهِ لِنَوْسِيعِ مَسَاحَةِ  
الِاحْتِمَالَاتِ الدَّلَالِيَّةِ الَّتِي قَدْ تَكُونُ  
مُرَادَةً مَعَ الْمَحَافِظَةِ عَلَى الْإِيْجَازِ، قَالَ:  
(وَقَوْلُهُ: فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا  
سِحْرٌ مُّبِينٌ هُوَ مَنْطِقُ الْأَذَى. فَإِنَّ الْمُتَبَادِرَ  
أَنْ يَعُودَ ضَمِيرُ الرَّفْعِ فِي قَوْلِهِ: جَاءَهُمْ  
إِلَى عِيسَى، وَأَنْ يَعُودَ ضَمِيرُ النَّصْبِ  
إِلَى الَّذِينَ خَاطَبَهُمْ عِيسَى. وَالتَّقْدِيرُ:  
فَكَذَّبُوهُ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْمُعْجَزَاتِ قَالُوا  
هَذَا سِحْرٌ أَوْ هُوَ سَاحِرٌ. وَيُحْتَمَلُ أَنْ  
يَكُونَ ضَمِيرُ الرَّفْعِ عَائِدًا إِلَى رَسُولٍ  
يَأْتِي مِنْ بَعْدِي. وَضَمِيرُ النَّصْبِ عَائِدًا  
إِلَى لَفْظِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَيْ بَنِي إِسْرَائِيلَ  
غَيْرَ الَّذِينَ دَعَاهُمْ عِيسَى ﷺ، ...، أَيْ  
فَلَمَّا جَاءَهُمُ الرَّسُولُ الَّذِي دَعَاهُ عِيسَى  
بِاسْمِ أَحْمَدَ بِالْبَيِّنَاتِ، أَيْ دَلَائِلِ انْتِبَاقِ  
الصِّفَاتِ الْمَوْجُودِ بِهَا قَالُوا هَذَا سِحْرٌ أَوْ  
هَذَا سَاحِرٌ مُّبِينٌ فَيَكُونُ هَذَا التَّرْكِيبُ  
مُبِينٌ مِنْ قَبِيلِ الْكَلَامِ الْمَوْجَّهِ. وَحَصَلَ  
أَذَاهُمْ بِهَذَا الْقَوْلِ لِكَلَا الرَّسُولَيْنِ.  
فَالْجُمْلَةُ عَلَى هَذَا الْإِحْتِمَالِ تُحْمَلُ عَلَى  
أَنَّهَا اعْتِرَاضٌ بَيْنَ الْمُتَعَاظِمَاتِ وَمَهْدَةٌ  
لِلتَّخَلُّصِ إِلَى مَذْمَةِ الْمُشْرِكِينَ وَغَيْرِهِمْ

عِيسَى، وَتَكُونُ الْآيَةُ وَمَا بَعْدَهَا تَمْثِيلًا  
بِأَوْلَئِكَ لَهُؤُلَاءِ الْمَعَاصِرِينَ لِمُحَمَّدٍ ﷺ،  
وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ التَّمْتِيلُ قَدْ فَرَّغَ عِنْدَ  
قَوْلِهِ: اسْمُهُ أَحْمَدُ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى ذِكْرِ أَحْمَدَ  
لَمَا تَطَرَّقَ ذِكْرُهُ، فَقَالَ مُحَاطَبَةً لِلْمُؤْمِنِينَ،  
فَلَمَّا جَاءَ أَحْمَدُ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارَ قَالُوا هَذَا  
سِحْرٌ مُّبِينٌ)) (١١٤). وَذَهَبَ التَّعَالِيُّ إِلَى  
أَنَّ الْوَجْهَ الْأَوَّلَ - وَهُوَ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ  
الضَّمِيرُ رَاجِعًا إِلَى النَّبِيِّ عِيسَى ﷺ - هُوَ  
الْأَظْهَرُ هُنَا (١١٥). فِي حِينَ ذَكَرَ السُّيُوطِيُّ  
لِكُلِّ إِحْتِمَالٍ مِنْهُمَا مَا يُؤَيِّدُهُ، قَالَ:  
(يُحْتَمَلُ أَنْ يُرِيدَ عِيسَى أَوْ مُحَمَّدًا - صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ. وَيُؤَيِّدُ الْأَوَّلَ اتِّصَالُهُ  
بِمَا قَبْلَهُ. وَيُؤَيِّدُ الثَّانِي: ﴿وَهُوَ يُدْعَى إِلَى  
الْإِسْلَامِ﴾، لِأَنَّ الدَّاعِيَ إِلَى الْإِسْلَامِ  
هُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ)) (١١٦). وَبَيْنَ الطَّاهِرِ  
بْنِ عَاشُورٍ أَنَّ هَذَا الْأُسْلُوبَ هُوَ مِنْ

(١١٤) المحرر الوجيز: ٣٠٣ / ٥، وينظر:  
جامع البيان ت شاكر ٢٣ / ٣٥٩، و  
مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ٢٩ /  
٥٢٩، و تفسير القرطبي ١٨ / ٨٤، و  
اللباب في علوم الكتاب ١٩ / ٥٤.  
(١١٥) ينظر: الجواهر الحسان: ٥ / ٤٢٧.  
(١١٦) معترك الأقران: ٣ / ١١١.



مَنْ لَمْ يَقْبَلْ دَعْوَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ)) (١١٧).

٢٣- ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَبِّحْهُ

وَيُبَصِّرُونَ ﴿٥﴾ يَا أَيُّكُمْ الْمَفْتُونُ ﴿٦﴾

[سورة القلم: ٤- ٦].

يَذْكُرُ الْمَفْسُورُونَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿يَا أَيُّكُمْ الْمَفْتُونُ﴾ أَوْجُهَا (١١٨)، جَمَعَهَا

الماوردي، قَالَ: ((﴿يَا أَيُّكُمْ الْمَفْتُونُ﴾ فِيهِ

أَرْبَعَةٌ أَوْجُهٌ: أَحَدُهَا: يَعْنِي الْمَجْنُونُ، قَالَه

الضحَّاكُ. الثَّانِي: الضَّالُّ، قَالَه الْحَسَنُ.

(١١٧) التحرير والتنوير: ٢٨ / ١٨٦ - ١٨٧.

(١١٨) معاني القرآن للفراء ٣ / ١٧٣،

وجامع البيان: ٢٣ / ٥٣٠، ومعاني

القرآن وإعرابه للزجاج ٥ / ٢٠٤ -

٢٠٥، وإعراب القرآن للنحاس ٥ / ٥،

والكشف والبيان: ١٠ / ١١، ومشكل

إعراب القرآن: ٢ / ٧٤٩، والنكت في

القرآن الكريم: ٥٠٩، والمفردات في

غريب القرآن: ٦٢٤ - ٦٢٥، وغرائب

التفسير وعجائب التأويل ٢ / ١٢٣٧،

وتفسير البغوي: ٥ / ١٣٥، والكشاف:

٤ / ٥٨٦، وزاد المسير: ٤ / ٣٢٠،

ومفاتيح الغيب: ٣٠ / ٦٠٢، وتفسير

القرطبي ١٨ / ٢٢٩، ومدارك التنزيل:

٣ / ٥١٩، والبحر المحيط: ١٠ / ٢٣٧،

والدر المصون: ١٠ / ٤٠١، واللباب في

علوم الكتاب: ٤ / ١٨ - ١٩، والجواهر

الحسان: ٥ / ٤٦٥.

الثَّالِثُ: الشَّيْطَانُ، قَالَه مُجَاهِدٌ. الرَّابِعُ:

المُعَذَّبُ مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ: فَتَنَتْ الذَّهَبَ

بِالنَّارِ إِذَا أَحْمَيْتَهُ)) (١١٩). وَمَنْ يَتَأَمَّلُ فِي

أَقْوَالِ الْمَفْسِرِينَ عَلَى هَذَا الْمَوْضِعِ مِنْ

الآيَةِ الْكَرِيمَةِ يَجِدُ أَنَّهَا نَاتِجَةٌ مِنَ التَّأْوِيلِ

فِي ضَوْءِ الْقَوْلِ بِزِيَادَةِ الْهَمْزَةِ أَوْ عَدَمِ

زِيَادَتِهَا، أَوْ بِاخْتِلَافِ النَّظْرِ إِلَى (مَفْتُونٍ)

بَيْنَ أَنْ تَكُونَ اسْمَ مَفْعُولٍ أَوْ مَصْدَرًا عَلَى

غَيْرِ قِيَاسٍ. وَلَكِنَّ هَذِهِ الْأَسْبَابَ الَّتِي

أَدَّتْ إِلَى تَعَدُّدِ الْأَقْوَالِ الدَّلَالِيَّةِ لِكَلِمَةِ

(المَفْتُونِ) لَمْ تَمْنَعْ الطَّاهِرَ بْنَ عَاشُورٍ مِنْ

الذَّهَابِ إِلَى أَنَّ اسْتِعْمَالَهَا جَاءَ عَلَى طَرِيقَةِ

الْكَلَامِ الْمَوْجِهَةِ؛ قَالَ: ((والمَفْتُونُ: اسْمُ

مَفْعُولٍ وَهُوَ الَّذِي أَصَابَتْهُ فَتْنَةٌ، فَيَجُوزُ

أَنْ يُرَادَ بِهَا هُنَا الْمَجْنُونُ فَإِنَّ الْمَجْنُونَ يُعَدُّ

فِي كَلَامِ الْعَرَبِ مِنْ قَبِيلِ الْفِتْنَةِ (يَقُولُونَ

لِلْمَجْنُونِ: فَتَنَتْهُ الْجِنُّ) وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ مَا

يَصْدُقُ عَلَى الْمُضْطَرَبِ فِي أَمْرِهِ الْمَفْتُونِ فِي

عَقْلِهِ حَيْرَةٌ وَتَقْلُقًا، بِإِثَارِ هَذَا اللَّفْظِ،

دُونَ لَفْظِ الْمَجْنُونِ مِنَ الْكَلَامِ الْمَوْجِهَةِ أَوْ

التَّوْرِيَّةِ لِيَصِحَّ فَرْضُهُ لِلْجَانِبَيْنِ)) (١٢٠).

(١١٩) النكت والعيون: ٦ / ٦٢.

(١٢٠) التحرير والتنوير: ٢٩ / ٦٦.



## الخاتمة ونتائج البحث:

خَاصَّةً مِنْ خَصَائِصٍ تُسَاعِدُ عَلَى هَذَا  
الِاتِّسَاعِ وَالِاحْتِمَالِ وَالْتَعَدُّدِ؛ مِنْهَا  
ظَاهِرَةٌ الْأَشْتِرَاكِ اللَّفْظِيِّ إِذْ تَحْتَمِلُ بَعْضُ  
الْأَلْفَاظِ دَلَالَاتٍ مُخْتَلِفَةً مِنْهَا مَا لَمَسْنَاهُ،  
مَثَلًا، فِي كَلِمَةِ (رَبِّ) وَ(الْمَفْتُونِ) كَمَا مَرَّ  
بِنَا. كَمَا أَنَّ مِنْ أَسْبَابِ التَّعَدُّدِ الدَّلَالِيِّ  
اسْتِعْمَالَ الضَّمَائِرِ عَلَى نَحْوِ يَسْمَحُ بِانْفِتَاحِ  
النَّصِّ عَلَى الدَّلَالَاتِ وَالْمَعَانِي الْمُقْصُودَةِ  
وَلَيْسَتْ الْاِعْتِبَاطِيَّةِ. وَلَا بُدَّ مِنَ التَّنْبِيهِ  
عَلَى أَمْرِ مُهِمٍّ هُنَا وَهُوَ أَنَّ هَذَا الْفَنَّ يَبْدُو  
أَكْثَرَ وَضُوحًا فِي التَّحْلِيلَاتِ اللَّغَوِيَّةِ  
وَالْبَلَاغِيَّةِ عِنْدَ الْمُتَأَخِّرِينَ وَالْمُحَدِّثِينَ،  
مِمَّا هُوَ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمُتَقَدِّمِينَ، وَذَلِكَ لِأَنَّ  
هَذَا الْفَنَّ مَبْنِيٌّ عَلَى تَعَدُّدِ الْقِرَاءَاتِ  
لِلنَّصِّ الْوَاحِدِ، (سِوَاةِ عِنْدَ عَالِمٍ وَاحِدٍ  
أَوْ عِنْدَ عُلَمَاءٍ مُخْتَلِفِينَ وَمُتَتَابِعِينَ)، وَمِنْ  
ثُمَّ فَإِنَّ الْمَفْسِّرِينَ وَالْبَلَاغِيِّينَ الْمُتَأَخِّرِينَ  
وَالْمُحَدِّثِينَ وَجَدُوا أَمَامَهُمْ زَادًا وَافِرًا  
مِنَ الْأَرَءِ وَالِاجْتِهَادَاتِ الَّتِي يَتَبَيَّنُ مِنْ  
دِرَاسَتِهَا وَتَحْلِيلِهَا وَمُحَاكَمَتِهَا أَنَّهَا تُؤَدِّي  
إِلَى الْقَوْلِ بِالْكَلامِ الْمَوْجِهِ الَّذِي تَحْتَمِلُ  
الْعِبَارَةُ فِيهِ دَلَالَاتٍ عِدَّةً. وَلَا تَفُوتُنَا  
الإِشَارَةُ هُنَا إِلَى أَنَّ مِنْ أَهَمِّ الْمَفْسِّرِينَ

وَيَطِيبُ لَنَا فِي خِتَامِ هَذِهِ الرُّحْلَةِ  
الْعِلْمِيَّةِ فِي نُصُوصِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَفِي  
عُقُولِ الْمَفْسِّرِينَ وَاللُّغَوِيِّينَ الَّتِي تَعَكِّسُهَا  
قِرَاءَاتُهُمْ لِتِلْكَ النُّصُوصِ الْكَرِيمَةِ أَنْ  
نَخْلُصَ إِلَى الْقَوْلِ بِأَنَّ الْكَلَامَ الْمَوْجِهَ  
فَنُّ لُغَوِيٌّ بِلَاغِيٌّ أَشَارَ إِلَيْهِ عَدَدٌ كَبِيرٌ  
مِنَ اللَّغَوِيِّينَ وَالْبَلَاغِيِّينَ الْقَدَمَاءِ  
وَالْمُتَأَخِّرِينَ، وَقَدْ أَطْلَقَ عَلَيْهِ الْقَدَمَاءُ  
أَسْمَاءً مُخْتَلِفَةً مِنْهَا التَّوْجِيهُ وَالِإِيهَامُ  
وَالِإِيهَامُ وَالتَّوْرِيَّةُ، وَهُمْ يُرِيدُونَ بِهِ: أَنْ  
يُدَلَّ النَّصُّ اللَّغَوِيُّ عَلَى مَعَانٍ مُتَعَدِّدَةٍ  
مُحْتَمَلَةٍ وَلَيْسَتْ مُتْكَلِفَةً، فَتَبْدُو الدَّلَالَاتُ  
الْمُخْتَلِفَةُ مَقْبُولَةً وَهَهَا مَا يُؤَيِّدُهَا فِي  
النُّصُوصِ؛ لِحُلُولِ هَذِهِ النُّصُوصِ مِنْ  
الْقِرَائِنِ الَّتِي تُرْجِحُ وَجْهًا عَلَى آخَرَ،  
مِنْ جِهَةٍ، وَلِأَنَّ الْعِبَارَةَ الْقُرْآنِيَّةَ عِبَارَةً  
مُعْجِزَةً صِيغَتِ الْأَلْفَاظُ فِيهَا عَلَى نَحْوِ  
بَلِيغٍ وَنَسِجَتِ التَّرَاكِبُ فِيهَا نَسْجًا  
دَقِيقًا، يُتَبَيَّنُ لِلْمُتَلَقِّيِّ أَنَّ يَقْرَأَ النَّصَّ  
الْكَرِيمَ قِرَاءَاتٍ عِدَّةً لَا قِرَاءَةً وَاحِدَةً.  
وَلَعَلَّ مِمَّا أَتَاكَ هَذَا التَّعَدُّدُ فِي الدَّلَالَاتِ  
مَا تَمَّازَ بِهِ اللَّعْنَةُ الْعَرَبِيَّةُ عَامَّةً وَالْقُرْآنِيَّةُ



الَّذِينَ عُنُوا بِالْكَشْفِ عَنْ صُورِ هَذَا الْفَنِّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَيَبَانِ أَثَرُهُ فِي دَلَالَةِ النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ - كَمَا ظَهَرَ مِنَ الْبَحْثِ - هُمْ: الماوردي والرّازي وأبو حيان الأندلسي من القدماء، والطاهر بن عاشور من المحدثين.

**مصادر البحث ومراجعته:**

- الإتيقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: سنة ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤ م.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العماد محمد بن محمد بن مصطفى (ت ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- إعراب القرآن المنسوب للزجاج، جامع العلوم الأصفهاني الباقولي (ت نحو ٥٤٣هـ)، تحقيق ودراسة: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري - القاهرة ودار الكتب اللبنانية - بيروت، ط: ٤، ١٤٢٠هـ.
- إعراب القرآن للنحاس، أبو جعفر

التَّحْسِينُ النحوي (ت ٣٣٨هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ١٤٢١هـ.

- إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت ١٤٠٣هـ)، دار الإرشاد للشؤون الجامعية - سورية، (دار اليمامة - دمشق - بيروت)، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت)، ط: ٤، ١٤١٥هـ.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: ١ - ١٤١٨هـ.
- أنوار الربيع في أنواع البديع، ابن معصوم المدني (ت ١١١٩هـ).
- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، ط: سنة ١٤٢٠هـ.



- البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط: ١، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.
- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي (ت ١٣٩١هـ)، مكتبة الآداب، ط: ١٧، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.
- التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت ٦١٦هـ)، تحقيق: علي محمد الجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، عبد العظيم بن الواحد بن ظفر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري (ت ٦٥٤هـ)، تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي.
- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤هـ.
- تفسير ابن كثير «تفسير القرآن العظيم»، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: ٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن «تفسير البغوي»، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار





- إحياء التراث العربي - بيروت، ط: ١، ١٤٢٠ هـ.
- تفسير الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ)، جزء ١: المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة، تحقيق ودراسة: د.محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب - جامعة طنطا، ط: ١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، جزء ٢، ٣: تحقيق ودراسة: د. عادل بن علي الشّدي، دار الوطن - الرياض، ط: ١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، جزء ٤، ٥: تحقيق ودراسة: د. هند بنت محمد بن زاهد سردار، كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى، ط: ١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
- تفسير القرآن الكريم (ابن القيم)، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ)، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية، دار ومكتبة الهلال - بيروت، ط: ١، ١٤١٠ هـ.
- الجامع لأحكام القرآن «تفسير القرطبي»، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط: ٢، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.
- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت ٤٦٨ هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: ١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.
- جامع البيان في تأويل القرآن «تفسير الطبري»، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: ١، ١٤١٠ هـ.



- ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م. - ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: محمد
- الجدول في إعراب القرآن الكريم، - أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف- القاهرة، ط٣، ١٩٩٠.
- محمود بن عبد الرحيم صافي (ت ١٣٧٦هـ)، دار الرشيد، دمشق - مؤسسه الإيوان، بيروت، ط: ١، ١٤١٨هـ.
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت ٨٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: ١، ١٤١٨هـ.
- خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي (ت ٨٣٧هـ)، تحقيق: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال - بيروت، دار البحار - بيروت، ط: الطبعة الأخيرة، ٢٠٠٤م.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمن الحلبي (ت ٧٥٦هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي (ت ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: ١، ١٤١٥ هـ.
- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط: ١، ١٤٢٢ هـ.
- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي (ت ٧٤٥هـ)، المكتبة العنصرية - بيروت، ط: ١، ١٤٢٣ هـ.
- غرائب التفسير وعجائب التأويل، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرمانى، ويعرف بتاج القراء (ت نحو ٥٠٥هـ)، دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة، مؤسسة





- علوم القرآن - بيروت.
- غريب القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.
- غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب، محمد بن عزيير السجستاني العُزيري (ت ٣٣٠هـ)، تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران، دار قتيبة - سوريا، ط: ١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.
- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، ط: ٣، ١٤٠٧ هـ.
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط: ١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.
- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت ٧٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، ط: ١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- لطائف الإشارات «تفسير القشيري»، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت ٤٦٥هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، ط: ٣.
- مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري (ت ٢٠٩هـ)، تحقيق: محمد فواد سزكين، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط: سنة ١٣٨١ هـ.
- محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت ١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: ١، ١٤١٨ هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب

العزیز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: ١، ١٤٢٢هـ.

مدارك التنزيل وحقائق التأويل «تفسير النسفي»، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط: ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

معاني القرآن، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (ت ٣٣٨هـ)، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، ط: ١، ١٤٠٩هـ.

مشكل إعراب القرآن، أبو محمد مكّي بن أبي طالب حَمُوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت ٤٣٧هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط: ٢، ١٤٠٥هـ.

معاني القرآن للأخفش، أبو الحسن

المعاني المعروف بالأخفش الأوسط (ت ٢١٥هـ)، تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط: ١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت ٢٠٧هـ)، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، ط: ١.

معاني القرآن، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (ت ٣٣٨هـ)، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، ط: ١، ١٤٠٩هـ.

معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ)، عالم الكتب - بيروت، ط: ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

معترك الأقران في إعجاز القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار الكتب



- العلمية - بيروت - لبنان، ط: ١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- مفاتيح الغيب «تفسير الرازي أو التفسير الكبير»، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦ هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: ٣، ١٤٢٠ هـ.
- مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (ت ٦٢٦ هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: ٢، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، ط: ١، ١٤١٢ هـ.
- النكت في القرآن الكريم (في معاني

- القرآن الكريم وإعرابه)، علي بن فضال بن علي بن غالب المجاشعي القيرواني، أبو الحسن (ت ٤٧٩ هـ)، دراسة وتحقيق: د. عبد الله عبد القادر الطويل، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: ١، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.
- النكت والعيون «تفسير الماوردي»، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠ هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت.
- نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (ت ٧٣٣ هـ)، دار الكتب والوثائق القومية - القاهرة، ط: ١، ١٤٢٣ هـ.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين

الحمد لله حميد، مالك يوم الدين

إياك نعبد وإياك نستعين اهتدنا

الصراط المستقيم صراط الذين

أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم

ولا الضالين

نافذة

# المصباح

العرضُ وَ النقدُ وَ التعريفُ

المحتويات

- تعقيب ورأي
- أ.د. أحمد مطلوب
- سمات دلالات الآيات القرآنية في المسائل الفقهية عند الوحيد البهبهاني  
عرض/ ناصر النجفي
- تعريف علوم القرآن في تفسير (مواهب الرحمن)  
د. حسين علي حسين المهدي

## تعقيب ورأي

تعقيب معالي الاستاذ الدكتور احمد مطلوب  
رئيس المجمع العلمي العراقي على بحث  
الدكتور حسين سيدي و غلام رضا طاهري  
حول صلة التناص بين القرآن الكريم والشعر  
الجاهلي ورأي المجلة في فحوى التعقيب.

بسم الله الرحمن الرحيم

العتبة الحسينية المقدسة - كربلاء المقدسة

الاستاذان محمد علي هدو وحميد مجيد هدو

محررا مجلة (المصباح)

تحية طيبة:

تسلمت بيد الشكر العدد الثاني والعشرين من (مجلة المصباح) وحمدت لكم هذا  
الجهد العظيم والعمل المتواصل في خدمة (القرآن المجيد).

وقع نظري على عنوان بحث الأستاذين حسين سيدي و غلام رضا طاهري وهو  
(دراسة صلة التناص بين القرآن والشعر الجاهلي) فتعوذت من الشيطان الرجيم، إذ  
كيف يكون تناص بين كتاب الله والشعر الجاهلي، والتناص كما هو معروف "العلاقة  
بين نصين أو أكثر، وهي التي تؤثر في طريقة النص المتناص، أي الذي تقع فيه آثار  
نصوص اخرى أو أصداؤها" والتناص بمعنى آخر "أحد مميزات النص الأساسية التي  
تحيل على نصوص أخرى سابقة عنها أو معاصرة لها". وكان كلام الباحثين واضحا،  
قالا: "يرتكز التناص على الفكرة التي تقوم على بناء الآثار الأدبية على أساس الأنظمة



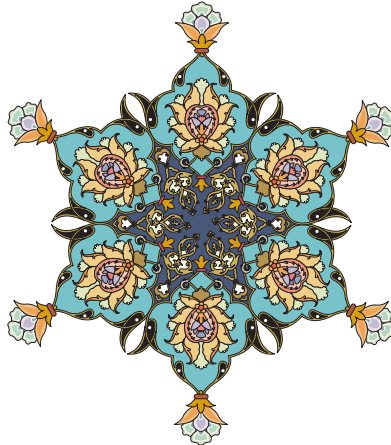
والرموز والتقاليد الناجمة عن الآثار الأدبية السابقة "

فأين هذا المعنى لمصطلح (التناصر) intertextualite intertextuality من البحث المذكور الذي يدخل في الدراسة اللغوية التي يشترك فيها القرآن الكريم والمتكلم باللغة العربية، وإن كان للقرآن أسلوبه المعجز ولغته السامية التي جاءت على وجه الحقيقة حيناً وعلى وجه المصطلح الاسلامي حيناً مما يدخل في تطور الدلالة التي بحثت ومن ذلك كتاب (التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن) للدكتور (عودة خليل أبو عودة).

إن تطبيق مصطلح (التناصر) على البحث اللغوي يخرج عن المعنى الدقيق، وما هدف إليه (القرآن الكريم) الذي نزل بلسان عربي مبين ليكون دستور أمن ورخاء للبشرية جمعاء.

أحمد مطلوب

رئيس المجمع العلمي - بغداد



## رأي المجلة

معالي الاستاذ الدكتور العلامة أحمد مطلوب

رئيس المجمع العلمي العراقي المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته - أرجو أن يكون سيادتكم وعقيلتكم المصون في أتم الصحة.

تسلمنا بيد الشكر تعقيبكم والحوظاتكم حول عنوان البحث الذي نشرناه للاستاذ الدكتور (البروفسور بحسب تنسيب الجامعات الايرانية، حسين سيدي وغلان رضا طاهري) وهو: (دراسة صلة التناص بين القرآن الكريم والشعر الجاهلي). ومن خلال قراءة تعقيب معاليكم على البحث، فهمنا أن الاعتراض منصب على العنوان ودلالة كلمة (التناص) على فحوى البحث. وقد حفزنا اعتراض معاليكم على هذه الاشكالية على إعادة قراءة البحث بدقة متناهية ووصلنا الى أن ما عرضه الباحث لا يدخل ضمن معنى (التناص) وانما يدخل ضمن (التوافق المعنوي) وتطوير استعمال مفهوم الكلمة الجاهلية لكي تلبس حلّة جديدة أذهلت أذواق العرب واعجزتهم عن أن يأتوا بمثلها.

ونحن في الوقت الذي نكبر في معاليكم دقة اطلاعكم وتتبعكم لأبحاث المجلة وهو ما نرجوه من كل اعضاء الهيئة الاستشارية للمجلة، فأنا سوف ننشر تعقيبكم الحصيف نصاً ونخاطب به الباحث في جامعة فردوسي وهي من الجامعات الرصينة في ايران للدفاع عن وجهة نظره واعلامنا.

مرة أخرى نثمن فيكم هذا الاهتمام بما ينشر عن القرآن الكريم ونأمل من معاليكم المزيد خدمة لكتاب الله العزيز ودمتم بخير...

تلميذكم الوفي

محمد علي هدو

رئيس التحرير

# سمات دلائل آيات القرآنية في المسائل الفقهية عند الوحيد البهبهاني في كتابه (مصباح الظلام في شرح مفاتيح الشرائع)

عرض: ناصر النجفي

باحث في مركز التحقيقات الاسلامية

العتبة الرضوية المقدسة

## خلاصة البحث

يستعرض هذا البحث الآيات القرآنية التي استدلل بها العلامة الكبير والفقير التحرير الوحيد البهبهاني؛ على آرائه في شتى الأبواب الفقهية الواردة بين دفتي كتابه القيم «مصباح الظلام في شرح مفاتيح الشرائع»، ويستقرئ بإمعان نهجه في هذا المضمار. ويكاد يتضمّن هذا السفر -فضلاً عما فيه من علوم -تفسيراً مميّزاً للقرآن الكريم، لولا نقصان سائر أبواب الفقه منه.

واستوعب البحث أنواع دلالته الفقهية وأنماطها، كالدليل التفسيري، والدليل اللغوي: السماعي والقياسي، ودليل العموم، ودليل اليسر.

وتضمّن أيضاً مقدّمة وخاتمة واستنتاجاً، وتلا ذلك قائمة بالمصادر. ويغلب الأسلوب الوصفي على مقدّمة البحث وعرضه وربطه، بينما يغلب الأسلوب التحليلي خاتمته واستنتاجه، فهو بصورة عامة أسلوب وصفي تحليلي. ونستمدّ منه تعالى التوفيق والسداد.

## مسرد الألفاظ

الأدلة القرآنية، تفسير الآيات، السماع والقياس، العموم في الآيات، اليسر في الأحكام، الاعتدال والعزوف عن الاعتساف.

### المقدمة:

### بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله تعالى استتماماً لنعمته، واستسلاماً لعزته، واستعصاماً من معصيته، وأستعينه فاقة إلى كفايته. وأصليّ وأسلم على محمد عبده ورسوله الصفيّ، وأمينه الرضيّ، وعلى آله الطيبين الأخيار، الهداة الأبرار.

نتناول هنا دلالات آيات القرآن التي توّسل بها العلامة الوجيه، والنحرير الفقيه، الوحيد البهبهاني رحمته الله إلى دعم حججه الفقهية، ونستقرئ أمثله التي استخدمها في هذا المضمار، ريثما نحيط بنهجه الرّاجح، ومسلكه الواضح.

و قد عكفنا -لهذه الغاية- على استقصاء الآيات التي استشهد بها في كتابه القيم «مصباح الظلام في شرح مفاتيح الشرائع»، وأمعنا في أنماط بحثه ومخايل كلامه، ووقفنا على دلائله الناطقة، وشواهد الصادقة.

وكان قد ألمّ خلال بحثه بجميع أساليب الحجاج، من تعميم وتخصيص، وإطلاق وتقييد، وظنّ ويقين، ومباينة وموافقة، ومنع وإباحة، ووسعة وحصر، وقوة وضعف، وتخيير وإلزام. كما نزع في استدلاله كثيراً إلى التعليل، والتقرير، والاحتمال، والاستظهار، والاستنتاج، والاستشهاد، وغير ذلك من الأسباب التي استعملها في هذا السفر العظيم، وهي تشهد على حذقه و طول باعه في المسائل الفقهية، وسداد رأيه ونفاذ بصيرته في تأييد الآراء أو ردّها.

### أنماط أدلته القرآنية:

انكفاً الوحيد البهبهانيّ؛ على الاستدلال بآيات القرآن بأنماط وطرق شتى، ومنها:

أولاً: الدليل التفسيريّ:

اهتدى إلى تفسير الآيات بنفسه تارة، وبآراء المفسرين تارة أخرى، وفيما يلي بعض

الأمثلة لذلك:

١. استدلل بقوله تعالى: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [سورة النساء: ٤٣]، على وجوب



طهارة التراب، فقال: (فَسَّرَ طَيِّبًا بِالطَّاهِرِ)<sup>(١)</sup>.

وهو ما ذهب إليه جلّ المفسّرين، ومنهم ثقة الإسلام الطبرسي<sup>(٢)</sup>، والقرطبي<sup>(٣)</sup>.

٢. نسب إلى جمع من المفسّرين أنّ الحقّ المذكور في قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ

حَصَادِهِ﴾ [سورة الأنعام: ١٤١]، هو الزكاة<sup>(٤)</sup>.

وهو قول أنس وابن عباس وطاوس والحسن وابن زيد وابن الحنفية والضحاك

وسعيد بن المسيّب<sup>(٥)</sup>، وإليه ذهب الطبرسي<sup>(٦)</sup>.

٣. قال في الآية ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [سورة الأعراف: ٣١]: «فَسَّرَتِ الزَّيْنَةُ

بستر العورة في الصّلاة والطّواف»<sup>(٧)</sup>.

ذكره الطبرسيّ ونسبه إلى جماعة من المفسّرين<sup>(٨)</sup>، ونسبه القرطبيّ إلى ابن عباس؛ قال:

كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة... فنزلت هذه الآية<sup>(٩)</sup>.

٤. قال في قوله: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ [سورة الأعراف: ١٩٩]: «فَسَّرَ الْعَفْوَ بِالْقَدْرِ الْفَاضِلِ

عن الحاجة»<sup>(١٠)</sup>.

وهو قول الطبرسيّ: أي خذ يا محمّد ما عفا من أموال النّاس، أي ما فضل من

التّفقّة<sup>(١١)</sup>.

(١) مصابيح الظّلام (٤: ٣٢٤).

(٢) مجمع البيان (٣: ١٠٩).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٥: ٢٣٦).

(٤) المصابيح (١٠: ١٣١).

(٥) الجامع (٧: ٩٩).

(٦) المجمع (٤: ١٩٧).

(٧) المصابيح (٦: ١٢٧).

(٨) المجمع (٤: ٢٦٩).

(٩) الجامع (٧: ١٨٩).

(١٠) المصابيح (١٠: ٧٦).

(١١) المجمع (٤: ٤٥٠).



سهات دلالات الآيات القرآنية في المسائل الفقهية ..... المصباح

٥. قال في أحكام الحيض: «في التفسير: انقضاء شهر تحصل الرية»<sup>(١٢)</sup>، مستشهدًا بقوله تعالى: ﴿إِنْ أَرَبْتُمْ﴾ [سورة الطلاق: ٤].

ورد في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «ما جاز الشهر فهو رية»<sup>(١٣)</sup>.  
٦. نسب إلى المفسرين قولهم: إن المراد من قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ [سورة الأعلى: ١٤]، زكاة الفطرة وصلاة العيد<sup>(١٤)</sup>.

وهو ما ذكره علي بن إبراهيم القمي في تفسيره<sup>(١٥)</sup>.  
ثانيًا: الدليل اللغوي:

أ. دليل السماع:

١. استدل على جهة القبلة للبعيد عند عدم التمكن بقوله تعالى: ﴿فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ سَطْرَهُ﴾ [سورة البقرة: ١٥٠]. وفسر الشطر بالسمت والجهة<sup>(١٦)</sup>.

وهو ما أصفق عليه اللغويون قاطبة، وإن اختلفت ألفاظهم فيه؛ قال الزجاج: لا اختلاف بين أهل اللغة أن الشطر النحو<sup>(١٧)</sup>.

٢. فسّر الطاعة في قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [سورة النساء: ٥٩]، بأنها الإطاعة العرفية واللغوية والشريعة<sup>(١٨)</sup>.

وهذا تلفيق لما ورد في الأخبار والروايات<sup>(١٩)</sup>.

٣. استشهد لوقت صلاة الليل بقوله تعالى: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [سورة

(١٢) المصباح (١: ٢١٨).

(١٣) البرهان في تفسير القرآن (٩: ٥٥٧).

(١٤) (٢: ٣٤٣) المصباح.

(١٥) تفسير القمي (٢: ٤١٧).

(١٦) المصباح (٦: ٣٩٧).

(١٧) معاني القرآن وإعرابه (١: ٢٢٢).

(١٨) المصباح (٢: ١٢٧).

(١٩) راجع البرهان (٣: ١٣٦ و ١٣٧ و ١٤٩).



الذَّارِيَات: ١٨]، وقال: «السَّحَر: ما قبل الفجر، على ما نصَّ عليه أهل اللُّغة»<sup>(٢٠)</sup>.  
واتَّفَق اللُّغَوِيُّونَ على أَنَّ السَّحَر من اللَّيْلِ، إِلَّا أَنَّ بَعْضَهُمْ قَيَّدَهُ بِآخِرِهِ، كَمَا فَعَلَ  
الْخَلِيل<sup>(٢١)</sup>، وَبَعْضُهُمْ جَعَلَهُ قَبْلَ الصُّبْحِ بِقَلِيلٍ، كَمَا فَعَلَ الْجَوْهَرِيُّ<sup>(٢٢)</sup>، وَعِبَارَةُ الْمَصْنُفِ  
هِيَ مَا نَسَبَهُ ابْنُ سَيِّدِهِ إِلَى الْقَيْلِ<sup>(٢٣)</sup>، وَعَنْهُ رَوَاهُ ابْنُ مَنْظُورٍ فِي اللِّسَانِ<sup>(٢٤)</sup>.  
ب. دليل القياس:

١. استدلَّ بقوله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ  
وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [سورة المائدة: ٦]، على المقاصد  
النَّحْوِيَّةِ الْآتِيَةِ:

أ. قراءة النَّصْبِ فِي (أَرْجُلَكُمْ) أَنَّهُ عَطْفٌ عَلَى مَحَلِّ (بُرُءُوسِكُمْ)<sup>(٢٥)</sup>.  
وهو ما ذكره الطَّبْرَسِيُّ، حَيْثُ قَالَ: وَالنَّصْبُ لِلْعَطْفِ عَلَى مَوْضِعِ الْجَارِ  
وَالْمَجْرُورِ<sup>(٢٦)</sup>.

ب. عطف (وَأَرْجُلَكُمْ) عَلَى (وُجُوهَكُمْ) بَعِيدٌ جَدًّا مَعَ فَصْلِهِ بِقَوْلِهِ: (وَأَمْسَحُوا  
بُرُءُوسِكُمْ)<sup>(٢٧)</sup>.

وهو ما اختاره الطَّبْرَسِيُّ.

ج. الواو فِي (وَأَيْدِيَكُمْ) تَفِيدُ التَّرْتِيبَ.

ولم نعثَر على قائل له، بيد أنَّ القَرطَبِيَّ استدلَّ على التَّرْتِيبِ بِالْفَافِ الْآتِيَةِ جَمْعًا<sup>(٢٨)</sup>.

(٢٠) المصابيح (٥: ٤٧٧).

(٢١) كتاب العين (٣: ١٣٥).

(٢٢) الصَّحاح (٢: ٦٧٨).

(٢٣) المحكم (٣: ١٨٤).

(٢٤) لسان العرب (٤: ٣٥٠).

(٢٥) المصابيح (٣: ٢٥٢).

(٢٦) المجمع (٣: ٣٣٣).

(٢٧) المصابيح (٣: ٢٥٢).

(٢٨) الجامع (٦: ٩٨).



• **سَمَات دَلَالَات الْآيَات الْقُرْآنِيَّة فِي الْمَسَائِلِ الْفَقْهِيَّةِ ..... الْمَصْبِيحَاتُ**

٢. جعل (مُخْلِصِينَ) في قوله تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [سورة المؤمن: ١٤]، حالاً لفاعل (فَادْعُوا) (٢٩).

وهو مما اتفق عليه المفسرون قاطبة، وكان مراده الاستدلال على المقارنة دون تأخر، فتأمل.

٣. أعرب لفظ (تَنْزِيلٍ) من قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الواقعة: ٨٠]، صفة للفظ ﴿لَقُرْآنٌ﴾ [سورة الواقعة: ٧٧]، ثم قال: «أو خبر ثالث بلا تأمل» (٣٠).

و الإعراب الأوّل هو قول أغلب من تكلم في هذا الفنّ، ومنهم الزّجاج (٣١)، والعلكبريّ، والقرطبيّ أيضاً (٣٢)، والثاني ذكره الزّجاج كذلك، فقال: وإن شئت كان مرفوعاً على قوله: هو تنزيل من ربّ العالمين (٣٣).

٤. قال في قوله: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۗ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [سورة الشرح: ٥ - ٦]: «قيل: اليسر يسران، لأنّه نكرة، والعسر عسر واحد، لأنّه معرّف باللام» (٣٤).

روى الطبرسيّ عن ابن عباس أنّه قال: يقول الله تعالى: خلقت عسراً واحداً وخلقت يسرين، فلن يغلب عسر يسرين (٣٥).

وقال القرطبيّ: قال قوم: إنّ من عادة العرب إذا ذكروا اسماً معرّفاً ثمّ كرّروه فهو هو، وإذا نكّروه ثمّ كرّروه فهو غيره (٣٦).

(٢٩) المصاييح (٣: ٣٧٣).

(٣٠) المصدر نفسه (٣: ٥٨).

(٣١) معاني القرآن وإعرابه (٥: ١١٦).

(٣٢) الجامع (١٧: ٢٢٧).

(٣٣) المعاني (٥: ١١٦).

(٣٤) المصدر نفسه (٣: ٤١٠).

(٣٥) المجمع (١٠: ٤٤٠).

(٣٦) الجامع (٢٠: ١٠٧).





ثالثاً: دليل العموم:

استدلّ؛ بعموم الآيات على مختلف الأحكام كثيراً، وفيما يلي بعض الأمثلة لذلك:  
 ١. أوجب في (أحكام قضاء صلوات الأموات) (٣٧) الصّلاة عن الميت لو أوصى بذلك،  
 محتجاً بعموم قوله تعالى: ﴿فَمَنْ بَدَلَهُ﴾ [سورة البقرة: ١٨١].

قال القرطبيّ في تفسير هذه الآية: الموصى إذا غير فترك الوصية أو لم يجزها على ما  
 رسم له في الشرع، فعليه الإثم (٣٨).

٢. قال باستحباب إعانة المتوضّئ عند عجزه، استدلالاً بعموم قوله: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى  
 الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [سورة المائدة: ٢].

وهو أعمّ العامّ كما ترى.

٣. ذهب إلى أنّ الاستدلال بقوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرَيْنِ﴾ [سورة التوبة: ٦٠]، هو  
 استدلال بالعموم (٣٩).

ولم نعثر على قائل به، غير أنّ القرطبيّ قال في قوله: (لِلْفُقَرَاءِ) من هذه الآية:  
 «مطلق، ليس فيه شرط وتقييد (٤٠)». فلعله حمل ذلك على هذا، والله أعلم.

٤. استدللّ بظاهر قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْطَلُوا أَعْمَلُكُمْ﴾ [سورة محمد: ٣٣]، على عدم جواز  
 قطع الصّلاة، وعلل ذلك بقوله: «لأنّ العبرة بعموم اللفظ» (٤١).

وهو ممّا استدللّ به العامة أيضاً في هذه الأمور، ومنها قول القرطبيّ: «احتجّ  
 علماؤنا وغيرهم بهذه الآية على أنّ التحلّل من التّطوّع صلاة كانت أو صوماً بعد  
 التّلبّس به لا يجوز، لأنّ فيه إبطال العمل، وقد نهى الله عنه» (٤٢).

(٣٧) المصاييح (٩: ٤٧٦).

(٣٨) الجامع (٢: ٢٦٨).

(٣٩) المصدر نفسه (١٠: ٤٥٢).

(٤٠) الجامع (٨: ١٩١).

(٤١) المصاييح (٨: ٤٩٧).

(٤٢) الجامع (١٦: ٢٥٥).



رابعاً: دليل اليسر:

وهو من الأدلة التي استعملها بكثرة في كتابه الفائق، وبحثه الشائق، واخترنا منها بعض الأمثلة للآية ١٨٥ من سورة البقرة دون تعقيب، رعاية للإيجاز:

١. احتمال زوال الكراهة في الاستعانة للوضوء عند التّعسر، استناداً إلى قوله تعالى:

﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (٤٣).

٢. قال في فصل (ما لو عجز عن القيام): «الإلزام والالتزام حرج في الدين، وهو ينافي

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾» (٤٤).

٣. قال في (مستحبات القراءة): «وجوب قراءة الجمعة والمنافقين في ظهر الجمعة

يؤدّي إلى العسر والحرج، وهو لا يناسب قوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾» (٤٥).

٤. قال في (التجاسة المعفو عنها في الصلاة): «العفو عن نجاسة ثوب الخصي للحرج

والمشقة؛ قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [سورة الحج: ٧٨]، و

﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾» (٤٦).

نكتفي بما ذكرناه من الأدلة، وهو نزر نزير من بحر غزير، فهناك أدلة كثيرة

أخرى، نحو: دليل الحمل والإلحاق، ودليل المسارعة، ودليل الزجر والتخويف،

وغير ذلك.

**الخاتمة والاستنتاج:**

ظهر لنا بعد استقصاء مواضع الاستشهاد بالآيات القرآنية - وهي أكثر من مائتي

آية - في أحد عشر جزءاً من كتاب مصابيح الظلام، أنّ العلامة محمد باقر البهبهاني تنتهز

قد استقى مادته العلمية ومسائله الفقهية من مظان عالية، وركائز راسية.

(٤٣) المصابيح (٣: ٤٨٨).

(٤٤) المصدر نفسه (٧: ٨٩).

(٤٥) المصدر نفسه (٧: ٤٢٣).

(٤٦) المصدر نفسه (٦: ٢٤٣).



وامتاز بحثه التفسيري والفقهّي عن سائر فقهاء عصره بمزايا كثيرة، منها أنّه كان يتوخّى في الاستنباط اليسر والسهولة، فأضحت مسأله قريية المتناول، سلسلة المطلب، واستحقّ بذلك لقب الوحيد، فهو وحيد عصره، وفريد دهره. ومما امتاز به الوحيد أيضًا أنّه أثر في أحكامه الفقهية الجدد على الحزن، ولزم الجادة الوسطى، دون أن يشتطّ أو ينجح إلى ذات اليمين أو ذات الشمال، فحرّر مسائل ذات نزعة تجديديّة، وحاز لقب المجدّد بجدارة.

وسلك هذا النهج في بعض مسأله الموافقة لأهل السنّة، إذ وجدناه قد وافقهم على بعض الأحكام، ومنها الإجماع، فتعقّب صاحب المفاتيح لما قال في المفتاح (٩١): الشمس تطهر الأرض والبارية والحصر من البول بالتجفيف على المشهور، للمعتبرة... (٤٧)؛ قال: «واعترض على الأوّل [من وجوه حجة القول بالطهارة، وهو الإجماع] بأنّه نقل إجماع في موضع النزاع، فلا يقبل. وفساد هذا الاعتراض غير خفيّ، لأنّ الإجماع عندنا ليس اتّفاق الكلّ، ولا يضّرّ خروج معلوم النسب منه، كما حقّق. بل الاعتراض غير وارد على إجماع أهل السنّة أيضًا، لأنّه اتّفاق أهل عصر واحد» (٤٨).

ولعلّه رأى عيانًا كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبيّ، وانتفع به، إذ تبين لنا أنّه أخذ منه بعض أحكام الآيات إمّا لفظًا أو معنى، كما تقدّم في بعض الأدلة الأربعة الأنفة الذّكر.

وتوافقا أيضًا في مسائل أخرى؛

ومنها: قال الوحيد في أحكام الحيض: «قوله تعالى: ﴿فِي الْمَحِيضِ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٢]، احتمال المراد به موضع الحيض، وهو الأنسب» (٤٩).

(٤٧) المصدر نفسه (٥: ٢٠٩).

(٤٨) المصدر نفسه (٥: ٢١٣).

(٤٩) المصدر نفسه (١: ٢٠٣).

سهات دلالات الآيات القرآنية في المسائل الفقهية ..... المصباح

وقال القرطبي: «إن حمل المحيض على المصدر فهو زمن الحيض، وإن حمل على الاسم فهو محل الحيض»<sup>(٥٠)</sup>.

ومنها: قال الوحيد في (جواز التيمم مع السعة): «جواز أداء الفريضة في سعة الوقت، لقوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى﴾ [سورة الإسراء: ٧٨]»<sup>(٥١)</sup>.

وقال القرطبي في تفسير هذه الآية: «قلت: القول بالتوسعة أرجح... وأحاديث التوسعة تبين وقت الجواز»<sup>(٥٢)</sup>.

ومنها: قال الوحيد في الآيتين: ٩ و ١٠ من سورة الدهر: «صحّة طلب الثواب ودفع العقاب في العبادات»<sup>(٥٣)</sup>.

وقال القرطبي في قوله: ﴿إِنَّمَا نَطَعْمُكُمْ﴾ [سورة الدهر: ٩]: «في الله جل ثناؤه فرعاً من عذابه، وطمعاً في ثوابه»<sup>(٥٤)</sup>.

ومنها: قال الوحيد في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ [سورة الأعلى: ١٤]: «المراد زكاة الفطرة وصلاة العيد»<sup>(٥٥)</sup>.

وروى القرطبي عن أبي سعيد الخدري وابن عمر أنّ ذلك في صدقة الفطر وصلاة العيد<sup>(٥٦)</sup>.

وحرري بالذكر أنّ بعض أحكام هذه المسائل على وفاق بين العامة والخاصة، كما لا يخفى.

ونرى أنّ الوحيد؛ كان يميل في اللغة إلى أقوال ابن سيده، فلعله كان يقتبسها من

(٥٠) الجامع (٣: ٨٦).

(٥١) المصباح (٤: ٣٧٣).

(٥٢) الجامع (١٠: ٣٠٥).

(٥٣) المصباح (٣: ٣٨١).

(٥٤) المصباح (٣: ٣٨١). الجامع (١٩: ١٢٨). المصباح (٢: ٣٤٣). الجامع (١٩: ١٢٨).

(٥٥) المصباح (٢: ٣٤٣).

(٥٦) الجامع (٢٠: ٢١).



معجمه «المحكم» مباشرة، أو غير مباشرة من «لسان العرب»، إلا أنه كان يتصرّف في لفظها.

إنّ الوحيد البهبهانيّ في «مصايح الظلام» مفسّر حاذق، ومحدّث صادق، وفقه فائق، ولغويّ ناطق، فمن هو في سائر كتبه؟ لا جرم أنّه عالم جامع، والمعنيّ بارع، فينبغي الإمام بهذه الشخصيّة الفريدة، وسيرته الحميدة، وهذا ما ينشده المحقّقون، نسأل الله تعالى أن ينجح قصدهم، ويرشد أمرهم، ويسدّد خطاهم، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على نبيّنا محمد وآله الطاهرين.

### المصادر:

١. البرهان في تفسير القرآن، هاشم الحسينيّ البحرانيّ، مؤسّسة البعثة، الطّبعة الأولى، بيروت، ١٤١٩هـ.
٢. تفسير القميّ، عليّ بن إبراهيم القميّ، مؤسّسة دار الكتاب، الطّبعة الثالثة، إيران - قم، ١٤٠٤هـ.
٣. الجامع لأحكام القرآن، محمّد بن أحمد الأنصاريّ القرطبيّ، دار الكتاب العربيّ.
٤. الصّحاح: تاج اللّغة وصحاح العربيّة، إسماعيل بن حماد الجوهريّ، دار العلم للملايين، الطّبعة الأولى، القاهرة، ١٣٧٦هـ.
٥. العين، الخليل بن أحمد الفراهيديّ، مؤسّسة دار الهجرة، الطّبعة الثانية، إيران - قم، ١٤٠٩هـ.
٦. لسان العرب، محمّد بن مكرم بن منظور الأفرقيّ المصريّ، دار صادر.
٧. مجمع البيان لعلوم القرآن، الفضل بن الحسن الطّبرسيّ، رابطة الثّقافة والعلاقات الإسلاميّة، إيران - طهران، ١٤١٧هـ.
٨. المحكم والمحيط الأعظم، عليّ بن إسماعيل بن سيده، دار الكتب العلميّة، الطّبعة الأولى، بيروت، ١٤٢١هـ.



# تعريف علوم القرآن في تفسير (مواهب الرحمن)

للسيد عبد الأعلى السبزواري قدس سره

د. حسين علي حسين المهدي  
كلية الآداب - جامعة البصرة

## المقدمة:

باسمه تعالى اسمه والحمد لله على ما أنعم وله الشكر على ما أهدى وأسلم على النبي الأكرم محمد ﷺ سادات العرب والعجم وأطلب منه التسديد لما يجب ويرضى دوما وأبدا.

اعتنى المفسرون بعلوم القرآن وذلك لعنايتهم بموضوعه وهو القرآن، وهدف علوم القرآن إيصال المعاني القرآنية للمتلقين، فكأن موضوعات هذا العلم آليات للوصول إلى المعاني المطلوبة، وقد تناولت بعضا من موضوعات علوم القرآن عند السيد عبد الأعلى السبزواري قدس سره وهو علم من أعلام التفسير والفقه والأصول<sup>(١)</sup>

(١) السيد عبد الأعلى بن علي رضا بن عبد العلي بن محمد الحائري السبزواري ولد في (سبزوار) وهي مدينة في شمال إيران، ونُسب إليها، عالم، فقيه، فيلسوف، عارف، مفسر، أصولي، مجتهد، تخرج على يده جملة من العلماء الأفاضل آلت إليه المرجعية بعد وفاة السيد أبي القاسم الخوئي قدس سره في ٨ من شهر صفر سنة ١٤١٣ الموافق ٨ / ٨ / ١٩٩٢ م، وكانت ولادته المباركة عام ١٣٢٨ هـ. وتوفي في صفر سنة (١٤١٤ هـ)، ودُفن في منطقة الحويش في شارع الرسول ﷺ في النجف الأشرف في المسجد الذي كان يصلي فيه. ينظر في ترجمته: معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام، د. محمد هادي الأميني: ٢ / ٦٦٥، وينظر: العارف ذو الثغفات قراءة تحليلية للأبعاد المشتركة من حياة سماحة آية الله العظمى السيد عبد الأعلى السبزواري - ضياء عدنان الخباز: ٢٩، وأطاف الباري من نفحات الإمام السبزواري - عبد الستار الحسنيني: ١٥، ١٥٧، ونفحات عرفانية من إفاضات العارف الرباني السيد عبد الأعلى السبزواري - إبراهيم سرور: ٦-١٠.

متتبعاً آراءه ما أمكن في تفسيره مواهب الرحمن في تفسير القرآن لإعطاء رؤية واضحة عن الموقف التفسيري لديه وعلاقة علوم القرآن بالمعنى التفسيري والله ولي الامتنان والإحسان، ومن علوم القرآن التي يتناولها البحث ما يأتي:

### أولاً: التفسير والتأويل عند السيد السبزواري:

التفسير: وهو كشف المغطى وكشف القناع ببيان أول مرتبة من مراتب معاني اللفظ ((التفسير: من فسر وهو السفر بمعنى واحد أي كشف القناع ويحصل ذلك ببيان أول مرتبة من مراتب معاني اللفظ))<sup>(٢)</sup>، وقد يكون بتبادر المعنى من اللفظ واستعماله فيه حتى لو كان من المجاز وعبر عنه بالظاهر والتنزيل وهو حجة، أما التأويل فهو رتبة أعلى من التفسير في بيان المعاني إذ يشمل التفسير وغيره، وهو مختص بأئمة الدين، ويشير السيد السبزواري إلى أن التأويل من المصطلحات التي تشمل تحتها معاني كثيرة من الماديات والمعنويات والزمانيات والمكانيات، وعبر عنه بعلم البلايا والمنايا، وله مراتب كثيرة لعلها بطون القرآن؛ لأنه ((عرض عريض فيشمل كل ما له قابلية الشمول))<sup>(٣)</sup> وعلى حد تعبير السيد السبزواري ((التأويل: من الأول: أي الرجوع إلى الأصل أو البيان وله مراتب كثيرة... تارة: يكون واقعياً وعن حجة معتبرة، وهو ممدوح، تارة: يكون اعتقادياً وبلا حجة معتبرة، وهو مذموم))<sup>(٤)</sup> يفهم من التعريف مع ما سبق من رأيه إنَّ التأويل بمعنى إرجاع الغامض إلى الواضح أو المتشابه إلى المحكم إذ ((إنَّ المحكمات بمنزلة المادة للآيات الشريفة، فلا بدَّ من رجوع جميعها إليها وإلا يكون من قبيل الصورة بلا مادة، وهو غير ممكن))<sup>(٥)</sup>، أو أنه بيان الحقائق الواقعية على اختلاف مراتبها وإذا وصلنا إليها تتم أغراضنا وسعادتنا إذ أبان

(٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: السيد عبد الأعلى السبزواري: ٨٣ / ٥.

(٣) المصدر نفسه: ٨٣ / ٥.

(٤) المصدر نفسه: ٤٤ / ٥.

(٥) المصدر نفسه: ٥١ / ٥.

## تعريف علوم القرآن في تفسير (مواهب الرحمن) ..... المصباح

أن مصطلحة التأويل ((هي المصالح الواقعية التي ينشأ منها الحكم، فيترتب عليها العمل، وهي التي يسعى الإنسان في جهده للوصول إليها ... بها تتم أغراضه وسعادته))<sup>(٦)</sup>، والتأويل بمعنى تعبير الرؤيا إذا كان حاكيا عن حقائق خارجية أي الذي يعبر الرؤيا عالم بالواقع الخارجي أي من الراسخين بالعلم حينئذ يسمى تأويلا قال تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ يَجْنِبُكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [سورة يوسف: ٦]، ونلاحظ في الآية تأويل الأحاديث نعمة على يوسف وعلى آبائه الأولياء، فالتأويل إفاضة إلهية على الأولياء، ومن أمثلة التأويل التي ذكرها السيد قصة نبي الله موسى والخضر عليهما السلام وهي في سورة الكهف من الآية ٦٦ إلى الآية ٨٢، وكان معنى التأويل واضحا ببيان المعاني والوقائع الخارجية لذلك قال الخضر عليه السلام: ﴿ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [سورة الكهف: ٧٨] فالتأويل قد يكون غير متعلق باللفظ وإنما يكون متعلق بالفيض الإلهي كما مع الخضر فتأويله لم يكن متعلق باللفظ ولا بالظاهر وإنما أمور باطنية عرفها بالإلهام الإلهي وهذه الأمور ليست حجة إلا على أهلها أما التفسير فهو حجة على الجميع كما مر، المخصوصون بالتأويل هم الراسخون في العلم محمد وآل محمد والأولياء عليهم السلام كما نص بذلك القرآن ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ [سورة آل عمران: ٧] قال السيد السيزواري: ((إن أسرار التأويل تجري في التكوينات من حيث بدأها إلى ختامها، وإن وقوعها في الخارج مطابق للتأويل الذي يكون في القرآن ولا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم ففي الحقيقة يمكن الاستفادة جميع أسرار التكوين من الآيات الشريفة بالتأويل كما يظهر من الآيات الشريفة قال تعالى ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ [سورة يس: ١٢] (...))<sup>(٧)</sup>.

(٦) المصدر نفسه: ٨ / ٣٦٢.

(٧) المصدر نفسه: ٥ / ٧٠.





ملخص مفهوم التأويل عند السيد السبزواري:

١. توجيه التشابه بالرجوع إلى الأصل أي بإرجاع المتشابه إلى المحكم.
٢. بيان مصاديق الحقائق الخارجية ومآل الأمر فيها وعاقبتها الكائنة.
٣. تعبير الرؤيا أي بيان المعاني في تفسير الأحلام إذا كانت حاكية عن حقائق ووقائع خارجية.
٤. بيان معاني الآيات على حقيقتها والمفهوم الذي تنطوي عليه؛ لأنها رتبة أعلى من التفسير.

والتأويل عنده على قسمين كما مرّ في نصه السابق تأويل مقبول وتأويل مرفوض، وكذلك التفسير عنده على قسمين ويفهم ذلك من مقدمته لتفسيره وفيها أوضحه من معنى التفسير وهما: الأول التفسير المقبول: وهو الموافق لأصول الشريعة ومبادئها من عقل ونقل، والثاني: التفسير المذموم وهو التفسير بالرأي: وهو الذي رفضته الشريعة ومبادئها<sup>(٨)</sup> وهذا الذم ينطبق على التأويل المذموم؛ لأنه تأويل (تفسير) بالرأي كذلك، فالتفسير بالرأي: هو إظهار المعاني القرآنية وفق مبادئ المفسر وهو لا وفق مبادئ الله عز وجل المقررة عند الرسول والأئمة الطاهرين عليهم السلام ومن تابعهم من المفسرين الملتزمين والعلماء العاملين، وقد جاءت فيه روايات كثيرة عن الرسول صلى الله عليه وآله استعرض السيد السبزواري قسماً منها وذكر بعد العرض لها الذم الصريح في إعمال الرأي بالقرآن، ثم ذكر ثلاثة احتمالات في تلقي القرآن والنظر فيه وبين أيّاً من تلك الاحتمالات تكون هي التفسير بالرأي، والاحتمالات هي<sup>(٩)</sup>:

(٨) ينظر: المصدر نفسه: ١ / ٤ - ٥، ونفسه: ٥ / ٨٣، ٨٥، وفي المعنى اللغوي ينظر العين: الخليل بن أحمد: مادة (فسر) ٧ / ٢٤٧، وينظر: في المادة اللغوية للتأويل نفسه: مادة أول: ٨ / ٣٦٩، ومفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني: مادة (فسر): ٦٣٦، ونفسه في مادة: أول: ٩٩، والمعجم الوسيط: مجموعة من المؤلفين: مادة (فسر): ٦٨٨، ونفسه في مادة: أول: ٧٠، وينظر في مفهوم التفسير والتأويل الاصطلاحي: تلخيص التمهيد: محمد هادي معرفة: ١ / ١١١، ٤٣٠-٤٤٨.

(٩) ينظر الاحتمالات: مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ٥ / ٦٤ - ٦٥، ونفسه ٥ / ٤٤، وينظر في



تعريف علوم القرآن في تفسير (مواهب الرحمن) ..... (المصباح)

١. الأخذ بظاهر القرآن المتعارف عليه الذي لا لبس فيه مثل قوله تعالى: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [سورة المائدة: ١]، وهذا لا إشكال فيه لكي لا يبطل الإفادة مما جاء في آيات التدبر والتفكر في القرآن الكريم نحو قوله تعالى ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [سورة محمد: ٢٤].

٢. الفهم الذهني بسبب الحركة الفكرية البسيطة الذي يصاحب التلقي الأولي للنص، ولا يترتب عليه أثر في الحكم فلا إذعان، ولا اعتقاد، وهنا لا إشكال في هذا الفهم أيضاً؛ لأنه قد يكون بلا اختبار.

٣. الفهم الشخصي المترتب على النظر في القرآن الكريم مع الحكم والإذعان وترتيب الآثار عليه على أنه هو مراد الله جلت قدرته، وهنا يكمن الإشكال على الفاهم للمعاني بحسب ذوقه وأهوائه وتحميل النص ما لا يريد والذم الوارد في النصوص يقع عليه إذ لا بد من حفظ مراد القائل في كلياته لو كان من أعظم الناس فكيف بقائل القرآن العظيم؟. فيأتي تفسيره وتأويله عند هذه الفئة منهم ابتغاء للفتنة، وابتغاء لتأويله حسب آرائهم وأهوائهم ومعتقداتهم الفاسدة مغرورين بأنفسهم وبإدراكاتهم القاصرة، فيصبحون مستحقين للذم لتفسيرهم وتأويلهم بلا حجة معتبرة، ولا دليل بيّن، وقد لجأ السيد إلى التخلص من هذا اللون من التفسير بالاستناد إلى تفسير القرآن نفسه بنفسه أي تفسير القرآن بالقرآن والسبب؛ ((لأنه تبيان كل شيء فإذا كان كذلك، فأولى أن يكون تبياناً لنفسه مستدلاً لذلك بما ورد من السنة النبوية والمأثور عن آله الذين قرنهم النبي ﷺ بالكتاب، وجعلهم الأدلاء عليه فجمعت بينهما وبين ما اتفق عليه الجميع مع تقرير الشريعة له))<sup>(١٠)</sup>، محاولاً استظهار معاني ((الآيات المباركة بقرائن معتبرة))<sup>(١١)</sup>، تحاشياً

الروايات التي تدم التفسير بالرأي: بحار الأنوار: المجلسي: ٣٠ / ٥١٢، ٣٦ / ٢٢٧، ١٩ / ١١٠.

(١٠) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ١ / ٤.

(١١) المصدر نفسه: ١ / ٤.



للتفسير بالرأي، وكان السيد واضحاً في تحديده دقيقاً في تعبيراته في بيان التفسير بالرأي ولخص ما ذهب إليه أصحاب علوم القرآن، فلم يوقف الحركة الفكرية عند المتلقين لكي يكونوا من الممثلين لأمر الله بالتدبير في، ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [سورة النساء: ٨٢]، فقد اشترط السيوطي قبله<sup>(١٢)</sup> شرطين لكي يجتنب المفسر التفسير بالرأي وهما يتعلقان في فهم الكلام العربي في نظره:

أولاً: فهم اللفظ في اللسان العربي.

ثانياً: فهم المعاني المحتملة في اللفظ.

مع احتراز المفسر بعدم القطع والجزم بأن المعنى الذي طرحه هو المعنى الوحيد بقوله: والله أعلم أو هذا المعنى هو المحتمل وهكذا، وحدد السيوطي التفسير بالرأي بكون:

١. عدم أهلية المفسر وتمكنه من العلوم التي تساعد على الوصول إلى المعنى السليم.
٢. تفسير المتشابه والقطع به، وهو ما ذهب إليه السيد السبزواري في تفسيره قوله تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ [سورة آل عمران: ٧]: ((سياق الآية يدل على الذم إن جزم بالمتشابه من دون إرجاع إلى المحكم وترتب الأثر عليه فيدخل في ذلك جميع الآراء الفاسدة والمذاهب الباطلة التي يتمسك بها بعض الآيات المتشابهة لإثبات ما يدعونه))<sup>(١٣)</sup>.
٣. اعتقاد فكر المفسر ومذهبه هو الأساس وجعل التفسير تابعاً لهذا المذهب أو ذلك الفكر والرأي.
٤. القطع بأن هذا المعنى هو مراد الله.

(١٢) ينظر: الإتيقان في علوم القرآن - جلال الدين السيوطي: ٢ / ٤٨٠ - ٤٨٢.

(١٣) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ٥ / ٥١.



٥. التفسير بالاستحسان والهوى.

وقد لخص هذه النقاط الخمس محمد هادي معرفة بنقطتين هما<sup>(١٤)</sup>:

١. تطبيق الآراء والمذاهب والاعتقادات الشخصية على القرآن، لإنجاح معتقد المفسر الذاتي وهو بهذا لم يهدف إلى تفسير القرآن وإنما لتثبيت مذهبه ومعتقده.
٢. محايدة (اجتناب) طريقة العقلاء في فهم معاني الكلام الإلهي (القرآن الكريم).  
ومن المحدثين<sup>(١٥)</sup> من عرف التفسير بالرأي: بالاعتقاد، والقياس، والاجتهاد وقسمه على جائز محمود، وغير جائز مذموم، وكفانا السيد السبزواري مؤونة هذا التقسيم بما سلف من الاحتمالات التي ذكرها.

#### ثانيا: المحكم والمتشابه:

المحكم: ((ما يعرف المراد منه بلا استعانة قرينة مثل: ﴿مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [سورة الفاتحة: ٤] وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [سورة النور: ٥٦])<sup>(١٦)</sup>، وله دلالتان في القرآن الكريم على رأي السيد السبزواري<sup>(١٧)</sup>:

١. الإتقان والإحكام في الأسلوب والمعنى والإعجاز لجميع آيات الكتاب بما فيها المتشابهات أي كل القرآن محكم من هذه الجهة؛ لأنها صادرة من المبدأ الأزلي.
٢. المحكم المقابل للمتشابه والمراد منه المصون عن التردد والاحتمال في الأذهان المستقيمة، والمحكم أي معلوم الدلالة، وسميت الآيات المحكمة بأمر الكتاب ﴿هِنَّ أُمَّ الْكِتَابِ﴾ [سورة آل عمران: ٧]؛ ((لأنها أصول المعارف الإلهية والقوانين الخلقية، وتنظيم الأمور الدنيوية والأخروية))<sup>(١٨)</sup>، وإليها ترجع باقي الآيات باعتبارها أصل

(١٤) ينظر: التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب - محمد هادي معرفة: ٦٣ - ٦٤.

(١٥) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن - محمد عبد العظيم الزرقاني: ١ / ٣٦٦ - ٣٦٧، والتفسير والمفسرون - د. محمد حسين الذهبي: ١ / ١٦٩.

(١٦) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ٥ / ٧٧.

(١٧) ينظر: المصدر نفسه: ٥ / ٤٠ - ٤١، والإتقان: ٢ / ٥ - ١٢.

(١٨) المصدر نفسه: ٥ / ٤١.



والباقى فروع، والفروع ترجع إلى أصولها عند قصور العقول عن درك معانيها، فهي تعد المادة الأساس لجميع الآيات الشريفة فلا بد من رجوعها إليها، وهو المعنى اللغوي الذي أشار إليه أصحاب المعاجم<sup>(١٩)</sup>، إذ قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [سورة آل عمران: ٧].

و ((تعريف التشابه: ما لا يعرف المراد منه إلا بالقرينة مثل... قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [سورة الفجر: ٢٢])<sup>(٢٠)</sup>، وأسبابه اختلاف الإدراكات وقصورها ويكون بالنظر لأول وهلة إذ لا تشابه عند الراسخين في العلم فعلمهم واقعي محكم ويعلمون الناس كيفية إرجاع التشابه إلى المحكم لحل الإشكال الحاصل عند من تشابه عليه الأمر وكذلك يحل التشابه بالرجوع إلى السنة المؤكدة أي إلى الراسخين بالعلم، التشابه في أصل وضع الألفاظ ومعاني تلك الألفاظ عند من وضعت له أي اختلاف اللهجات وما يترتب من اختلاف الفهم منها كلمة القرء في الآية الكريمة: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٨] وكذلك يأتي التشابه نتيجة اختلاف القراءات القرآنية، ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٢] ومادة تشابه لها معنيان<sup>(٢١)</sup>:

١. توحى بالتماثل والانطباق على الأشياء المتقاربة كما وكيفاً مما يؤدي إلى التشابه والالتباس إذ التشابه هو المتردد والمحتمل أي القابل للاحتتمالات وقد طرح هذا الرأي في ذكره للمحكم، ومن هذا النوع آيات الصفات الإلهية كقوله تعالى: ﴿بِأَلَيْهِمْ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [سورة الفتح: ١٠]، و﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [سورة

(١٩) ينظر: المصدر نفسه: ٥ / ٤١ - ٤٢، و ٥١، ولسان العرب: ابن منظور: مادة (أ م م): ١٢ / ٢٢.

(٢٠) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ٥ / ٧٧.

(٢١) ينظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ٥ / ٤٠ - ٤١، و ٥١، و ٧٨ - ٧٩، والإتقان: ٢ / ٥ - ١٢، ومناهل العرفان: ٢ / ٥٣٠ - ٥٣٤.



تعريف علوم القرآن في تفسير (مواهب الرحمن) ..... (المصباح)

طه: ٥؛] لذا كان الظم ظاهراً لمن أخذ المتشابه بهذا المعنى ورتب عليه أثراً دون إرجاعه إلى المحكم، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [سورة آل عمران: ٧].

٢. التناثر والانطباق التام على معاني الكمالات الموجودة في تمام القرآن إذ إنه من هذه الجهة كله متشابه في الفصاحة والبلاغة وبديع الأسلوب لصدوره من مبدأ الكمال والجمال قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي﴾ [سورة الزمر: ٢٣]، وقد أشار السيد السبزواري إلى أن الحروف المقطعة في أوائل السور من المتشابه القرآني الذي هو من مختصات الله تبارك وتعالى أو بمن أودعه الله علمها كالنبي والأئمة (عليهم السلام) إذ إنها ((أعيت العلماء على جهدهم عن الوصول إلى آثارها فضلاً عن العلم بكيفية تركيبها، والاطلاع على حقائقها وأسرارها... والحق أنها بحسب المعنى من التشابهات التي استأثر الله تعالى علمها لنفسه... فلا يلزم على العباد الفحص عن حقيقتها، وبذل الجهد في دركها وفهمها بل لا بد من إيكال الأمر إليه تعالى)) (٢٢).

وذكر السيوطي في المحكم والمتشابه أقوالاً منها: القرآن كله محكم، القرآن كله متشابه، القرآن فيه محكم ومتشابه وهذه الآراء استناداً إلى ما جاء في الآيات القرآنية ((وإنَّ المراد بإحكامه إتقانه وعدم تطرق النقص والاختلاف إليه وبتشابهه كونه يشبه بعضه بعضاً في الحق والصدق والإعجاز... المحكم ما عرف المراد منه إما بالظهور وإما بالتأويل والمتشابهة ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة وخروج الدجال والحروف المقطعة في أوائل السور، وقيل المحكم ما وضح معناه والمتشابهة نقيضه، وقيل المحكم ما لا يحتمل من التأويل إلا وجهاً واحداً والمتشابهة ما احتمل أوجهاً...)) (٢٣)، وغيرها من المعاني التي أشار السيد إلى بعضها ملخصاً ودون لبس.

(٢٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ١ / ٧٧-٧٩، وينظر نفسه: ١ / ٨٠.

(٢٣) الإتيان: ٢ / ٥-٦، وينظر: مناهل العرفان: ٥٣٠-٥٣٤.



### ثالثاً: الظاهر والباطن<sup>(٢٤)</sup>:

يرى السيد أن الظاهر ما يمنحه النص للعوام ولغيرهم أي للجميع ويجب الأخذ به، والباطن هي المعاني المتعدد التي يمكن أن يمنحها النص للأولياء والخواص، أو هي الأبعاد الموجودة في النص، أو هي مراتب التأويل التي علمها الله للراسخين في العلم؛ لأن التأويل والغيب علمه بالذات مختص بالله وعلم الرسول ﷺ والأئمة عليهم السلام للتأويل بالعرض ويرى أن ((الظاهر ما يفهم من ظاهر الآيات الشريفة، والمراد من الباطن الإشارات والرموز التي يجمعها القرآن التي تحدث إلى يوم القيامة... يتشعب معارف بطونها))<sup>(٢٥)</sup>، أو الظاهر هو الحكم الصادق الجازم المحكم، وهو الأسلوب البديع الذي تهوي إليه الأفئدة وحكمه وجوب الأخذ به أي بالظاهر العرفي، والباطن هو الحقيقة والحق الكاشف عن غيره وهو مختص بالأولياء والراسخين في العلم إذ كلما تأملوا فيه تجددت لهم معانٍ أخرى غير المعاني الأولى لا تصل إليه عقول العوام؛ لأنها قاصرة عن الإحاطة بتأويلاته ومعانيه، والله جلت قدرته أراد أن يرشد ((الناس إلى وراء كل ظاهر باطن، فلا يكتفي بالجمود على الظاهر، بل لابد من التأمل في بطون الكلمات القرآنية؛ لأن في كل كلمة من كلمات القرآن بانفرادها دقيقة، كما أن في سائر جهاتها دقائق ولطائف))<sup>(٢٦)</sup> وهذه الحقائق لا تكون إلا لأهلها إن فهم هذه الحقائق يجعل من النص مفتوحاً قابلاً للمعاني المتعددة المستمدة من النص نفسه وذلك يتم بالتأمل والتدبر القرآني وأفضل من يدركون الباطن الأولياء الراسخون في العلم

(٢٤) ينظر في فهم الظاهر والباطن: مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ٥ / ٤٦، ٥٥ - ٥٦، ٦١ - ٦٣، ٧١ - ٧٢، والتفسير والمفسرون (الذهبي): ٣ / ٦٨ - ٧١، والشمس الساطعة: محمد حسين الطهراني: ٣١٨، ومحاورات التلميذ والعلامة: محمد حسين الطهراني: ١٨٨، وفهم القرآن دراسة على ضوء المدرسة السلوكية: جواد علي كسار: ٣٨٥، وتأويل القرآن النظرية المعطيات: كمال الحيدري: ١٦٧، وأصول التفسير والتأويل: كمال الحيدري ٤٤٥ - ٤٤٦.

(٢٥) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ٥ / ٦١.

(٢٦) المصدر نفسه: ١ / ٧٩.



## تعريف علوم القرآن في تفسير (مواهب الرحمن) ..... البصباح

لقدرتهم العالية على تأمله وتدبره وتلقيه: ((عن جابر قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن شيء في تفسير القرآن فأجابني، ثم سألته ثانية فأجابني بجواب آخر فقلت: جعلت فداك كنت أحببت في هذه المسألة بجواب غير هذا قبل اليوم فقال عليه السلام لي: يا جابر إن للقرآن بطنا، وللبطن ظهرا، يا جابر وليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن، إن الآية لتكون أولها في شيء وآخرها في شيء وهو كلام متصل يتصرف على وجوه))<sup>(٢٧)</sup> فقد تكون البطون هي الوجوه أو الأوجه التي جاءت في رواية أخرى ((ما فسره علي عليه السلام): ((إن القرآن حمال ذو وجوه)) أي يحمل كل وجه إن طابق الموازين الشرعية والعقلية))<sup>(٢٨)</sup>.

وفهم من الظاهر والباطن عنده أن للقرآن ((حقيقة واحدة ذات مراتب متعددة تشكيكية فالظاهر أي ما يفهم من الظاهر، فهو مرتبة منه، والبطن أي ما يستفیده الراسخ في العلم مرتبة منها، وكذا المطلع أو المطلع...))<sup>(٢٩)</sup>، ولكن العوام يجوبون عن درك تلك الحقيقة الواحدة وتلك المراتب المتعددة، فبعضها ظاهر وبعضها غير ظاهر، فحمل القرآن على المراتب المتعددة والحقيقة الواحدة هي فكرة الظاهر والباطن لذا كانت معاني القرآن متجددة وكلها مصاديق متعددة والمعنى واحد ومن ذلك مثل السيد السبزواري ومراتبها المتعددة المشككة فهي ((القيام بين يديّ الربّ بالعمل الخارجي، ومنها القيام بين يديّ الربّ بالجواهر الجسماني كما يكون في أولياء الله تعالى، ومنها بالصور الذهنية، ورابعة بما حصل للنبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله في ليلة المعراج بتعليم الله تعالى له مشافهة فيمكن حينئذ حمل البطون على مثل هذه المراتب، والمراتب التي لم يمكن أن تظهر لنا للحجب المانعة عن الوصول إلى تلك الحقائق))<sup>(٣٠)</sup>.

(٢٧) تفسير العياشي: ١ / ١٢، وينظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ٥ / ٧٠.

(٢٨) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ٥ / ٧٣، وتنظر الرواية في: بحار الأنوار: ٣٣ / ٣٧٦.

(٢٩) المصدر نفسه: ٥ / ٧١.

(٣٠) المصدر نفسه: ٥ / ٧٢.





وهنا نأخذ مثالا عمّا قال أنه تأويل أو باطن لأنه رادف بينهما وعدّ العالم بهما واحد وهم أولو العلم في تفسير (هذا ربي) ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى الْكَوْكَبَ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ [سورة الأنعام: ٧٦] وفي تنزيه ساحة الأنبياء من الشرك فشبّهة كيف يكون نبي ويقول عن الكوكب أو الشمس أو القمر هذا ربي؟ فردّ السيد مستندا إلى قول الراسخين بأنّه لم يكن هناك شرك فقوله: على سبيل المجازاة والتسليم أو حكاية على رأي الخصم لبناء الأثر الأهم عليه وهو إبطال حجتهم وإلزامهم بفساد عقيدتهم قال السيد السبزواري قول إبراهيم عليه السلام: ((بطلان الإلهية والأصنام والربوبية في الكواكب))<sup>(٣١)</sup> وقلنا إنّ السيد في جميع ذلك مستند إلى أقوال الأئمة لكي لا يكون تفسيره بالرأي فعن الرضا عليه السلام فبعد أن ينكر عليهم إبراهيم عبادتهم للزهرة والقمر يأتي على ذكر الشمس ((فرأى الزهرة فقال: «هذا ربي» على الإنكار والاستخبار «فلما أفل» الكوكب «قال لا أحب الآفلين» لأنّ الأفول من صفات الحدث لا من صفات القدم «فلما رأى القمر بازغا» قال هذا ربي» على الإنكار والاستخبار... «فلما» أصبح و «رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر» من الزهرة والقمر على الإنكار والاستخبار لا على الإخبار والإقرار «فلما أفلت» قال للأصناف الثلاثة من عبدة الزهرة والقمر والشمس: «يا قوم إني برئ مما تشركون \* إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين» وإنما أراد إبراهيم بما قال أن يبين لهم بطلان دينهم، ويثبت عندهم أن العبادة لا تحق لما كان بصفة الزهرة والقمر والشمس، وإنما تحق العبادة لخالقها وخالق السماوات والأرض، وكان ما احتج به على قومه بما ألهمه الله عز وجل وآتاه، كما قال عز وجل: «وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه»<sup>(٣٢)</sup>، والسيد كذلك يستند إلى قرينة لغوية تعزز ما يذهب إليه بأن إبراهيم لم يكن يقصد هذه الإلهة بقوله

(٣١) المصدر نفسه: ١٤ / ٧٩.

(٣٢) بحار الأنوار: ١١ / ٧٩.



## تعريف علوم القرآن في تفسير (مواهب الرحمن) ..... (المصباح)

هذا ربي لأنّ بعض الإلهة كانت مؤنثة وقوله هذا ربي مذكر أمّا استعماله له أي ضمير المذكر للمؤنث (الشمس أو الزهرة) فهو على أساس التأويل ويقول هذا الأمر حتى يستعمل على الواقع والحقيقة يحتاج إلى قرينة ودليل يدل عليه ويقول السيد الإشارة إلى الشمس بالتذكير ليس لها وإنما كونها ربا فيكون الخطاب بالإشارة للمذكر هو السبب الأبرز وهو طبق القاعدة ((في مقام إثبات الموضوع الذي أراد ثباته وهو نفي الربوبية أشار بالمذكر فقال (هذا ربي) ويرشد إليه قوله الأتي (هذا أكبر)) (٣٣).

وفي مثال آخر على الباطن والتأويل: استعمال مجموعة من الاصطلاحات على غير دلالتها اللغوية الظاهرية نحو: النور هو: الإمام ومن كان له نور يعرف الإمام، الظلام: الكفر، والظالم هو الذي لا يعرف الإمام، الحيّ هو المؤمن وهو من أدركته الهداية الإلهية وسار على الهدى، الميت هو: الكافر الذي أقام على الضلال والغوية المحروم الواقع في ظلمات الجهل وهذه الاستعمالات كلها مستندة إلى الراسخين وإن كانت استعارات لطيفة ألفت عند أهلها وعند المتعمق في اللغة فالحياة بالإيمان والدخول بالهدى الإلهي هي الحياة المعنوية ويكون السير في هذا الطريق بالنور الإلهي أي الإمام ويكون هذا النور المساعد في السير إلى الله في مسالك الدنيا إلى الآخرة ويستمر النور بعد الدنيا والانتقال إلى العالم الجديد أي بعد الموت الجسدي المادي والعكس من ذلك الضلال الذي هو عبارة عن موت الشعور والحس وهو الموت الحقيقي وهو الظلمات المتركمة في الجهل والضلال فجاء عنهم ﷺ في تفسير قوله تعالى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١٢٢] ((أو من كان ميتا" قيل: أي كافرا" فأحييناه" بأن هديناه إلى الإيمان وإنما سمي الكافر ميتا، لأنه لا ينفع بحياته، ولا ينفع غيره بحياته، فهو أسوأ حالا من الميت، وسمي المؤمن حيا، لأنه له وغيره المصلحة والمنفعة. وقيل: نطفة فأحييناه" وجعلنا له نورا يمشي به في الناس



قيل: المراد بالنور العلم والحكمة لان العلم يهتدي به إلى الرشاد، كما يهتدي بالنور في الطرقات أو القرآن والإيمان "كمن مثله" مثل من هو "في الظلمات" أي في ظلمة الكفر. وسمي القرآن والإيمان والعلم نورا لان الناس يبصرون بذلك، ويهتدون به من ظلمات الكفر وحيرة الضلالة، كما يهتدي بسائر الأنوار، وسمي الكفر ظلمة، لان الكافر لا يهتدي بهداه، ولا يبصر أمر رشده، كما سمي أعمى "كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون" قال الحسن: زينه والله لهم الشيطان وأنفسهم... عن الباقر عليه السلام: "ميتا" لا يعرف شيئا "ونورا يمشي به في الناس" إماما يأتهم به "كمن مثله في الظلمات" الذي لا يعرف الإمام)) (٣٤) يقول السيد السبزواري وكل هذه الاستعمالات على الحقيقة ((إن إطلاق النور على من يكون مثالا حقيقياً للهدى الإلهي حقيقي، وإن الإمام المعصوم عليه السلام يتّصف بهذا النور الإلهي؛ لأنّه القدوة في جميع الكمالات، ومثال الهداية الإلهية... كما إن إطلاق الحّي على المؤمنين يكون إطلاقاً حقيقياً)) (٣٥).

#### رابعاً: أسباب النزول:

لم يتعرض السبزواري لسبب النزول وكان يذكر العلة في ذلك؛ ((لأن الآيات المباركة كليات تنطبق على مصادقيها في جميع الأزمنة فلا وجه لتخصيصها بزمان النزول أو بفرد دون فرد آخر)) (٣٦)؛ لأن التقييد بسبب النزول يؤدي إلى الجمود والتحجر على النص ويدل ذلك على أن النص نزل بمعنى خاص محدد في حين أن القرآن معجزة مستمرة بلفظه ومعناه، ويجب إن تكون العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب؛ لأن سبب النزول يقوم بدور الإشارة لا التخصيص فالبيان القرآني كان مضمونه عاماً شاملاً، فأية اللعن تشريع حكماً شرعياً عاماً لكل زوج يتهم زوجته بالخيانة، وكذا القذف للمحصنات وإن نزلت في شأن خاص، ومثلها

(٣٤) بحار الأنوار: ٦٤ / ٣٠.

(٣٥) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ١٤ / ٣٧٥، وينظر نفسه: ١٤ / ٣٤٨، ٣٥٠، ٣٧٥، ١ / ٧٠.

(٣٦) المصدر نفسه: ١ / ٥ وينظر في الموضوع مع أمثلة: نفسه: ١ / ٥١٦، ١٤ / ٢٥٥ - ٢٥٧.

## تعريف علوم القرآن في تفسير (مواهب الرحمن) ..... المصباح

آية الظهار كذلك<sup>(٣٧)</sup>، ((وعلى هذا أساس اتفق علماء الأصول على أن المتبع هو مدى عموم النص القرآني وشمول اللفظ فيه، وإن سبب النزول مجرد سبب مثير لنزول الحكم))<sup>(٣٨)</sup>، وفي شمول القرآن وعدم التقييد بسبب النزول عبر عنه السيد الطباطبائي بالجرى والانطباق<sup>(٣٩)</sup> وهو ما أشار إليه السيد السبزواري ونحو قوله: ((الرواية من باب التطبيق، إذ لا خصوصية للمورد... وكل من يكون كذلك تشمله الآية...، الرواية من باب التطبيق، وقد يكون للنزول مناشئ متعددة))<sup>(٤٠)</sup>، وقد جاءت روايات أهل البيت تعزز هذا المعنى وتؤيده عن الباقر<sup>(٤١)</sup>: ((إن القرآن حي لا يموت، والآية حية لا تموت، فلو كانت الآية إذا نزلت في الأقسام وماتوا ماتت الآية لمات القرآن، ولكن هي جارية في الباقيين كما جرت في الماضين))<sup>(٤١)</sup>، ولكن السيد السبزواري على الرغم من ذلك نقل بعض أسباب النزول وعلق عليها نحو ما نقله عن الواحدي في تفسير قوله تعالى: ﴿ مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ﴾ [سورة البقرة: ١٠٦] ((إن المشركين قالوا: ألا ترون إلى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمر بخلافه، ويقول اليوم ويرجع عنه غداً، أما هذا كلام القرآن ألا كلام محمد، يقوله من تلقاء نفسه، وهو كلام يناقض بعضه البعض، فأنزل الله تعالى هذه الآية، ونزل أيضاً: ﴿ وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ ﴾ [سورة النحل: ١٠١])<sup>(٤٢)</sup>، ثم علق السيد على السبب بقوله: ((إن ما قاله المشركون نشأ من عدم فهمهم للقواعد العرفية الدائرة بينهم))<sup>(٤٣)</sup>، وكذلك نقل

(٣٧) ينظر: الإتيان: ١ / ٩٧-٩٨، والمدرسة القرآنية: محمد باقر الصدر: ٢٣٢.

(٣٨) المدرسة القرآنية: ٢٣٢.

(٣٩) ينظر: القرآن في الإسلام - السيد محمد حسين الطباطبائي: ٥٤-٥٥.

(٤٠) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ٨ / ٣٨٩، وينظر: نفسه: ٨ / ٤٠٤، ٤٠٧، ٤١٨.

(٤١) بحار الأنوار: ٣٥ / ٤٠٣ - ٤٠٤، ومستدرک سفينة البحار: ٨ / ٤٤٨، والمدرسة القرآنية:

٢٣٣.

(٤٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ١ / ٥٢٦، وأسباب النزول - الواحدي: ٢١.

(٤٣) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ١ / ٥٢٦، وينظر في نقله لسبب نزول ومناقشته إياه المصدر



عن الدر المنثور عن قتادة في تفسير الآية نفسها قوله: ((كانت الآية تنسخ الآية، وكان نبي الله يقرأ الآية والسورة وما يشاء الله من السورة ثم ترفع فينسيها الله نبيه، فقال الله تعالى يقص على نبيه ﴿ مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا ﴾ ... فيها رخصة، فيها أمر، فيها نهي))<sup>(٤٤)</sup>، ثم علق السيد على السبب بقوله: ((هذه الرواية لا تناسب مقام النبوة وحفظه لما يوفى إليه))<sup>(٤٥)</sup>.

ونقل عن الواحدي عن ابن عباس في تفسير الآية: ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ ﴾ [سورة البقرة: ١٠٨] ((نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي أمية ورهط من قريش، قالوا: يا محمد ﷺ اجعل لنا الصفا ذهباً، ووسع لنا أرض مكة، وفجر الأنهار خلالها تفجيراً نؤمن بك، فأنزل الله تعالى هذه الآية))<sup>(٤٦)</sup>، ثم علق السيد على السبب بقوله: هذه الرواية تعززها رواية أخرى وهي عن الرسول ﷺ: ((بأن ما وقع في بني إسرائيل يقع في هذه الأمة أيضاً))<sup>(٤٧)</sup>.

### خامسا: المكي والمدني:

فهم السيد مصطلح المكي والمدني وطبقه على الآيات القرآنية إذ كانت عند علماء التفسير مجموعة من الخصائص لكل منهما<sup>(٤٨)</sup>، فالمكي له خصائص أسلوبية وموضوعية هي:

١. قصر الآيات والسور وإيجازها وتجانسها الصوتي.
٢. الدعوة إلى أصول الإيمان بالله والوحي وعالم الغيب واليوم الآخر وتصوير الجنة والنار.

نفسه: ٨ / ٣٦٩-٣٦٨، ٣٧١-٣٧٥ / ١٢، ٨-٩، ٢٦-٣٢، ١٤ / ٢٥٥.

(٤٤) المصدر نفسه: ١ / ٥٢٦، والدر المنثور-السيوطي: ١ / ١٩٨.

(٤٥) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ١ / ٥٢٦.

(٤٦) المصدر نفسه: ١ / ٥٢٧، وأسباب النزول-الواحدي: ٢١.

(٤٧) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ١ / ٥٢٧، وبحار الأنوار: ٩ / ٢٤٩، ٦٨ / ٦٥.

(٤٨) علوم القرآن: محمد باقر الحكيم: ٧٧-٧٨، وينظر: الإقتان: ١ / ٥٦-٥٧.

تعريف علوم القرآن في تفسير (مواهب الرحمن) ..... (المصباح)

٣. الدعوة للتمسك بالأخلاق الكريمة والاستقامة على الخير.
٤. مجادلة المشركين وتسفيه أحلامهم.
٥. استعمال السورة لكلمة (يا أيها الناس) وعدم استعمالها لكلمة (يا أيها الذين آمنوا).  
أما الخصائص الأسلوبية والموضوعية للمدني فهي:
  ١. طول السورة والآية وإطنابها.
  ٢. تفصيل البراهين والأدلة على الحقائق الدينية.
  ٣. مجادلة أهل الكتاب ودعوتهم إلى عدم الغلو في دينهم.
  ٤. التحدث عن المنافقين ومشاكلهم.
  ٥. التفصيل لإحكام الحدود والفرائض والحقوق والقوانين السياسية والاجتماعية والدولية.

قال السيد السبزواري في تفسير قوله تعالى ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [سورة البقرة: ١٠٤] ((ذكر هذا الخطاب في القرآن الكريم فيما يزيد على ثمانين آية نزلت جميعها في المدينة))<sup>(٤٩)</sup>، وقال في مكان آخر: ((قد ورد ذكر هذا الخطاب في القرآن الكريم في ما يقرب من تسعين مورداً، وفيه من الحب والملاطفة مع عبيده ما لا يخفى والمنساق من سياق تلبس المخاطب بالإيمان في الجملة، هو يقتضي أن يكون الخطاب مدنياً لا مكياً وتقدم ما يتعلق به في الآية ١٠٤ من هذه السورة))<sup>(٥٠)</sup>، علماً أنه أشار في بداية السورة إلى كونها مدنية<sup>(٥١)</sup>، وجاء في بيان كون سورة النساء مدنية قوله: ((وأسلوب هذه السورة ومضامينها تشهدان على أنها مدنية نزلت نجوماً حسب مقتضيات الظروف والحاجة))<sup>(٥٢)</sup>، وفي سورة المائدة قال السبزواري: ((هذه السورة المباركة نزلت في حجة الوداع فيما بين مكة والمدينة وهو ﷺ على ناقته، فبركت من

(٤٩) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ١ / ٥٠٧.

(٥٠) المصدر نفسه: ٢ / ٢١١، وينظر: نفسه: ٣ / ٣.

(٥١) ينظر: المصدر نفسه: ١ / ٧٥.

(٥٢) المصدر نفسه: ٧ / ٢٢٦.



ثقلها... وعن بعض المفسرين أنها مدنية إلا ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي** ﴾ فإنها نزلت بعرفة عام حجة الوداع<sup>(٥٣)</sup>، وفي بيان كون سورة الأنعام مدنية قال في تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْأَمْرَسَلِينَ** ﴾ [سورة الأنعام: ٣٤]: ((والآية تدل على أن سورة الأنعام قد نزلت بعد جملة من السور التي تحكي قصص الأنبياء، وما كابدوه من أقوامهم أمثال سورة الشعراء، ومريم، والعلق، والمدثر، وغيرها من السور النازلة بمكة قبل الهجرة))<sup>(٥٤)</sup>.

ردّ تفسير بعض الآيات استناداً على فكرة المكي والمدني نحو آية المتعة (الزواج المنقطع) ﴿ **فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً** ﴾ [سورة النساء: ٢٤] وقد قيل إنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ لِأَعْتَابِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ** ﴾<sup>(٥٦)</sup> **فَمَنْ ابْتغى وراءك فأولئك هم العادون** ﴾ [سورة المؤمنون: ٥ - ٧] فقال السيد السبزواري: ((إن آية المتعة متأخرة عن آية المؤمنون في النزول، فإن الأولى مدنية والأخيرة مكية، ولا يصلح أن تكون المكية تنسخ المدنية))<sup>(٥٥)</sup>.

### سادساً: الناسخ والمنسوخ<sup>(٥٦)</sup>:

معرفة الناسخ والمنسوخ ضرورة أساسية في علم التفسير يقرها العقل والنقل والتدرج المعرفي؛ لأنّ الإنسان بطبيعته إذا اعتاد أمراً فممن الصعب عليه تغييره أو التحول عنه إلى أمر آخر وبشكل دفعي، فجاءت الأوامر الإلهية منسجمة مع هذه السجية البشرية من الإصلاح والتغيير والنسخ في حقيقته تغيير لأمر ظاهري لا واقعي إذ الواقع الإلهي ثابت أزلاً وبقاء ولكن المصلحة اقتضت إنزال التشريع الابتدائي عن مصلحة وعلم والمرجع عالم بأنّ هناك حكم آخر دائم سيصدر في وقته المناسب؛

(٥٣) المصدر نفسه: ١٠ / ٢٧٩.

(٥٤) المصدر نفسه: ١٣ / ٢٣١.

(٥٥) المصدر نفسه: ٨ / ٣٧.

(٥٦) المصدر نفسه: ١ / ٥١٥، وينظر: لسان العرب: مادة: (نسخ): ٣ / ٦١.



## تعريف علوم القرآن في تفسير (مواهب الرحمن) ..... (المصباح)

لأنّ التشريع في حقيقته يجب أن يكون ظاهراً ومستمراً، وكلا الحكمين فيها مصلحة وهذا هو مفهوم النسخ لا نشأة رأي جديد بعد رأي سابق إذ هذا الأمر مستحيل على الله، ومعرفة الناسخ والمنسوخ أمر ضروري لأنّ جهله يؤدي إلى هلاك المفسر وإهلاك المتلقي على حد روايات أهل البيت (عليهم السلام).<sup>(٥٧)</sup> ((قال أمير المؤمنين (عليه السلام) لقاض: هل تعرف الناسخ من المنسوخ؟ قال: لا. قال: فهل اشرفت على مراد الله عز وجل في أمثال القرآن؟ قال: لا. قال: إذا هلكت وأهلكت))<sup>(٥٨)</sup>.

والسيد السبزواري أول ما أشار إلى المعاني اللغوية: إذ المعنى الجامع فيها هو الإزالة شيئاً بشيء يتعقبه نحو نسخ الشمس للظل أو نسخ الظل للشمس، والمعاني اللغوية هي:

١. النقل وقد يكون بالكتابة كما في نسخت الكتاب أي نقلته وضبطته نحو قوله تعالى:

﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة الجاثية: ٢٩].

٢. مجرد الإزالة والإبطال إذا لوحظ المنسوخ فقط، وقد رده السيد لما في الآية من قرينة

صارفه عن هذا المعنى حصراً في قوله تعالى: ﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ

يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة الحج: ٥٢] ((أي يزيل ما ألقاه

الشیطان وهو الباطل ويثبت الحق))<sup>(٥٩)</sup>.

٣. الإثبات إذا لوحظ الناسخ فقط.

٤. التبدل أي الإزالة والإثبات إذا لوحظ الناسخ والمنسوخ ((أي تبديل ما كان

ثابتاً من الحكم الشرعي بدليل معتبر على خلافه... ومن ذلك يعلم أنّ تخصيص

العموميات، وتقيد المطلقات والقرائن العامة أو الخاصة على خلاف الظاهر ليس

(٥٧) ينظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ١ / ٥٢٨ - ٥٣٣، وتلخيص التمهيد: ١ / ٣٧١ -

(٥٨) بحار الأنوار ٢ / ١٢١، وينظر: الإتيان: ٢ / ٥٥، وتلخيص التمهيد: ١ / ٣٧١ - ٣٧٤.

(٥٩) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ١ / ٥١٥.





من النسخ في شيء لا موضوعاً ولا حكماً)) (٦٠).

أما النسخ اصطلاحاً ((بيان انتهاء أمد الحكم الثابت سابقاً)) (٦١) أي كان يُعتقد أنه ثابت لولا مجيء الحكم الجديد فالنسخ ظهور الحكم بعد خفاء على الناس.

ولا حد للناسخ، ولا حد للمنسوخ عنده تعالى وأن كان النسخ أساساً في التشريعات ((والنسخ قد يتعلق بتمام الآية أو الحكم كله، وأخرى ببعض الجهات دون بعض)) (٦٢)، ولا بد من الإشارة إلى أن الرفع الجزئي للحكم أو الرفع الاضطراري له لمصلحة معينة مؤقتة نحو أكل لحم الميتة هذه الأمور ليست من النسخ ومما جاء في

الروايات أن الناسخ محكم والمتشابه منسوخ: ((عن محمد بن سالم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن أناساً تكلموا في هذا القرآن بغير علم وذلك أن الله تبارك وتعالى يقول:

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [سورة آل

عمران: ٧] الآية فالمنسوخات من المتشابهات؛ والمحكمات من الناسخات)) (٦٣)، وهو من باب ذكر المصاديق وفي مورد آخر ذكر: الناسخ الثابت أي الثابت الحكم والحجية في العمل، والمنسوخ الذي مضى أمده أي مضى العمل به وانتفت الحجية عنه.

وللنسخ شروط وحدود فليس كل ما قيل فيه نسخ وقع النسخ فيه إذ النسخ يقع في الأحكام الشرعية وبدليل شرعي قرانا وسنة قطعيئا، ويكون دليل الناسخ ناظر إلى الحكم المنسوخ ويجب تقدم المنسوخ على الناسخ في الزمن، مثلاً آية المتعة المارة الذكر قال السيد السبزواري فيها: ((إن آية المتعة متأخرة عن آية المؤمنون في النزول، فإن الأولى مدنية والأخيرة مكية، ولا يصلح أن تكون المكية تنسخ المدنية)) (٦٤)،

(٦٠) المصدر نفسه: ١ / ٥١٥.

(٦١) المصدر نفسه: ١ / ٥٢٧، وينظر كتب علوم القرآن: تلخيص التمهيد: ١ / ٣٧٥.

(٦٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ١ / ٥٢٤، وينظر: تلخيص التمهيد: ١ / ٣٧٥.

(٦٣) الكافي: الكليني: ٢ / ٢٨، وينظر الرواية ومعنى النسخ: مواهب الرحمن في تفسير القرآن:

٥٣ - ٥٤.

(٦٤) المصدر نفسه: ٨ / ٣٧.



تعريف علوم القرآن في تفسير (مواهب الرحمن)..... **المصباح** •

وكذلك قوله تعالى: ﴿ **وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا** ﴾ [سورة البقرة: ٨٣] قيل إنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿ **فَتِلْكَ الْأُيُوتُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** ﴾ [سورة التوبة: ٢٩] فقال السيد: ((فليست الآية منسوخة، وإلا لعمَّ النسخ كلُّ تقييد لمطلق، أو خاص لعام)) (٦٥)، ومن أقسام النسخ (٦٦) تغيير القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام وهنا في هذا النسخ ليس هناك تعب ولا نصب على المكلف قال تعالى: ﴿ **قَدْ رَأَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ** ﴾ [سورة البقرة: ١٤٤] ومن النسخ ما يكون الناسخ أيسر من المنسوخ نحو ما نسخ من حرمة الجماع والأكل والشرب في ليلة الصيام إذ جاء الحكم ميسرا بالجواز قال تعالى ﴿ **أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ** ﴾ [سورة البقرة: ١٨٧] ومن النسخ ما كان الناسخ أشد من المنسوخ كما في حد الزنا الذي كان السجن ثم تحول للجلد والرجم حد الموت ﴿ **وَالَّتِي يَأْتِيَنَّكَ الْفَدْحَشَةُ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّهِنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا** ﴾ [سورة النساء: ١٥] ونسخت بقوله تعالى وهي متأخرة بالنزول عنها: ﴿ **الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ** ﴾ [سورة النور: ٢]، أما أنواع النسخ (٦٧) أي النسخ الموجود في القرآن وهو واقع فعلا فهو نسخ الحكم فقط وغيره لا صحة له وهو نسخ التلاوة وكذلك نسخ الحكم والتلاوة ومن نسخ الحكم وجوب تقديم الصدقة على مناجاة الرسول ﷺ قال تعالى ﴿ **يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرٌ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ [سورة المجادلة: ١٢].

ومما أشار إليه السيد أن البداء نوع من النسخ؛ لأنه من التحول والتغير، أو الإطلاق فيها استناداً للمعنى اللغوي ويرى أن هذه الفكرة لا إشكال فيها والنسخ

(٦٥) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ١ / ٤٣٥ - ٤٣٦، ينظر شروط النسخ نفسه ١ / ٥٣٣.

(٦٦) ينظر المصدر نفسه: ١ / ٥٣٧ - ٥٣٨، وينظر في نسخ حد الزنا نفسه: ٧ / ٣٦٣، ٣٧٤ - ٣٧٥.

(٦٧) ينظر أنواع النسخ المصدر نفسه: ١ / ٥٣٨ - ٥٣٩.



في التشريع والبداء في التكوين ((لكن المنساق من مجموع الروايات الواصلة إلينا، أن مورد النسخ التشريعات، والبداء مورد التكوينيات، وهنا الاختلاف بحسب المتعلق لا بحسب الذات))<sup>(٦٨)</sup>.

### سابعاً: مناسبة الآيات:

وهو وجود معنى رابط بين الآيات إذ ((المناسبة في اللغة المشاكلة والمقاربة ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها عام، أو خاص عقلي، أو حسي، أو خيالي، أو غير ذلك من أنواع العلاقات، أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول، والنظيرين، والضدين ونحوه))<sup>(٦٩)</sup> وهو علم شريف؛ لأن أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط، فيكون ((ارتباط أي القرآن بعضها ببعض حتى تكون الكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني))<sup>(٧٠)</sup>، كان السيد السبزواري يقدم في كل سورة ما حوته من معاني عامة وكذلك يقدم لكل مقطع قرآني ما حواه من المعاني، فقد تكلم السيد في مناسبة الآيات على أساس دلالتها ومقاصدها الكلية وكان يفتح كل سوره بملخص لما حوته من معاني، وكذلك كل مقطع، على الرغم من قوله: ((لم أتعرض لبيان النظم بين الآيات، وذلك؛ لأنّ الجامع القريب في جميعها موجود، وهو تكميل النفس أو الهداية، ومع وجوده لا وجه لذكر النظم بين الآيات؛ لأنّ الغرض القريب بنفسه هو الجامع والرابط بين الآيات))<sup>(٧١)</sup>، فمثلاً استعراض ما جاء في سورة آل عمران ومناسبة الآيات فيها الدعوة إلى عبادة الله الجامع لصفات الجمال والكمال، والمثبت لنفسه مهام الصفات العليا وما يستلزم في تدبير ملكه، وفيها الدعوة إلى توحيد الصفوف، ووحدة الكلمة والابتعاد عن

(٦٨) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ١ / ٥٢٤، وينظر المعنى اللغوي: لسان العرب: مادة: (نسخ): ٦١ / ٣.

(٦٩) الإتيقان: ٢ / ٢٨٩، وينظر في اللغة: لسان العرب: مادة (شكل): ١١ / ٣٥٦.

(٧٠) الإتيقان: ٢ / ٢٨٨.

(٧١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ١ / ٥.



## تعريف علوم القرآن في تفسير (مواهب الرحمن) ..... (المصباح)

الاختلاف والتفرقة، ومواجهة المخاطر والصبر عليها، مع إنبائهم بمكر الأعداء وتجميعهم لإطفاء نور الله تعالى بكل ما أمكنهم، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، وفيها بيان لأصول المعارف الإلهية، مع ما فيها من الاشتراك في الأديان السماوية، مع تعليم كيفية الحجاج والمحاجة مع أهل الكتاب، وما جرى في مباهلة وفد نجران، وفيها كيفية الخلق، وخلق عيسى عليه السلام الذي شابه خلق آدم عليه السلام مع إنكارها الكثير من أفعال اليهود وعقائدهم والرد على مزاعمهم في أنبياء الله تعالى، وذكر فيها كيفية السعادة في الدنيا والآخرة، مع كيفية رد الشبهات على المعاندين، وتليس الكافرين، وأنهى الله سبحانه وتعالى السورة بالدعاء، وبين السيد السبزواري أنها نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بدلالة وحدة الأسلوب والغرض (٧٢)، فقد ابتدأت بالتوحيد، وجمعت فيها المبدأ والمعاد، والنبوة، ومراتب تكامل النفس وسيرها إليه تعالى، وفي كل ذلك فيه دلالة واضحة على عظمته سبحانه إذ هو الحكيم الحنان المنان ذو الجلال والكرام، وقد تضمنت الآيات الست الأولى براعة الاستهلال، وخلاصة ما في السورة من معارف ((فقد أثبت سبحانه وتعالى مهام صفاته العليا وأورد عز وجل ذكر الكتب الإلهية، وحذر الكافرين عن أفعالهم وأوعدهم بالعذاب الشديد، ثم ذكر ما هو بمنزلة العلة لما ورد في المقدمة وأرشد المؤمنين إلى تذكّر آلاء الله تعالى وصفاته العليا التي بها يدوم العالم وينتظم نظام الخلق، فهذه الآيات اشتملت على أصول المعارف الإلهية، أما التوحيد فقوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [سورة آل عمران: ٢]، وأما النبوة فقوله تعالى: ﴿نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ﴾ [سورة آل عمران: ٣] وأما المعاد ببقية الآيات المباركة)) (٧٣)، وجاء التلخيص لما في سورة المائدة بذكره القضية الرئيسة في القرآن العظيم ((وهي قضية «لا إله إلا الله» وإثبات رسالة خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم، والدعوة إلى الإيمان الصحيح، فكان القسم الأعظم من في

(٧٢) ينظر: المصدر نفسه: ٥ / ٣ - ٤.

(٧٣) المصدر نفسه: ٥ / ٤ - ٥.



محاجة اليهود والنصارى مع ذكر المنافقين والمشركين)) (٧٤).

### ثامناً: الإعجاز القرآني:

المعجزة هي الأمر الخارق للعادة مع وجود شرط التحدي أي الدعوة إلى المبالغة والمنازعة، لإثبات دعوى رسالة الأنبياء ﷺ بطريقة تقنع المدعويين إلى الإيمان، والكرامة: هي الأمر الخارق للعادة مع وجود شرط التحدي فقد تصدّر عن عبد غير معروف في فلاة من الأرض كالخضر ﷺ ((فحقيقة الإعجاز: قدرة النفس الإنسانية على إيجاد ما يخرق به الطبيعة والعادة، والتصرف في هذا العالم، بما هو خارج عنه، كل ذلك بأقدار من الله تعالى عليه لمصالح متعددة تقتضيها الظروف)) (٧٥)، والإعجاز ليس من باب الصرفة كما ذهب إليه قوم (٧٦)، وإنما هو من باب إتمام الحجة وحسب إذ هم لا مجال للعباد أمام الخالق والمعجز والمتحدي الحقيقي؛ لأنهم مهوورون له، فهو القاهر فوق عباده وجميع المعجزات المتحدي فيها الله جلت قدرته أو النبي بعد إذن الإله لإتمام الحجة على المعاندين ((فالتحديات القرآنية إنما وقعت لإتمام الحجة على المعاندين، لا أن تكون تحدياً حقيقياً واقعياً)) (٧٧)؛ ولكنها سارت على ما جرى عليه الناس في مخاصماتهم ومحاوراتهم العرفية، ومنها ما كان في الجاهلية في تحدي بعضهم بعضاً في جانب الفصاحة والبلاغة وما كان يعقد في مكة والحوضر العربية لتحدي بعضهم بعضاً وتعليقهم جيد أشعارهم على الكعبة من باب إبراز الفضل فيها واشتهرت بالمعلقات لروعتها عندهم وما يفتخرون به فجاء القرآن وألزمهم بما ألزموا به أنفسهم وتحدهم بما تمكنوا منه والنداء كان بجميع الناس إما للإتيان بمثله، أو الاعتراف بعجزهم وقصورهم، وبذلك يثبت أصل الدعوة وأحقيتها وإلا لا مجال لتحديهم لاختلاف النسخة كما يشار إليه وهي ليس من باب صرفهم

(٧٤) المصدر نفسه: ٢٧٩ - ٢٨٠.

(٧٥) المصدر نفسه: ١ / ١٦٢، وينظر: نفسه: ١٧٨ / ١٠.

(٧٦) ينظر: المصدر نفسه: ١ / ١٦٠ - ١٦٣.

(٧٧) المصدر نفسه: ١ / ٩.

## تعريف علوم القرآن في تفسير (مواهب الرحمن) ..... المصباح

وإعجازهم (الصرفة)<sup>(٧٨)</sup>، فهو مردود على رأي السيد السبزواري، فالتحدي كان حقيقة وهو ما كان شائعاً عندهم من التحديات، أما في هذه الآية ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة البقرة: ٢٣] فالتحدي هو النبي أو القرآن الكريم إذ لا نسخة أي لا مشابهة بين المتحدي الله جلت قدرته والمتحدى عامة الخلق، ويرى السيد لا داعي للتطويل في المتحدي الحقيقي أي الله، فهو يصبح جوهرة نفسية لا تقاس بالناس وأسباب التحدي لإتمام الحجة، وبيان لطف الله وعنايته، ولكي يتضح لهم ضعفهم وعجزهم فيرجعون إليه وقد يكون توبيخاً لهم وإتماماً للحجة عليهم<sup>(٧٩)</sup>.

ويرى السيد أيضاً أن القرآن كله ((معجز من جميع جهاته بأسلوبه، وكلماته، وفصاحته، وبلاغته، وبأحكامه، وآدابه، وبقصصه، وإرشاداته، وأصوله، وفروعه، وبحقائقه، وواقعيته، وغير ذلك مما لا يبلغ حد الإحصاء...))<sup>(٨٠)</sup> وجاء في نص آخر قوله: ((وجوه إعجاز القرآن كثيرة ومتعددة، بل هو من جميع الجهات... ومن كل جهة يشمل المتحدي به على الدعوة من تلك الجهة وإلا لما تمت الحجة... فهو معجزة للفصيح البليغ في فصاحته، وللعالم في علمه، وللفلسفي في فلسفته (إلى غير ذلك))<sup>(٨١)</sup>، وحقيقة الإعجاز انه خاضع للأسباب الطبيعية وأن كان غيبياً إلهياً فهو تابع لإرادته المطلقة وقيومته التامة وهذا اللطف والإرادة مخصوص في أفراد معينين ومؤهلين لهم استعدادهم الخاص بهم، فشملتهم العناية الخاصة ((إقامة على الجميع، وارتباطاً لعالم الشهادة بعالم الغيب... لأن إبراز المعجزة وخارق العادة على أيديهم له دخل في نظام التكوين، كما أن التشريع كذلك، بل

(٧٨) ينظر في القول في الصرفة وردها: الموضح عن جهة إعجاز القرآن وهو الكتاب المعروف بـ (الصرفة): الشريف الرضي، ومناهل العرفان: ٢ / ٦٣٥.

(٧٩) ينظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ١ / ١٥٤ - ١٥٨، ١٦٣.

(٨٠) المصدر نفسه: ٩ / ٨٥ - ٨٦، وينظر: نفسه: ٩ / ٩٧، ١ / ١٦٣ - ١٦٤.

(٨١) المصدر نفسه: ١ / ١٦٣ - ١٦٤.



هو غاية نظام التكوين)) (٨٢).

من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم عند السيد السبزواري (٨٣).

وقد أشار السيد إلى جملة منها عبر عنها بالمهم وهي:

١. حياة القرآن<sup>(٨٤)</sup>: إن القرآن حي وبارق على مر الزمان لما فيه من الكلمات المعنوية

والحياة الحقيقة الواقعية، فحياته من واقعيته ومن فهم هذه الجمل استطاع أن

يستمد من الحياة لنفسه آخذاً من كمالاته التي تهيئه للعيش في الحياة الواقعية

المستمدة من عالم الأزل إلى الأبد، فهو كمال من الكمال المطلق ومن جعله منهجه

وسار فيه على طريقته ألهم الكمال الذي به الحياة الأبدية ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا**

**مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا**

**كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [سورة النحل: ٩٧] إذ إن القرآن الكريم روح من الله بذاته

وهذه الروح حتماً تمد الحياة لا محالة وهي من عالم الأمر الذي يمد الوجود بما

يحتاج من حياة قال تعالى: ﴿ **وَكَذٰلِكَ اَوْحَيْنَا اِلَيْكَ رُوْحًا مِّنْ اَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرٰى مَا الْكِتٰبُ**

**وَلَا الْاٰيْمٰنُ وَلٰكِنْ جَعَلْنٰهُ نُورًا نَّهْدٰى بِهِۦ مَنۡ شَاءَ مِنْ عِبَادِنَا** ﴾ [سورة الشورى: ٥٢].

٢. المعارف الإلهية<sup>(٨٥)</sup>: فالقرآن معجزة في المعارف الإلهية فهو المشير إلى أعقد المسائل

الربوبية والعقائدية بأبسط الأساليب سواء أكانت فلسفية، أم وجدانية، فحضر

لهم أمثلة وجدانية لم يستطيعوا ردها، وهذا بحد ذاته معجزة ومع كون هذه الأمثلة

(الآيات) وجدانية هي فلسفية في نفسها، فمثلاً التوحيد الأفعالي من الأمور

المعقد الإثبات في الجانِب الفلسفي، ولكنها جاءت بأسلوب سهل في القرآن

الكريم نحو قوله تعالى: ﴿ **سَرٰىهِمْ اٰيٰتِنَا فِى الْاَفَاقِ وَفِىْ اَنْفُسِهِمْ حَتّٰى يَتَّبِعِنَ لَهُمْ**

**اَنَّهُ الْحَقُّ اَوْلَمۡ يَكْفِ بِرَبِّكَ اَنَّهُۥ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ شٰهِدٌ** ﴾ [سورة فصلت: ٥٣] وقوله:

(٨٢) المصدر نفسه: ١/ ١٦١-١٦٢.

(٨٣) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ١٦٤-١٧٣.

(٨٤) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ١٦٤-١٦٦.

(٨٥) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ١٦٦-١٦٧.



﴿ فِي اللَّهِ شَكٌّ فَأَطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [سورة إبراهيم: ١٠]، فقد جاء الدليل على وجود الله ما في أنفسهم من حقائق وما حولهم من موجودات تثبت وجود صانعها ومكونها ومع كونه دليلاً وجدانياً؛ لأنه موجود في أنفسهم وحولهم إلا أنه دليل استنتاج العلة من المعلول، والجاعل من المفعول وهو ما عبر عنه في الفلاسفة (بالبرهان اللمي) فهو معجزة في إثبات التوحيد الأفعالي، وكذلك هو معجزة في التوحيد الذاتي وهو من أهم مقاصد الفلاسفة وما جاء في القرآن كان أيسر وأوضح نحو قوله: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [سورة الأنبياء: ٢٢] ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ [سورة الحج: ٣١]، وفي توحيد الصفات كان السبق الأكبر للقرآن العظيم فيه نحو قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [سورة الرعد: ٣٠] وقد ثبت أن الذات الإلهية جامعة ((لجميع صفات الكمال، فنفي ألوهية عما سواه إثبات لحصر جميع صفات الكمال بالنسبة إليه))<sup>(٨٦)</sup>، وكذلك من المعارف الصعبة الإثبات مسألة المعاد، وذكر الأمم وما جرى فيها من معجزات ونبوءات سهاوية وقصص واقعية وغيرها من المعارف.

٣. إعجاز القرآن في تشريع الأحكام: فقد شرعت الأحكام المدنية النظامية الفردية والاجتماعية، وهي من الأمور المتغيرة في نظر الإنسان وعلى الرغم من ذلك وضعت في قوانين ثابتة ولا تتغير على الرغم من تغير الزمن، وهنا يكمن التحدي والإعجاز فقد عولجت أمور لم تكن أفهام البشر تصل إليها في ذلك الوقت، وقد وفّت حاجات الإنسان ومتطلباته على مر الأزمان وفي مختلف جوانب الحياة مع عدم تغيرها وتبدلها على الرغم من تغيير حاجات الإنسان باختلاف الإعصار والأمصار، والسر في ذلك أن القرآن العظيم المعجز عالج الأمور الكلية وأصل القوانين، وهذه الأمور لا تتغير فيها لا تبدل ((كوجوب عبادة الله تعالى، وحرمة





أكل مال الغير، ووجوب رد الأمانة، وحرمة الخيانة... ولكن الجزئيات قد تختلف حسب اختلاف الحالات والخصائص، وهي مما لا بد من جعل القوانين... المسلمة كحسن الإحسان وقبح الظلم ونظائر ذلك مما لا يتغير ولا يتبدل))<sup>(٨٧)</sup>.

٤. إعجاز القرآن في العلوم<sup>(٨٨)</sup>: اشتمل على العلوم المختلفة والكثيرة التي تساعد الإنسان على الكمال المادي أو الكمال المعنوي سواء أكان فرداً أم جماعة ففي القرآن كل ما يحتاجه الإنسان: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة النحل: ٨٩] ((فهو يحتوي من المعارف أجلاها وأرقاها ومن العلوم العملية أتقنها وأسناها، ومن تشريع القوانين أرفعها وأدقها سواء أكان في العلوم الاجتماعية أم الاقتصادية والإنسانية، ومطلق العلوم التكاملية))<sup>(٨٩)</sup>؛ لأن هذه العلوم مستمدة من علم الله الأزلي غير المتناهي من كل الجهات فمن يكون أعلم منه حتى يتحدى؟. وهو بحد ذاته دليل على الإعجاز حتى العلوم الحديثة وأن لم يشر إليها بنحو التفصيل فقد أشار إليها القرآن بنحو الكلية وأن لم يلتفتوا إليها إلا بعد مدة من الزمن نحو ما ثبت في محله من إشارات للحركة الجوهرية<sup>(٩٠)</sup> ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُغِرَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [سورة النمل: ٨٨] والتلقيح بالرياح ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ﴾ [سورة الحجر: ٢٢] وهكذا.

(٨٧) المصدر نفسه: ١ / ١٦٨.

(٨٨) ينظر: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم: د. حميد النجدي، الإعجاز القرآني في ضوء الاكتشاف العلمي الحديث دراسة تاريخية وتطبيقات معاصرة: مروان وحيد شعبان التفتناري، الإعجاز العددي في القرآن الكريم: د. لبيب بيضون.

(٨٩) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ١ / ١٦٩.

(٩٠) ينظر في مفهوم الحركة الجوهرية: تفسير القرآن الكريم (صدر التأهين): ٧ / ١٤٥ - ١٤٦، الشمس الساطعة: ٢١٧، وينظر: نفسه: ٢١٦، ٢١٩، ومحاورات التلميذ والعلامة (الكتاب نفسه): ٨٧ - ٨٦، ٨٩، والإنسان الكامل في نهج البلاغة: ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٧، ١٣٨، والمعنى في ضوء التفسير العرفاني: د. حسين علي المهدي: ٣٩٦ - ٣٩٩.



تعريف علوم القرآن في تفسير (مواهب الرحمن) ..... **المصباح** •

٥. إعجاز القرآن في الإنشاء بالغيب: ومن الإعجازات القرآنية هو الإنشاءات الغيبية فقد أخبر عما جرى في الأمم الماضية في عالم الفناء وأصدق بيان ﴿ **ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ** ﴾ [سورة يوسف: ١٠٢]، وجرى الأخبار عن أمور لم تكن في عصر التنزيل وكذلك أمور وأخبار مستقبلية في عالم الفناء وعالم البقاء إذ ﴿ **لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ** ﴾ [سورة سبأ: ٣] وقوله ﴿ **وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ** ﴾ [سورة يونس: ٦١]، ومنها ما أخبر الله به عن انتصار الروم بعد عدة أعوام ﴿ **غَلَبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ** ﴾ ﴿ **٣** ﴾ في بضع سنين **لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ** ﴾ [سورة الروم: ٢ - ٤]، فالإيمان بالغيب من مسلمات العقيدة الإسلامية، ف(القرآن) دعوات من الغيب إلى الغيب حتى تتم الشهادة.

٦. إعجاز القرآن في البلاغة والفصاحة: أفتخر العرب في عصر النزول وقبله بفصاحتهم وتباروا فيما بينهم وكانت هذه الميزة من أهم ما يفتخرون به، وهي من أشرف مآثرهم وتشهد لذلك أسواقهم ومنتدياتهم التي يتفاخرون بها شعرا ونثرا فقد كان منهم الخطباء والشعراء البارعون، وقد دونت المصنفات في ذلك وضبطت الكتب فروع كلماتهم ودقائق عباراتهم، وما فيها من الجمال والكمال اللغوي والناظر إلى نتاجهم بعين البصيرة العلمية يشهد لهم في التقدم والإبداع ويعترف بالعجز والتحير أمامهم في هذا المضمار، فكانت المشيئة الإلهية أن تتحداهم بما أبدعوا فيه من فصاحة وبلاغة التي كانت شائعة في وقت التنزيل أمرهم بالإتيان بمثله أو بسورة منه، فعجزوا عن ذلك واعترفوا بقصورهم وتقصيرهم ونقلنا لنصوصهم عند سماعهم قوله تعالى: ﴿ **وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلُغِي مَاءَكَ وَنَسَمَاءَ أَقْلَبِي وَغِيصَ الْمَاءِ وَفُصِّي الْأَمْرُ وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾ [سورة هود: ٤٤]





((أخذتهم الدهشة والتحير، وأمروا بإنزال ما علق على الكعبة المشرفة من القصائد والأشعار))<sup>(٩١)</sup>، ومن وجوه الإعجاز في الفصاحة والبلاغة الأحرف المقطعة في بداية السور إذ يرى السيد<sup>(٩٢)</sup> فيها نوعاً من الإعجاز وهي من المتشابهات وهي سر بين المحبوب والحبیب بين الموحى والموحى إليه لا يعلمها أقرب المقرين، وقد نقل السيد رأي المفسرين فيها ناقداً ومقوماً والآراء كما ينقلها في المواهب هي:

١. أنها من المتشابهات<sup>(٩٣)</sup> التي اختص الله تعالى بها أو بمن علمهم وهم أهل البيت عليهم السلام ويعلل السبب؛ لأنها أعييت العلماء عن الوصول إلى آثارها وفهم حقائق أسرارها.
٢. لها أهمية عظيمة؛ لأنها عليها المدار في فهم المراد الإلهي والمخاطبات البشرية.
٣. هذه الحروف لها معانٍ وليست من المهملات لذا اختلف المفسرون في معانيها أو المراد منها، وما عُبر عنه بالمعاني هو ليس معانٍ بالحقيقة على رأي السيد السبزواري، وإنما هي من باب الحكم والفوائد، أما المعاني الحقيقية فهي من مختصات الله فمن تلك الحكم والفوائد:

- الإشارة إلى حساب الجمل والأعداد، ورأي السيد أن هذا الرأي باطل ولا يقوم عليه دليل من النقل أو العقل.
- إشارة إلى أشخاص إلهيين من أمثال القطب، والولي، والوحد أو الأوتاد وهذه الفكرة عند المتصوفة ودليلهم الكشف والشهود، ورأي السيد أن هذا الرأي باطل، ولا يقوم عليه دليل من النقل أو العقل، ودليل الكشف والشهود يخصهم ولا يخص الآخرين

(٩١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ١ / ١٧١، وينظر كتب البلاغة والفصاحة والتي تناولت شأن الإعجاز منها: دلائل الإعجاز: الجرجاني، أسرار البلاغة: الجرجاني، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي.

(٩٢) ينظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ١ / ٧٧-٨٠، ونفسه: ٥ / ٥-٦.

(٩٣) المصدر نفسه: ١ / ٥ ينظر نفسه: ١ / ٧٧-٨٠، ونفسه: ٥ / ٥-٦ وينظر في أنها من المتشابهات: جامع البيان عن تأويل القرآن: الطبري: ٣ / ٢٣٨، التبيان في تفسير القرآن: ١ / ٤٨، تفسير الميزان: الطباطبائي: ٣ / ٣٢.

## تعريف علوم القرآن في تفسير (مواهب الرحمن) ..... المصباح

والقرآن للجميع.

• هذه الحروف سر من أسرار الإعجاز القرآني، فهذه الحروف على الرغم من أنها مقطعة أعييت البلغاء عن فهمها فضلاً عن مجاراتها ((فإن في هذه المقطعات لطافة لا تكون في غيرها وحلاوة لا توجد في ما سواها فإعجازها في الفصاحة والبلاغة نحو إعجاز خاص))<sup>(٩٤)</sup>، فالإعجاز القرآني بالحروف المقطعة التي تعني رموز لمعان:

• تمهيداً لإصغاء انتباه المخاطبين والسامعين<sup>(٩٥)</sup>، ورد السيد هذا الرأي قائلاً عنه أنه بعيد عن الحكمة.

• من بواطن القرآن فإن لكل ظاهر باطنا وافق السيد هذا الرأي.

• رموز لبعض العلوم التي سترها الله عن عباده.

• أسرار بين المحبوب والحبيب بين الموحى والموحى إليه لا يعلمها أقرب المقربين حتى أمين الوحي جبرائيل عليه السلام على عظمة منزلته، فهي أسرار إلهية بين الله والرسول صلى الله عليه وآله ((وهذا هو دأب المتيمين من الأحباب وقديماً قالوا أن للحب لغة خاصة في مقابل كل لغة:

بين المحبين سر ليس يفشيه قول ولا قلم للناس يحكيه

هذا في الحب المجازي، وأما الحقيقي فلا يعقل تحديده بحد أبداً))<sup>(٩٦)</sup>، وهذا الرأي يذهب إليه السيد السبزواري بقوة.

• بعد تركيب الحروف بعضها مع بعض تشير إلى أمور عظيمة في الشريعة، ورد السيد هذا؛ لأن الاحتجاج بالألغاز والرموز لا يعتمد عليه عند الأعلام فكيف بالملك

(٩٤) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ٥ / ٧٨ - ٧٩، وينظر هذا الرأي: مجمع البيان: ٢: ٦٠، وتفسير القرآن الكريم: (صدر المتأهين): ٦ / ١٤.

(٩٥) وينظر في هذا الرأي: مجمع البيان: ١ / ٦٠.

(٩٦) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ٥ / ٥، ينظر هذا الرأي في تفسير القرآن الكريم: (صدر المتأهين): ٦ / ١٧ - ١٨، والصابي في تفسير القرآن: الفيض الكاشاني: ١ / ١٣٣ - ١٣٤.



العلام، فلا يستطيع المرء الاحتجاج بالغامض؛ لذا يذهب السيد إلى أنها من المتشابهات.

- أنها أسماء للسور التي بدأت بها ويرد عليه السيد أن فيه من الغرابة ما لا يخفى (٩٧).
- إن الحروف المقطعة تجليات لما في السور من معانٍ وإن كانت مؤلفة من الحروف الهجائية نفسها بحسب الظاهر.

وطرح السيد شبهة ترى أن البلاغة والفصاحة كالجمال والملاحة هي غرائز طبيعية خارجة عن الاختبار والتحدي؟. وردها بقوله هذا الرأي فاسد من عدة جهات:

أ. ظهور العجز والقصور عند من كان يعدها مزية إبداع وتحدي فيما بينهم، وهو المطلوب وإن كانت غرائز فالشجاعة غريزة ولكنهم يتبارون فيها ويتحدى بعضهم بعضا.

ب. الوجدان يشهد للاختبار في الغرائز فلا جهة لهذه الدعوة.

٧. إعجاز القرآن بعدم الاختلاف فيه (٩٨): القرآن الكريم محفوظ من التناقض والاختلاف من أوله إلى آخره؛ لأنه من علام الغيوب فهو عارف بالكليات والجزئيات وما توهم أنه تناقض أو اختلاف، فهو في فهم المتلقي وبحسب حاجته إلى التدبير فيه؛ لأنه قد يكون التوهم بين خاص وعام، ومطلق ومقيد، قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ يَكُنْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَوْجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾

[سورة النساء: ٨٢]، والله واحد أحد فرد صمد وهو ما تشهد له الأدلة العقلية والنقلية وكل ما يصدر منه واحد إذ فعله واحد كذاته والكلام من فعله إذن فهو واحد لا اختلاف ولا خلاف فيه، وهناك أمر آخر وهو أن القرآن نزل على الفطرة السليمة المستقيمة والفطرة واحدة، فالقرآن واحد ومن ظن إن فيه

(٩٧) ينظر هذا الرأي في التبيان: ١ / ٤٨.

(٩٨) ينظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ١ / ١٧٢ - ١٧٣.

## تعريف علوم القرآن في تفسير (مواهب الرحمن)..... (المصباح)

تناقض أو فيه تغير في بعض الأحكام بـ(النسخ) فهذه الأمور جرت لمصالح دنيوية أو أخروية، وقد آخذه قوم على أنه من متناقضات القرآن ويرد عليه بحسب رأي السيد السبزواري هذا ليس من الاختلاف ((بل هو من شؤون جعل القانون وحدوده... على طبق المصالح والمقتضيات))<sup>(٩٩)</sup>، وهذه مزية من مزايا الإعجاز.

### الخاتمة ونتائج البحث

- تحديد المفاهيم مزية واضحة في منهجية السيد السبزواري فمثلا يرى أن التفسير بالرأي هو الفهم الشخصي للقرآن الكريم مع الحكم والإذعان وترتيب الآثار عليه على أنه هو مراد الله جلّت قدرته أما الأخذ بظاهره المتعارف عليه فلا بأس فيه، وكذلك الفهم الذهني بسبب الحركة الفكرية البسيطة الذي يصاحب التلقي الأولي للنص ولا يترتب عليه أثر في الحكم فلا إذعان ولا اعتقاد وهنا لا إشكال في هذا الفهم أيضا؛ لأنه قد يكون بلا اختيار.
- لجأ السيد إلى التخلص من التفسير بالرأي بالاستناد إلى تفسير القرآن بالقرآن والسبب؛ لأنه تبيان كل شيء، فأولى أن يكون تبيانا لنفسه واستظهر معاني الآيات القرآنية المباركة بقرائن معتبرة، تحاشياً للتفسير بالرأي.
- منهجه في التفسير هو تفسير القرآن بالقرآن والسبب؛ لأنه تبيان كل شيء، وكذلك تفسير القرآن بالسنة.
- للمحكم دالتان على رأي السيد السبزواري: المتقن في كل شيء بما في ذلك الأسلوب والمعنى والإعجاز وجميع آيات الكتاب بما فيها المتشابهات أي كل القرآن محكم من هذه الجهة؛ لأنها صادرة من المبدأ الأزلي، والمحكم المراد منه المصون عن التردد والاحتمال في الأذهان المستقيمة، والمحكم أي معلوم الدلالة، وسميت الآيات المحكمة بأمر الكتاب ﴿ هُنَّ أُمَّ الْكِتَابِ ﴾ [سورة آل عمران: ٧]؛



أي أصله، وإليها ترجع باقي الآيات باعتبارها أصل والباقي فروع، والفروع ترجع إلى أصولها عند قصور العقول عن درك معانيها، فهي تعد المادة الأساس لجميع الآيات الشريفة فلا بد من رجوعها إليها، وهو المعنى اللغوي الذي أشار إليه أصحاب المعاجم.

• للمتشابه دلالتان الالتباس بسبب التردد والاحتمال أي القابل للاحتتمالات، ومن هذا النوع آيات الصفات، والمعنى الثاني التماثل والانطباق التام على معاني الكمالات الموجودة في تمام القرآن إذ إنه من هذه الجهة كله متشابه في الفصاحة والبلاغة وبديع الأسلوب لصدوره من مبدأ الكمال والجمال.

• يرى السيد أن الظاهر ما يمنحه النص للجميع للعوام ولغيرهم ويجب الأخذ به، والباطن هي المعاني المتعددة التي يمكن أن يمنحها النص، أو الأبعاد الموجودة فيه، أو هو تعدد مراتب المعنى وهو ما عبّر عنه بالتشكيك أو هي مراتب التأويل التي علمها الله الراسخين في العلم؛ لأن التأويل والغيب علمه بالذات مختص بالله وعلم الرسول ﷺ والأئمة عليهم السلام بالعرض ويصلون إليه بالإشارات والعلامات أو بالإلهام؛ لذا كانت معاني القرآن متجددة.

• لم يتعرض السبزواري لسبب النزول ويذكر العلة في ذلك؛ لأن الآيات المباركة كليات تنطبق على مصادقيها في جميع الأزمنة فلا وجه لتخصيصها بزمان النزول أو بفرد دون فرد آخر.

• فهم السيد مصطلح المكّي والمدني وطبقه على الآيات القرآنية على أساس الخصائص الأسلوبية والموضوعية لكل منهما.

• لا حد للناسخ وللمنسوخ عنده تعالى وأن كان النسخ أساساً في التشريعات، والنسخ قد يتعلق بتمام الآية أو الحكم كله، وأخرى ببعض الجهات دون بعض، والنسخ بيان انتهاء أمد الحكم الثابت سابقاً، والنسخ نوع من البداء؛ لأنه من التحول والتغير.



## تعريف علوم القرآن في تفسير (مواهب الرحمن) ..... (التصنيف)

- في مناسبة الآيات لم يتعرض لبيان النظم لكل آية وذلك؛ لأن الجامع القريب في جميعها موجود، وهو تكميل النفس أو الهداية، إلا أنه كان يقدم في كل سورة ما حوته من معانٍ عامة وكذلك يقدم لكل مقطع قرآني ما حواه من المعاني، فقد تكلم السيد في مناسبة الآيات على أساس دلالتها ومقاصدها الكلية وكان يفتح كل سورة بملخص لما حوته من معاني، وكذلك كل مقطع.
- حقيقة الإعجاز: قدرة النفس الإنسانية على إيجاد ما يخرق به الطبيعة والعادة، والتصرف في هذا العالم، بما هو خارج عنه، كل ذلك بإقدار من الله تعالى عليه لمصالح متعددة تقتضيها الظروف، والإعجاز والتحدي ليس من باب الصرفة كما ذهب إليه قوم، وإنما هو من باب إتمام الحجة وحسب إذ هم لا مجال لهم أمام الخالق والمعجز والمتحدي الحقيقي.
- المتحدي هو النبي أو القرآن الكريم إذ لا نسخية أي لا مشابهة بين المتحدي الله جلت قدرته والمتحدى عامة الخلق.
- ويرى السيد أيضاً أن القرآن كله معجز من جميع جهاته بأسلوبه، وكلماته، وفصاحته، وبلاغته، وبأحكامه، وآدابه، وبقصصه، وإرشاداته، وأصوله، وفروعه، وبحقائقه، وواقعيته، وغير ذلك مما لا يبلغ حد الإحصاء...
- رأي السيد في الأحرف المقطعة بأنها نوع من الإعجاز وهي من المتشابهات ولها أهمية عظيمة؛ لأنها عليها المدار في فهم المراد الإلهي والمخاطبات البشرية، وهذه الحروف لها معانٍ وليست من المهملات لذا اختلف المفسرون في معانيها أو المراد منها ويذهب السيد إلى الذي عبر عنه بالمعاني هو ليس معاني بالحقيقة، وإنما هو من باب الحكم والفوائد، أما المعاني الحقيقية فهي من مختصات الله فمن تلك الحكم والفوائد إنها من بواطن القرآن فأن لكل ظاهر باطناً أو أنها رموز لبعض العلوم التي سترها الله عن عباده، وهي سر بين المحبوب والحبیب بين الموحى والموحى إليه لا يعلمها أقرب المقرئين وقد نقل السيد رأي المفسرين فيها ناقداً ومقوماً.





## أهم المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- الإتيقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي، تحقيق: سعيد المنذوب، الناشر: المطبعة: لبنان - دار الفكر، الطبعة: الأولى: ١٤١٦ - ١٩٩٦ م.
- أسباب النزول: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، الناشر: مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع - مصر: ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.
- أسرار البلاغة (كتاب): أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، قراه وعلق عليه: أبو فهر (محمود محمد شاكر)، الطباعة والناشر: دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع - جدة، المطبعة: المدني - مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م.
- أصول التفسير والتأويل: السيد كمال الحيدري، منشورات دار فراقده، قم - إيران، المطبعة ستاره، الطبعة الثانية، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.
- الإعجاز العددي في القرآن الكريم: د. لبيب بيضون، مؤسسة الأعلمي: بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م.
- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم: د. حميد النجدي، الناشر: دار الأنصار، المطبعة: سيد الشهداء (عليه السلام)، الطبعة الثالثة: ١٤٢٩ هـ. ق - ٢٠٠٨ م.
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي، الناشر: شركة الأرقم بن أبي الأرقم، د. ط، د. ت.
- الإعجاز القرآني في ضوء الاكتشاف العلمي الحديث دراسة تاريخية وتطبيقات معاصرة: مروان وحيد شعبان التفتناري، قدم له الشيخ محمد علي الصابوني، والدكتور إبراهيم محمد حسن، والشيخ محمد حكمت معلم، الناشر دار المعرفة، الطبعة الأولى: ١٤٢٧ هـ. ق - ٢٠٠٦ م.
- ألطاف الباري من نفحات الإمام السبزواري: عبد الستار الحسيني، الناشر: مؤسسة طهران، المطبعة: الكوثر، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٤ م.

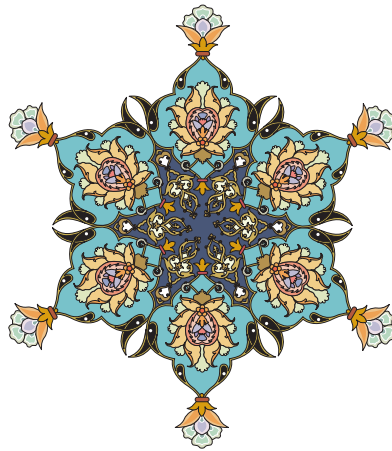


تعريف علوم القرآن في تفسير (مواهب الرحمن) ..... (المصباح)

- الإنسان الكامل في نهج البلاغة: حسن حسن زادة الآملي، ترجمة عبد الرضا افتخاري، نشر مؤسسة المعارف الإسلامية، المطبعة: باسدار إسلام، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: محمد باقر المجلسي، الناشر: مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان، الطبعة الثانية: ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- تأويل القرآن النظرية والمعطيات: السيد كمال الحيدري، منشورات دار فراق، قم - إيران، المطبعة ستاره، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- التبيان في تفسير القرآن: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، الناشر والطباعة: المكتب الإعلام الإسلامي، ودار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
- تفسير العياشي: محمد بن مسعود العياشي، تحقيق: الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاقي، الناشر: المكتبة العلمية الإسلامية - طهران، د. ت، د. ت.
- تفسير القرآن الكريم: محمد صدر الدين الشيرازي، مع تعليقات الحكيم الإلهي علي النوري، تصحيح محمد خواجوی، منشورات بيدار - قم، المطبعة أمير، الطبعة الثانية، ١٣٧٣هـ. ش = ١٤١٥هـ. ق.
- التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب: محمد هادي معرفة، مؤسسة الطبع والنشر في الآستانة الرضوية المقدسة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ. ش = ١٤٢٦هـ. ق.
- تلخيص التمهيد: محمد هادي معرفة، الناشر: مؤسسة التمهيد - قم المقدسة، الطبعة الأولى، المطبعة ستاره، ١٤٢٩هـ. ق - ٢٠٠٨م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطار، قدم له: خليل الميس، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د. ط، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- الدر المنثور وهامشه القرآن الكريم مع تفسير ابن عباس: جلال الدين السيوطي،

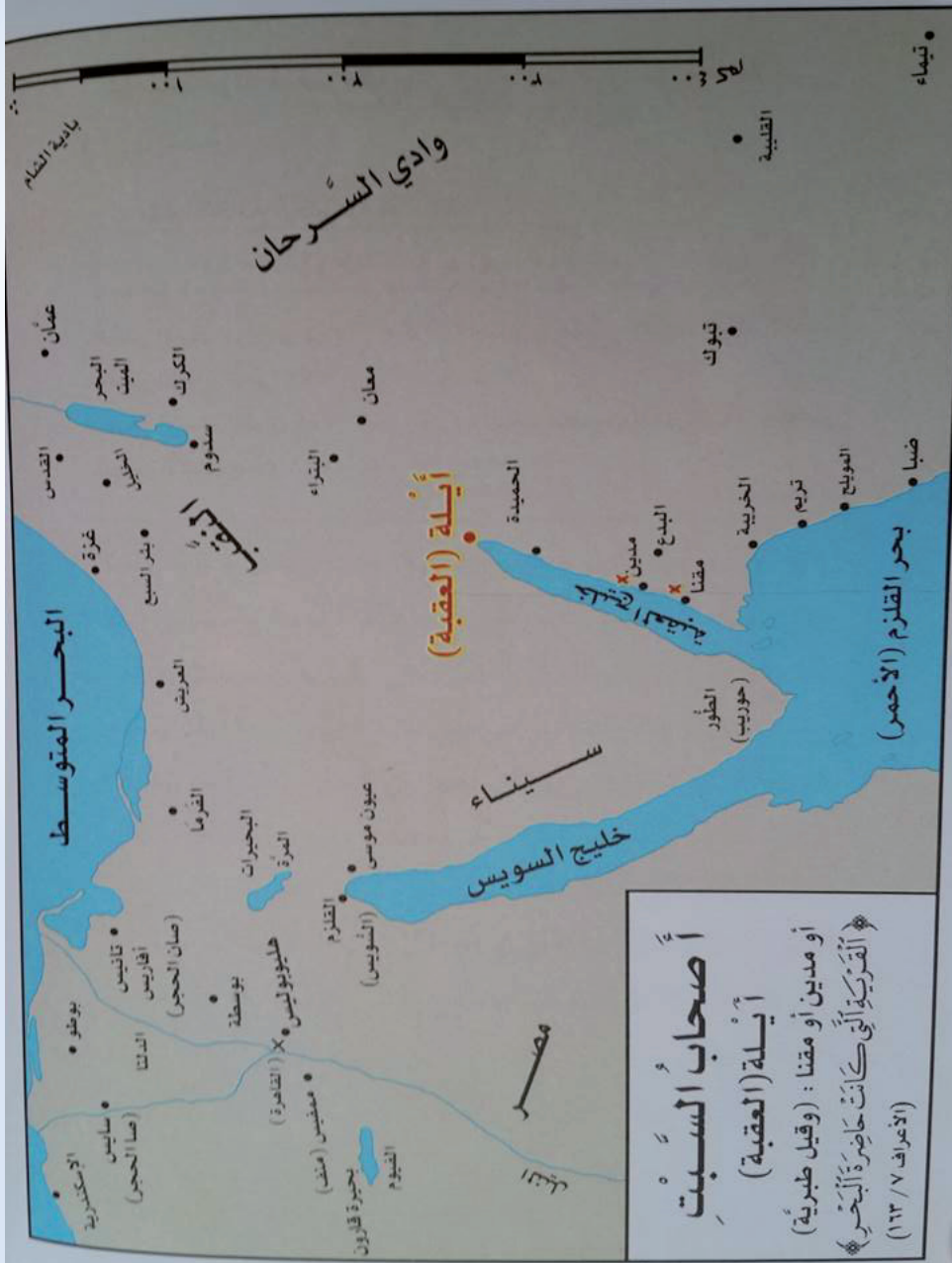


- الناشر: دار المعرفة - جدة، المطبعة: فتح - جدة، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ. ق.
- دلائل الإعجاز: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، قراه وعلق عليه: أبو فهر (محمود محمد شاكر)، الطباعة والناشر: دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع - جدة، المطبعة: المدني - مصر، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- الكافي: الشيخ الكليني، تحقيق: علي اكبر غفاري، الناشر: دار الكتب الإسلامية - آخوني، مطبعة حيدري، الطبعة الثالثة، ١٣٨٨هـ.
- المعنى في ضوء التفسير العرفاني: د. حسين علي حسين المهدي، الناشر: الفيحاء ودار ومكتبة البصائر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤.
- مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني، اعتنى بتصحيحه الشيخ أمين سليم الكردي، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، د. ت.

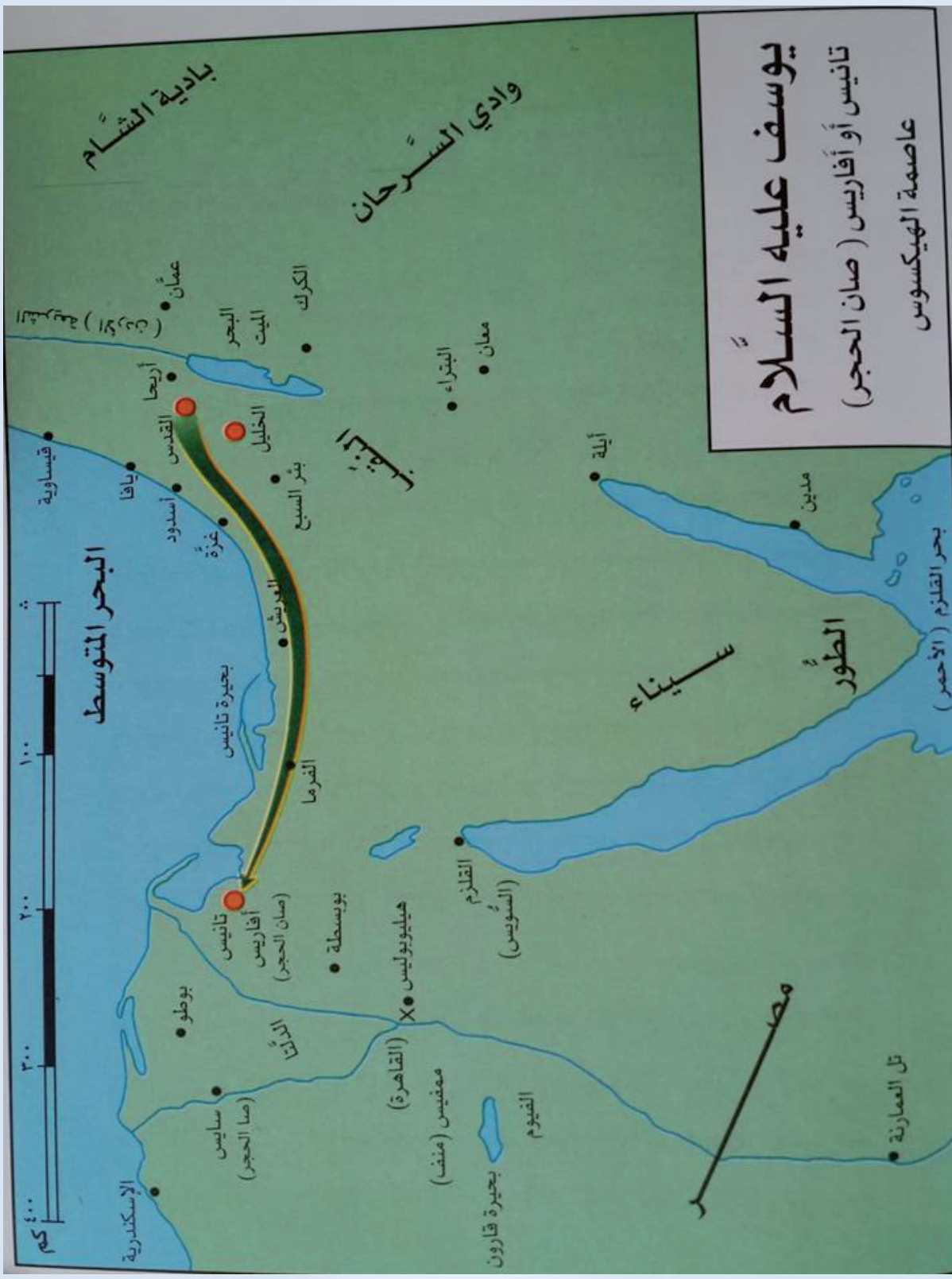


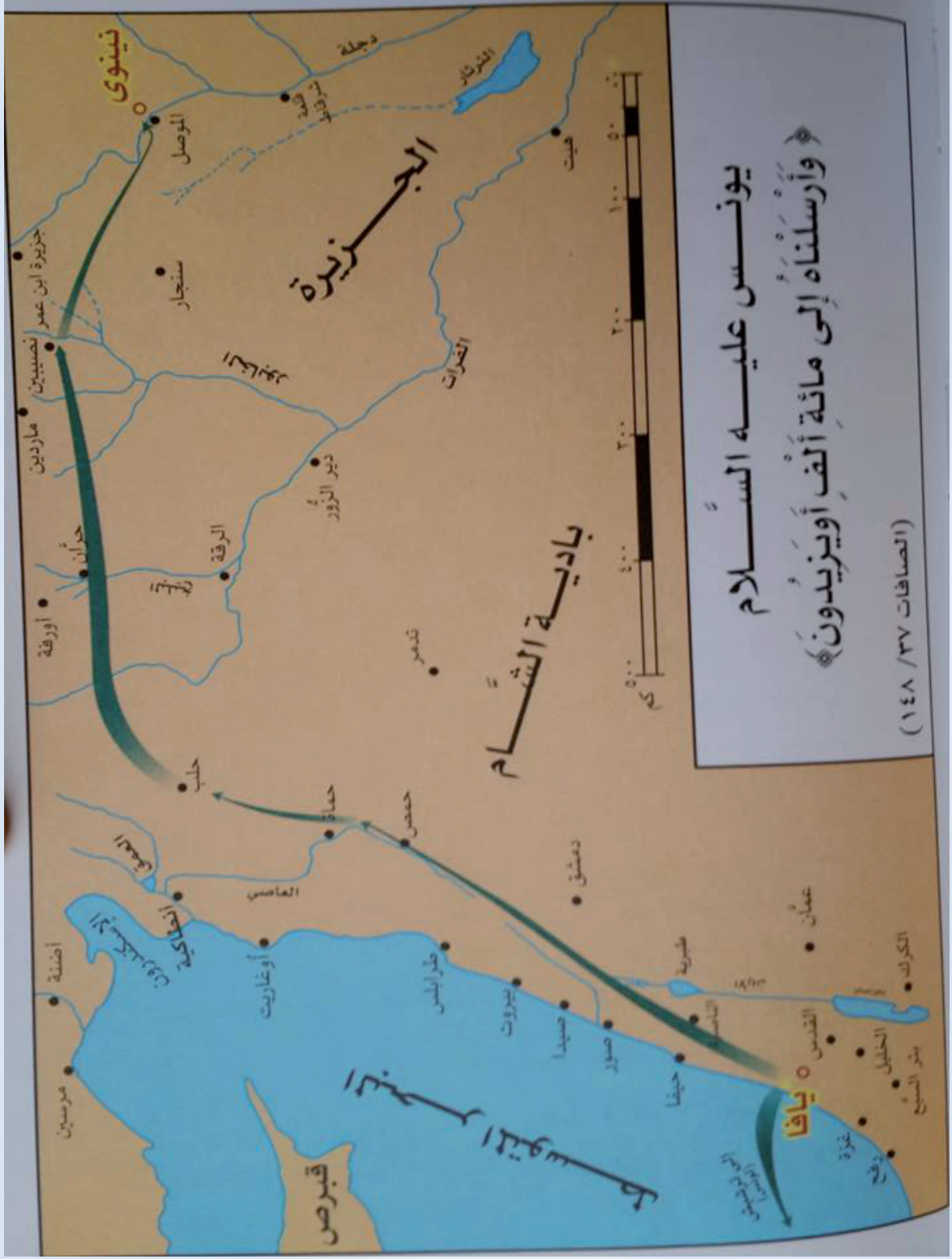
## استدراك

كانت مجلة المصباح قد نشرت بحثا للاستاذ سعد شريف طاهر عنوانه (القرية في القرآن الكريم) في العدد الحادي والعشرين وهو بحث مزود ببعض الخرائط سقطت سهوا ونظرا لاهميتها. ها نحن ننشرها الان مستدركين هذا السهو ونعتذر.



**يوسف عليه السلام**  
 تانيس أو أفاريس ( صان الحجر )  
 عاصمة الهيكسوس





يونسس عليه السلام  
 وأرسلناه إلى مائة ألف أوزيريدون

(الصافات ٣٧ / ١٤٨)

## إقرأ في العدد القابل ان شاء الله - تعالى -

- الكليات القرآنية بين التأسيس القواعدي والقواعد المؤسّسة

الشيخ ليث عبد الحسين العنابي

- جماليات الدعاء في القرآن الكريم

ر. عاطي عبيات

- دلالة الاستقامة في النصوص القرآنية وتوظيفها في الحياة العامة

الشيخ الدكتور عدنان فرمان خميس

- توجيه النص القرآني في ضوء حروف المعاني

ر. أحمد حسين المحبشي

- تأملات في قوله - تعالى - ((يرتع ويلعب))

الشيخ حسن كاظم الزبيري

- النظام الثنائي الزوجي في أطوار خلق الانسان (رؤية قرآنية)

ر. خولة مهدي الجراح

- الاستعمال القرآني لمادة (فسق) - دراسة في التركيب والسياق

أ.ر. أحمد جواد العنابي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي  
خَلَقَ الْمَوْتَئِدَ وَالرُّوحَ  
فِيهَا يَأْتِي الرُّوحُ مِنْ  
رَبِّهِمْ فَاصْبِرْ  
لِحُكْمِ رَبِّكَ إِنَّكَ  
بِعَيْنِنَا إِن نَّظَرْنَا  
عَلَيْكَ لَمُتْنَا وَنَحْنُ  
الْمُتَوَكِّلُونَ



تَنْزِيلُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَأَلْرُوحُ فِيهَا يَأْتِي الرُّوحُ مِنْ رَبِّهِمْ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ إِنَّكَ بِعَيْنِنَا إِن نَّظَرْنَا عَلَيْكَ لَمُتْنَا وَنَحْنُ الْمُتَوَكِّلُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي  
خَلَقَ الْمَوْتَئِدَ وَالرُّوحَ  
فِيهَا يَأْتِي الرُّوحُ مِنْ  
رَبِّهِمْ فَاصْبِرْ  
لِحُكْمِ رَبِّكَ إِنَّكَ  
بِعَيْنِنَا إِن نَّظَرْنَا  
عَلَيْكَ لَمُتْنَا وَنَحْنُ  
الْمُتَوَكِّلُونَ

عبدالله بن محمد